

إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ

عَنْ
تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأْلِيفُ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ

الْمَقْفُوفِ أَسْتَفْتَى عَلَيْهِ ١٠٠ أَلْفَ

الْأَجْزَاءِ

٢٢ - ٢٣ - ٢٤

طَرَاهِيكُ

جَامِعُ الْبَيَانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ الطَّائِبِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣١٠ هـ

الجزء الثاني والعشرون

دار الفكر

تأليف الأستاذ

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

تأليف الأستاذ

تأليف

تأليف الأستاذ

١٢٥٠ - ١٢٥٠

تأليف الأستاذ

المكاتب : البناية المركزية - هاتف، ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب.، ١١ / ٧٠٦١
المطابع والمعمل : حارة حربك - شارع عبد النور - هاتف، ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقياً ، فكسي - تليكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

بيروت
لبنان



فهارس الجزء الثاني والعشرون

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة

الفهرس الثاني : مواضع الآيات المفسرة

الفهرس الثالث : للقوافي

الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية .

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
			<u>سورة الأحزاب</u>		
٣١	ومن يقنت منكن لله ورسوله . . .	١	٥٢	لا يحل لك النساء من بعد . . .	٢٨
٣٢	يا نساء النبي لستن كأحد من النساء . . .	٢	٥٣	يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا . . .	٣٣
٣٣	وقدرن في بيوتكن ولا تبرجن . . .	٢	٥٤	إن تبدوا شيئا أو تخفوه . . .	٤١
٣٤	واذكرن ما يتلى في بيوتكن . . .	٩	٥٥	لا جناح عليهن في آباءهن . . .	٤١
٣٥	إن المسلمين والمسلمات . . .	٩	٥٦	إن الله وملائكته يصلون على النبي . . .	٤٣
٣٦	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة . . .	١١	٥٧	إن الذين يؤذون الله ورسوله . . .	٤٤
٣٧	وإذ تقول للذي أنعم الله عليه . . .	١٢	٥٨	والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات . . .	٤٤
٣٨	ما كان على النبي من حرج فيما . . .	١٤	٥٩	يا أيها النبي قل لأزواجك . . .	٤٥
٣٩	الذين يبلغون رسالات الله . . .	١٥	٦٠	لئن لم ينته المنافقون . . .	٤٧
٤٠	ما كان محمد أباً أحد من رجالكم . . .	١٦	٦١	ملعونين أينما ثقفوا . . .	٤٧
٤١	يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله . . .	١٦	٦٢	سنة الله في الذين خلدوا من قبل . . .	٤٨
٤٢	وسبحوه بكرة وأصيلا .	١٦	٦٣	يسألك الناس عن الساعة . . .	٤٩
٤٣	هو الذي يصلى عليكم وملائكته .	١٦	٦٤	إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا .	٤٩
٤٤	تحيتهم يوم يلقونه سلام . . .	١٦	٦٥	خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا . . .	٤٩
٤٥	يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا . . .	١٨	٦٦	يوم تقلب وجوههم في النار . . .	٤٩
٤٦	وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .	١٨	٦٧	وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا . . .	٥٠
٤٧	وبشر المؤمنين بأن لهم من الله . . .	١٨	٦٨	ربنا آتهم ضعفين من العذاب . . .	٥٠
٤٨	ولا تطع الكافرين والمنافقين . . .	١٨	٦٩	يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا . . .	٥٠
٤٩	يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم . . .	١٩	٧٠	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . . .	٥٣
٥٠	يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك . . .	٢٠	٧١	يصلح لكم أعمالكم . . .	٥٣
٥١	ترجي من تشاء منهم . . .	٢٤	٧٢	إنا عرضنا الأمانة على السموات . . .	٥٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
				تفسير سورة سبأ	
١	الحمد لله الذي له ما في السموات . . .	٥٨	٢٧	قل أروني الذين ألحقتم به . . .	٩٦
٢	يعلم ما يلج في الأرض . . .	٥٩	٢٨	وما أرسلناك إلا كافة . . .	٩٦
٣	وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة . . .	٥٩	٢٩	ويقولون متى هذا الوعد . . .	٩٦
٤	ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات . . .	٦١	٣٠	قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه . . .	٩٦
٥	والذين سَعَوْا في آياتنا معاجزين . . .	٦١	٣١	وقال الذين كفروا لن نؤمن . . .	٩٧
٦	ويرى الذين أوتوا العلم . . .	٦٢	٣٢	قال الذين استكبروا . . .	٩٧
٧	وقال الذين كفروا هل ندلكم . . .	٦٢	٣٣	وقال الذين استضعفوا . . .	٩٧
٨	أفترى على الله كذبا . . .	٦٣	٣٤	وما أرسلنا في قرية من نذير . . .	٩٩
٩	أفلم يروا إلى ما بين أيديهم . . .	٦٤	٣٥	وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا . . .	٩٩
١٠	ولقد آتينا داود منا فضلا . . .	٦٥	٣٦	قل : إن ربي يبسط الرزق . . .	٩٩
١١	أن اعمل سابعات وقدر في السرد . . .	٦٥	٣٧	وما أموالكم ولا أولادكم . . .	١٠٠
١٢	ولسليمان الريح غدوها شهر . . .	٦٨	٣٨	والذين يسعون في آياتنا . . .	١٠١
١٣	يعملون له ما يشاء من محاريب . . .	٧٠	٣٩	قل إن ربي يبسط الرزق . . .	١٠١
١٤	فلما قضينا عليه الموت . . .	٧٣	٤٠	ويوم يحشرهم جميعا . . .	١٠٢
١٥	لقد كان لسبأ في مسكنهم آية . . .	٧٦	٤١	قالوا سبحانك أنت ولينا . . .	١٠٢
١٦	فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم . . .	٧٨	٤٢	فاليوم لا يملك بعضكم لبعض . . .	١٠٢
١٧	ذلك جزيناهم بما كفروا . . .	٧٨	٤٣	وإذا تتلى عليهم آياتنا . . .	١٠٢
١٨	وجعلنا بينهم وبين القرى . . .	٨٣	٤٤	وما آتيناهم من كتب يدرسونها . . .	١٠٣
١٩	فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا . . .	٨٥	٤٥	وكذب الذين من قبلهم . . .	١٠٣
٢٠	ولقد صدق عليهم إبليس ظنه . . .	٨٧	٤٦	قل إنما أعظكم بواحدة . . .	١٠٤
٢١	وما كان له عليهم من سلطان . . .	٨٨	٤٧	قل ما سألتكم من أجر . . .	١٠٥
٢٢	قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله . . .	٨٨	٤٨	قل إن ربي يقذف بالحق . . .	١٠٥
٢٣	ولا تنفع الشفاعة عنده . . .	٨٩	٤٩	قل جاء الحق . . .	١٠٥
٢٤	قل من يرزقكم من السموات . . .	٩٣	٥٠	قل إن ضللت فإنا أضلّ على نفسي . . .	١٠٦
٢٥	قل لا تسألون عما أجرمنا . . .	٩٥	٥١	ولو ترى إذ فرعوا . . .	١٠٦
٢٦	قل يجمع بيننا ربنا . . .	٩٥	٥٢	وقالوا آمنا به . . .	١٠٩
			٥٣	وقد كفروا به من قبل . . .	١١١
			٥٤	وحيل بينهم وبين ما يشتهون . . .	١١٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	تفسير سورة فاطر				
١	الحمد لله فاطر السموات والأرض . . .	١١٤	٢٧	ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء . . .	١٣١
٢	ما يفتح الله للناس من رحمة . . .	١١٥	٢٨	ومن الناس والدواب والأنعام . . .	١٣١
٣	يا أيها الناس اذكروا نعمة الله . . .	١١٥	٢٩	إن الذين يتلون كتاب الله . . .	١٣٢
٤	وإن يكذبوك فقد كذبت رسل . . .	١١٦	٣٠	ليوفيهم أجورهم ، ويزيدهم . . .	١٣٢
٥	يا أيها الناس إن وعد الله حق . . .	١١٦	٣١	والذي أوحينا إليك من الكتاب . . .	١٣٣
٦	إن الشيطان لكم عدو . . .	١١٧	٣٢	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا	١٣٣
٧	الذين كفروا لهم عذاب شديد . . .	١١٧	٣٣	جنات عدن يدخلونها . . .	١٣٨
٨	أفمن زين له سوء عمله ؟	١١٨	٣٤	وقالوا الحمد لله الذي أذهب . . .	١٣٨
٩	والله الذي أرسل الرياح . . .	١١٩	٣٥	الذي أحلنا دار المقامة . . .	١٣٩
١٠	من كان يريد العزة . . .	١١٩	٣٦	والذين كفروا لهم نار جهنم . . .	١٤٠
١١	والله خلقكم من تراب . . .	١٢١	٣٧	وهم يصطرخون فيها . . .	١٤٠
١٢	وما يستوى البحران . . .	١٢٣	٣٨	إن الله عالم غيب السموات والأرض . . .	١٤٢
١٣	يولج الليل في النهار . . .	١٢٤	٣٩	هو الذي جعلكم خلائف في الأرض . . .	١٤٣
١٤	إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم . . .	١٢٥	٤٠	قل أرأيتم شركاءكم . . .	١٤٣
١٥	يا أيها الناس أنتم الفقراء . . .	١٢٦	٤١	إن الله يمسك السموات والأرض . . .	١٤٤
١٦	إن يشأ يذهبكم . . .	١٢٦	٤٢	وأقسموا بالله جهد أيمانهم . . .	١٤٥
١٧	وما ذلك على الله بعزيز . . .	١٢٦	٤٣	استكبارا في الأرض . . .	١٤٥
١٨	ولا تزر وازرة وزر أخرى . . .	١٢٦	٤٤	أولم يسيروا في الأرض . . .	١٤٦
١٩	وما يستوى الأعمى والبصير .	١٢٦	٤٥	ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا . . .	١٤٧
٢٠	ولا الظلمات ولا النور .	١٢٨	<u>تفسير سورة يس</u>		
٢١	ولا الظل ولا الحرور .	١٢٨	١	يس .	١٤٨
٢٢	وما يستوى الأحياء ولا الأموات .	١٢٨	٢	والقرآن الحكيم .	١٤٨
٢٣	إن أنت إلا نذير . . .	١٢٨	٣	إنك لمن المرسلين .	١٤٨
٢٤	إنا أرسلناك بالحق بشيرا . . .	١٣٠	٤	على صراط مستقيم .	١٤٨
٢٥	وإن يكذبوك فقد كذب . . .	١٣٠	٥	تنزيل العزيز الرحيم .	١٤٩
٢٦	ثم أخذت الذين كفروا .	١٣٠	٦	لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم . . .	١٤٩
			٧	لقد حق القول على أكثرهم . . .	١٤٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨	إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا . . .	١٥٠	١٨	قالوا : إنا تطيرنا بكم . . .	١٥٧
٩	وجعلنا من بين أيديهم سدا . . .	١٥٠	١٩	قالوا : طائرکم معکم . . .	١٥٧
١٠	وسواء عليهم أأنذرتهم . . .	١٥٣	٢٠	وجاء من أقصى المدينة . . .	١٥٧
١١	إنما تنذر من اتبع الذكر . . .	١٥٣	٢١	اتبعوا من لا يسألکم أجرا . . .	١٥٧
١٢	إنا نحن نحي الموتى . . .	١٥٣	٢٢	ومالی لأعبد الذي فطرني . . .	١٥٩
١٣	واضرب لهم مثلا . . .	١٥٥	٢٣	أأخذ من دونه آلهة . . .	١٥٩
١٤	إذ أرسلنا إليهم اثنين . . .	١٥٥	٢٤	إني إذا لقي ضلال مبين .	١٦٠
١٥	قالوا : ما أتمم إلا بشر مثلنا . . .	١٥٦	٢٥	إني آمنت بربکم فاسمعون .	١٦٠
١٦	قالوا : ربنا يعلم إنا إليکم لمرسلون .	١٥٦	٢٦	قبل ادخل الجنة قال يا ليت قومي . . .	١٦١
١٧	وما علينا إلا البلاغ المبين .	١٥٦	٢٧	بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين .	١٦١

٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٣٤	١
تأويل قوله « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي » وما كان من بعضهم من التحدث طويلا في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.	تأويل قوله « ومن يقنت منكن » ، وأن الرزق الكريم الجنة .
٤١	٣
تأويل قوله « لا جناح عليهن » ، وأن ذلك في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يجوز لهن إظهار الزينة عندهم .	المراد بمرض القلوب : الشهوات .
٤٣	٤
كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .	معنى الجاهلية الأولى .
٤٤	٦
طعن المنافقين على رسول الله صلى الله عليه وسلم في زواجه صفية .	من هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم .
٤٥	٩
تأويل قوله « يا أيها النبي قل لأزواجك ... الآية » ، وما كان من زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمولاه زيد بن حارثة .	تأويل قوله « واذكروا ما يتلى في بيوتكن » ، والمراد من الحكمة التي تتلى .
٥١	١١
ما آذى به بنو إسرائيل موسى .	تأويل قوله « وما كان لمؤمن ... الآية » ، وما كان من زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمولاه زيد بن حارثة .
٥٣	١٣
تأويل قوله « إنا عرضنا الأمانة » ، والمراد بالأمانة المعروضة ، وكيفية عرضها .	زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين زينب بنت جحش .
٥٨	١٦
<u>تفسير سورة سبأ</u>	تأويل قوله « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم » وبيان أنها نزلت في زيد بن حارثة .
٦٢	١٩
تأويل قوله « ويرى الذين أوتوا العلم » ، ومن هم ؟	المرء إذا طلق امرأته قبل الدخول بانته منه ، ولا عدة عليها ، وعليه لها نصف المهر إن سُمِّي ، وإلا فالمتعة .
٦٢	٢٠
ما كان يستغربه المشركون من الإعادة حتى نسبوا الآتي بذلك إلى الكذب أو الجنون .	ما أحل الله لنبيه من النساء .
٦٥	٢٤
ما أوتيته داود من المعجزات ، وعمله الدروع السابغات .	تأويل قوله « ترجى من تشاء منهن » ، وأن القسم كان ليس بواجب عليه .
٦٨	٢٨
تأويل قوله « ولسليمان الريح » ، وما أوتيته من تسخير الريح والشياطين له .	تأويل قوله « لا يحل لك النساء » ، والخلاف في أن تلك الآية نسخت ، أو استمرت معمولا بها .

الصفحة	الموضوعات	الصفحة
١٢٠	العزة لا تكون إلا في طاعة الله ، وكيفية رفع الكلم الطيب ، وإفساد الرياء للعمل .	٧٣
١٢٤	تأويل قوله « يولج الليل في النهار » . . . الآية ، ومعنى القِطْمير .	٧٦
١٢٨	تأويل قوله « وما يستوى الأعمى والبصير » ، وأنها أمثال ضربت للمؤمن والكافر .	٨٧
١٣٢	الخوف من الله دأب العلماء العالمين به .	٩٠
١٣٣	تأويل قوله « ثم أورثنا الكتاب » ، وأن هؤلاء الأصناف من أهل الجنة جميعهم أم لا؟	٩٣
١٤٠	أهل النار لا يخفف عنهم نوع العذاب .	٩٧
١٤٥	تأويل قوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » ، وما كان عليه المشركون من طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما جاءهم كفروا به .	٩٧
١٤٨	تفسير سورة يس	من الكتب .
١٥٠	تأويل قوله « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا » وأن في الآية حذفاً ، والشاهد عليه .	١٠٦
١٥٣	بيان أن خُطماً الإنسان إلى الخير تكتب له حسنات .	السفياى بجيشه آخر الزمان ، وخسف الأرض بهم .
١٥٥	خبر أصحاب القرية والرسل الذين أرسلوا إليها .	١١٢
		١١٤
		تفسير سورة فاطر
		١١٤
		أصناف الملائكة ، والشواهد على عدم صرف مثنى وما معه .
		١١٦
		تأويل قوله « وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك » ، ومعنى الغرور .

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
٧	لما نزلت هذه الآية ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ ...	٧٤	كان سليمان نبي الله إذا صلى رأى شجرة ...
٣٢	ما توفي رسول الله ﷺ حتى أحل له أن يتزوج ...	٥٢	كان موسى رجلاً حياً ستيراً ...
٣٢	ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء .	٦	كان النبي ﷺ عندي ...
٣٢	ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء .	٥١	﴿ لا تكونوا كالذين آذوا موسى ﴾
٣٢	ما مات رسول الله ﷺ حتى حل له النساء .	١٤٢	قال : قالوا هو آدر... لقد أعذر الله الى صاحب الستين سنة ...
١٤٢	من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر . نزلت هذه الآية على النبي ﷺ في بيت أم سلمة ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً ﴾ ...	٤٤	لما نزلت ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ ... الآية قالوا يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه فكيف الصلاة وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ...
٨	نزلت هذه الآية في خمسة : في ...	٤٤	لما نزلت ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ قت إليه فقلت : السلام عليك قد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك يا رسول الله ؟ قال :
٦	وعرضها الله على آدم ، فقال : بين أذني وعاتقي .	٤٣	قل اللهم صل على محمد ...
٥٥	يا أبا الدرداء إن فيك جاهلية ...		
٥	يا بني سلمة دياركم إنها تكتب آثاركم .		
١٥٤			

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾

* يقول تعالى ذكره : ومن يطع الله ورسوله منكن ، وتعمل بما أمر الله به (نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) يقول : يعطها الله ثواب عملها ، مثل ثواب عمل غيرهن من سائر نساء الناس (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) يقول : وأعدنا لها في الآخرة عيشا هنيئا في الجنة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) . . . الآية ، يعني ١ : تطع الله ورسوله . (وَتَعْمَلْ صَالِحًا) تصوم وتصلى .

حدثني سلم بن جنادة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ابن عون ، قال : سألت عامرا عن القنوت ، قال وما هو ؟ قال : قلت (وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) قال : مطيعين ؛ قال : قلت (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) قال : يطعن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) أي من يطع منكن لله ورسوله (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) وهي الجنة .
واختلفت القراء في قراءة قوله (وَتَعْمَلْ صَالِحًا) فقرأ عامة قراء الحجاز والبصرة : (وَتَعْمَلْ) بالياء رداً على تأويل مَنْ إذ جاء بعد قوله (مِنْكُنَّ) . وحكى بعضهم عن العرب أنها تقول : كم بيع لك جارية وأنهم إن قدّموا الجارية قالوا : كم جارية بيعت لك ؟ فأنشوا الفعل بعد الجارية ، والفعل في الوجهين لكم للجارية . وذلك القراء أن بعض العرب أنشده :

(١) من هنا إلى آخر الحديث ساقط من الأصل ، وهو في الدر المنثور للسيوطي (٥ : ١٩٦) .

أَيَا أُمَّ عَمْرٍو مَن يَكُنْ عَقْرُ دَارِهِ جِوَاءَ عَدِيَّ يَأْكُلِ الْحَشْرَاتِ
وَيَسْوَدُ مِنْ لَفْحِ السَّمُومِ جِبِينَهُ وَيَعْرُو إِنْ كَانَ ذَوِي بَكَرَاتٍ

فقال : وإن كانوا ولم يقل : وإن كان ، وهو لمن فردّه على المعنى . وأما أهل الكوفة ، فقرأت ذلك عامة
قرأها (وَيَعْمَلُ) بالياء عطفًا على يقنت ، إذ كان الجميع على قراءة الياء ،

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان في كلام العرب ، فبأيهما قرأ
القارئ فمصيب ، وذلك أن العرب تردّ خبر « من » أحيانًا على لفظها ، فتوحد وتذكر ، وأحيانًا على معناها
كما قال جل ثناؤه (وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ، أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَابْعَاقِلُونَ
وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ) فجمع مرة للمعنى ، ووجد أخرى للفظ :

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي
قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى
وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾

يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ
النِّسَاءِ) من نساء هذه الأمة (إِنْ اتَّقَيْتُنَّ) الله فأطعته فيما أمركنّ ونهاكنّ .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ
كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ) يعني من نساء هذه الأمة .
وقوله (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) يقول : فلا تلتنّ بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكنّ :
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) يقول :
لا ترخصن بالقول ، ولا تخضعن بالكلام .

(١) البيتان : من شواهد الفراء في (معاني القرآن مصورة الجامعة ٢٥٦) قال أنشدني بعض العرب . وعقر الدار : أصلها ، وقيل
وقيل وسطها ، وهو محلة القوم . والجواء : الفرجة التي بين محلة القوم ووسط البيوت ؛ ويقال : نزلنا في جواء بني فلان ، وقديين
أبو جعفر الطبري موضع الشاهد في البيت ، ناقلا له عن الفراء ، ولم يذكر قائل البيتين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ)
قال : خضع القول ما يكره من قول النساء للرجال مما يدخل في قلوب الرجال .

وقوله (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) يقول : فيطمع الذي في قلبه ضعف ، فهو لضعف إيمانه
في قلبه ، إما شك في الإسلام منافق ، فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله وإما مهان بإتيان الفواحش .
وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : إنما وصفه بأن في قلبه مرضاً ، لأنه منافق .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ)
قال : نفاق .

وقال آخرون : بل وصفه بذلك لأنهم يشتهون إتيان الفواحش :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) قال :
قال عكرمة : شهوة الزنا .

وقوله (وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) يقول : وقلن قولاً قد أذن الله لكم به وأباحه .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا)
قال : قولاً جميلاً حسناً معروفاً في الخير .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) فقراءته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين :
(وَقَرْنَ) بفتح القاف ، بمعنى : واقرنن في بيوتكن ، وكأن من قرأ ذلك كذلك حذف الراء الأولى من
اقرن ، وهي مفتوحة ، ثم نقلها إلى القاف ، كما قيل (فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ) وهو يريد فظلم ، فأسقطت
اللام الأولى وهي مكسورة ، ثم نقلت كسرتها إلى الظاء . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة (وَقَرْنَ)
بكسر القاف ، بمعنى : كنن أهل وقار وسكينة (فِي بُيُوتِكُنَّ) .

وهذه القراءة وهي الكسر في القاف أولى عندنا بالصواب لأن ذلك إن كان من الوقار على ما اخترنا ،
فلا شك أن القراءة بكسر القاف ، لأنه يقال وقر فلان في منزله فهو يقر وقورا ، فتكسر القاف في تفعل
فإذا أمر منه قيل : قر كما يقال من وزن يزن زن ، ومن وعد يعد عيد ، وإن كان من القرار ، فإن الوجه
أن يقال : اقررن ، لأن من قال من العرب : ظلت أفعل كذا ، وأحست بكذا ، فأسقط عين الفعل ،
وحول حركتها إلى فائه في فعل وفعلنا وفعلتم ، لم يفعل ذلك في الأمر والنهي ، فلا يقول : ظل قائماً ، ولا
نظل قائماً ، فليس الذي اعتل به من اعتل لصحة القراءة بفتح القاف في ذلك يقول العرب في ظلات
وأحسست ظلت ، وأحست بعله توجب صحته لما وصفت من العلة ، وقد حكى بعضهم عن بعض الأعراب
سماعا منه : ينحظن من الجبل ، وهو يريد : ينحظن فإن يكن ذلك صحيحاً ، فهو أقرب إلى أن يكون
حجة لأهل هذه القراءة من الحجة الأخرى .

وقوله (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) قيل : إن التبرُّج في هذا الموضع التبخر والتكسر .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) : أي إذا خرجت من بيتك ، قال : كانت لمن مشية وتكسر وتغنج ، يعني بذلك الجاهلية الأولى فهاهن الله عن ذلك .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : سمعت ابن أبي نجيح ، يقول في قوله (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) قال : التبخر . وقيل : إن التبرُّج هو إظهار الزينة ، وإبراز المرأة محاسنها للرجال .
وأما قوله (تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) فإن أهل التأويل اختلفوا في الجاهلية الأولى ، فقال بعضهم : ذلك ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن زكريا ، عن عامر (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) قال : الجاهلية الأولى : ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام .
وقال آخرون : ذلك ما بين آدم ونوح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن أبيه ، عن الحكم (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) قال : وكان بين آدم ونوح ثمان مئة سنة ، فكان نساؤهم من أقبح ما يكون من النساء ، ورجلهم حسان ، فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه ، فأنزلت هذه الآية (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) .
وقال آخرون : بل ذلك بين نوح وإدريس .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن زهير ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا داود ، يعني ابن أبي الفرات ، قال : ثنا علباء بن أحمد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : تلا هذه الآية (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) قال : كان فيما بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل ، والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحا ، وفي النساء دمامة ، وكان نساء السهل صباحا ، وفي الرجال دمامة ؛ وإن إبليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام ، فأجر نفسه منه ، وكان يخدمه ، واتخذ إبليس شيئا مثل ذلك الذي يزمر فيه الرعاء ، فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله ، فبلغ ذلك من حولهم ، فانتابوهم يسمعون إليه ، واتخذوا عيدا يجتمعون إليه في السنة ، فتبرج الرجال للنساء : قال : ويتزين النساء للرجال ، وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك ، فرأى النساء ، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك ، فتحوّلوا إليهن ، فنزلوا معهن ، فظهرت الفاحشة فيهن ، فهو قول الله (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) .

وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى ، فيكون معنى ذلك : ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام .

﴿ فإن قال قائل : أو في الإسلام جاهلية ؟ حتى يقال عنى بقوله (الجاهلية الأولى) التي قبل الإسلام ؟ قيل : فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) قال : يقول : التي كانت قبل الإسلام ، قال : وفي الإسلام جاهلية ؟ قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء ، وقال لرجل وهو ينازعه : يا ابن فلانة ، لأمّ كان يعيره بها في الجاهلية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا الدرداء إن فيك جاهلية » ، قال : أجاهلية كفر أو إسلام ؟ قال : بل جاهلية كُفِّرَ ، قال : فتمنيت أن لو كنت ابتدأت إسلامي يومئذ . قال : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ من عمل أهل الجاهلية لا يدعهنّ النَّاسُ : الطَّعْنُ بِالْأَنْسَابِ ، وَالِاسْتِمْطَارُ بِالْكَوَاكِبِ ، وَالنِّيَاحَةُ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن ثور ، عن عبد الله بن عباس ، أن عمر بن الخطاب ، قال له : أرأيت قول الله لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) هل كانت إلا واحدة ، فقال ابن عباس : وهل كانت من أولى إلا ولها آخرة ؟ فقال عمر : لله درك يا ابن عباس ، كيف قلت ؟ فقال يا أمير المؤمنين ، هل كانت من أولى إلا ولها آخرة ؟ قال : فأنت بتصديق ما تقول من كتاب الله ، قال : نعم (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ كَمَا جَاهَدْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) قال عمر : فمن أمر بالجهاد ؟ قال : قبيلتان من قريش : مخزوم ، وبنو عبد شمس ، فقال عمر : صدقت .

وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح . وجائز أن يكون ما بين إدريس ونوح ، فتكون الجاهلية الآخرة ، ما بين عيسى ومحمد ، وإذا كان ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل . فالصواب أن يقال في ذلك ، كما قال الله : إنه نهى عن تبرج الجاهلية الأولى .

وقوله (وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ) يقول : وأقمن الصلاة المفروضة ، وآتين الزكاة الواجبة عليكم في أموالكن (وَأَطِيعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فيما أمراكن ونهياكن (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) يقول : إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد ، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) فهل أهل بيت طهرهم الله من السوء ، وخصهم برحمة منه . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

(١) كذا في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير المحفوظ بدار الكتب ، الورقة ٥٧ ب . ولعلها قراءة لابن عباس .

عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) قال : الرجس ههنا : الشيطان ، وسوى ذلك من الرجس : الشرك .

اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله (أهل البيت) فقال بعضهم : عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي ، قال : ثنا مندل ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ فِي خَمْسَةٍ : فِي ، وَفِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَحُسَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن زكريا ، عن مصعب بن شيبة ، عن صفية بنت شيبة قالت : قالت عائشة : خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة ، وعليه مرط مُرَجَّلٌ من شعر أسود ، فجاء الحسن ، فأدخاه معه ، ثم قال (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر ، كلما خرج إلى الصلاة فيقول : الصَّلَاةَ أَهْلَ الْبَيْتِ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) » .
حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا يحيى بن إبراهيم بن سويد النخعي ، عن هلال ، يعني ابن مقلاص ، عن زبيد ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، قالت : « كان النبي صلى الله عليه وسلم عندي ، وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، فجعلت لهم خزيرة ، فأكلوا وناموا ، وغطى عليهم عباءة أوقطيفة ، ثم قال : اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي ، أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا » .
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق ، قال : أخبرني أبو داود ، عن أبي الحدراء ، قال : رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر ، جاء إلى باب علي وفاطمة فقال الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) » .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا يونس بن أبي إسحاق ، بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله :

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن كلثوم المحاربي ، عن أبي عمار ، قال : إني لجالس عند وائلة بن الأسقع إذ ذكروا عليا رضي الله عنه ،

فشتموه ؛ فلما قاموا ، قال : اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا ، إني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاءه عليّ وفاطمة وحسن وحسين ، فألقى عليهم كساء له ، ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيّتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قلت : يا رسول الله وأنا ؟ قال : وأنت ؛ قال : فوالله إنها لأوثق عملي عندي .

حدثني عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو ، قال : ثنا شداد أبو عمار قال : سمعت وائلة بن الأسقع يحدث ، قال : « سألت عن عليّ بن أبي طالب في منزله ، فقالت فاطمة قد ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه ، وعليها عن يساره وحسنا وحسينا بين يديه ، فلفع عليهم بثوبه وقال (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) اللهم هؤلاء أهلي ، اللهم أهلي أحق . قال وائلة : فقلت من ناحية البيت : وأنا يا رسول الله من أهلك ؟ قال : وأنت من أهلي ، قال : وائلة : إنها لمن أرجى ما أرجى .

حدثني أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، عن أم سلمة ، قالت : لما نزلت هذه الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ، فجلل عليهم كساء خبيريا ، فقال : اللهم هؤلاء أهل بيّتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قالت أم سلمة : ألسنت منهم ؟ قال : أنت إلى خير .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مصعب بن المقدم ، قال : ثنا سعيد بن زربي ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن أم سلمة ، قالت : « جاءت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق ، فوضعتها بين يديه ، فقال : أين ابن عمك وابناك ، فقالت : في البيت ، فقال : ادعهم ، فجاءت إلى عليّ ، فقالت : أجب النبي صلى الله عليه وسلم أنت وابناك ، قالت أم سلمة : فلما رآهم مقبلين مدّ يده إلى كساء كان على المنامة فدّاه وبسطه وأجلسهم عليه ، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله ، فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده النبي إلى ربه ، فقال : هؤلاء أهل البيت ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حسن بن عطية ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن أبي سعيد عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية نزلت في بيتها (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) قالت : وأنا جالسة على باب البيت ، فقالت : أنا يا رسول الله ألسنت من أهل البيت ، قال : إنك إلى خير ، أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخاض ، قال : ثنا موسى بن يعقوب ، قال : ثنا هاشم بن هاشم

ابن عتبة ابن أبي وقاص ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة ، قال : « أخبرتني أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع عليا والحسين ، ثم أدخلهم تحت ثوبه ، ثم جأ إلى الله ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي ، فقالت أم سلمة : يا رسول الله أدخلني معهم ، قال : إِنَّكَ مِنْ أَهْلِي » .

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال : ثنا محمد بن سليمان الأصبهاني ، عن يحيى بن عبيد المكي ، عن عطاء ، عن عمر بن أبي سلمة ، قال : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) فدعا حسنا وحسينا وفاطمة ، فأجلسهم بين يديه ، ودعا عليا فأجلسه خلفه ، فتجلل هو وهم بالكساء ثم قال : هؤلاء أهل بيتي ، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا - قالت أم سلمة : أنا معهم مكانك وأنت على خير^١ .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان ، قال : ثنا الصباح بن يحيى المرثي ، عن السدي ، عن أبي الديلم ، قال : قال علي بن الحسين لرجل من أهل الشام : أما قرأت في الأحزاب (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) قال : ولأنتم هم ؟ قال : نعم . حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو بكر الحنفي ، قال : ثنا بكير بن مسمار ، قال : سمعت عامر بن سعد ، قال : قال سعد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحي ، فأخذ عليا وابنيه وفاطمة ، وأدخلهم تحت ثوبه ، ثم قال : رَبَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي وَأَهْلُ بَيْتِي » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن حكيم بن سعد ، قال : ذكرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند أم سلمة قالت : فيه نزلت (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) قالت أم سلمة : جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيتي ، فقال : لَأَتَأْذَنِي لِأَحَدٍ ، فجاءت فاطمة ، فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسن ، فلم أستطع أن أمنه أن يدخل على جدته وأمه ، وجاء الحسين ، فلم أستطع أن أحجبه ، فاجتمعوا حول النبي صلى الله عليه وسلم على بساط ، فجللهم نبي الله بكساء كان عليه ، ثم قال : هؤلاء أهل بيتي ، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا ، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط ؛ قالت : فقلت : يا رسول الله : وأنا ، قالت : فوالله ما أنعم وقال : إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ » .

وقال آخرون : بل عنى بذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الأصمغ ، عن علقمة ، قال : كان عكرمة ينادى في السوق (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) قال : نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

(١) العبارة : « أنا معهم مكانك وأنت على خير » : كلها من كلام أم سلمة ، وهي نظير قوله صلى الله عليه وسلم لها في الروايات التي قبل هذه : « إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ » ، أنت من أزواج النبي ... الخ (انظر الجزء التاسع عشر من المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب ، الورقة ٦٠) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكرن نعمة الله عليكم ، بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة ، فاشكرن الله على ذلك ، واحمدنه عليه ، وعنى بقوله (وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) واذكرن ما يقرأ في بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة ، ويعنى بالحكمة : ما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام دين الله ، ولم ينزل به قرآن ، وذلك السنة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ) : أى السنة ، قال : يمتن عليهم بذلك . وقوله (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) يقول تعالى ذكره : إن الله كان ذا لطف بكن ، إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة ، خبيرا بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجا .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : إن المتدللين لله بالطاعة والمتدلللات ، والمصدقين والمصدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به من عند الله ، والقانتين والقانتات لله ، والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم ، والصدديقين الله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه ، والصابرين لله في البأس والضراء على الثبات على دينه ، وحين البأس والصابرات ، والخاشعة قلوبهم لله وجلا منه ومن عقابه والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات وهم المؤدون حقوق الله من أموالهم والمؤديات ، والصائمين شهر رمضان الذي فرض الله صومه عليهم والصائمات وذلك ، الحافظين فروجهم إلا على أزواجهن أو ما ملكت أيمنهم ، والحافظات ذلك إلا على أزواجهن إن كن حرائر ، أو من ملكهن إن كن إماء ، والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات ، كذلك أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم ، وأجرا عظيما : يعنى ثوابا في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيما ، وذلك الجنة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلن : قد ذكركن الله في القرآن ، ولم نذكر بشيء ، أما فينا ما يُذكر؟ فأنزل الله تبارك وتعالى (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ) : أى المطيعين والمطيعات (وَالْحَاشِعِينَ وَالْحَاشِعَاتِ) : أى الخائفين والخائفات (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً) لذنوبهم (وَأَجْرًا عَظِيمًا) فى الجنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَأَجْرًا عَظِيمًا) قال : الجنة وفى قوله (وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ) قال : المطيعين والمطيعات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر ، قال : القانتات : المطيعات .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مؤمل ، قال : سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : « قالت أم سلمة : يا رسول الله يذكر الرجال ولا تذكر ، فنزلت (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، أن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، حدثه ، عن أم سلمة قالت : « قلت : يا رسول الله ، أيدكر الرجال فى كل شيء ، ولا تُذكر؟ فأنزل الله (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) . . . الآية » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سيار بن مظاهر العنزى ، قال : ثنا أبو كدينة يحيى بن مهلب ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال نساء النبي صلى الله عليه وسلم : ماله يذكر المؤمنين ، ولا يذكر المؤمنات ؟ فأنزل الله (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) . . . الآية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) قال : قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ما للنساء لا يذكرن مع الرجال فى الصلاح ؟ فأنزل الله هذه الآية .
حدثني محمد بن المعمر ، قال : ثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا عثمان بن حكيم ، قال :

ثنا عبد الرحمن بن شيبه ، قال : سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : « قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، ما لنا لا نذكر فى القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت : فلم يرعنى ذات يوم ظهرا إلا نداؤه على المنبر وأنا أسرح رأسى ، فلففت شعرى ثم خرجت إلى حُجرة من حُجرتهن ، فجعلت سمعى عند الجريد ، فإذا هو يقول على المنبر : يا أيها الناس إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فى كتابه : (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) . . . إلى قوله (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره : لم يكن لمؤمن بالله ورسوله ، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم ، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما ، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا (فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) يقول : فقد جار عن قصد السبيل ، وسلك غير سبيل الهدى والرشاد .

وذكر أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتاه زيد بن حارثة ، فامتنعت من إنكاحه نفسها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، « قوله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا) . . . إلى آخر الآية ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة ، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها ، فقالت : لست بناكحته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فانكحيه ، فقالت : يارسول الله أوامر في نفسي ، فبينما هما يتحدّثان أنزل الله هذه الآية على رسوله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ) . . . إلى قوله (ضَلَالًا مُبِينًا) قالت : قد رضيت لى يارسول الله منسكحاً ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لأعصى رسول الله ، قد أنكحته نفسي » .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) قال : زينب بنت جحش وكرهتها نكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) قال : « نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش ، وكانت بنت عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيت ، ورأت أنه يخطبها على نفسه ؛ فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت ، فأنزل الله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) قال : فتابعته بعد ذلك ورضيت » .

حدثني أبو عبيد الوصافي ، قال : ثنا محمد بن حمير ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن ابن أبي عمرة ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : « خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ، فاستنكفت

منه وقالت : أنا خير منه حسباً ، وكانت امرأة فيها حدّة ، فأنزل الله (وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورَسُولُهُ أمراً) . . . الآية كلها .
وقيل : نزلت في أمّ كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط ، وذلك أنها وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزوجها زيد بن حارثة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورَسُولُهُ أمراً) . . . إلى آخر الآية ، قال : نزلت في أمّ كلثوم بنت عتبة ابن أبي معيط ، وكانت من أول من هاجر من النساء ، فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فزوجها زيد بن حارثة ، فسخطت هي وأخوها ، وقالوا : إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده ، قال : فنزل القرآن (وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورَسُولُهُ أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) . . . إلى آخر الآية » قال : وجاء أمر أجمع من هذا (النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قال : فذاك خاص ، وهذا إجماع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عتاباً من الله له (و) اذكر يا محمد (إذ تقول للذي أنعم الله عليه) بالهداية (وأنعمت عليه) بالعتيق ، يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمسك عليك زوجك واتق الله) « وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبته ، وهى فى حبال مولاه ، فألقى فى نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع فى نفس نبيه ما وقع ، فأراد فراقها ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمسك عليك زوجك) وهو صلى الله عليه وسلم يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها (واتق الله) وخف الله فى الواجب له عليك فى زوجتك (وتخفى فى نفسك ما الله مبديه) يقول : وتخفى فى نفسك حبة فراقه إياها لتزوجها إن هو فارقها ، والله مبد ما تخفى فى نفسك من ذلك (وتخشى الناس ، والله أحق أن تخشاه) يقول تعالى ذكره : وتخاف أن يقول الناس : أمر رجلاً بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها ، والله أحق أن تخشاه من الناس . »

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعمت عليه أعمته رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ، وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) قال : وكان يخفى فى نفسه ودأ أنه طلقها ، قال الحسن : ما أنزلت عليه آية كانت أشد عليه منها قوله (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) ولو كان نبي الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتمها (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) قال : خشي نبي الله صلى الله عليه وسلم مقالة الناس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، ابنة عمته ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريد على الباب ستر من شعر ، فرفعت الريح السر فانكشف ، وهى فى حجرتها حاسرة ، فوقع إعجابها فى قلب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر ، فجاء فقال : يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي ، قال : مالك ، أرابيك منها شيء ؟ قال : لا ، والله ما رابى منها شيء يا رسول الله ، ولا رأيت إلا خيرا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ، فذلك قول الله تعالى (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ، وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) تخفى فى نفسك إن فارقها تزوجتها .

حدثني محمد بن موسى الجرشى ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أبي حمزة ، قال : نزلت هذه الآية (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) فى زينب بنت جحش .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن علي بن حسين ، قال : كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه ، فلما أتاه زيد يشكوها قال : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، قال الله (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) . حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن عائشة ، قالت : لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى إليه من كتاب الله لكنتم (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه .

وقوله (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) يقول تعالى ذكره : فلما قضى زيد بن حارثة

من زينب حاجته ، وهى الوطر ؛ ومنه قول الشاعر :

وَدَّعْنِي قَبْلَ أَنْ أُوَدَّعَهُ لَمَّا قَضَى مِنْ شَبَابِنَا وَطَرًا ١

(١) فى (اللسان : وطر) . قال الزجاج : الوطر والأرب : بمعنى واحد . ثم قال : قال الخليل : الوطر كل حاجة يكون فيها همة فإذا بلغها البالغ قيل : قضى وطره وأربه . ولا يبنى منه فعل . ومحل الشاهد فى البيت : لفظة الوطر بمعنى الحاجة .

(زَوْجِنَا كَهَا) يقول : زَوْجِنَاكِ زَيْنَبُ بَعْدَ مَا طَلَّقَهَا زَيْدٌ وَبَانَتْ مِنْهُ (لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ) يعنى : فى نكاح نساء من تَبَنَّتُوا وليسوا بينهم ولا أولادهم على صحة إذا هم طلقوهنّ وبنّ منهم (إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) يقول : إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ حَاجَاتَهُمْ ، وَأَرَابَهُمْ وَفَارَقُوهُنَّ وَحَمَلْنَ لغيرهم ، ولم يكن ذلك نزولاً منهم لهم عنهنّ (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) يقول : وَكَانَ مَا قَضَى اللَّهُ مِنْ قَضَاءِ مَفْعُولًا : أى كائنا كان لا محالة . وإنما يعنى بذلك أن قضاء الله فى زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ماضيًا مفعولاً كائنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) يقول : إِذَا طَلَّقُوهُنَّ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَنَّى زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا) . . . إلى قوله (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) إذا كان ذلك منه غير نازل لك ، فذلك قول الله (وَحَلَالِ أُنثَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ) .

حدثنى محمد بن عثمان الواسطى ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن المعلى بن عرفان ، عن محمد بن عبد الله بن جحش ، قال : تفاخرت عائشة وزينب ، قال : فقالت زينب : أنا الذى نزل تزويجى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : كانت زينب زوج النبی صلى الله عليه وسلم تقول للنبي صلى الله عليه وسلم : إني لأدلّ عليك بثلاث ما من نساءك امرأة تدلّ بهنّ ، إن جدّى وجدك واحد ، وإني أنكحنيك الله من السماء ، وإن النسيب لجبرائيل عليه السلام .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا

﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره : ما كان على النبي من حرج من إثم فيما أحلّ الله له من نكاح امرأة من تبنته بعد فراقه إياها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما كان على النبي من حرج فيما فرّضَ الله له) : أى أحلّ الله له .

وقوله (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) يقول : لم يكن الله تعالى ليؤثّم نبيه فيما أحلّ له مثال

فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله في أنه لم يؤثمهم بما أحلّ لهم ، لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له ، ونصب قوله (سُنَّةَ اللَّهِ) على معنى : حقا من الله ، كأنه قال : فعلنا ذلك سنة منا .

وقوله (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) يقول : وكان أمر الله قضاء مقضيا .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) إن الله كان علمه معه قبل أن يخلق الأشياء كلها ، فأتى في علمه أن يخلق خلقا ، ويأمرهم وينهاهم ، ويجعل ثوابا لأهل طاعته ، وعقابا لأهل معصيته ؛ فلما أتم ذلك الأمر قدره فلما قدره كتب وغاب عليه ، فسماه الغيب وأم الكتاب ، وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم ، وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم ، وقرأ (أُولَئِكَ يَمَنَّا لَهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا نَفِذَ ذَلِكَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ) ، وأمر الله الذي ائتمر قدره حين قدره مقدرًا ، فلا يكون إلا ما في ذلك ، وما في ذلك الكتاب ، وفي ذلك التقدير ، ائتمر أمرا ثم قدره ، ثم خلق عليه ، فقال : كان أمر الله الذي مضى وقرغ منه ، وخلق عليه الخلق (قَدَرًا مَقْدُورًا) شاء أمرا ليمضي به أمره وقدره ، وشاء أمرا يرضاه من عباده في طاعته ؛ فلما أن كان الذي شاء من طاعته لعباده رضيه لهم ، ولما أن كان الذي شاء أراد أن ينفذ فيه أمره وتديره وقدره ، وقرأ (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) فشاء أن يكون هؤلاء من أهل النار ، وشاء أن تكون أعمالهم أعمال أهل النار ، فقال (وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ) وقال (وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ ، وَلِيَدْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ) هذه أعمال أهل النار (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ) ، قال (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ) . . . إلى قوله (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) وقرأ (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) . . . إلى (كُلِّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) أن يؤمنوا بذلك ، قال : فأخرجوه من اسمه الذي تسمى به ، قال : هو الفعل لما يريد ، فزعموا أنه ما أراد .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : سنة الله في الذين خلوا من قبل محمد من الرسل ، الذين يبلغون رسالات الله إلى من أرسلوا إليه ، ويخافون الله في تركهم تبليغ ذلك إياهم ، ولا يخافون أحدا إلا الله ، فإنهم إياه يرهبون إن هم قصرُوا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أرسلوا إليه . يقول لنبيه محمد : فن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم ، فكن ولا تخش أحدا إلا الله ، فإن الله يمنعك من جميع خلقه ، ولا يمنعك أحد من خلقه منه ، إن أراد بك سوءا ، والذين من قوله (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ) خفض رداً على الذين التي في قوله (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا) . وقوله (وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) يقول تعالى ذكره : وكفاك يا محمد بالله حافظاً لأعمال خلقه ، ومحاسباً لهم عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره: ما كان أيها الناس محمد أباً زيد بن حارثة ، ولا أباً أحد من رجالكم ، الذين لم يولد له محمد ، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين ، الذي ختم النبوة فطبع عليها ، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة ، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالاتكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما كان محمدٌ أباً أحدٍ من رجالكم) قال : نزلت في زيد ، إنه لم يكن بابنه ، ولعمري ولقد ولد له ذكور ، إنه لأبوالقاسم وإبراهيم والطيب والمطهر (وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) : أي آخرهم (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) . حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا علي بن قادم ، قال : ثنا سفيان ، عن نسير بن ذعلوق ، عن علي ابن الحسين في قوله (ما كان محمدٌ أباً أحدٍ من رجالكم) قال : نزلت في زيد بن حارثة ، والنصب في رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى تكرير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرفع بمعنى الاستئناف ، ولكن هو رسول الله ، والقراءة النصب عندنا .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) فقرأ ذلك قراء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين ، بمعنى أنه ختم النبيين . ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (وَلَٰكِن نَّبِيًّا خَتَمَ النَّبِيِّينَ) فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء ، بمعنى أنه الذي ختم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم ، وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم (خَاتَمَ النَّبِيِّينَ) بفتح التاء ، بمعنى أنه آخر النبيين ، كما قرأ (مَخْتُومٌ خَاتَمَهُ مِسْكٌ) بمعنى : آخره مسك من قرأ ذلك كذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا ۗ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾

(١) لعله : أي لم يولد له الخ .

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرا كثيرا ، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم فلك (وَسَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) يقول : صلوا له غدوة صلاة الصبح ، وعشيا صلاة العصر . وقوله (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) يقول تعالى ذكره : وبكم الذي تذكرونه الذكر الكثير ، وتسبحونه بكرة وأصيلا ، إذا أنتم فعلتم ذلك ، الذي يرحمكم ، ويثني عليكم هو ، ويدعو لكم ملائكته . وقيل : إن معنى قوله (يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) يشيع عنكم الذكر الجميل في عباد الله . وقوله (لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) يقول : تدعو ملائكة الله لكم ، فيخرجكم الله من الضلالة إلى الهدى ، ومن الكفر إلى الإسلام . وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) يقول : لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلوما ، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر ، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله ، قال (اذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ) بالليل والنهار في البر والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال ، وقال (سَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله عز وجل (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ) .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) صلاة الغداة ، وصلاة العصر .

وقوله (لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) : أي من الضلالات إلى الهدى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) قال : من الضلالة إلى الهدى ، قال : والضلالة : الظلمات ، والنور : الهدى .

وقوله (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) يقول تعالى ذكره : وكان بالمؤمنين به ورسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون ، ولأمره متبعون (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ) يقول جل ثناؤه : تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة في الجنة سلام ، يقول بعضهم لبعض : أمنة لنا-ولكم بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ) قال : تحية أهل الجنة السلام .

وقوله (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) يقول : وأعدّ لهؤلاء المؤمنين ثوابا لهم على طاعتهم إياه في الدنيا كريما ، وذلك هو الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) : أى الجنة .
القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

❖ يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) على أمتك بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة ، ومبشرهم بالجنة إن صدقوك وعملوا بما جئتهم به من عند ربك ، (وَنَذِيرًا) من النار أن يدخلوها ، فيعدّوا بها إن هم كذبوك ، وخالفوا ما جئتهم به من عند الله .
وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) على أمتك بالبلاغ ، ومبشرا بالجنة ، (وَنَذِيرًا) بالنار .

وقوله (وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ) يقول : وداعيا إلى توحيد الله ، وإفراد الألوهة له ، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه من الآلهة والأوثان .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ) إلى شهادة أن لا إله إلا الله .

وقوله (بِإِذْنِهِ) يقول : بأمره إياك بذلك (وَسِرَاجًا مُنِيرًا) يقول : وضياء لخلقه يستضيء بالنور الذى أتيتهم به من عند الله عباده (مُنِيرًا) يقول : ضياء ينير لمن استضاء بضوئه ، وعمل بما أمره . وإنما يعنى بذلك : أنه يهدى به من اتبعه من أمته . وقوله (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) يقول تعالى ذكره : وبشّر أهل الإيمان بالله يا محمد بأن لهم من الله فضلا كبيرا : يقول : بأن لهم من ثواب الله على طاعتهم إياه تضييفا كثيرا ، وذلك هو الفضل الكبير من الله لهم . وقوله (وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) يقول : ولا تطع لقول كافر ولا منافق ، فتسمع منه دعاءه إياك إلى التقصير فى تبليغ رسالات الله إلى من أرسلك بها إليه من خلقه (وَدَعْ أَذُنَهُمْ) يقول : وأعرض عن أذاهم لك ، واصبر عليه ، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله فى عباده ، والنفوذ لما كلّفك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو غاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَدَعْ أَذَاهُمْ) قال : أعرض عنهم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَدَعْ أَذَاهُمْ) : أى اصبر على أذاهم . وقوله (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) يقول : وفوض إلى الله أمورك ، وثق به ، فإنه كافيك جميع من دونه ، حتى يأتيك أمره وقضاؤه (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) يقول : وحسبك بالله فيما بأمرورك ، وحافظا لك وكالنا . القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤١﴾

❖ يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ) يعنى من قبل أن تجمعهن (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا) يعنى : من إحصاء أقرء ، ولا أشهر تحصونها عليهن ، فمتعهن : يقول : أعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال . وقوله (وَسَرَاحًا جَمِيلًا) يقول : واخلوا سبيلهن نخلة بالمعروف ، وهو التسريح الجميل . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا) فهذا فى الرجل يتزوج المرأة ، ثم يطلقها من قبل أن يمسه ، فإذا طلقها واحدة بانته منه ، ولا عِدَّةٍ عليها تزوج من شاءت ، ثم قرأ (فَتَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَاحًا جَمِيلًا) يقول : إن كان سعى لها صداقا ، فليس لها إلا النصف ، فإن لم يكن سعى لها صداقا ، متعها على قدر عسره ويسره ، وهو السراح الجميل . وقال بعضهم : المتعة فى هذا الموضع منسوخة بقوله (فَتَمَتَّعُوهُنَّ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ) . . . إلى قوله (وَسَرَاحًا جَمِيلًا) قال : قال سعيد بن المسيب : ثم نسخ هذا الحرف

المتعة (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا قَرَضْتُمْ)
 حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدث
 عن سعيد بن المسيب ، قال : نسخت هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ مِمَّ
 طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ، فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ، فَمَتَّعُوهُنَّ)
 قال : نسخت هذه الآية التي في البقرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّيْءِ آتَيْتِ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ
 وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً
 مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّيْءِ
 آتَيْتِ أَجُورَهُنَّ) يعني : اللاتي تزوجتهن بصدقات مسمى .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا
 الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَزْوَاجَكَ اللَّيْءِ آتَيْتِ
 أَجُورَهُنَّ) قال : صدقاتهن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا
 لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّيْءِ آتَيْتِ أَجُورَهُنَّ) قال : كان كل امرأة آتاهها مهرا ، فقد أحلها الله له .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مازد يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله
 (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّيْءِ آتَيْتِ أَجُورَهُنَّ) . . . إلى قوله (خَالِصَةً لَكَ
 مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) فما كان من هذه التسمية ماشاء كثيرا أو قليلا .

وقوله (وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) يقول : وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهن ،
 فلكتهن بالسبأ ، وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء (وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ
 وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّيْءِ هَاجَرْنَ مَعَكَ) فأحل الله له صلى الله عليه وسلم من بنات عمه وعماته وخاله
 وخالاته ، المهاجرات معه منهن دون من لم يهاجر منهن معه .
 كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي صالح ،

عن أم هاني، قالت: خطبني النبي صلى الله عليه وسلم، فاعتذرت له بعذري، ثم أنزل الله عليه (إننا أحللتنا لك أزواجك اللائي آتيتن أجورهن) . . . إلى قوله (اللائي هاجرن معك) قالت: فلم أحل له، لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء.

وقد ذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود (وبنات خالاتك واللائي هاجرن معك) بواو، وذلك وإن كان كذلك في قراءته محتمل أن يكون بمعنى قراءتنا بغير الواو، وذلك أن العرب تدخل الواو في نعت من قد تقدم ذكره أحيانا، كما قال الشاعر:

فإن رشيداً وابن مروان لم يكن
ليفعل حتى يصدر الأمر مصدراً

ورشيد هو ابن مروان، وكان الضحاك بن مزاحم يتأول قراءة عبد الله هذه أنهم نوع غير بنات خالاته، وأنهم كل مهاجرة هاجرت مع النبي صلى الله عليه وسلم.

ذكر الخبر عنه بذلك

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في حرف ابن مسعود (واللائي هاجرن معك) يعني بذلك: كل شيء هاجر معه ليس من بنات العم والعمة، ولا من بنات الخال والحالة.

وقوله (وأمراً مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) يقول: وأحلنا له امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي بغير صداق.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وأمراً مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) بغير صداق، فلم يكن يفعل ذلك، وأحل له خاصة من دون المؤمنين.

وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (وأمراً مؤمنة وهبت نفسها للنبي) بغير إن، ومعنى ذلك ومعنى قراءتنا وفيها «إن» واحد، وذلك كقول القائل في الكلام: لا بأس أن يطأ جارية مملوكة إن ملكها، وجارية مملوكة ملكها.

وقوله (إن أراد النبي أن يستنكحها) يقول: إن أراد أن ينكحها، فحلال له أن ينكحها إذا وهبت نفسها له بغير مهر (خالصة لك) يقول: لا يحل لأحد من أمته أن يقرب امرأة وهبت نفسها له، وإنما ذلك لك يا محمد خالصة أخلصت لك من دون سائر أمته.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (خالصة لك من دون المؤمنين)

(١) البيت من شواهد الفراء (معاني القرآن، مصورة الجامعة ص ٢٥٧) قال عند قوله تعالى «وبنات خالك وبنات خالاتك اللائي هاجرن معك»: وفي قراءة عبد الله (يعني ابن مسعود): «وبنات خالك وبنات خالاتك. واللائي هاجرن معك»، فقد تكون المهاجرات هن بنات الخال والحالة وإن كانت فيه الواو، فقال: واللائي، والعرب تنعت بالواو وبغير الواو، كما قال الشاعر: «فإن رشيداً وابن مروان. الخ». وأنت تقول في الكلام: إن زرت أخالك وابن عمك القريب لك؛ وإن قلت: والقريب لك. كان صواباً. وقد نقله المؤلف عن الفراء. وأوضحه بقوله في البيت: ورشيد هو ابن مروان.

يقول : ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمرولى ولا مهر ، إلا للنبي ، كانت له خالصة من دون الناس ويزعمون أنها نزلت في ميمونة بنت الحارث أنها التي وهبت نفسها للنبي .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك) . . . إلى قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) قال : كان كل امرأة آتاهها مهرا فقد أحلها الله له إلى أن وهب هؤلاء أنفسهن له ، فأحللن له دون المؤمنين بغير مهر خالصة لك من دون المؤمنين إلا امرأة لها زوج .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن صالح بن مسلم ، قال : سألت الشعبي عن امرأة وهبت نفسها لرجل ، قال : لا يكون ، لا تحل له ، إنما كانت للنبي صلى الله عليه وسلم .
واختلفت القراء في قراءة قوله (إن وهبت أنفسها) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (إن وهبت) بكسر الألف على وجه الجزاء ، بمعنى : إن تهب . وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ (أن وهبت) بفتح الألف ، بمعنى : وأحللنا له امرأة مؤمنة أن ينكحها ، لبيتها له نفسها .

والقراءة التي لأستجيز خلافها في كسر الألف لإجماع الحجة من القراء عليه .
وأما قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) ليس ذلك للمؤمنين ، وذكر أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تنزل عليه هذه الآية أن يتزوج أى النساء شاء ، فقصره الله على هؤلاء ، فلم يعدهن وقصر سائر أمته على مثنى وثلاث ورباع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ، عن زياد رجل من الأنصار ، عن أبي بن كعب ، أن الذى أحل الله للنبي من النساء هؤلاء اللاتي ذكر الله (يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيتن أجورهن) . . . إلى قوله (في أزواجهن) وإنما أحل الله للمؤمنين مثنى وثلاث ورباع .

وحدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك) . . . إلى آخر الآية ، قال : حرم الله عليه ما سوى ذلك من النساء ، وكان قبل ذلك ينكح فى أى النساء شاء ، لم يحرم ذلك عليه ، فكان نساؤه يجدن من ذلك وجدا شديدا أن ينكح فى أى الناس أحب ؛ فلما أنزل الله : إني قد حرمت عليك من الناس سوى ما قصصت عليك أعجب ذلك نساءه .

واختلف أهل العلم فى التي وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنات ، وهل كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة كذلك ؟ فقال بعضهم : لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين ، فأما بالهبة فلم يكن عنده منهن أحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن عنبة بن الأزهر ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها .
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، أنه قال في هذه الآية (وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) قال : أن تهب . وأما الذين قالوا : قد كان عنده منهن فإن بعضهم قال : كانت ميمونة بنت الحارث . وقال بعضهم : هي أم شريك . وقال بعضهم : زينب بنت خزيمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال (وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) قال : هي ميمونة بنت الحارث .
وقال بعضهم : زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار .
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا الحكم ، قال : كتب عبد الملك إلى أهل المدينة يسألهم ، قال : فكتب إليه علي ، قال شعبة : وهو ظني علي بن حسين ، قال : وقد أخبرني به أبان بن تغلب ، عن الحكم ، أنه علي بن الحسين ، الذي كتب إليه ، قال : هي امرأة من الأسد يقال لها أم شريك ، وهبت نفسها للنبي .

قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا عبد الله بن أبي السفر ، عن الشعبي ، أنها امرأة من الأنصار ، وهبت نفسها للنبي ، وهي ممن أرجأ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا سعيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن خولة بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم ، كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثنا سعيد بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : كنا نتحدث أن أم شريك كانت وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت امرأة صالحة .

وقوله (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) يقول تعالى ذكره : قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم إذا أرادوا نكاحهن مما لم يفرضه عليك ، وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك ، وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح على حرّة مسامة إلا بولي عصابة وشهود عدول ، ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الله بن أحمد بن شبيب ، قال : ثنا مطهر ، قال : ثنا علي بن الحسين ، قال : ثنا أبي ،

عن مطر ، عن قتادة ، في قول الله (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) قال : إن مما فرض الله عليهم أن لا نكاح إلا بولي وشاهدين .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) قال : في الأربع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ) قال : كان مما فرض الله عليهم أن لا تزوج امرأة إلا بولي وصداق عند شاهدي عدل ، ولا يحل لهم من النساء إلا أربع ، وما ملكت أيمانهم .

وقوله (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) يقول تعالى ذكره : قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم ، لأنه لا يحل لهم منهن أكثر من أربع ، وما ملكت أيمانهم ، فإن جميعهن إذا كن مؤمنات أو كتابيات ، لهم حلال بالسبب والتسرى وغير ذلك من أسباب الملك . وقوله (لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) يقول تعالى ذكره : إنا أحلنا لك يا محمد أزواجك اللواتي ذكرنا في هذه الآية ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ، إن أراد النبي أن يستنكحها ، لكيلا يكون عليك إثم وضيق في نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف التي أبحت لك نكاحهن من المسميات في هذه الآية ، وكان الله غفورا لك ولأهل الإيمان بك ، رحيمًا بك وبهم أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف بعد توبتهم منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ
أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) فقال بعضهم : عنى بقوله : ترجى : تؤخر ، وبقوله : تؤوى : تضم . ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) يقول : تؤخر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) قال : تعزل بغير طلاق من أزواجك من تشاء (وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) قال : تردّها إليك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ،

وَتُوْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) قال : فجعله الله في حلّ من ذلك أن يدع من يشاء منهنّ ، ويأتي من يشاء منهنّ بغير قسم ، وكان نبيّ الله يقسم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن أبي رزين (تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُوْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) قال : لما أشفقن أن يطلقهنّ ، قلن يا نبيّ الله ، اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ، فكان ممن أرجأ منهنّ سودة بنت زمعة ، وجويرة ، وصفية ، وأمّ حبيبة ، وميمونة ؛ وكان ممن آوى إليه : عائشة ، وأمّ سلمة ، وحفصة ، وزينب .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول ، في قوله (تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُوْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) فما شاء صنع في القسمة بين النساء ، أحلّ الله له ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير عن منصور ، عن أبي رزين ، في قوله (تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُوْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) وكان ممن آوى عليه الصلاة والسلام : عائشة ، وحفصة ، وزينب ، وأمّ سلمة ، فكان قسمه من نفسه لمن سوى قسمه ؛ وكان ممن أرجى : سودة ، وجويرة ، وصفية ، وأمّ حبيبة ، وميمونة ، فكان يقسم لمنّ ما شاء ، وكان أراد أن يفارقهنّ ، فقلن : اقسم لنا من نفسك ما شئت ، ودعنا نكون على حالنا .

وقال آخرون : معنى ذلك : تطلق وتخلي سبيل من شئت من نسائك ، وتمسك من شئت منهنّ فلا تطلق .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) أمهات المؤمنين (وَتُوْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) يعني : نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ويعني بالإرجاء : يقول : من شئت خلّيت سبيله منهنّ ، ويعني بالإيواء : يقول : من أحببت : أمسكت منهنّ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تترك نكاح من شئت ، وتنكح من شئت من نساء أمتك .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن في قوله (تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُوْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) قال : كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوجها أو يتركها . وقيل : إن ذلك إنما جعل الله لنبيه حين غار بعضهنّ على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وطلب بعضهنّ من النفقة زيادة على الذي كان يعطيها ، فأمره الله أن يخبرهنّ بين الدار الدنيا والآخرة ، وأن يخلي سبيل من اختار الحياة الدنيا وزينتها ، ويمسك من اختار الله ورسوله ؛ فلما اخترن الله ورسوله قيل لهنّ : اقررن الآن على الرضا بالله ورسوله ، قسم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لم يقسم ، أو قسم لبعضكنّ ، ولم يقسم لبعضكنّ ، وفضل بعضكنّ على بعض في النفقة ، أو لم يفضل ، سوى بينكنّ ، أو لم يسو ، فإن الأمر في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس لكم من ذلك

شيء ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر مع ما جعل الله له من ذلك ، يسوى بينهن في القسم إلا امرأة منهن أراد طلاقها ، فرضيت بترك القسم لها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، قال :
لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلق أزواجه ، قلن له : افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت ، فأمره
الله فأوى أربعا ، وأرجى خمسا .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا عبيدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها
قالت : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل حتى أنزل الله ؟ (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِي
إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) فقلت : إن ربك ليسارع في هواك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، يعني العبدى ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ،
أنها كانت تعبر النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : أما تستحي امرأة أن
تعرض نفسها بغير صداق ، فنزلت ، أو فأنزل الله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِي إِلَيْكَ
مَنْ تَشَاءُ ، وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ) فقلت : إني لأرى ربك يسارع لك في هواك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ
مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) . . . الآية . قال : كان أزواجه قد تغايرن على النبي صلى الله عليه
وسلم ، فهجرهن شهرا ، ثم نزل التخيير من الله له فيهن ، فقرأ حتى بلغ (وَلَا تَبْرَجْنَ لِلْجَاهِلِيَّةِ
الْأُولَى) فخيرهن بين أن يخترن أن يخلى سبيلهن ويسرحهن وبين أن يقرن الله ورسوله على أنهن
أمهات المؤمنين ، لا ينكحن أبدا ، وعلى أنه يؤوى إليه من يشاء منهن ممن وهبت نفسها له حتى يكون هو
يرفع رأسه إليها ، ويرجى من يشاء ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل فلا
جناح عليه ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ، ويرضين إذا علمن أنه من قضائى عليهن إثارة بعضهن
على بعض (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ) يرضين ، قال (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ) ممن عزلت من ابتغى أصابه ، ومن عزل
لم يصبه ، فخيرهن بين أن يرضين بهذا ، أو يفارقهن ، فاخترن الله ورسوله ، إلا امرأة واحدة بدوية
ذهبت . وكان على ذلك صلوات الله عليه ، وقد شرط الله له هذا الشرط ، مازال يعدل بينهن حتى لقي الله .

وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجى من النساء
اللاتي أحلن له من يشاء ، ويؤوى إليه منهن من يشاء ، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على
المنكوحات اللواتي كن في حباله ، عند ما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها
منهن . وإذ كان ذلك كذلك ، فعنى الكلام : تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك ، وأحللت لك نكاحها ،

فلا تقبلها ولا تنكحها ، أو ممن هنّ في حبالك ، فلا تقربها ، وتضمّ إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك ، أو أردت من النساء التي أحملت لك نكاحهنّ ، فتقبلها أو تنكحها ، وممن هي في حبالك فتجامعها إذا شئت ، وتركها إذا شئت بغير قسم .

وقوله (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ) (اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ومن نكحت من نسائك فجامعت ممن لم تنكح ، فعزلته عن الجماع ، فلا جناح عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ) قال : جميعا هذه في نسائه ، إن شاء أتى من شاء ممن ، ولا جناح عليه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ) قال : ومن ابتغى أصابه ، ومن عزل لم يصبه .
وقال آخرون : معنى ذلك : ومن استبدلت ممن أرجيت ، فخليت سبيله من نسائك ، أو ممن مات ممن أحملت لك فلا جناح عليك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ) ، فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقرّ أعينهنّ ولا يحزننّ ويرضينّ بما آتيتهنّ كلهنّ) يعني بذلك : النساء اللاتي أحلّ الله له من بنات العمّ والعمة والخال والحالة (واللّاتي هاجرنّ معك) يقول : إن مات من نسائك اللاتي عندك أحد ، أو خلّيت سبيله ، فقد أحملت لك أن تستبدل من اللاتي أحملت لك مكان من مات من نسائك اللاتي هنّ عندك ، أو خلّيت سبيله ممن ، ولا يصلح لك أن تزداد على عدّة نسائك اللاتي عندك شيئا .

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك ، تأويل من قال : معنى ذلك : ومن ابتغيت إصابته من نسائك (مِمَّنْ عَزَلْتَ) عن ذلك ممن (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ) لدلالة قوله (ذَلِكَ أدنى أن تقرّ أعينهنّ) على صحة ذلك ، لأنه لا معنى لأن تقرّ أعينهنّ إذا هو صلى الله عليه وسلم استبدل بالميتة أو المطلقة ممن ، إلا أن يعنى بذلك : ذلك أدنى أن تقرّ أعين المنكوحه ممن ، وذلك مما يدلّ عليه ظاهر التنزيل بعيد .

وقوله (ذَلِكَ أدنى أن تقرّ أعينهنّ ولا يحزننّ) يقول : هذا الذي جعلت لك يا محمد من إذنى لك أن ترجى من تشاء من النساء اللواتي جعلت لك إرجاءهنّ ، وتؤوى من تشاء ممن ، ووضعى عنك الحرج في ابتغائك إصابته من ابتغيت إصابته من نسائك ، وعزلك عن ذلك من عزلت ممن ، أقرب لنسائك أن تقرّ أعينهنّ به ولا يحزننّ ويرضينّ بما آتيتهنّ كلهنّ من تفضيل من فضلت من قسم ، أو نفقة

وإيثار من آثرت منهم بذلك على غيره من نساكك ، إذا هنّ علمن أنه من رضاي منك بذلك ، وإذني لك به ، وإطلاق مني لامن قبيلك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذلك أدنى أن تقر أعينهنّ ، ولا يحزننّ ، ويرضين بما آتيتهنّ كلهنّ) إذا علمن أن هذا جاء من الله لرخصة ، كان أطيب لأنفسهنّ ، وأقلّ لحزنهنّ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ذلك ، نحوه .
والصواب من القراءة في قوله (بما آتيتهنّ كلهنّ) الرفع غير جائز غيره عندنا ، وذلك أن كلهنّ ليس بنعت للهاء في قوله (آتيتهنّ) ، وإنما معنى الكلام : ويرضين كلهنّ ، وإنما هو توكيد لما في يرضين من ذكر النساء ، وإذا جعل توكيدا للهاء التي في آتيتهنّ لم يكن له معنى ، والقراءة بنصبه غير جائزة لذلك ، ولإجماع الحجة من القراء على تخطئة قارئه كذلك .

وقوله (والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبة) يقول : فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما وضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهنّ ، ممن عزلت تفضلا منه عليك بذلك وتكرمة (وكان الله عليما) يقول : وكان الله ذا علم بأعمال عباده ، وغير ذلك من الأشياء كلها (حكيا) يقول : ذا حلم على عباده ، أن يعاجل أهل الذنوب منهم بالعقوبة ، ولكنه ذو حلم وأناة عنهم ، ليتوب من تاب منهم ، وينيب من ذنوبه من أناب منهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٦﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى (لا يحلّ لك النساء من بعد) فقال بعضهم : معنى ذلك : لا يحلّ لك النساء من بعد نساك اللاتي خيرتهنّ ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لا يحلّ لك النساء من بعد) .. الآية إلى (رقيباً) قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بعد نساؤه الأول شيئا .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا يحلّ لك النساء من بعد) ...

إلى قوله (إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) قال: لما خيرهن ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهن ، فقال : (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ، وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ) وهن التسع التي اخترن الله ورسوله .

وقال آخرون : إنما معنى ذلك : لا يحل لك النساء بعد التي أحللتنا لك بقولنا (يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك) . . . إلى قوله (اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ، وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) وكان قائل هذه المقالة وجهوا الكلام إلى أن معناه : لا يحل لك من النساء إلا التي أحللتنا لك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، عن زياد ، قال لأبي بن كعب : هل كان للنبي صلى الله عليه وسلم لومات أزواجه أن يتزوج ؟ قال : ما كان يحرم عليه ذلك ، فقرأت عليه هذه الآية (يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك) قال : فقال : أحل له ضربا من النساء ، وحرّم عليه ما سواهن ، أحل له كل امرأة آتى أجرها ، وما ملكت يمينه مما أفاء الله عليه ، وبنات عمه وبنات عماته ، وبنات خاله وبنات خالاته ، وكل امرأة وهبت نفسها له إن أراد أن يستنكحها خالصة له من دون المؤمنين .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، عن زياد الأنصاري قال : قلت لأبي بن كعب : رأيت لومات نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، أكان يحل له أن يتزوج ، قال : وما يحرم ذلك عليه ، قال : قلت قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) قال : إنما أحل الله له ضربا من النساء .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود بن أبي هند ، قال : ثنا محمد بن أبي موسى ، عن زياد ، رجل من الأنصار ، قال : قلت لأبي بن كعب : رأيت لو أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توفين ، أما كان له أن يتزوج ؟ فقال : وما يمنعه من ذلك ؟ وربما قال داود : وما يحرم عليه ذلك ؟ قلت : قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) فقال : إنما أحل الله له ضربا من النساء ، فقال (يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك) . . . إلى قوله (إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) ثم قيل له (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عتبسة ، عن ذكره ، عن أبي صالح (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) قال : أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة ، ويتزوج بعد من نساء تهامة ، ومن شاء من بنات العم والعمة ، والحال والحالة إن شاء ثلاث مئة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) هؤلاء التي سمي الله إلا (بنات عمك) . . . الآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) يعني : من بعد التسمية ، يقول : لا يحل لك امرأة إلا ابنة عم أو ابنة عمه ،

أو ابنة خال أو ابنة خالة ، أو امرأة وهبت نفسها لك ، من كان منهنّ هاجر مع نبيّ الله صلى الله عليه وسلم .
وفي حرف ابن مسعود (وَاللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ) يعنى بذلك : كل شيء هاجر معه ليس من بنات العم
والعمة ، ولا من بنات الخال والخالة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا يحلّ لك النساء من غير المسلمات ، فأما اليهوديات والنصرانيات
والمشركات فحرام عليك ،

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ)
لا يهودية ، ولا نصرانية ، ولا كافرة .

❦ وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال : معنى ذلك : لا يحلّ لك النساء من بعد اللواتي أحلتهن لك
بقولي (إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ) . . . إلى قوله (وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ
وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) .

وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ) عقيب قوله (إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ
أَزْوَاجَكَ) وغير جائز أن يقول : قد أحللت لك هؤلاء ، ولا يحلان لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه ، وعلى
أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين ، فعلى الأخرى منهما . فإذا كان ذلك كذلك ولا برهان ولا دلالة على
نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى ، ولا تقدم تنزيل إحداها قبل صاحبتها ، وكان غير مستحيل
مخرجهما على الصحة ، لم يجوز أن يقال : إحداها ناسخة الأخرى . وإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن لقول من
قال : معنى ذلك : لا يحلّ من بعد المسلمات يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، معنى مفهوم ، إذ كان قوله
(مِنْ بَعْدِ) إنما معناه : من بعد المسميات المتقدم ذكرهنّ في الآية قبل هذه الآية ، ولم يكن في الآية المتقدم
فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر إباحتها للمسلمات كلهنّ ، بل كان فيها ذكر
أزواجه وملك يمينه الذي ينهى الله عليه ، وبنات عمه وبنات عماته ، وبنات خاله وبنات خالاته ، اللاتي
هاجرن معه ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ ، فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم ، صحّ ما قلنا
في ذلك ، دون قول من خالف قولنا فيه .

واختلفت القراء في قراءة قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (يَحِلُّ)
بالياء ، بمعنى : لا يحلّ لك شيء من النساء بعد . وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة (لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ)
بالتاء ، توجيهاً منه إلى أنه فعل للنساء ، والنساء جمع للكثير منهن .

❦ وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأه بالياء للعلة التي ذكرت لهم ، وإجماع الحجة من القراء
على القراءة بها ، وشدوذ من خالفهم في ذلك .

وقوله (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) اختلف أهل التأويل في تأويل

ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : لا يحل لك النساء من بعد الملمات ، لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، ولا أن تبدل بالملمات غيرهن من الكوافر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ) وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِالْمَلَمَاتِ غَيْرَهُنَّ مِنَ النَّصَارِيِّ وَالْيَهُودِ وَالْمَشْرِكِينَ (وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي رزين ، في قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدُ ، وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) قال : لا يحل لك أن تزوج من المشركات إلا من سيبت فلكته يمينك منهن . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا أن تبدل بأزواجك اللواتي هن في حبالك أزواجا غيرهن ، بأن تطلقهن ، وتنكح غيرهن .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) يقول : لا يصلح لك أن تطلق شيئا من أزواجك ليس يعجبك ، فلم يكن يصلح ذلك له . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا أن تبادل من أزواجك غيرك ، بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) قال : كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم ، يعطى هذا امرأته هذا ويأخذ امرأته ، فقال (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ، وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) لا بأس أن تبادل بجاريته ما شئت أن تبادل ، فأما الحرائر فلا ؛ قال : وكان ذلك من أعمالهم في الجاهلية .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : ولا أن تطلق أزواجك فتستبدل بهن غيرهن أزواجا .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لما قد بيننا قبل من أن قول الذي قال معنى قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) لا يحل لك اليهودية أو النصرانية والكافرة ، قول لا وجه له .

فإذ كان ذلك كذلك فكذلك قوله (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ) كافرة لا معنى له ، إذ كان من الملمات من قد حرم عليه بقوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) الذي دللنا عليه قبل . وأما الذي قاله ابن زيد في ذلك أيضا ، فقوله لا معنى له ، لأنه لو كان بمعنى المبادلة ، لكانت القراءة والتنزيل : ولا أن تبادل بهن

من أزواج ، أو ولا أن تبدل بهن بضم التاء ، ولكن القراءة المجمع عليها ، ولا أن تبدل بهن بفتح التاء ، بمعنى : ولا أن تستبدل بهن ، مع أن الذي ذكر ابن زيد من فعل الجاهلية غير معروف في أمة نعلمه من الأمم : أن يُبادل الرجل آخر بامرأته الحرّة ، فيقال : كان ذلك من فعلهم ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فعل مثله .

❦ فإن قال قائل : أفلم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج امرأة على نسائه اللواتي كنّ عنده ، فيكون موجهها تأويل قوله (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ) إلى ما تأولت ، أو قال : وأين ذكر أزواجه اللواتي كنّ عنده في هذا الموضع ، فتكون الهاء من قوله (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ) من ذكرهن وتوهم أن الهاء في ذلك عائدة على النساء ، في قوله (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ) ؟ قيل : قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج من شاء من النساء اللواتي كان الله أحلّهن له على نسائه اللواتي كنّ عنده يوم نزلت هذه الآية ، وإنما نهى صلى الله عليه وسلم بهذه الآية أن يفارق من كان عنده بطلاق أراد به استبدال غيرها بها ، لإعجاب حسن المستبدلة له بها إياه إذ كان الله قد جعلهن أمّهات المؤمنين وخيرهن بين الحياة الدنيا والدار الآخرة ، والرضا بالله ورسوله ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، فحرمن على غيره بذلك ، ومنع من فراقهن بطلاق ، فأما نكاح غيرهن فلم يمنع منه ، بل أحلّ الله له ذلك على ما بين في كتابه . وقد روى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبض حتى أحلّ الله له نساء أهل الأرض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن ابن جرّيج ، عن عطاء ، عن عائشة قالت : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلّ له النساء ، تعني أهل الأرض .

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن عائشة ، قالت : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلّ له النساء .

حدثنا العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا معلى ، قال : ثنا وهيب ، عن ابن جرّيج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير الليثي ، عن عائشة قالت : ما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلّ له أن يتزوج من النساء ما شاء .

حدثني أبو زيد عمر بن شبة ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن ابن جرّيج ، عن عطاء ، قال : أحسب عبيد ابن عمير ، حدثني ، قال أبو زيد ، وقال أبو عاصم مرة ، عن عائشة ، قالت : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلّ له النساء . قال : وقال أبو الزبير : شهدت رجلاً يحدثه عطاء .

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل قال : ثنا همام ، عن ابن جرّيج ، عن عطاء عن عبيد بن عمير ، عن عائشة ، قالت : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حلّ له النساء .

❦ فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت من أن الله حرّم على نبيه بهذه الآية طلاق نسائه اللواتي خيرهن فاخترنه ، فما وجه الخبر الذي روى عنه أنه طلق حفصة ثم راجعها ، وأنه أراد طلاق سودة حتى صالحته على ترك طلاقه إياها ، ووهبت يومها لعائشة ؟ قيل : كان ذلك قبل نزول هذه الآية .

والدليل على صحة ما قلنا ، من أن ذلك كان قبل تحريم الله على نبيه طلاقهن ، الرواية الواردة « أن عمر دخل على حفصة معاقبتها حين اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، كان من قبله لها : قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك ، فكلمته فزاجعك ، فوالله لئن طلقك ، أو لو كان طلقك لا كلمته فيك ، وذلك لاشك قبل نزول آية التخيير ، لأن آية التخيير إنما نزلت حين انقضى وقت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعتزالهن .

وأما أمر الدلالة على أن أمر سودة كان قبل نزول هذه الآية ، أن الله إنما أمر نبيه بتخيير نسائه بين فراقه والمقام معه على الرضا بأن لا قسم لهن ، وأنه يُرجى من يشاء منهن ، ويؤوى منهن من يشاء ، ويؤثر من شاء منهن على من شاء ، ولذلك قال له تعالى ذكره (وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ ، فَمَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ، ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ ، وَلَا يَحْزَنَ ، وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ) ، ومن المحال أن يكون الصلح بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى على تركها يومها لعائشة في حال لا يوم لها منه .

وغير جائز أن يكون ذلك منها إلا في حال كان لها منه يوم هو لها حق كان واجبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أداؤه إليها ، ولم يكن ذلك لهن بعد التخيير لما قد وصفت قبل فيما مضى من كتابنا هذا . فتأويل الكلام : لا يحل لك يا محمد النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك في الآية قبل ، ولا أن تطلق نساءك اللواتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، فتبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسن من أردت أن تبدل به منهن ، إلا ما ملكت يمينك . وأن في قوله (أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ) رفع ، لأن معناها : لا يحل لك النساء من بعد ، ولا الاستبدال بأزواجك ، وإلا في قوله (إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) استثناء من النساء . ومعنى ذلك : لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك ، إلا ما ملكت يمينك من الإماء ، فإن لك أن تملك من أي أجناس الناس شئت من الإماء .

وقوله (وكان الله على كل شيء رقيبا) يقول : وكان الله على كل شيء ما أحل لك ، وحرّم عليك ، وغير ذلك من الأشياء كلها ، حفيظا لا يعزب عنه علم شيء من ذلك ، ولا يثوده حفظ ذلك كله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكان الله على كل شيء رقيبا) : أي حفيظا في قول الحسن وقتادة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَبِيٍّ إِنَّهُ
وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ
يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْحَى مِنْ الْحَقِّ

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا آوْجَاهَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ

عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، لا تدخلوا بيوت نبي الله إلا أن تدعوا إلى طعام تطعمونه (غير ناظرين إناه) يعنى : غير منتظرين إدراكه وبلوغه ، وهو مصدر من قولهم : قد أنى هذا الشيء يأنى إلى وأنايا وإناء ؛ قال الحطبيته :

وَأَنْبَيْتُ الْعِشَاءَ إِلَى سُهَيْلٍ أَوْ الشَّعْرَى فَطَالَ بِي الْأَنْاءُ ١

وفيه لغة أخرى ، يقال : قد آن لك : أى تبين لك أيننا ونال لك ، وأنال لك ؛ ومنه قول رؤبة بن العجاج :
هَاجَمَتْ وَمِثْلِي نَوْلُهُ أَنْ يَرَبَّعًا حَمَامَةً نَاحَتْ حَمَامًا سَجْعًا ٢
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (إلى طعام غير ناظرين إناه) قال : متحيين نضجته .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، (غير ناظرين إناه) يقول : غير ناظرين الطعام أن يصنع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (غير ناظرين إناه) قال : غير متحيين

طعامه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .
ونصب (غير) فى قوله (غير ناظرين إناه) على الحال من الكاف والميم فى قوله (إلا أن يؤذن لكم) لأن الكاف والميم معرفة وغير نكرة ، وهى من صفة الكاف والميم . وكان بعض نحوى البصرة يقول : لا يجوز فى « غير » الجر على الطعام ، إلا أن تقول : أنتم ، ويقول : ألا ترى أنك لو قلت : أبدى لعبد الله على امرأة مبغضا لها ، لم يكن فيه إلا النصب ، إلا أن تقول مبغض لها هو ، لأنك إذا أجريت صفته

(١) البيت للحطبيته (اللسان : أنى) . وأنبت الشيء : أخرته ، والاسم منه الأناء على فعال بالفتح . يريد أنه آخر عشاءه إلى طلوع مهيل أو طلوع الشعري ، فطال انتظاره . قال : ورواه أبو سعيد (الأصمى) : وأنبت ، بتشديد النون . ويقال : أنبت الطعام فى النار : إذا أطلت مكته . وأنى الشيء يأنى وأنايا وإنى وأنى : حان وأدرك . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة ص ١٩٧)
« إلى طعام غير ناظرين إناه » : أى إدراكه وبلوغه . ويقال : أنى لك يأنى وأنايا : أى بلغ وأدرك . قال :
تمخضت المنون له بيوم أنى ولكل حاملة تمام

(٢) البيتان : من مشطور الرجز ، لرؤبة الراجز المشهور (ديوانه طبعة ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨٧) . وفى (اللسان : نول) :
أما نول فتقول : نولك أن تفعل كذا : أى ينبئ لك فعل كذا . وفى الصحاح : أى حقلك أن تفعل كذا . وأصله من تناول ، كأنه يقول : تناولك كذا وكذا . قال العجاج : « هاجت . . الخ » : أى حقه أن يكف . وقيل : الرجز لرؤبة . وأصل النول مصدر ناله بالخير ينوله نوالا ، ونولا ، ونهلا . ويقال : أناله بخير إنالة .

عليها ، ولم تظهر الضمير الذى يدل على أن الصفة له لم يكن كلاما ، لو قلت هذا رجل مع امرأة مُلَازِمِهَا ، كان لحننا ، حتى ترفع ، فتقول ملازمُها ، أو تقول مُلَازِمِهَا هُو ، فتجرت .

وكان بعض نحوي الكوفة يقول : لوجعلت « غير » فى قوله (غَيْرَ نَاطِرِينَ لِإِنَاهُ) خفضا كان صوابا ، لأن قبلها الطعام وهو نكرة ، فيجعل فعلهم تابعا للطعام ؛ لرجوع ذكر الطعام فى إناه ، كما تقول العرب : رأيت زيدا مع امرأةٍ محسنا إليها ومحسنٍ إليها ، فمن قال محسنا جعله من صفة زيد ، ومن خفضه فكأنه قال : رأيت مع التى يحسن إليها ، فإذا صارت الصلة للنكرة أتبعها وإن كانت فعلا لغير النكرة ، كما قال الأعشى :

فَقُلْتُ لَهُ هَذِهِ هَاتِيهَا إِلَيْنَا بِأَدْمَاءَ مُقْتَادِيهَا ۱

فجعل المقتاد تابعا لإعراب بأدماء ، لأنه بمنزلة قولك : بأدماء مقتادها ، فخفضه ، لأنه صلة لها ، قال : وَيُنَشِّدُ : « بأدماءٍ مقتادِها » بخفض الأدماء لإضافتها إلى المقتاد ، قال : ومعناه : هاتىها على يدي من اقتادها . وأنشد أيضا :

وَأَنَّ امْرَأَةً أَهْدَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ ۲

مِنْ الْأَرْضِ مَوْمَاءٌ وَبَيْدَاءٌ فَيَهْتَقُ ۳

وَأَنَّ تَعَلَّمَى أَنَّ الْمُعَانَ مَرْفَقُ ۴

وَحِكِي عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ سَمَاعًا يُنَشِّدُ :

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ص ٦٩) ورواية البيت فيه :

فَقُلْنَا لَهُ هَذِهِ هَاتِيهَا بِأَدْمَاءَ فِي حَبَلٍ مُقْتَادِيهَا

وهى غير رواية المؤلف التى استشهد بها . وليس فى رواية الديوان شاهد للمؤلف . والشاعر يمدح بالقصيدة سلامة ذافاش من أقيال اليمن . وفى مقدمة التصيدة أبيات فى الغزل والخمر ، ومنها هذا البيت . وقوله (هذه) : إشارة إلى الخمر التى جاء بها الساقى يؤامر الشاعر فى شربها ويساومه فى ثمنها وقد رضى الشاعر بأن يشتري الخمر التى وصف ، على أن يكون ثمنها ناقته الأدماء التى يقودها خادمه بجلبها . والأدمة فى الإبل : البياض مع سواد انقلتين (اللسان) . هذا تفسير البيت على رواية الديوان . فأما على رواية المؤلف ، فإنه جعل إعراب « مقتادها » بالجر إتباعا لأدماء ، لأنها نكرة ، وإن كان الإقتياد لخادمه المفهوم من المقام ، فهى صفة جارية على غير صاحبها ، ولم يصرح بضمير الفاعل ، وهذا جائز عند الكوفيين . فأما البصريون فيوجبون فى مثل هذا الموضع إبراز ضمير النعت إذا كان لغير المنعوت فلا بد أن يقال : مقتادها أنت أى صاحب الخمر . أو يقول : مقتادها هو : أى يقتادها الخادم . فأما إذا كان المنعوت معرفة كما فى قوله تعالى « إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه » فيجوز فى (غير) النصب على الحال من الضمير فى لكم ، ويجوز الجر عند الكوفيين بالإتباع على النعت ، وإن لم يبرز معه الضمير . وقد أوضح المؤلف المقام توضيحا كاملا ، لا يحتاج معه إلى مزيد من القول .

(٢) البيتان للأعشى . وقد سبق الاستشهاد بهما فى كلام المؤلف على مثل ما استشهد بهما عليه هنا (انظر ١٧ : ١٩٧) . والشاهد

فى قوله : (لمحقوقة) ، فإنه خبر عن قوله : « وإن امرأ » . والخبر ، هنا : غير المخبر عنه ، لأن المبتدأ هنا مذكر ، والخبر مؤنث . وقد اختلف النحاة فى مثل هذا فقال البصريون كان يجب أن يقول : « لمحقوقة أنت » بإبراز الضمير ، لأن تركه يحدث لبسا فى الكلام ولا يعلم المراد بالمحقوقة أى شخص هو ؟ وأما الكوفيون فقد جوزوا فى هذه الحالة وأمثالها فى الخبر والنعت اللذين لا يطابقان صاحبهما ، أن يبرز الضمير ، وألا يبرز ، على خلاف ما قاله البصريون ، واستشهدوا بببيتى الأعشى على مجيى الخبر غير مطابق لما هو له ، بدون إبراز الضمير . وحمل البصريون ذلك فى البيت على الاتساع والحذف . (وانظر المسألة مفصلة فى كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف ، بين البصريين والكوفيين ، لأبى البركات عبد الرحمن بن الأنبارى ، طبع القاهرة ص ٤٥ - ٤٨ المسألة رقم ٨) .

أرأيت إذ أعطيتك الودَّ كُله ولم يكُ عندي إنَّ أبيت إباءُ
أمسليمتي للموتِ أنتِ فميتت وهملُ للنفوسِ المُسلماتِ بمقاءِ
ولم يقل : فیت أنا ، وقال الكسائي : سمعت العرب تقول : يدك باسطها يريدون أنت ، وهو كثير في الكلام

قال : فعلى هذا يجوز خفض « غير » ،
والصواب من القول في ذلك عندنا ، القول باجازه جرّ « غير » في غير ناظرين في الكلام ، لاني القراءة
لما ذكرنا من الأبيات التي حكيناها ، فأما في القراءة فغير جائز في « غير » غير النصب ، لإجماع الحجة من
القراء على نصبها .

وقوله (وَلكين إذا دُعيتُم فادخلوا) يقول : ولكن إذا دعاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فادخلوا البيت الذي أذن لكم بدخوله (فإذا طعمتُم فانتشروا) يقول : فإذا أكلتم الطعام الذي دعيتُم
لأكله فانتشروا ، يعني فمفرقوا واخرجوا من منزله (ولا مُستأنينَ لحديث) فقوله (ولا مُستأنينَ
لحديث) في موضع خفض عطفاً به على ناظرين ، كما يقال في الكلام : أنت غير ساكت ولا ناظر .
وقد يحتمل أن يقال : مستأنين في موضع نصب عطفاً على معنى ناظرين ، لأن معناه : إلا أن يؤذن لكم
إلى طعام لاناظرين إناه ، فيكون قوله (ولا مُستأنينَ) نصبا حينئذ ، والعرب تفعل ذلك إذا حالت بين
الأول والثاني ، فتردّ أحياناً على لفظ الأول ، وأحياناً على معناه ، وقد ذكر الفراء أن أبا القحطام أنشده :

أجيدك لست الدهر رأتى رامةً ولا عاقلٍ إلا وأنت جنيبُ

ولا مُصعدٍ في المُصعدِينَ لمُنْعِجٍ ولا هابطاً ما عشتُ هَضْبَ شَطِيبٍ^٢

فردّ مصعد على أن رأتى فيه باء خافضة ، إذ حال بينه وبين المصعد بما حال بينهما من الكلام .
ومعنى قوله (ولا مُستأنينَ لحديث) : ولا متحدّين بعد فراغكم من أكل الطعام إيناساً من
بعضكم لبعض به .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا
الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ولا مُستأنينَ لحديث) بعد أن تأكلوا .

(١) هذان البيتان لم أجدهما في معاني القرآن للفراء ، ولا في مجاز القرآن لأبي عبيدة . والشاهد فيهما أن قوله فیت معطوف على : قوله
« أمسلي » ، والمعطوف هنا غير المعطوف عليه في المعنى ، فكان مقتضى ذلك أن يقول : فیت أنا ، بإبراز الضمير ، على مذهب
البصريين ، ولكنه لم يبرز الضمير وهو موافق لمذهب الكوفيين الذين يقولون بجواز إبراز الضمير وعدم إبرازه ، وهذا كثير في كلام العرب .
(٢) البيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٢٥٨) وروايته ، أصح من رواية المؤلف . ورامة ، وعاقل ومنعج
(في رواية المؤلف) ، ومنعج (في رواية الفراء) : أسماء مواضع في جزيرة العرب ، إلا منعج في الشام ، قرب حلب . والبيتان
بما أنشده أبو القحطام الفراء . والشاهد في قوله : « ولا مصعد » بالجر فإنه معطوف على « رأتى » والمعطوف عليه منصوب ، والمعطوف
مجرور على توهّم زيادة الباء في خبر ليس وهو المعطوف عليه الأول . كأنه قال : لست براء ولا مصعد . وقد ساق الفراء البيتين في توجيه
إعراب قوله تعالى : « ولا مستأنين » فإنه رده عطفاً على « ناظرين إناه » بالجر ، أو بالنصب إتباعاً لغير . قال : ولو جعلت
المستأنين في موضع نصب : تتوهم أن تتبعه بغير ، لما أن حلت بينهما بكلام . وكذلك كل معنى احتمل وجهين ، ثم فرقت بينهما بكلام
جاز أن يكون الآخر معرباً بخلاف الأول . من ذلك فورك : ما أنت بمحسن إلى من أساء إليك ولا مجملاً .

واختلف أهل العلم في السبب الذي نزلت هذه الآية فيه ، فقال بعضهم : نزلت بسبب قوم طعموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وليمة زينب بنت جحش ، ثم جلسوا يتحدثون في منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حاجة ، فمنعه الحياء من أمرهم بالخروج من منزله .

ذكر من قال ذلك

حدثني عمران بن موسى القزاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ابن مالك ، قال : نبى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش ، فبعثت داعيا إلى الطعام ، فدعوت فيجىء انقوم يأكلون ويخرجون ثم يجىء القوم يأكلون ويخرجون ، فقلت : يا نبى الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه ، قال : ارفعوا طعامكم ، وإن زينب لجالسة في ناحية البيت ، وكانت قد أعطيت جمالا وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة ، فقال : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ » فقالوا : وعليك السلام يا رسول الله ، كيف وجدت أهلك ؟ قال : فأتى حجر نسائه ، فقالوا مثل ما قالت عائشة ، فرجع النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا الثلاثة يتحدثون في البيت ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم شديد الحياء ، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة ، فلا أدري أخبرته ، أو أخبر أن الرهط قد خرجوا ، فرجع حتى وضع رجله في أسكفة داخل البيت ، والأخرى خارجه ، إذ أرخى الستر بينى وبينه ، وأُنزلت آية الحجاب .

حدثني أبو معاوية بشر بن دحية ، قال : ثنا سفیان ، عن الزهرى ، عن أنس بن مالك ، قال : سألت أبا بن كعب عن الحجاب ، فقلت : أنا أعلم الناس به ، نزلت في شأن زينب ، أو لم النبى صلى الله عليه وسلم عليها بتمر وسويق ، فنزلت (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) إلى قوله (ذَلِكَكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِمْ) .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمى ، قال : أخبرني يونس ، عن الزهرى ، قال : أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش ، أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عروسا ، فدعا القوم فأصابوا من الطعام حتى خرجوا ، وبقي منهم رهط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج ، وخرجت معه لكي يخرجوا ، فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشيت معه ، حتى جاء عتبة حجرة عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قد خرجوا ، فرجع ورجعت معه ، حتى دخل على زينب ، فإذا هم جاوس لم يقووا ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعت معه ، فإذا هم قد خرجوا ، فضرب بينى وبينه سترا ، وأنزل الحجاب .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : دعوت المسلمين إلى وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صبيحة نبى بزینب بنت جحش ، فأوسعهم خبزا ولحما ، ثم رجع كما كان يصنع ، فأتى حجر نسائه فسلم عليهن ، فدعون له ، ورجع إلى بيته وأنا معه ؛ فلما انتهينا إلى الباب إذا

رجلان قد جرى بهما الحديث في ناحية البيت ، فلما أبصرهما ولي راجعا ؛ فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم ولى من بيته ، ولىا مسرعين ، فلا أدري أنا أخبرته ، أو أُخبر فرجع إلى بيته ، فأرخى الستريني وبينه ، ونزلت آية الحجاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال عمر بن الخطاب : « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو حجبت عن أمهات المؤمنين ، فإنه يدخل عليك البر والفاجر ، فنزلت آية الحجاب . »

حدثني القاسم بن بشر بن معروف ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس بن مالك ، قال : أنا أعلم الناس بهذه الآية ، آية الحجاب « لما أُهديت زينب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاما ، ودعا القوم ، فجاءوا فدخلوا وزينب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت ، وجعلوا يتحدثون ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يدخل وهم قعود ، قال : فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي) . . . إلى (فاسألكوهن من وراء حجاب) قال : فقام القوم وضرب الحجاب . »

حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد ، قال : ثنا أبي ، عن بيان ، عن أنس بن مالك ، قال : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من نسائه ، فأرسلني ، فدعوت قوما إلى الطعام ؛ فلما أكلوا وخرجوا ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا قبل بيت عائشة ، فرأى رجلين جالسين ، فانصرف راجعا ، فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا المسعودي ، قال : ثنا ابن نهشل ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : أمر عمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب ، فقالت زينب : يا بن الخطاب ، إنك لتغار علينا ، والوحي ينزل في بيوتنا ، فأنزل الله (وإذا سألتهموهن متاعا فاسألكوهن من وراء حجاب) .

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : ثنا أشهل بن حاتم ، قال : ثنا ابن عون ، عن عمرو بن سعيد ، عن أنس ، قال : « وكنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يمر على نسائه ، قال : فأتي بامرأة عروس ، ثم جاء وعندنا قوم ، فانطلق فمضى حاجته ، واحتبس وعاد وقد خرجوا ؛ قال : فدخل فأرخى بيني وبينه سترا ، قال : فحدثت أبا طلحة ، فقال : إن كان كما تقول : لينزلن في هذا شيء ، قال ونزلت آية الحجاب » وقال آخرون : كان ذلك في بيت أم سلمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (ولاكن إذا دُعيتُم فادخلوا ، فإذا طعمتُم فانتشروا ولا مستأنين لحديث) قال : كان هذا في بيت أم سلمة ، قال : أكلوا ، ثم أطالوا الحديث ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يدخل ويخرج ويستحي منهم ، والله لا يستحي من الحق .

قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) قال : بلغنا أنهنَّ أُمِرْنَ بِالْحِجَابِ عِنْدَ ذَلِكَ .

وقوله (إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ) . يقول : إِنْ دَخَلْتُمْ بِيُوتَ النَّبِيِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَجَلُوسَكُمْ فِيهَا مُسْتَأْنَسِينَ لِلْحَدِيثِ بَعْدَ فَرَاغِكُمْ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ الَّذِي دَعَيْتُمْ لَهُ ، كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ، فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْهَا إِذَا قَعَدْتُمْ فِيهَا لِلْحَدِيثِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الطَّعَامِ ، أَوْ يَمْنَعُكُمْ مِنَ الدَّخُولِ إِذَا دَخَلْتُمْ بِغَيْرِ إِذْنٍ مَعَ كِرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ مِنْكُمْ (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) أَنْ يَقْبَلَكُمْ ، وَإِنْ اسْتَحْيَا نَبِيَكُمْ فَلَمْ يَبِينْ لَكُمْ كِرَاهِيَةَ ذَلِكَ حَيَاءً مِنْكُمْ (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا ، فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) يقول : وَإِذَا سَأَلْتُمْ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّوَاتِي لَسْنَ لَكُمْ بِأَزْوَاجٍ مَتَاعًا (فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) يقول : مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ ، وَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِنَّ بِيُوتِهِنَّ (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : سَوَّالِكُمْ إِيَّاهُنَّ الْمَتَاعَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَطْهَرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ مِنْ عَوَارِضِ الْعَيْنِ فِيهَا الَّتِي تَعْرُضُ فِي صُدُورِ الرِّجَالِ مِنْ أَمْرِ النِّسَاءِ ، وَفِي صُدُورِ النِّسَاءِ مِنْ أَمْرِ الرِّجَالِ ، وَأُخْرَى مِنْ أَنْ لَا يَكُونَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِنَّ سَبِيلٌ .

وقد قيل : إِنْ سَبَبَ أَمْرَ اللَّهِ النِّسَاءَ بِالْحِجَابِ ، إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَجْلِ أَنْ رَجُلًا كَانَ يَأْكُلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَائِشَةَ مَعَهُمَا ، فَأَصَابَتْ يَدَهَا يَدَ الرَّجُلِ ، فَكَرِهَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن ليث ، عن مجاهد « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَطْعَمُ وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، فَأَصَابَتْ يَدَ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَ عَائِشَةَ ، فَكَرِهَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَزَلَّتْ آيَةُ الْحِجَابِ » .

وقيل : نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَةِ عُمَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كُرَيْبٍ وَيَعْقُوبُ ، قَالَا : ثنا هشيم ، قال : ثنا حميد الطويل ، عن أنس ، قال : قال عمر بن الخطاب : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ نَسَاءُكَ يَدْخُلْنَ عَلَيْهِنَّ الْبُرِّ وَالْفَاجِرِ ، فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ أَنْ يَحْتَجِبْنَ ؟ » قَالَ : فَزَلَّتْ آيَةُ الْحِجَابِ » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا حميد ، عن أنس ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَحْوِهِ . حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عمرو بن عبد الله بن وهب ، قال : ثنا يونس ، عن الأزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : « إِنْ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ يُخْرِجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ » وَهُوَ صَعِيدٌ أَفِيحٌ ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، احْجُبْ نِسَاءَكَ ، فَامْ يَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ ، فَخَرَجَتْ سُودَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً طَوِيلَةَ ، فَنَادَاهَا عُمَرُ بِصَوْتِهِ الْأَعْلَى : قَدْ عَرَفْنَاكَ يَا سُودَةَ ، حَرِصًا أَنْ يَنْزَلَ الْحِجَابُ ، قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْحِجَابَ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : « خرجت سودة لحاجتها بعد ما ضرب علينا الحجاب ، وكانت امرأة تفرع النساء طولاً ، فأبصرها عمر ، فنادها : يا رودة ، إنك والله ما تخفين عاينا ، فانظري كيف تخرجين ، أو كيف تصنعين ؟ فانكفأت فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه ليتعشى ، فأخبرته بما كان ، وما قال لها ، وإن في يده لعرقا ، فأوحى إليه ثم رفع عنه ، وإن العرق لفي يده ، فقال : لقد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن » .

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا همام ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ، قال : « أمر عمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب : يا ابن الخطاب ، إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا ؟ فأنزل الله (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) » .

حدثني أبو أيوب النهري سليمان بن عبد الحميد ، قال : ثنا يزيد بن عبد ربه ، قال : ثنا ابن حرب ، عن الزبيدي ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، « أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى « المناصب » وهو صيد أفيح ؛ وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك ، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء ، وكانت امرأة طويلة ، فنادها عمر بصوته الأعلى : قد عرفناك يا سودة ، حرصا على أن ينزل الحجاب ، قالت عائشة : فأنزل الله الحجاب ، قال الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا) . . . الآية » .

وقوله (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله ، وما يصاح ذلك لكم (وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) يقول : وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا لأنهن أمهاتكم ، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه .
وذكر أن ذلك نزل في رجل كان يدخل قبل الحجاب ، قال : لئن مات محمد لأتزوجن امرأة من نسائه سهاها ، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد « في قوله (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) إن ذلكم كان عند الله عظيما » قال : ربما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل يقول : لو أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي تزوجت فلانة من بعده ، قال : فكان ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزل القرآن (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ) . . . الآية » .

(١) المرقق بفتح فسكون : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم . يقال : عرقت العظم ، واعترقته وتمرفته : إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك

(النهاية لابن الأثير) .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم مات ، وقد ملك قبيلة بنت الأشعث ، فزوجه عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك ، فشقّ على أبي بكر مشقة شديدة ، فقال له عمر : يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه إنما لم يخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها ، وقد برأها منه بالردّة التي ارتدّت مع قومها ، فاطمأنّ أبو بكر وسكن .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وقد ملك بنت الأشعث بن قيس ، ولم يجامعها ، ذكر نحوه .
وقوله (إن ذلكم كان عند الله عظيما) يقول : إن أذاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم من الإثم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره : إن تظهروا بألسنتكم شيئا أيها الناس من مراقبة النساء ، أو غير ذلك مما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقول : لأتزوجنّ زوجته بعد وفاته ، أو تخفوه : يقول : أو تخفوا ذلك في أنفسكم ، فإن الله كان بكل شيء عليما ، يقول : فإن الله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمر غيركم ، عليم لا يخفى عليه شيء ، وهو يجازيكم على جميع ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَيْنَ اللَّهُ إِنْ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : لا حرج على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في آبائهنّ ولا إثم . ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وضع عنهنّ الجناح في هؤلاء ، فقال بعضهم : وضع عنهنّ الجناح في وضع جلايبهنّ عندهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبي ليلى ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قوله (لا جناح عليهنّ في آبائهنّ) . . . الآية كلها ، قال : أن تضع الجلباب .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (لا جناح عليهنّ في آبائهنّ) ومن ذكر معه أن يروهنّ .

وقال آخرون : وضع عنهنّ الجناح فيهنّ في ترك الاحتجاب .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ، في قوله (لاجنّاح عليهنّ) . . . إلى (شهيداً) : فرخص لهؤلاء أن لا يحتجبن منهم :
 * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : ذلك وضع الجناح عنهنّ في هؤلاء المسمين أن لا يحتجبن منهم ، وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب ، وبعد قول الله (وإذا سألتهموهنّ متاعاً فاسألوهنّ من وراء حجاب) فلا يكون قوله (لاجنّاح عليهنّ في آباهنّ) استثناء من جملة الذين أمروا بسؤالهنّ المتاع من وراء الحجاب إذا سألوهنّ ذلك أولى وأشبه من أن يكون خبر مبتدأ عن غير ذلك المعنى .
 فتأويل الكلام إذن : لا إثم على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمّهات المؤمنين في إذهبنّ لآباهنّ ، وترك الحجاب منهنّ ، ولا لأبناهنّ ولا لإخوانهنّ ، ولا لأبناء إخوانهنّ . وعنى بإخوانهنّ وأبناء إخوانهنّ إخوانهنّ وأبناء إخوانهنّ . وخرج معهم جمع ذلك مخرج جمع فتى إذا جمع فتيان ، فكذلك جمع أخ إذا جمع إخوان . وأما إذا جمع إخوة ، فذلك نظير جمع فتى إذا جمع فتية ، ولا أبناء إخوانهنّ ، ولم يذكر في ذلك العمّ على ما قال الشعبي حذرا من أن يصفهنّ لأبنائه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا حجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن داود ، عن الشعبي وعكرمة في قوله (لاجنّاح عليهنّ في آباهنّ ولا أبناهنّ ولا إخوانهنّ ولا أبناء إخوانهنّ ، ولا أبناء إخوانهنّ ، ولا نساءهنّ ، ولا ما مملكتنّ أيماهنّ) قلت : ما شأن العمّ والحال لم يذكر ؟ قال : لأنهما ينعتمانها لأبناهما ، وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا حماد ، عن داود ، عن عكرمة والشعبي نحوه ، غير أنه لم يذكر ينعتمانها .

وقوله (ولا نساءهنّ) يقول : ولا جناح عليهنّ أيضا في أن لا يحتجبن من نساء المؤمنين .
 كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ولا نساءهنّ) . قال : نساء المؤمنات الحرائر ليس عليهنّ جناح أن يرين تلك الزينة ، قال : وإنما هذا كله في الزينة ، قال : ولا يجوز للمرأة أن تنظر إلى شيء من عورة المرأة ، قال : ولو نظر الرجل إلى فعخذ الرجل لم أر به بأسا ، قال : (ولا ما مملكتنّ أيماهنّ) فليس ينبغي لها أن تكشف قرطها للرجل ، قال : وأما الكحل والخاتم والحضاب ، فلا بأس به ، قال : والزوج له فضل ، والآباء من وراء الرجل لهم فضل . قال : والآخرون يتفاضلون ، قال : وهذا كله يجمعه ما ظهر من الزينة ، قال : وكان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا يحتجبن من المماليك . وقوله (ولا ما مملكتنّ أيماهنّ) من الرجال والنساء . وقال آخرون : من النساء وقوله (وآتقين الله) يقول : وخفن الله أيها النساء أن تتعدين ما حدّ الله لكن ، فتبدين من زينتك ما ليس لكنّ أن تبدينه ، أو تترك الحجاب الذي أمركن الله بلزومه ، إلا فيما أباح لكن تركه ، والزمن طاعته (إن الله كان على كلّ شيء شهيداً) يقول تعالى ذكره : إن الله شاهد على ما تفعلنه من

احتجابكن . وترككن الحجاب لمن أبحث لكن ترك ذلك له ، وغير ذلك من أموركن ؛ يقول : فاتمينا الله في أنفسكن لاتقين الله ، وهو شاهد عليكم بمعصيته ، وخلاف أمره ونهيه ، فهلكن ، فإنه شاهد على كل شيء .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله وملائكته يبركون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم . كما حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) يقول : يباركون على النبي . وقد يحتمل أن يقال : إن معنى ذلك : أن الله يرحم النبي ، وتدعو له ملائكته ويستغفرون ، وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء . وقد بيننا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته .

(يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم (وسلّموا عليه تسليما) يقول : وحيوه تحية الإسلام . وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن عنبسة ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة ، عن أبيه ، قال : « أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : سمعت الله يقول (إن الله وملائكته يصلون على النبي) . . . الآية ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : قل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

حدثني جعفر بن محمد الكوفي ، قال : ثنا يعلى بن الأجلح ، عن الحكم بن عتيبة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة ، قال : لما نزلت (إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليما) قمت إليه ، فقلت : السلام عليك قد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك يا رسول الله ؟ قال : قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا أبو إسرائيل ، عن يونس بن خباب ، قال : « خطبنا بفارس فقال (إن الله وملائكته) . . . الآية ، فقال : أنبأني من سمع ابن عباس يقول : هكذا

أنزل ، فقلنا : أو قالوا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن إبراهيم في قوله (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَرَسُولِكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

حدثني يعقوب الدورقي ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن ابن بشر بن مسعود الأنصاري ، قال : لما نزلت (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) قالوا : يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه ، فكيف الصلاة ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : قولوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) قال : لما نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله قد علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وقال الحسن : اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد ، كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَتَنَّا وَإِنَّمَا مَسِينَا ﴿٥٨﴾

يعنى بقوله تعالى ذكره (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ) إن الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم إياه ، وركوبهم ما حرّم عليهم . وقد قيل : إنه عنى بذلك أصحاب التصاوير ، وذلك أنهم يرومون تكوين خلق مثل خلق الله . ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد القرشي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سلمة بن الحججاج ، عن عكرمة ، قال : الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) قال : يا سبحان الله ما زال أناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا أذى ربهم ، وأما أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو طعنهم عليه في نكاحه صفية بنت حيي فيما ذكر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) قال : نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بنت حيي بن أخطب . وقوله (وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) يقول تعالى ذكره : أبعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم في الآخرة عذابا يهينهم فيه بالخلود فيه .

و قوله (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ) كان مجاهد يوجه معنى قوله (يُؤْذُونَ) إلى يقفون .

ذكر الرواية بذلك عنه

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ) قال : يقفون . فمعنى الكلام على ما قال مجاهد : والذين يقفون المؤمنين والمؤمنات ، ويعيبونهم طلبا لشينهم (بغير ما اكتسبوا) يقول : بغير ما عملوا .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (بغير ما اكتسبوا) قال عملوا . حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا عثمان بن علي ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : قرأ ابن عمر : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاننا وإثما مبينا) قال : فكيف إذا أودى بالمعروف ، فذلك يضاعف له العذاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن علي ، عن الأعمش ، عن ثور ، عن ابن عمر (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغير ما اكتسبوا) قال : كيف بالذي يأتي إليهم المعروف . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاننا وإثما مبينا) فإياكم وأذى المؤمن ، فإن الله يحوطه ، ويغضب له .

وقوله (فَتَقَدَّرَ لَهُمُ الْبُهْتَانُ وَإِثْمًا مُّبِينًا) يقول : فقد احتملوا زورا وكذبا و فرية شنيعة ؛ وبهتان : أفحش الكذب (وَإِثْمًا مُّبِينًا) يقول : وإثما يبين لسامعه أنه إثم وزور .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ مِمَّنْ ذَلِكُمْ
أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَّ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين ،

لا تتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن ، فكشفن شعورهن ووجوههن ، ولكن ليدنين عليهن من جلابيبن ، لئلا يعرض لهن فاسق ، إذا علم أنهن حرائر بأذى من قول .
ثم اختلف أهل التأويل في صفة الإدناء الذي أمرهن الله به ، فقال بعضهم : هو أن يغطين وجوههن ورءوسهن ، فلا يبدن منهن إلا عينا واحدة .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبن) أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ، ويبدن عينا واحدة حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن محمد ، عن عبيدة في قوله (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبن) فلبسها عندنا ابن عون ، قال : ولبسها عندنا محمد ، قال محمد : ولبسها عندى عبيدة ، قال ابن عون : بردائه ، فتقنع به ، فغطى أنفه وعينه اليسرى ، وأخرج عينه اليمنى ، وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة ، عن قوله (قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبن) قال : فقال بثوبه ، فغطى رأسه ووجهه ، وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه .
وقال آخرون : بل أمرن أن يشددن جلابيبن على جباههن .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبن) . . . إلى قوله (وكان الله غفورا رحيما) قال : كانت الحررة تلبس لباس الأمة ، فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبن ، وإدناء الجلاباب : أن تقنع وتشد على جبينها .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين) أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يقنعن على الحواجب (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) وقد كانت المملوكة إذا مرت تناولوها بالإيداء ، فهي الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يدنين عليهن من جلابيبن) يتجلبن فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبة .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن حدثه ، عن أبي صالح ، قال : « قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة على غير منزل ، فكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن إذا كان الليل خرجن

يقضين حوائجهن ، وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل ، فأنزل الله (يا أيها النبي قل لا أزواجيك وبناتيك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) يقنعن بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرّة .

وقوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) يقول تعالى ذكره : إداؤهن جلابيبهن إذا أدنينها عليهن أقرب وأخفى أن يعرفن ممن مررن به ، ويعلموا أنهم لسن باماء ، فيتكسبوا عن أذهن بقول مكروه ، أو تعرض بريبة (وكان الله غفورا) لما سلف منهم من تركهن إداؤهن الجلابيب عليهن (رحيا) بهن أن يعاقبن بعد توبتهن بادناء الجلابيب عليهن .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَيْنَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ
ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿١١﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا ﴿١٢﴾

✽ يقول تعالى ذكره : لئن لم ينته أهل النفاق ، الذين يستسرون الكفر ، ويظهرون الإيمان (والذين في قلوبهم مرض) يعني : ريبة من شهوة الزنا وحب الفجور . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو بن علي ، قال : ثنا أبو عبد الصمد ، قال : ثنا مالك بن دينار ، عن عكرمة ، في قوله (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض) قال : هم الزناة . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والذين في قلوبهم مرض) قال : شهوة الزنا .

قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا أبو صالح التمار ، قال : سمعت عكرمة في قوله (في قلوبهم مرض) قال : شهوة الزنا . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة عن حدثه ، عن أبي صالح (والذين في قلوبهم مرض) قال : الزناة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض) . . . الآية ، قال : هؤلاء صنف من المنافقين (والذين في قلوبهم مرض) أصحاب الزنا ، قال : أهل الزنا من أهل النفاق الذين يطلبون النساء فيبتغون الزنا . وقرأ (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) قال : والمنافقون أصناف عشرة في براءة ، قال : فالذين في قلوبهم مرض صنف منهم مرض من أمر النساء .

وقوله (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) يقول : وأهل الإرجاف في المدينة بالكذب والباطل ، وكان إرجافهم فيما ذكر كالذي حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَيْسَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) . . . الآية ، الإرجاف : الكذب الذي كان نافقه أهل النفاق ، وكانوا يقولون : أتاكم عدد وعدة . وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق ، فأوعدهم الله بهذه الآية ، قوله (لَيْسَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) . . . الآية ؛ فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسرّوه : حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) هم أهل النفاق أيضا الذين يرجفون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين . وقوله (لَنْغُرِيَنَّكَ بِهِمْ) يقول : لنسلطنك عليهم ولنحترشك بهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله : (لَنْغُرِيَنَّكَ بِهِمْ) يقول : لنسلطنك عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَنْغُرِيَنَّكَ بِهِمْ) : أي لنحملنك عليهم لنحترشك بهم .

قوله (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) يقول : ثم لنفنيهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها إلا قليلا من المدة والأجل ، حتى نفنيهم عنها ، فنخرجهم منها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) أي بالمدينة .

وقوله (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا) يقول تعالى ذكره : مطرودين منفيين أينما ثقفوا : يقول : حيثما لقوا من الأرض أخذوا وقتلوا لكفرهم بالله تقيلا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَلْعُونِينَ) على كل حال (أَيْنَمَا ثُقِفُوا) أخذوا (وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا) إذا هم أظهروا النفاق . ونصب قوله (مَلْعُونِينَ) على الشتم ، وقد يجوز أن يكون القليل من صفة الملعونين ، فيكون قوله ملعونين مردودا على القليل ، فيكون معناه : ثم لا يجاورونك فيها إلا أقلاء ملعونين يقتلون حيث أصيبوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ) هؤلاء المنافقين الذين في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم معه من ضرباء هؤلاء المنافقين ، إذا هم أظهروا نفاقهم أن يُقْتَلَهُمْ تَقْتِيلًا ، ويلعَنهم لعنا كثيرا .

وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ) . . . الآية ، يقول : هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق .
وقوله (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) يقول تعالى ذكره لبيد محمد صلى الله عليه وسلم : ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرا ، فأيقن أنه غير مغير في هؤلاء المنافقين سنته .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : (يَسْأَلُكَ النَّاسُ) يا محمد (عَنِ السَّاعَةِ) متى هي قائمة ؟ قل لهم : إنما علم الساعة (عِنْدَ اللَّهِ) لا يعلم وقت قيامها غيره (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) يقول : وما أشعرك يا محمد لعل قيام الساعة يكون منك قريبا ، قد قرب وقت قيامها ، ودنا حين مجيئها .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿١٧﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله أبعَد الكافرين به من كل خير ، وأقصاهم عنه (وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) يقول : وأعد لهم في الآخرة نارا تنقد وتنسعر ليصايموها (خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) يقول : ما كثر في السعير أبدا ، إلى غير نهاية (لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يتولاهم ، فيستنقذهم من السعير التي أصلاهاها الله (وَلَا نَصِيرًا) ينصرهم ، فينجيهم من عقاب الله إياهم .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ تَقُتَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : لا يجد هؤلاء الكافرون وليا ولا نصيرا في يوم تقلب وجوههم في النار حالا بعد حال (يَقُولُونَ) وتلك حالهم في النار : (يٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ) في الدنيا وأطعنا رسوله ، فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه ، فكننا مع أهل الجنة في الجنة ، يا لها حسرة وندامة ، ما أعظمها وأجلها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿١٨﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فِي الشَّرْكِ
وَالْعَنَمِ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم : ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلالة وكبراءنا في الشرك (فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ) يقول : فأزلونا عن محجة الحق ، وطريق الهدى ، والإيمان بك ، والإقرار بوحدانيتك ، وإخلاص طاعتك في الدنيا (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ) يقول : عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا (وَالْعَنَمِ لَعْنَا كَبِيرًا) يقول : واخزهم خزيا كبيرا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا)

أى رعوسنا في الشر والشرك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا) قال : هم رعوس الأمم الذين أضلوهم ، قال : سادتنا وكبراءنا واحد . وقرأت عامة قراء الأمصار (سَادَتَنَا) . ورؤى عن الحسن البصرى (سَادَاتِنَا) على الجماع ، والتوحيد في ذلك هي القراءة عندنا ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

واختلفوا في قراءة قوله (لَعْنَا كَبِيرًا) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار بالثاء (كَبِيرًا) من الكثرة ، سوى عاصم ، فإنه قرأه (لَعْنَا كَبِيرًا) من الكبر . والقراءة في ذلك عندنا بالثاء لإجماع الحجة من القراء عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم ، ولا بفعل لا يحبه منكم ، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي الله ، فرموه بعيب كذبا وباطلا (فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا) فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم (وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) يقول : وكان موسى عند الله مشفعا فيما يسأل ، ذا وجه وميزلة عنده بطاعته إياه .
ثم اختلف أهل التأويل في الأذى الذي أودى به موسى الذي ذكره الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : رموه بأنه آدر . وروى بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا .

ذكر الرواية التي رويت عنه ، ومن قال ذلك

حدثني أبوالمناشب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن معبد بن جبير ، وعبد الله ابن الحارث ، عن ابن عباس ، في قوله (لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) قال : قال له قومه : إنك آذو ، قال : فخرج ذات يوم يغتسل ، فوضع ثيابه على صخرة ، فخرجت الصخرة تشدّ بثيابه ، وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به إلى مجالس بني إسرائيل ، قال : فرأوه ليس بأدر ، قال : فذلك قوله (فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا) .

حدثني يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى » قال : قالوا : هو آذر ، قال : فذهب موسى يغتسل ، فوضع ثيابه على حجر ، فمرّ الحجر بثيابه ، فنبع موسى قفاه ، فقال : ثيابي حجر ، فمرّ بمجلس بني إسرائيل ، فرأوه ، فبرأه الله مما قالوا (وكان عند الله وجيها) حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) . . . إلى (وجيها) قال : كان أذاهم موسى أنهم قالوا : والله ما يمنع موسى أن يضع ثيابه عندنا إلا أنه آدر ، فأذى ذلك موسى ، فبينما هو ذات يوم يغتسل وثوبه على صخرة ؛ فلما قضى موسى غسله وذهب إلى ثوبه ليأخذه ، انطلقت الصخرة تسعى بثوبه ، وانطلق يسعى في أثرها حتى مرت على مجلس بني إسرائيل وهو يطلبها ؛ فلما رأوا موسى صلى الله عليه وسلم متجرّدا لا ثوب عليه قالوا : والله ما نرى بموسى بأسا ، وإنه لبريء مما كنا نقول له ، فقال الله (فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وكان عند الله وجيها) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) . . . الآية ، قال : « كان موسى رجلا شديد المحافظة على فرجه وثيابه ، قال : فكانوا يقولون : ما يحمله على ذلك إلا عيب في فرجه يكره أن يرى ، فقام يوما يغتسل في الصحراء فوضع ثيابه على صخرة ، فاشتدّت بثيابه ، قال : وجاء يطلبها عريانا ، حتى اطلع عليهم عريانا ، فرأوه بريئا مما قالوا ، وكان عند الله وجيها » قال : والوجيه في كلام العرب : المحبّ المقبول . وقال آخرون : بل وصفوه بأنه أبرص .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : « قال بنو إسرائيل : إن موسى آدر ، وقالت طائفة : هو أبرص من شدّة تسره ، وكان يأتي كل يوم عينا ، فيغتسل ويضع ثيابه على صخرة عندها ، فعدت الصخرة بثيابه حتى انتهت إلى مجلس بني إسرائيل ، وجاء موسى يطلبها ؛ فلما رأوه عريانا ليس به شيء مما قالوا ، لبس ثيابه ثم أقبل على الصخرة يضربها بعصاه ، فأثرت العصا في الصخرة » . حدثنا بحر بن حبيب بن عربي ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا عوف ، عن محمد ، عن أبي هريرة

في هذه الآية (لا تكفونوا كالتدين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) . . . الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن موسى كان رجلاً حبيباً ستيراً ، لا يكاد يرى من جلده شيء استحياء منه ، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل ، وقالوا : ما تستتر هذا التستر إلا من عيب في جلده ، إما برص ، وإما أذرة ، وإما آفة ، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا ، وإن موسى خلاً يوماً وحده ، فوضع ثيابه على حجر ، ثم اغتسل ، فلما فرغ من غسله أقبل على ثوبه ليأخذه ، وإن الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاً وطأب الحجر ، وجعل يقول : ثوبي حجر ، حتى انتهى إلى ملائكة من بني إسرائيل ، فرأوه عرياناً كحسن الناس خلقاً ، وبرأه الله مما قالوا ، وإن الحجر قام ، فأخذ ثوبه ولبسه ، فطفق بالحجر ضرباً بذلك ، فوالله إن في الحجر لندباً من أثر ضوبه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً . »

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان موسى رجلاً حبيباً ستيراً » ثم ذكر نحوه منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : حدث الحسن ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بني إسرائيل كانوا يغتسلون وهم عراة ، وكان نبي الله موسى حبيباً ، فكان يتستر إذا اغتسل ، فطعنوا فيه بعورة ، قال : فبينما نبي الله يغتسل يوماً ، إذ وضع ثيابه على صخرة ، فانطلقت الصخرة واتبعها نبي الله ضرباً بعصاه ثوبي يا حجر ، ثوبي يا حجر ، حتى انتهت إلى ملائكة من بني إسرائيل ، أو توسطهم ، فقامت ، فأخذ نبي الله ثيابه ، فنظروا إلى أحسن الناس خلقاً ، وأعدله مروءة ، فقال الملائكة : قاتل الله أفاكي بني إسرائيل ، فكانت براءته التي برأه الله منها . »

وقال آخرون : بل كان أذاهم إياه ادعاهم عليه قتل هارون أخيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن مسلم الطوسي ، قال : ثنا عباد ، قال : ثنا سفيان بن حبيب ، عن الحكم ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، في قول الله « (لا تكفونوا كالتدين آذوا موسى) . . . الآية ، قال : صعد موسى وهارون الجبل ، فمات هارون ، فقالت بنو إسرائيل : أنت قتله ، وكان أشد حبا لنا منك ، وألين لنا منك ، فأذوه بذلك ، فأمر الله الملائكة فحماته حتى مروا به على بني إسرائيل ، وتكلمت الملائكة بموته ، حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات ، فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه ، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم ، فجعله الله أصم أبكم . »

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به ، فبرأه الله مما آذوه به . وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم إنه أبرص . وجائز أن يكون كان ادعاهم

عليه قتل أخيه هارون . وجائز أن يكون كل ذلك ، لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به ، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى ، فبرأه الله مما قالوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، اتقوا الله أن تعصوه ، فتستحقوا بذلك عقوبته وقوله (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) يقول : قولوا في رسول الله والمؤمنين قولاً قاصداً غير جائز ، حقاً غير باطل .

كما حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) يقول : سداداً .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عنبسة ، عن الكلابي (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) قال : صدقاً . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) أي عدلاً ، قال قتادة : يعني بد في منطقته وفي عمله كله ، والسديد : الصدق .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قول الله (وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) قولوا : لا إله إلا الله .

وقوله (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين : اتقوا الله وقولوا السداد من القول يوفقكم لصالح الأعمال ، فيصلح أعمالكم (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) يقول : ويعف لكم عن ذنوبكم ، فلا يعاقبكم عليها (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فيعمل بما أمره به ، وينتهي عما نهاه ، ويقبل السديد (فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) يقول : فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٧﴾

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : إن الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثبتت وجوزيت ، وإن ضيقت عوقبت ، فأبت حملها شفقة منها أن لا تقوم بالواجب عليها ، وحملها آدم (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا) لنفسه (جَهُولًا) بالذي فيه الخطأ له .

ذكر من قال لك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جببير ، في قوله (إِنَّا

عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) قَالَ :
الأمانة : الفرائض التي افترضها الله على العباد .

قال : ثنا هشيم ، عن العوام ، عن الضحاک بن مزاحم ، عن ابن عباس ، في قوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ
عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا) قَالَ : الْأَمَانَةُ : الْفَرَايِضُ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللَّهُ
عَلَى عِبَادِهِ .

قال : ثنا هشيم ، قال : أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ وَجُوَيْرِا ، كِلَاهُمَا عَنِ الضَّحَّاكِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ،
فِي قَوْلِهِ (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) . . . إِلَى قَوْلِهِ (جَهُولًا) قَالَ : الْأَمَانَةُ : الْفَرَايِضُ . قَالَ جُوَيْرِا فِي حَدِيثِهِ
فَلَمَّا عَرَضَتْ عَلَى آدَمَ ، قَالَ : أَي رَبِّ وَمَا الْأَمَانَةُ ؟ قَالَ : قِيلَ : إِنَّ أَدْيَبَهَا جَزِيَّتٌ ، وَإِنْ ضَيَعَتْهَا عَوَّقِبَتْ ،
قَالَ : أَي رَبِّ حَمَلَهَا بِمَا فِيهَا ، قَالَ : فَمَا مَكَثَ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْرَ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ حَتَّى عَمِلَ
بِالْمَعْصِيَةِ ، فَأُخْرِجَ مِنْهَا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد ، عن ابن عباس
أنه قال في هذه الآية (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) قَالَ : عَرَضَتْ عَلَى آدَمَ ، فَقَالَ : خَذَهَا بِمَا فِيهَا ، فَإِنْ أَطَعْتَ
غَفَرْتُ لَكَ ، وَإِنْ عَصَيْتَ عَذَّبْتُكَ ، قَالَ : قَدْ قَبِلْتُ ، فَمَا كَانَ إِلَّا قَدْرَ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ
حَتَّى أَصَابَ الْخَطِيئَةَ .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا
عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) إِنْ أَدَّوْهَا أَثَابَهُمْ ، وَإِنْ ضَيَعَهَا عَذَّبَهُمْ ، فَكَرَهُوا
ذَلِكَ ، وَأَشْفَقُوا مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَلَكِنْ تَعْظِيمًا لِلدِّينِ الَّذِي لَا يَقُومُوا بِهَا ، ثُمَّ عَرَضَهَا عَلَى آدَمَ ، فَقَبِلَهَا بِمَا
فِيهَا ، وَهُوَ قَوْلُهُ (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) غَرًّا بِأَمْرِ اللَّهِ .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) : الطَّاعَةُ عَرَضَهَا عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْضُهَا عَلَى آدَمَ ، فَلَمْ تَطْقُهَا ، فَقَالَ لآدَمَ :
يَا آدَمُ إِنِّي قَدْ عَرَضْتُ الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ، فَلَمْ تَطْقُهَا ، فَهَلْ أَنْتَ آخِذُهَا بِمَا فِيهَا ؟ فَقَالَ :
يَا رَبِّ : وَمَا فِيهَا ؟ قَالَ : إِنَّ أَحْسَنَ جَزِيَّتٍ ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَوَّقِبْتَ ، فَأَخَذَهَا آدَمُ فَحَمَلَهَا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ
(وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : ثنا سفيان ، عن رجل ، عن الضحاک بن مزاحم ،
فِي قَوْلِهِ (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا)
مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) قَالَ آدَمُ : قِيلَ لَهُ : خَذَهَا بِحَقِّهَا . قَالَ : وَمَا حَقُّهَا ؟
قِيلَ : إِنَّ أَحْسَنَ جَزِيَّتٍ ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَوَّقِبْتَ ، فَمَا لَبِثَ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ حَتَّى أُخْرِجَ مِنْهَا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أَخْبَرَنَا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله
(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) فَلَمْ يَطْقَنَّ حَمَلَهَا ، فَهَلْ أَنْتَ يَا آدَمَ آخِذُهَا بِمَا فِيهَا

(١) فِي الْأَصْلِ : وَجُوَيْرِا . وَسَيَأْتِي فِي الْحَدِيثِ نَفْسُهُ أَنَّهُ جُوَيْرِا .

قال آدم : وما فيها يارب؟ قال : إن أحسنت جزيت ، وإن أسأت عوقبت ، فقال : تحملتها ، فقال الله تبارك وتعالى : قد حملتكها ، فما مكث آدم إلا مقدار ما بين الأولى إلى العصر حتى أخرجه إبليس لعنه الله من الجنة ، والأمانة : الطاعة .

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقية ، قال : ثنا عيسى بن إبراهيم ، عن موسى بن أبي حبيب ، عن الحكم بن عمرو ، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الأمانة والوفاء نزلتا على ابن آدم مع الأنبياء ، فأرسلوا به ، فمنهم رسول الله ، ومنهم نبي ، ومنهم رسول نزل القرآن وهو كلام الله ، ونزلت العربية والعجمية ، فعلموا أمر القرآن ، وعلموا أمر السنن بألسنتهم ، ولم يدع الله شيئا من أمره مما يأتون ومما يجتنبون ، وهي الحجج عليهم إلا بيئته ، فلم يرفعوا أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن من القبيح . ثم الأمانة أول شيء يرفع ، ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ، ثم يرفع الوفاء والعهد والذم ، وتبقى الكتب ، فعلم بعمل ، وجاهل يعرفها وينكرها حتى وصل إلى وإلى أمي ، فلا يهلك على الله إلا هالك ، ولا يغفله إلا تارك ، والحذر أيها الناس ، وإياكم والوسواس الخناس ، وإنما يبلوكم أيكم أحسن عملا . »

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا غبيد الله بن عبد المجيد الحنفي ، قال : ثنا العوام العطار ، قال : ثنا قتادة ، وأبان بن أبي عياش ، عن خلد بن العاص ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة : من حافظ على الصلوات الخمس ، على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها » وكان يقول : « وآيم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن » ، وصام رمضان ، وحج البيت إن استطاع إلى ذلك سبيلا ، وأدى الأمانة ، قالوا : يا أبا الدرداء : وما الأمانة؟ قال : الغسل من الجنابة ، فإن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن أبي بن كعب ، قال : من الأمانة أن المرأة أو تمت على فرجها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (إننا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) قال : إن الله عرض عليهن الأمانة أن يفرض عليهن الدين ، ويجعل لهن ثوابا وعقابا ، ويستأمنن على الدين ، فقلن : لا ، نحن مسخرات لأمرك ، لانريد ثوابا ولا عقابا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وعرضها الله على آدم ، فقال : بين أذني وعاتي » ؛ قال ابن زيد ، فقال الله له : أما إذ تحملت هذا فسأعينك ، أجعل لبصرك حجابا ، فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك ، فأرخ عليه حجابا ، وأجعل لسانك بابا وغلقا ، فإذا خشيت فأغلق وأجعل لفرجك لباسا ، فلا تكشفه إلا على ما أحلت لك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (إننا عرضنا الأمانة على السموات

والأرض والجبال) يعنى به : الدين والفرائض والحدود (فَأَبَيِّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) قيل لمن : حملها توذبن حقها ، فقلن لا نطبق ذلك (وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) : قيل له : أتحمّلها؟ قال : نعم ، قيل : أتودى حقها؟ قال : نعم ، قال الله : إنه كان ظلوما جهولا عن حقها . وقال آخرون : بل عنى بالأمانة فى هذا الموضع : أمانات الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها ، أو قال : يكفر كل شئ إلا الأمانة ، يؤتى بصاحب الأمانة ، فيقال له : أد أمانتك ، فيقول : أى رب وقد ذهب الدنيا ، ثلاثا ؛ فيقال : اذهبوا به إلى الهاوية فيذهب به إليها ، فيتهوى فيها حتى ينتهي إلى قعرها ، فيجدها هناك كهيئتها ، فيحملها ، فيضهها على عاتقه ، فيصعد بها إلى شفير جهنم ، حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت ، فهوى في أثرها أبدا أبدينا . » قالوا : والأمانة فى الصلاة ، والأمانة فى الصوم ، والأمانة فى الحديث ؛ وأشد ذلك الودائع ، فلقيت البراء فقلت : ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله ؟ فقال : صدق قال شريك ، وثنى عياش العامرى عن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ينحوه ، ولم يذكر الأمانة فى الصلاة ، وفى كل شئ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن ابن أبي هلال ، عن أبي حازم ، قال : إن الله عرض الأمانة على سماء الدنيا ، فأبت ؛ ثم أتى تايها ، حتى فرغ منها ، ثم الأرضين ثم الجبال ، ثم عرضها على آدم ، فقال : نعم ، بين أذنى وعاتقى . فثلاث أمرت بهن ، فلمن لك عون : إني جعلت لك لسانا بين الحيين ، فكفه عن كل شئ نهيتك عنه ؛ وجعلت لك فرجا وواريته ، فلا تكشفه إلى ما حرمت عليك .

وقال آخرون : بل ذلك إنما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده ، وخيانة قابيل أباه فى قتله أخاه

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية ، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر ، حتى ولد له اثنان ، يقال لهما قابيل ، وهابيل ؛ وكان قابيل صاحب زرع ، وكان هابيل صاحب زرع ، وكان قابيل أكبرهما ، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل ، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال : هى أختى

(١) ترك الثالثة والذى فى الدر : إني جعلت لك بصرا ، وجعلت لك شفتين ، ففضمهما عن كل شئ نهيتك عنه ، وجعلت لك لسانا الخ

وُلدت معي ، وهي أحسن من أختك ، وأنا أختي أن أتزوجها ، فأمره أبوه أن يزوجها هايل فأي ، وإنهما قربا قربانا إلى الله أيهما أحق بالجارية ، وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما ، أي بمكة ينظر إليها ، قال الله لآدم : يا آدم هل تعلم أن لي بيتا في الأرض ؟ قال : اللهم لا ، قال : إن لي بيتا بمكة فأتته ، فقال آدم للسما : احفظي ولدي بالأمانة ، فأبت ؛ وقال للأرض ، فأبت ؛ فقال للجبال ، فأبت ؛ فقال لقبايل ، فقال : نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك ؛ فلما انطلق آدم وقربا قربانا ، وكان قبايل يفخر عليه فيقول : أنا أحق بها منك ، هي أختي ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصي والدي ؛ فلما قربا ، قرب هايل جندعة سمينة ، وقرب هايل حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبله عظيمة ، ففركها فأكلها ، فنزلت النار فأكلت قربان هايل ، وتركت قربان قبايل ، فغضب وقال : لأقتلك حتى لا تنكح أختي ، فقال هايل (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِن بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَمْتَلِكَنِي مَا أَنَا بِبِاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) . . . إلى قوله (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) فطلبه ليقتله ، فراغ الغلام منه في رعوس الجبال ، وأتاه يوما من الأيام ، وهو يرعى غنمه في جبل ، وهو نائم ، فرفع صخرة : فشدخ بها رأسه ، فمات ، وتركه بالعرعاء ، ولا يعلم كيف يدفن ، فبعث الله غرابين أخوين فاقتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له ، ثم حثا عليه ؛ فلما رآه قال : (يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي) ، فهو قول الله تبارك وتعالى (فَبَيَّمَتِ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ) فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه ، فذلك حين يقول (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) . . . إلى آخر الآية .

❦ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا : إنه عني بالأمانة في هذا الموضع : جميع معاني الأمانات في الدين ، وأمانات الناس ، وذلك أن الله لم يخص بقوله (عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) بعض معاني الأمانات لما وصفنا .

وبنحو قولنا قال أهل التأويل في معنى قول الله (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) يعني قبايل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا سفيان ، عن رجل ، عن الضحاك ، في قوله (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) قال آدم (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) قال : ظلوما لنفسه ، جهولا فيما احتمل فيما بينه وبين ربه .

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) غرر بأمر الله .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) قال : ظلوما لها ، يعنى للأمانة ، جهولا عن حقها .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : وحمل الإنسان الأمانة كئيبا يعذب الله المنافقين فيها الذين يظهرون أنهم يؤدون فرائض الله ، مؤمنين بها ، وهم مستترون الكفر بها ، والمنافقات والمشركين بالله في عبادتهم إياه الآلهة والأوثان ، (والمُشْرِكَاتِ ، وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) يرجع بهم إلى طاعته ، وأداء الأمانات التي ألزمهم إياها حتى يؤدوها (وكان الله غفوراً) لذنوب المؤمنين والمؤمنات ، بستره عليها ، وتركه عقابهم عليها (رحيماً) أن يعذبهم عليها بعد توبتهم منها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سوار بن عبد الله العتبري ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن أنه كان يقرأ هذه الآية (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) حتى ينتمى (لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ) فيقول : اللذان خلناها ، اللذان ظلماها : المنافق والمُشْرِكِ .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ) هذان اللذان خانها ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، هذان اللذان أدباها (وكان الله غفوراً رحيماً) .

آخر سورة الأحزاب ، والله الحمد والمنة

(٣٤) سُبْحَانَكَ يَا مَكِينُ
وَأَيُّهَا الْوَالِدُ الْعَزِيزُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى ذكره : الشكر الكامل ، والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السموات

السبع ، وما فى الأرضين السبع دون كل ما يعبدونه ، ودون كل شىء سواه ، لا مالك لشىء من ذلك غيره ، فالمنى الذى هو مالك جميعه (وَاَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ) يقول : وله الشكر الكامل فى الآخرة ، كالى هو له ذلك فى الدنيا العاجلة ، لأن منه النعم كلها على كل من فى السموات والأرض فى الدنيا ، ومنه يكون ذلك فى الآخرة ، فالحمد لله خالصا دون ما سواه فى عاجل الدنيا ، وآجل الآخرة ، لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه ، وهو الحكيم فى تدبيره خلقه وصرفه إياهم فى تقديره ، خبير بهم وبما يصلحهم ، وبما عملوا ، وما هم عاملون ، محيط بجميع ذلك .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) حكيم فى أمره ، خبير بخلقهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ

يقول تعالى ذكره : يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شىء من قولهم : وبلت فى كذا : إذا دخلت فيه ، كما قال الشاعر :

رَأَيْتُ الْقَوَافِي يَتَلَجَّنَ مَوَالِجًا تَضَائِقُ عَنْهَا أَنْ تَوَلَّجَهَا الْإِبْرًا

يعنى بقوله : « يتلجن موالجا » : يدخلن مداخل (وما يخرج منها) يقول : وما يخرج من الأرض (وما ينزل من السماء ، وما يعرج فيها) يعنى : وما يصعد فى السماء ، وذلك خبر من الله أنه العالم الذى لا يخفى عليه شىء فى السموات والأرض ، مما ظهر فيها وما بطن ، وهو الرحيم الغفور ، وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعدبهم بعد توبتهم ، الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْرَبُ

(١) البيت فى الشعر المنسوب إلى طرفة بن العبد البكرى ، وليس فى ديوانه الذى فيه أشعار الشعراء الستة (انظره فى العقد الثمين ، فى دواوين الشعراء الجاهليين لألورد الألمانى ، طبع غريفز ولد سنة ١٨٦٩) (وورد فى) اللسان : ولج (غير منسوب . كما ورد فى فرائد القلائد ، فى مختصر شرح الشواهد ، للعيني ٣٩١) قال : فإن القوافى . . الخ . قاله طرفة بن العبد . والقوافى جمع قافية ، وأراد به ههنا : القصيدة ، لاشتغال القافية عليها . والشاهد فى « يتلجن » أصله « يوتلجن » ؛ لأنه من ولج : إذا دخل . فأبدلت الواو تاء ، وأدغمت التاء فى التاء . والمواقع جمع مولى ، وهو موضع اللوج . والإبر : جمع إبرة : الحياطة . قلت : يريد طرفة أن قصائد المهجاء تبلغ من التأثير فى نفس المهجوع مواضع بعيدة ، لانزالها أسنة الإبر إذا طعن بها المهجوع . نبيه بصول الآخرة :
• والقول ينفذ مالا تنفذ الإبر •

عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره : ويستعجبك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فناهم بهيئتهم إلى كانوا بها من قبل فناهم من قومك بقيام الساعة ، استهزاء بوعدك إياهم ، وتكذيباً لحبرك ، قل لهم : بلى تأتاكم وربى ، قسما به لتأتينكم الساعة ، ثم عاد جلّ جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه ، وتمجيداً ، فقال (عالم الغيب) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة (عالم الغيب) على مثال فاعل ، بالرفع على الاستئناف ، إذ دخل بين قوله (وَرَبِّي) ، وبين قوله (عالم الغيب) كلام حائل بينه وبينه وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة ، عالم على مثال فاعل ، غير أنهم خفضوا عالم رداً منهم له على قوله (وَرَبِّي) إذ كان من صفته . وقرأ ذلك بقية عامة قراء الكوفة (عَلَامُ الْغَيْبِ) على مثال فعّال ، وبالخفض رداً لإعرابه على إعراب قوله (وَرَبِّي) إذ كان من نعتة .

والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن كل هذه القراءات الثلاث ، قراءات مشهورات في قراء الأمصار متقاربات المعاني ، فبأيتن قرأ القارئ فصيب ، غير أن أعجب القراءات في ذلك إلى أن أقرأ بها (عَلَامُ الْغَيْبِ) على القراءة التي ذكرتها عن عامة قراء أهل الكوفة ؛ فأما اختيار علام على عالم ، فلأنها أبلغ في المدح . وأما الخفض فيها فلأنها من نعت الرب ، وهو في موضع الجر ، وعنى بقوله (عَلَامُ الْغَيْبِ) علام ما يغيب عن أبصار الخلق ، فلا يراه أحد ، إما ما لم يكن مما سيكونه ، أو ما قد كونه فلم يطلع عليه أحدا غيره ، وإنما وصف جلّ ثناؤه في هذا الموضع نفسه بعلمه الغيب ، إعلاما منه خلقه أن الساعة لا يعلم وقت مجيئها أحد سواه ، وإن كانت جائية ، فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل للذين كفروا برهم : بلى وربكم لتأتينكم الساعة ، ولكنه لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب ، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة .

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ) لا يغيب عنه ، ولكنه ظاهر له .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس في قوله (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ)

عنه يقول : لا يغيب عنه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ) قال : لا يغيب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) : أي

لا يغيب عنه . وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) يعنى : زنة ذرّة في السموات ولا في الأرض ، يقول تعالى ذكره : لا يغيب عنه شئ من زنة ذرّة فما فوقها فما دونها ، أين كان في السموات ولا في الأرض (وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ) يقول : ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرّة (وَلَا أَكْبَرُ) منه (إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) يقول : هو مثبت في كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبتته وأحصاه وعلمه ، فلم يعزب عن علمه .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَّرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤١﴾

✽ يقول تعالى ذكره : أثبت ذلك في الكتاب المبين ، كى يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به ، وانتهوا عما نهاهم عنه على طاعتهم ربهم (أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول جل ثناؤه : لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، مغفرة من ربهم لذنوبهم (وَّرِزْقٌ كَرِيمٌ) يقول : وعيش هنيء يوم القيامة في الجنة .

كما حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) لذنوبهم (وَّرِزْقٌ كَرِيمٌ) في الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿٤٢﴾

✽ يقول تعالى ذكره : أثبت ذلك في الكتاب ، ليجزى المؤمنين ما وصف ، وليجزى الذين سعوا في آياتنا معاجزين : يقول : وكى يثيب الذين عملوا في إبطال أدلتنا وحججنا معاوين ، يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم (أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ) يقول : هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم ، ويعنى بالأليم : الموجه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ) : أى لا يعجزون (أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ) قال : الرجز : سوء العذاب ، الأليم : الموجه . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ) قال : جاهدين ليهبطوها أو يبطلوها ، قال : وهم المشركون ، وقرأ (لَا تَسْمَعُوا لَهُنَا الْقُرْآنَ وَالْغُرَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَغَلَّبُونَ) .

(١) (في اللسان : عجز) : معاجزين : أى يعاجزون الأنبياء وأولياء الله ، أى يقاتلونهم ويمانعونهم ، ليصيروهم إلى العجز من أمر الله . ويقال : فلان يعاجز عن الحق إلى الباطل ، أى يميل إليه ويلجأ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : أثبت ذلك في كتاب مبين ، ليجزى الذين آمنوا ، والذين سعوا في آياتنا ما قد بين لهم ، وليرى الذين أوتوا العلم ، فيرى في موضع نصب عطفاً به على قوله : يجزى ، في قوله (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا) وعنى بالذين أوتوا العلم : مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ، ونظرائه الذين قد قرءوا كتب الله التي أنزلت قبل الفرقان ، فقال تعالى ذكره : وليرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذي هو التوراة ، الكتاب الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق .

وقيل : عني بالذين أوتوا العلم : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ) قال : أصحاب محمد .

وقوله (وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) يقول : ويرشد من اتبعه ، وعمل بما فيه إلى سبيل الله العزيز في انتقامه من أعدائه ، الحميد عند خلقه ، فأياديه عندهم ، ونعمه لديهم . وإنما يعنى أن الكتاب الذي أنزل على محمد يهدي إلى الإسلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّنْكُمْ لَبِئْسَ لِي خَلْقٌ

جديد ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، متعجبين من وعده إياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض (هَلْ نَدُلُّكُمْ) أيها الناس (عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ) كبل ممزق إنكم لبي خلق جديد) يقول : يخبركم أنكم بعد تقطعكم في الأرض بلاءاً وبعد مصيركم في التراب رفاتاً ، عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقاً جديداً .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ) قال ذلك مشركو قريش والمشركون من الناس ، (يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ) : إذا أكلتكم الأرض ، وصرتم رفاتاً وعظاماً ، وقطعتكم السباع والطير (إِنَّكُمْ لَبِئْسَ لِي خَلْقٌ جَدِيدٌ) ستحيون وتبعثون .

(١) بلاء : بفتح الباء ، مدود : مصدر بلى ، بكسر اللام . تقول بلى الثوب بلى وبلاء (اللسان) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هَلْ نَدُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ) . . . إلى (خَلَقَ جَدِيدًا) قال : يقول : (إِذَا مُزِقْتُمْ) : وإذا بليتكم وكنتم عظاما وترابا ورفاتا ، ذلك (كُلُّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَمِنِّي خَلْقٌ جَدِيدٌ) قال : ينبئكم أنكم ، فكسر إن ولم يعمل ينبئكم فيها ، ولكن ابتداء بها ابتداء ، لأن النبا خبر وقول ، فالكسر في إن لمعنى الحكاية في قوله (يُنَبِّئُكُمْ) دون لفظه ، كأنه قيل : يقول لكم (إِنَّكُمْ لَمِنِّي خَلْقٌ جَدِيدٌ) .
القول في تأويل قوله تعالى :

أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين كفروا به ، وأنكروا البعث بعد الممات بعضهم لبعض ، معجبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم في وعده إياهم ذلك : أفترى هذا الذي يعدنا أنا بعد أن نمزق كل ممزق في خلق جديد على الله كذبا ، فتخلق عليه بذلك باطلا من القول ، وتخصر عليه قول الزور (أم به جنة) يقول : أم هو مجنون فيتكلم بما لا معنى له .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : قالوا تكذبا (أفترى على الله كذبا) قال : قالوا : إما أن يكون يكذب على الله ، أم به جنة ، وإما أن يكون مجنونا (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) . . . الآية .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، ثم قال بعضهم لبعض (أفترى على الله كذبا أم به جنة) الرجل مجنون فيتكلم بما لا يعقل ، فقال الله (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ ، وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) .

وقوله (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما قال هؤلاء المشركون في محمد صلى الله عليه وسلم ، وظنوا به من أنه أفترى على الله كذبا . أو أن به جنة ، لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين في عذاب الله في الآخرة ، وفي الذهاب البعيد عن طريق الحق ، وقصد السبيل ، فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال الله (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) وأمره أن يحلف لهم ليعتبروا ، وقرأ (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ) . . . الآية كلها ، وقرأ (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ) وقطعت الألف من قوله (أفترى على الله) في القطع والوصل ، ففتحت لأنها ألف استفهام . فأما الألف التي بعدها ، التي هي ألف أفعل ، فإنها ذهبت لأنها خفيفة زائدة تسقط في اتصال الكلام ، ونظيرها : (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ - وَبِئْسَ دَىٰ أَسْتَكْبَرَتْ - وَ- أَصْطَفَى النَّبَاتِ) وما أشبه ذلك .

وأما ألف (آلآنَ ، وآلذَكَرَيْنِ) فطوّلت هذه ، ولم تطوّل تلك ، لأن آلآنَ وآلذَكَرَيْنِ كانت مفتوحة فلو أسقطت لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق ، فجعل التطويل فيها فرقا بين الاستفهام والخبر ، وألف الاستفهام مفتوحة ، فكانتا مفرقتين بذلك ، فأغنى ذلك دلالة على الفرق من التطويل .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأًا نَحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ
أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره : أفلم ينظر هؤلاء المكذّبون بالمعاد ، الجاحدون بالبعث بعد الممات ، القائلون لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم (أفترى على الله كذبا ، أم به جنة) إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ، فاعلموا أنهم حيث كانوا ، فإن أرضي وسمائي محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمنهم ، وعن شمائلهم ، فيرتدعوا عن جهلهم ، ويترجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذرا أن نأمر الأرض فتخسف بهم ، أو السماء فتسقط عليهم قطعا ، فأننا إن نشأ فعل ذلك بهم فعلنا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم) قال : ينظرون عن أيمنهم ، وعن شمائلهم ، كيف السماء قد أحاطت بهم (إن نشأ نخسف بهم الأرض) كما خسفنا بمن كان قبلهم (أو نسقط عليهم كسفا من السماء) : أي قيطعا من السماء .

وقوله (إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) يقول تعالى ذكره : إن في إحاطة السماء والأرض بعباد الله لآية : يقول : لدلالة لكل عبد منيب : يقول : لكل عبد أناب إلى ربه بالتوبة ، ورجع إلى معرفة توحيده ، والإقرار بربوبيته ، والاعتراف بوحدانيته ، والإذعان لطاعته ، على أن فاعل ذلك لا يمنع عليه فعل شيء ، أراد فعله ، ولا يتعدّر عليه فعل شيء شاءه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) والمنيب .
المقبل النائب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يٰ جِبَالُ أُوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّالَهُ أَحْمَدِيدٌ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلْ سَابِغَاتٍ
وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾

﴿١٠﴾ يقول تعالى ذكره : ولقد أعطينا داود منا فضلا ، وقلنا للجبال (أُوِّبِي مَعَهُ) : سبحي معه إذا سبح .
والتأويب عند العرب : الرجوع ، ومبيت الرجل في منزله وأهله ؛ ومنه قول الشاعر :

يَوْمَانِ يَوْمٌ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَّةٌ وَيَوْمٌ سَسِيرٌ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيبًا !

أى رجوع . وقد كان بعضهم يقرؤه (أُوِّبِي مَعَهُ) من آب يثوب ، بمعنى : تصرفي معه ، وتلك قراءة
لأستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجية .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة . وحدثنا محمد بن
سنان القزاز ، قال : ثنا الحسن بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جببر ،
عن ابن عباس (أُوِّبِي مَعَهُ) قال : سَبَّحِي معه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (يٰ جِبَالُ أُوِّبِي مَعَهُ) يقول : سَبَّحِي معه .

حدثنا أبو عبد الرحمن العلاءي ، قال : ثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن أبي عبد الرحمن (يٰ جِبَالُ
أُوِّبِي مَعَهُ) يقول : سَبَّحِي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة (يٰ جِبَالُ أُوِّبِي
مَعَهُ) قال : سَبَّحِي بلسان الحبشة .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (يٰ جِبَالُ
أُوِّبِي مَعَهُ) قال : سبحي معه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يٰ جِبَالُ أُوِّبِي مَعَهُ) قال : سَبَّحِي .

(١) البيت لسلامة بن جندل . قاله أبو عبيدة في (مجاز القرآن ، مصورة الجامعة رقم ٢٦٠٥٩ ص ١٩٧ ب) وانظره في المفضليات
طبع القاهرة سنة ١٩٢٦ والتأويب أن يبيت في أهله . قال سلامة بن جندل : « يومان . . . البيت » . واستشهد به في (اللسان : أوب)
ونسبه لسلامة وقال : التأويب أن يسير النهار أجمع ، وينزل الليل . وقيل : هو تباري الركاب في السير . قال سلامة . . . البيت . ثم
قال التأويب في كلام العرب : سير النهار كله إلى الليل ، يقال : أوب القوم تأويبا ، أى ساروا بالنيار . و(في اللسان : أوب) : والتأويت :
الرجوع . وقوله عز وجل : (يٰ جِبَالُ أُوِّبِي مَعَهُ) ويقرأ : « أوب معه » أى بضم الهمزة . فنقرأ أوبى معه (بفتح الهمزة ، وشد الواو
المكسورة) فعناه : يٰ جِبَالُ سبحي معه ، ورجعي التسيبح لأنه قال : سخرنا الجبال معه يسبحن . ومن قرأ « أوبى معه » أى بضم الهمزة ،
فعناه : عودي معه و التسيبح كلما عاد فيه . اه .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ) : أى سبى معه

إذا سبى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ)

قال : سبى معه ، قال : والطيْرُ أيضا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ،

فى قوله (يا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ) قال : سبى .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيْر ، عن الضحاك ، قوله

(يا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ) سبى معه .

وقوله (وَالطَّيْرَ) وفى نصب الطير وجهان : أحدهما على ما قاله ابن زيد من أن الطير نُوديت كما

نُوديت الجبال ، فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على مرفوع ، بما لا يحسن إعادة رافعه عليه ، فيكون

كالمصدر ا عن جهته . والآخر : فعل ضمير متروك استغنى بدلالة الكلام عليه ، فيكون معنى الكلام :

فقلنا : يا جبال أوبى معه ، وسخرنا له الطير ، وإن رفع رداً على ما فى قوله : سبى من ذكر الجبال كان

جائزاً ، وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال ، وإن لم يحسن نداؤها بالذى نُوديت به الجبال ،

فيكون ذلك كما قال الشاعر :

ألا يا عمرو والضحاك سيرا فقد جاوزتما تخمر الطريق^٢

وقوله (وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ) ذكر أن الحديد كان فى يده كالطين المبلول يصرفه فى يده كيف يشاء

بغير إفعال نار ، ولا ضرب بحديد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ) سخر الله له الحديد

بغير نار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، فى قوله (وَأَلْنَا لَهُ

الْحَدِيدَ) كان يسويها بيده ، ولا يدخلها نارا ، ولا يضربها بحديدة .

وقوله (أَنْ اِعْمَلْ سَابِغَاتٍ) يقول : وعهدنا إليه أن يعمل سابغات ، وهى التوامم الكوامل من

الدروع .

(١) لعله كالمصروف عن جهته .

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٦١) قال فى قوله تعالى « يا جبال أوبى معه والطيْر » : منصوبة على جهتين :

إحدهما أن تنصبها بالفعل ، بقوله : « ولقد آتينا داود منا فضلا » وسخرنا له الطير ، فيكون مثل قواك : أطعمته طعاما وما تريد ،

وسقيته ماء . فيجوز ذلك . والوجه الآخر النداء ، لأنك إذا قلت : يا عمرو والصلت أقبلا ، نصبت الصلت بدعائهما ، فإذا فقدت

كان كالمندول عن جهته ، فنصب . وقد يجوز رفعه ، على أن يتبع ما قبله . ويجوز رفعه على أوبى أنت والطيْر . وأنشدنى بعض العرب

النداء إذا نصب ، لفقده يأياها : « ألا يا عمرو والضحاك » والخسر بالتحريك : ما سترك من الشبر وغيرها ، فيجوز نصب الضحاك

ورفعه . وقال الآخر : يا طلحة الكامل وابن الكامل . اهـ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ) دروع ، وكان أول من صنعها داود ، إنما كان قبل ذلك صفائح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ) قال : السابغات : دروع الحديد .

وقوله (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) اختلف أهل التأويل في السرد ، فقال بعضهم : السرد : هو مسارحلق الدرع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) قال : كان يجعلها بغير نار ، ولا يقرعها بحديد ، ثم يسردها . والسرد : المسامير التي في الحلق .

وقال آخرون : هو الحلق بعينها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) قال : السرد : حلقه ، أي قدر تلك الحلق . قال : وقال الشاعر :

أَجَادَ الْمُسَدِّي سَرْدَهَا وَأَذَاهَا

قال : يقول : وسعها ، وأجاد حلقها .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

(وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) يعني بالسرد : ثقب الدروع فيسد قتيها . وقال بعض أهل العلم بكلام العرب : يقال درع مسرودة : إذا كانت مسمورة الحلق ؛ واستشهد لقيه ذلك بقول الشاعر :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تَبَعٌ

وقيل : إنما قال الله لداود (وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ) لأنها كانت قبل صفائح .

(١) البيت لكثير عزة ابن عبد الرحمن الخزاعي (اللسان ذيل) وصدده : « على ابن أبي العاص دلاص حصينة » قال : وذيل فلان

ثوبه تذيلا : إذا طوله . وملاء مذيل : طويل الذيل . ويقال : أذال فلان ثوبه إذا أطال ديله ؛ قال كثير : « على ابن أبي العاصي . . . وأذالها » . اد . وسردها : سمرها بالمسامير ، كما يأتي في الشاهد بعده . والمسدي : من التسديد وهي أن يجعل الدرع مضاعفة ، لها سدى ولحمة ، على التشبيه بالثوب الذي له سدى ولحمة . أو السدى : أسفل الثوب والدرع ، والتسديد منه توسيع أسفلهما حتى لا يعوق لابس في السير إذا كان ضيقا ، وهذا الشاهد في معنى الشاهد الذي بعده .

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في (معاني القرآن ١١٩٨) من مصورة الجامعة على أنه يقال درع مسرودة : أي مسمورة الحلق .

وقال الفراء في (معاني القرآن ، الورقة ٢٦١) : وقوله عز وجل : « أن اعْمَلْ سَابِغَاتٍ » : الدروع « وقدر في السرد » يقول : لا تجعل مسارح الدرع دقيقا ، فيقلق ، ولا غليظا ، فيفصم الحلق . وفي (اللسان : قضى) : والقضاء : بمعنى العمل ، ويكون بمعنى الصنع والتقدير قال أبو ذؤيب : « وعليهما مسرودتان . . . البيت » . قال ابن السيراني : قضاها فرغ من عملها أو قلت : ومعنى البيت أنها جاءا وعليهما درعان سابغتان أي طويلتان محكمتا الصنع ، كأنهما من صنع داود عليه السلام ، أو من صنع تبع ملك اليمن العظيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا خالد بن قيس ، عن قتادة (وَقَدَّرُ فِي السَّرْدِ) قال : كانت صفائح ، فأمر أن يسردها حلقا . وعنى بقوله (وَقَدَّرُ فِي السَّرْدِ) : وقدر المسامير في حلق الدروع حتى يكون بمقدار لاتغلظ المسامير ، وتضيق الحلقة ، فتفصم الحلقة ، ولا توسع الحلقة ، وتصغر المسامير وتدقها ، فتلسس في الحلقة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَقَدَّرُ فِي السَّرْدِ) قال : قدر المسامير والحلق ، لاتدق المسامير فتلسس ، ولا تجلها ، قال محمد بن عمرو ، وقال الحارث : فتفصم .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا حمجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (وَقَدَّرُ فِي السَّرْدِ) قال : لاتصغر المسامير ، وتعظم الحلقة فتلسس ، ولا تعظم المسامير وتصغر الحلقة فيفصم المسامير .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عيينة ، قال : ثنا أبي ، عن الحكم ، في قوله (وَقَدَّرُ فِي السَّرْدِ) قال : لاتغلظ المسامير فيفصم الحلقة ، ولا تدقه فيقلق .

وقوله (وَاَعْمَلُوا صَالِحًا) يقول تعالى ذكره : واعمل ياداود أنت وآلك بطاعة الله (إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول جل ثناؤه : إني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر لا يخفى عليّ منه شيء ، وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ
بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٧﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ) فقرأته عامة قراء الأمصار (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ) بنصب الريح ، بمعنى : ولقد آتينا داود منا فضلا ، وسخرنا لسليمان الريح . وقرأ ذلك عاصم (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ) رفعا بحرف الصفة ، إذ لم يظهر الناصب .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا النصب لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله (غُدُوُّهَا شَهْرٌ) يقول تعالى ذكره : وسخرنا لسليمان الريح ، غدوها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر ، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكَلِمَاتُ الْمَنَّانِ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ) قال : تغدو مسيرة شهر ، وتروح مسيرة شهر ، قال : مسيرة شهرين في يوم .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : (وَكَلِمَاتُ الْمَنَّانِ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ ، وَرَوَّاحُها شَهْرٌ) قال : ذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان ، إما من الجن ، وإما من الإنس : نحن نزلناه وما بنيناها ، ومبنيها وجدناها ، غدونا من إصطخر فقلناها ، ونحن رائحون منه إن شاء الله فبائتون بالشام .
 حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكَلِمَاتُ الْمَنَّانِ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ) قال : كان له مركب من خشب ، وكان فيه ألف ركن ، في كل ركن ألف بيت تركب فيه الجن والإنس ، تحت كل ركن ألف شيطان ، يرفعون ذلك المركب هم والعصار ؛ فإذا ارتفع أتت الريح رخاء ، فسارت به ، وساروا معه ، يقبل عند قوم بينه وبينهم شهر ، ويمسى عند قوم بينه وبينهم شهر ، ولا يدري القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش والجنود .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، في قوله (غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ) قال : كان يغدو فيقيل في إصطخر ، ثم يروح منها ، فيكون رواحها بكابل .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن بمثله .
 وقوله (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) يقول : وأذبنا له عين النحاس ، وأجريناها له .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) عين النحاس كانت بأرض اليمن ، وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمان .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) قال : الصفر سال كما يسيل الماء ، يعمل به كما كان يعمل العجين في اللين .
 حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) يقول : النحاس .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) يعني : عين النحاس أسيلت .
 وقوله (وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ) يقول تعالى ذكره : ومن الجن من يطيعه ، ويأتمر بأمره ، وينتهي لنيه ، فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له بإذن ربه ، يقول : بأمر الله بذلك ، وتسخيره إياه له (وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنَّا) يقول : ومن يزول ويعدل من الجن عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمان (نَذِقُهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ) في الآخرة ، وذلك عذاب نار جهنم الموقدة .

(١) في (اللسان : مصر) ، الإعصار والعصار (ككتاب) أن تهيج الريح فترفعه . والعصار : الغبار الشديد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ يَنْزِعْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا)
أى يعدل منهم عن أمرنا عما أمره به سليمان (نُدِقَهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) .

القول في تأويل قوله تعالى

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَل دَاوُدَ شُكْرًا
وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾

يعمل بمعنى تعالى ذكره : يعمل الجن لسليمان ما يشاء من محارِب ، وهى جمع محراب ، والمحراب : مقدم كل
مسجد وبيت ومصلى ؛ ومنه قول عدى بن زيد :

كَدُمَى الْعَاجِ فِي الْمَحَارِبِ أَوْ كَالسَّبِيضِ فِي الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنْبِرٌ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ) قال : بنيان دون
القصور .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ)
وقصور ومساجد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ
مَحَارِبٍ) قال : المحارِب : المساكن . وقرأ قول الله (فَتَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ) .
حدثني عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيْر ، عن الضحاك :
(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ) قال : المحارِب : المساجد .

وقوله (وَتَمَثِيلٍ) يعنى أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج .
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَتَمَثِيلٍ) قال : من نحاس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَمَثِيلٍ) قال : من زجاج وشبهه .
حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان ، عن جُوَيْر ، عن الضحاك في قول الله (وَتَمَثِيلٍ)
قال : الصور .

(١) البيت لعدى بن زيد العبدي كما قال المؤلف ، وكما في شعراء النصرانية القسم الرابع ٤٥٥ وقد استشهد به المؤلف في (٣) :

(٢٤٦) من هذا التفسير ، حل أن المحارِب جمع محراب ، وهو مقدم موضع العبادة . فزاجعه ثمة .

قوله (وَجِفَانِ كَالْحَوَابِ) يقول : وينحتون له ما يشاء من جفان كالجواب ، وهى جمع جابية والجابية : الحوض الذى يُجْبَى فيه الماء ، كما قال الأعشى ميمون بن قيس :
 تَرُوحُ عَلَى نَادِيِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةً كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ^١
 وكما قال الآخر :

فَصَبَّحْتُ جَابِيَةَ صُهَارِجَا كَأَنَّهَا جِلْدُ السَّمَاءِ خَارِجَا^٢
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَجِفَانِ كَالْحَوَابِ) يقول : كالجوبة من الأرض .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَجِفَانِ كَالْحَوَابِ) يعنى : بالجواب : الحياض .
 وحدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَجِفَانِ كَالْحَوَابِ) قال : كالحياض .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَجِفَانِ كَالْحَوَابِ) قال : حياض الإبل .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجِفَانِ كَالْحَوَابِ) قال : جفان كجوبة الأرض من العظم ، والجوبة من الأرض : يستنقع فيها الماء .

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ٢٢٥) وروايته :

نَفَى الدَّمَّ عَن آلِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةً كَجَابِيَةِ السَّيْحِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

وهى رواية مشهورة كالرواية التى أوردتها المؤلف . يصف المحلق بالكرم وأن جفنته تروح على نادية مفعمة لحما وشحما ، وهى من كبير الجفان ، مثل جابية الماء التى يجمع فيها الشيخ العراقى أيام يفيض النهر ، لينفق منه فى أيام قلة الماء ، فهى جابية كبيرة . وأما من رواه السيح ، بالسين والحاء المهملتين ، فهو ما يفيض من الماء ويسيح عن الزيادة بالنهر وقد ذكر فى المبرد «الكتاب الكامل» هاتين الروايتين (انظر طبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ١ : ٧) قال : فى تخريج رواية الشيخ : كذا ينشده أهل البصرة . وتأويله عندهم أن العراقى إذا تمكن من الماء ، ملأ جابيته ، لأنه حضرى ، فلا يعرف مواقع الماء ولا محاله . قال أبو العباس : وسمعت أعرابية تنشد :
 (وهى أم الهيم الكلابية من ولد المحلق ، وهى رواية أهل الكوفة) : «كجابية السيح» ، تريد : النهر الذى يجرى على جابيته ، فاؤها لا ينقطع ، لأن النهر يمدده . ٥ . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن : (الورقة : ١٩٨) «وجفان كالجواب» : واحدها : جابية وهو الحوض الذى يجبى فيه الماء . وقال الفراء فى معانى القرآن الورقة ٢٦١ : «وجفان» : وهى القصاص الكبار . «كالجواب» : الحياض التى للإبل . وفى (اللسان : جيبى) : وإجابية الحوض الذى يجبى فيه الماء للإبل . والجابية : الحوض الضخم وأورد البيت كرواية المؤلف ، ثم قال : خص العراقى ، بلهله بالمياه ، لأنه حضرى ، فإن وجدها ملأ جابية وأعددها ، ولم يدر متى يجد المياه .

(٢) هذان بيتان من مشطور الرجز . روى أولهما صاحب (اللسان : صهرج) عن الإزهرى . قال : وحوض صهارج : مطلى بالصاروج : (النورة) والصهارج بالضم مثل الصهريج . وأنشد الأزهرى «فصبحت جابية صهارجا وقد صهريجوا صهريججا . وفاعل صبحت ضمير يعود على ما قبله ، ولعله ذكر الإبل . والرجز غير منسوب . وقوله «كأنها جلد» . . . البيت : يشبه لون الجابية أو مامها بلون السماء فى الزرقة . وهذا البيت كالذى قبله شاهد على أن معنى الجابية الحوض الكبير الذى يجمع فيه الماء ، وهو الصهارج والصهريج أيضا . شبه جنة المحلق بالحوض الكبير ، بكرمه .

حَدَّثت عن الحسين بن الفرَج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَجِفَانٍ كَالجَوَابِ) كالحياض .
 حدثنا عمرو ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال ثنا جويبر ، عن الضحاک : (وَجِفَانٍ كَالجَوَابِ)
 قال : كحياض الإبل من العظم .
 وقوله (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) يقول : وقدور ثابتات لا يحرکن عن أماكن ، ولا تحوّل لعظمن .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) قال : عظام .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) قال : عظام ثابتات الأرض لا يزلن عن أماكن .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) قال : مثال الجبال من عظيمها ، يعمل فيها الطعام من الكبر والعظم ، لا تحرك ، ولا تنقل ، كما قال للجبال : راسيات .

وقوله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) يقول تعالى ذكره : وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التي عممكم بها مع سائر خلقه ، وتترك ذكر : وقلنا لهم ، اكتفاء بدلالة الكلام على ما ترك منه ، وأخرج قوله (شُكْرًا) مصدرا من قوله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ) لأن معنى قوله (اعْمَلُوا) اشكروا ربكم بطاعتكم إياه ، وأن العمل بالذي رضى الله ، لله شكر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عباد ، عن محمد بن كعب ، قوله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) قال : الشكر : تقوى الله ، والعمل بطاعته .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أخبرني حيوة ، عن زهرة بن معبد ، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) وأفضل الشكر : الحمد .
 قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) قال : أعطاكم وعلمكم وسخر لكم مالم يسخر لغيركم ، وعلمكم منطق الطير ، اشكروا له يا آل داود ، قال : الحمد طرف من الشكر .
 وقوله (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) يقول تعالى ذكره : وقليل من عبادي المخلصو توحيدى ، والمفردو طاعتى وشكرى على نعمتى عليهم .

(١) الجبل : يسكون للباء وضمها : مذروب إلى بنى الحبلى ، بطن من الأنصار ، ثقة ، توفي سنة مئة (عن التاج) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ) يقول : قليل من عبادي الموحّدون توحيدهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات (ما دلّهم على موته) يقول : لم يدلّ الجنّ على موت سليمان (إلاّ دابة الأرض) وهي الأَرْضَة وقعت في عصاه ، التي كان متكئا عليها فأكلتها ، فذلك قول الله عزّ وجلّ (تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن المنثي وعليّ ، قالا : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) يقول : الأَرْضَة تأكل عصاه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن ابيه ، عن ابن عباس ، قوله (تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) قال : عصاه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنى عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ) قال : الأَرْضَة (تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) قال : عصاه .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) قال : عصاه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عثمة ، قال ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، في قوله (تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) أكلت عصاه حتى خرت .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ : المنسأة : العصا بلسان الحبشة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المنسأة : العصا .

واختلفت القراء في قراءة قوله (مِنسَأَتَهُ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة : (مِنسَأَتَهُ) غير مهموزة ؛ وزعم من اعتلّ لقارئ ذلك كذلك من أهل البصرة أن المنسأة : العصا ، وأن أصلها من نسأت بها الغنم ، قال : وهي من الهمز الذي تركته العرب ، كما تركوا همز النبيّ والبرية والحايية وأنشد لترك الهمز في ذلك بيتا لبعض الشعراء :

إِذَا دَبَبْتَ عَلَى الْمِنْسَاءِ مِنْ هَرَمٍ فَقَدْتُ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهُوُ وَالْغَزَلُ^١

وذكر الفراء عن أبي جعفر الرواسي ، أنه سأل عنها أبا عمرو ، فقال (منسأته) بغير همز .
وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة (منسأته) بالهمز ، وكأنهم وجهوا ذلك إلى أنها مفعلة ، من نسأت
البعير : إذا زجرته ليزداد سيره ، كما يقال : نسأت اللبن : إذا صببت عليه الماء ، وهو النسأ . وكما يقال :
نسأ الله في أجلك أي أدام ٣ الله في أيام حياتك .

قال أبو جعفر : وهما قراءتان قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القرآء بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ
فصيب ، وإن كنت أختار الهمز فيها لأنه الأصل .

وقوله (فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ) يقول عز وجل : فلما خر سليمان ساقطاً بانكسار منسأته تبينت
الجن (أن لو كانوا يعلمون الغيب) الذي يدعون علمه (ما لبثوا في العذاب المهين) المذل حولاً
كاملاً بعد موت سليمان ، وهم يحسبون أن سليمان حي .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة ، قال : ثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عطاء
ابن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كان سليمان
نبي الله إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول لها ما اسمك ؟ فتقول كذا ،
فيقول لأي شيء أنت ؟ فإن كانت تغرس غرست ، وإن كانت لدواء كتبت ، فبينا
هو يصلي ذات يوم ، إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها ما اسمك ؟ قالت : الخروب ،
قال : لأي شيء أنت ؟ قالت لخراب هذا البيت ، فقال سليمان : اللهم عم على الجن
موتى حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، فنحتها عصاً فتوكتاً عليها حولاً
ميتاً ، والجن تعمل ، فأكلتها الأرضة ، فسقطت ، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين) قال : وكان ابن عباس يقرأها كذلك ، قال :
فشكرت الجن للأرضة ، فكانت تأتيها بالماء .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ، الورقة ١٩٨ - ب) والرواية فيه « حبيت » في موضع « دببت » . وفي هامشه
بخط النسخ : « رواية : دببت » . قال أبو عبيدة : « تأكل منسأته » : وهي العصا . وأصلها : من نسأت بها النعم . وهو من
المهموز الذي تركت العرب الهمزة من أسماءها ، وهمزون الفعل منها ، كما تركوا همزة النبي والبرية والحابية ، وهو من أنبات ، ومن
برأت ، وخبأت : قال : « إذا حبيت على المنسأة . . . البيت » وبعضهم يهزها فيقول : منسأة . هـ . والبيت في (اللسان : نسأ) .
« وروايته » إذا دببت . . . البيت . وقال قبل ذلك : والمنسأة : العصا ؛ يهمز ، ولا يهمز . ينسأ بها . وأبدلوا إبدالا كلياً ، فقالوا
منسأة . وأصلها الهمز ، ولكنها بدل لازم حكاة سيويوه . وقد قرئ بهما جميعاً . قال الفراء في قوله عز وجل : « تأكل منسأته » : هي
العصا العظيمة ، التي تكون مع الراعي ، أخذت من نسأت البعير : إذا زجرته ليزداد سيره كما قال : نسأت اللبن : إذا صببت عليه
الماء ، وهو النسأ .

(٢) كذا في (معاني القرآن للفراء الورقة ٢٦١) وفي الأصل : صدرت بتحريف . (٣) لعله : أطلال .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان سليمان يتجرد^١ في بيت المقدس السنة والسنين ، والشهر والشهرين ، وأقل من ذلك وأكثر ، يدخل طعامه^٢ وشرابه ، فدخله في المرة التي مات فيها ، وذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه ، إلا تنبت فيه شجرة ، فيسألها ما اسمك ، فتقول : الشجرة اسمي كذا وكذا ، فيقول لها : لأي شيء نبت ، فتقول : نبت لكذا وكذا ، فيأمر بها فتقطع ، فإن كانت نبت لغرس غرسها ، وإن كانت نبت لدواء ، قالت : نبت دواء لكذا وكذا ، فيجعلها كذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الحرّوبة ، فسألها : ما اسمك ؟ فقالت له : أنا الحرّوبة ، فقال : لأي شيء نبت ، قالت : لخراب هذا المسجد ؛ قال سليمان : ما كان الله ليخربه وأنا حي ، أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ، فنزعها وغرسها في حائط له ، ثم دخل المحراب ، فقام يصلي متكئا على عصاه ، فمات ولا تعلم به الشياطين في ذلك ، وهم يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم ، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب ، وكان المحراب له كؤوي بين يديه وخلفه ، وكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : أأست جلدًا إن دخلت ، فخرجت من الجانب الآخر ؛ فدخل شيطان من أولئك فمر ، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق ، فمر ولم يسمع صوت سليمان عليه السلام ، ثم رجع فلم يسمع ، ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق ، ونظر إلى سليمان قد سقط فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته ، وهي العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا ، فأكلت منها يوما وليلة ، ثم حسبوا على ذلك النحو ، فوجدوه قد مات منذ سنة . وهي في قراءة ابن مسعود : فكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ، ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ، وذلك قول الله (ما دلتهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) ، فلما خربت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) يقول : تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ، ثم إن الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت تأكلين الطعام أتينك بأطيب الطعام ، ولو كنت تشرين الشراب سقينك أطيب الشراب ، ولكننا سننقل إليك الماء والطين ، فالذي يكون في جوف الحشب ، فهو ماتأتها به الشياطين شكرا لها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانت الجن تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء ، وأنهم يعلمون ما في غد ، فابتلوا بموت سليمان ، فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته ، وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين (فلما خربت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) ولقد لبثوا يدأبون ، ويعملون له حولا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ما دلتهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) قال : قال سليمان لملك الموت : يا ملك الموت ، إذا أمرت بي

(١) في العرائس للثعلبي (طبعة الخلبى ٣٢٦) قال ابن عباس وغيره : كان سليمان يحتجب في بيت المقدس . . . الخ .

(٢) في العرائس : يدخل فيه بطعامه . . . الخ .

فأعلمني ؛ قال : فأتاه فقال : يا سليمان ، قد أمرت بك ، قد بقيت لك سُوَيْعَة ، فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ، ليس له باب ، فقام يصلي ، واتكأ على عصاه ؛ قال : فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ، ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت ، قال : والجنّ تعمل بين يديه ، وينظرون إليه ، يحسبون أنه حيّ ، قال : فبعث الله دابة الأرض ، قال : دابة تأكل العيّدان يقال لها القادح ، فدخلت فيها فأكلتها ، حتى إذا أكلت جوف العصا ، ضعفت وثقل عليها ، فخرّ ميتاً ، قال : فلما رأت الجنّ ذلك ، انفضوا وذهبوا ، قال : فذلك قوله (مَا دَلَّهْمُ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) قال : والمنسأة : العصا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، قال : كان سليمان بن داود يصلي ، فمات وهو قائم يصلي والجنّ يعملون لا يعلمون بموته ، حتى أكلت الأرضة عصاه ، فخرّ ، وأن في قوله (أَنْ لَوْ كَانُوا) في موضع رفع بتبيين ، لأن معنى الكلام : فلما خرّ تبين وانكشف ، أن لو كان الجنّ يعلمون الغيب ، ما لبثوا في العذاب المهين .

وأما على التأويل الذي تأوله ابن عباس من أن معناه : تبينت الإنس الجنّ ، فإنه ينبغي أن يكون في موضع نصب بتكريرها على الجنّ ، وكذلك يجب على هذه القراءة أن تكون الجنّ منصوبة ، غير أني لأعلم أحداً من قراء الأمصار يقرأ ذلك بنصب الجنّ ، ولو نصب كان في قوله (تَبَيَّنَتْ) ضمير من ذكر الإنس .
القول في تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ بَلَدَةً

طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : لقد كان لسبأ في مسكنهم علامة بينة ، وحجة واضحة ، على أنه لارب لهم إلا الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها .
وسبأ عن رسول الله اسم أبي اليمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي حيان الكلبي ، عن يحيى بن هاني ، عن عروة المرادي ، عن رجل منهم يقال له : فروة بن مسيك ، قال : « قلت : يا رسول الله أخبرني عن سبأ ما كان ؟ رجلاً كان أو امرأة ، أو جبلاً ، أو دواب ؟ فقال : لا ، كان رجلاً من العرب وله عشرة أولاد ، فتيمّن منهم ستة ، وتشاءم أربعة ، فأما الذين تيمّنوا ، منهم فكندة ، وحمير ، والأزد ، والأشعريون ، ومدحج ، وأنمار الذين منها خثعم وبجيلة . وأما الذين تشاءموا : فعاملية ، وجدام ، وتلحم ، وغسان .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا الحسن بن الحكم ، قال : ثنا أبو سبرة النخعي ،

عن فروة بن مسيكة القُطَيْعِيّ، قال: «قال رجل: يا رسول الله أخبرني عن سبب ما هو؟ أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنّه رجلٌ ولدَ عشرةً من الولد، فتيامن سته، وتشاءم أربعة، فأما الذين تشاءموا: فلكخم، وجدام، وعاملدة، وغسان؛ وأما الذين تيامنوا: فكندة، والأشعريون، والأزد، ومدحج، وحمير، وأتمار؛ فقال رجل: ما أتمار؟ قال: الذين منهم خشم وبجيلة».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا العنقزي، قال: أخبرني أسباط بن نصر، عن يحيى بن هاني المرادي، عن أبيه، أو عن عمه «أسباط شك» قال: قدم فروة بن مسيكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أخبرني عن سبب، أجبلا كان أو أرضاً؟ فقال: لم يكن جبلاً ولا أرضاً، ولكنّه كان رجلاً من العرب ولدَ عشرةً قبائل، ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: وأتمار الذين يقولون منهم بجيلة وخشم، فإن كان الأمر كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أن سبباً رجل، كان الإجراء فيه وغير الإجراء معتدلين. أما الإجراء فعلى أنه اسم رجل معروف، وأما ترك الإجراء فعلى أنه اسم قبيلة أو أرض. وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء.

واختلفت القراء في قراءة قوله (في مساكينهم) فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (في مساكينهم) على الجماع بمعنى منازل آل سبأ. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (في مساكينهم) على التوحيد وبكسر الكاف، وهي لغة لأهل اليمن فيما ذكر لي. وقرأ حمزة (مساكينهم) على التوحيد وفتح الكاف. والصواب من القول في ذلك عندنا: أن كل ذلك قراءات متقاربات المعنى، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب. وقوله (آية) قد بينا معناها قبل. وأما قوله (جنتان عن يمين وشمال) فإنه يعني: بستانان كانا بين جبلين، عن يمين من أتاها وشماله.

وكان من صفتها فيما ذكر لنا ما حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، قال: سمعت قتادة، في قوله (لقد كان لسبب في مساكينهم آية)، جنتان عن يمين وشمال) قال: كانت جنتان بين جبلين، فكانت المرأة تخرج ميسكها على رأسها، فتمشي بين جبلين، فيمتلي ميسكها، وما مست بيدها، فلما طغوا بعث الله عليهم دابة، يقال لها «جرذ»، فنقبت عليهم، فغرقهم، فما بق لهم إلا أتئل، وشيء من سدر قليل.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (لقد كان لسبب في مساكينهم آية، جنتان عن يمين وشمال). . . إلى قوله (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سبيل العريم) قال: ولم يكن يرى في قريتهم بعوضة قط، ولا ذباب، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، وإن كان الركب ليأتون وفي ثيابهم القمل والدواب، فاهم إلا أن ينظروا إلى بيوتهم، فتموت الدواب، قال: وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين، فيمسك القفّة على رأسه، فيخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك القفّة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئاً بيده؛ قال: والسد يسقيها. ورفعت الجنتان في قوله (جنتان عن يمين

وشمال (ترجمه عن الآية ، لأن معنى الكلام : لقد كان لسبأ في مسكنهم آية هي جنتان عن أيمنهم وشمالهم .
 وقوله (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ) الذي يرزقكم من هاتين الجنتين من زروعهما وأثمارهما ،
 (وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ) على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك ، وإلى هذا منتهى الخبر ، ثم ابتداء الخبر عن البلدة ،
 فقيل : هذه بلدة طيبة : أي ليست بسبخة ، ولكنها كما ذكرنا من صفتها عن عبد الرحمن بن زيد أن كانت
 كما وصفها به ابن زيد ، من أنه لم يكن فيها شيء مؤذ ، الهمج والديب والهوام (وَرَبِّ غَفُورٌ) يقول :
 ورب غفور لذنوبكم إن أنتم أطعتموه .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ)
 وربكم غفور لذنوبكم ، قوم أعطاهم الله نعمة ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته .
 القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ
 مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدت عن اتباع ما دعتهما إليه رسلها من أنه خالقها .
 كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن وهب بن منبه اليماني ، قال :
 لقد بعث الله إلى سبأ ، ثلاثة عشر نبيا ، فكذبوهم (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) يقول تعالى ذكره :
 فنقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا سبأ الذي كان يحبس عنهم السيول .
 والعرم المسناة التي تحبس الماء ، واحدها : عرمة ، وإياه عن الأعشى بقوله :
 فَبِي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِي أُسْوَةٌ وَمَأْرِبُ عَفَى عَلَيْهِ الْعَرِمُ
 رِجَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حَمِيرٌ إِذَا جَاءَ مَاؤُهُمْ كَمْ يَرْمُ

(١) البيتان لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ص ٤٣) من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب ، من المتقارب .
 وفيه : « وقفى » في موضع « عى » و « رخام » بالخاء ، في موضع « رجام » بالجم . وفي بعض نسخ الديوان : « مواره » في موضع
 ماؤه . قال الفراء : وقوله « سيل العرم » كانت مسناة تحبس الماء ، على ثلاثة أبواب منها . فيسقون من ذلك الماء من الباب الأول
 (الأعلى) ثم الثاني (الأوسط) ثم الآخر (الأسفل) ، فلا ينفذ حتى يثوب الماء من السنة المقبلة . وكانوا أنعم قوم عيشا ، فلما أعرضوا
 وجعلوا الرسل ، بثق الله عليهم تلك المسناة ، ففرقت أرضهم ، ودفن بيوتهم الرمل . والبيتان من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ،
 وروايته : « قفى » في موضع « عى » وهو بمعناه . و « رخام » بالخاء في موضع رجام . والرجام : الصخور العظيمة ، جمع رجمة .
 توضع على القبر ونحوه . وفسر قوله « لم يرم » : أي حبسه . والضمير راجع إلى الماء . وقال في قوله تعالى : « سيل العرم » : واحدها
 عرمة ، وهي بناء مثل المشان ، يحبس بها الماء فيشرف به على الماء في وسط الأرض ، ويترك فيه سبل للسفينة . فتلك العرمة . واحدها
 عرمة . اهـ . وفي (اللسان : سنى) : المسناة : العرم . وفي اللسان : عرم (العرم) بفتح الراء وكسرهما ، وكذلك واحدها ، وهو
 العرمة . والعرمة : سد يعترض به الوادى . والجمع عرم . وقيل العرم : جمع لا واحد له . وقال أبو حنيفة : العرم الأحباس تبنى
 في أوساط الأودية . اهـ . وهي مانسيه اليوم : مخزانات أو قناطر .

وكان العرم فيما ذكر مما بنته بلقيس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا أبي ، قال : سمعت المغيرة بن حكيم ، قال : لما ملكت بلقيس ، جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم ؛ قال : فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها فتركت ملكها ، وانطلقت إلى قصر لها ، وتركتهم ؛ فلما كثر الشرّ بينهم ، وندموا أتوها ، فأرادوها على أن ترجع إلى ملكها ، فأبت ؛ فقالوا : لترجعن أو لنقتلنك ، فقالت : إنكم لاتطيعونني ، وليست لكم عقول ، ولا تطيعوني ، قالوا : فإننا نطيعك ، وإننا لم نجد فينا خيرا بعدك ، فجاءت فأمرت بواديهم ، فسدت بالعرم .

قال أحمد ، قال وهب ، قال أبي : فسألت المغيرة بن حكيم عن العرم ، فقال : هو بكلام حمير المُسنّاة فسدت ما بين الجبلين ، فحبست الماء من وراء السدّ ، وجعلت له أبوابا بعضها فوق بعض ، وبنت من دونه بركة ضخمة ، فجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدّة أنهارهم ؛ فلما جاء المطر احتبس السيل من وراء السدّ ، فأمرت بالباب الأعلى ففتّحت ، فمجرى ماؤه في البركة ، وأمرت بالبعر فألقى فيها ، فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض ، فلم تزل تضيق تلك الأنهار ، وترسل البعر في الماء ، حتى خرج جميعا معا ، فكانت تقسمه بينهم على ذلك ، حتى كان من شأنها وشأن سليمان ما كان .

حدثنا أحمد بن عمر البصرى ، قال : ثنا أبو صالح بن زريق ، قال : أخبرنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، في قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) قال : المسناة بلحن اليمن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (سَيْلَ الْعَرِمِ) قال : شديد . وقيل : إن العرم : اسم واد كان لهؤلاء القوم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) قال : واد كان باليمن ، كان يسيل إلى مكة ، وكانوا يسقون وينتهي سيلهم إليه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) ذكر لنا أن سيل العرم واد كانت تجتمع إليه مسابيل من أودية شتى ، فعمدوا فسدّوا ما بين الجبلين بالقير والحجارة ، وجعلوا عليه أبوابا ، وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا إليه ، ويسدّون عنهم ما لم يعنوا به من مائه شيئا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) واد يدعى العرم ، وكان إذا مطر سالت أودية اليمن إلى العرم ،

واجتمع إليه الماء، فعمدَت سبأً إلى العرم، فسدّوا ما بين الجبلين، فحجزوه بالصخر والبقار، فانسدّ زمانا من الدهر، لا يترجون الماء، يقول: لا يخافون.

وقال آخرون: العرم: صفة للمُسَنّاة التي كانت لهم وليس باسم لها.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (سبيل العرم) يقول: الشديد، وكان السبب الذي سبب الله لإرسال ذلك السيل عليهم فيما ذكر لي جرّدا ابتعثه الله على سدّهم، فثقب فيه ثقبا.

ثم اختلف أهل العلم في صفة ما حدث، عن ذلك الثقب مما كان فيه خراب جنّتهم. فقال بعضهم: كان صفة ذلك أن السيل لما وجد عملا في السدّ عمل فيه، ثم فاض الماء على جنّاتهم، فغرقها وخرّب أرضهم وديارهم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن وهب بن مُتّبه اليماني، قال: كان لهم، يعني لسبأ سدّ، قد كانوا بنوه بنيانا أبدا، وهو الذي كان يتردّ عنهم السيل إذا جاء أن يغشى أموالهم. وكان فيما يزعمون في علمهم من كهانتهم، أنه إنما يخرّب عليهم سدّهم ذلك فأرة، فلم يتركوا فرجة بين حجرين، إلا ربطوا عندها هرّة؛ فلما جاء زمانه، وما أراد الله بهم من التغريق، أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء إلى هرّة من تلك الهرير، فساورتها، حتى استأخرت عنها أي الهرّة، فدخلت في الفرجة التي كانت عندها، فغلّغت في السدّ، فحفرت فيه حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون؛ فلما جاء السيل وجد خملّا، فدخل فيه حتى قلع السدّ، وفاض على الأموال، فاحتملها فلم يسبق منها إلا ما ذكره الله؛ فلما تفرّقوا نزلوا على كهانة عمران بن عامر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: لما ترك القوم أمر الله، بعث الله عليهم جرّدا يسمى الخلد، فثقبه من أسفله حتى غرق به جنّاتهم، وخرّب به أرضهم عقوبة بأعمالهم.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحّاك يقول لما طغوا وبغوا، يعني سبأ، بعث الله عليهم جرّدا، فخرق عليهم السدّ، فأغرقهم الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: بعث الله عليه جرّدا، وسلّطه على الذي كان يجبس الماء الذي يسقيها، فأخرّب في أفواه تلك الحجارة، وكلّ شيء منها من رصاص وغيره، حتى تركها حجّارة، ثم بعث الله سيل العرم، فاقتلع ذلك السدّ، وما كان يجبس، واقتلع تلك الجنّتين، فذهب بهما؛ وقرأ (فأرسلنا عليّهم سبيل العرم، وبَدَلْنَاَهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ) قال: ذهب بتلك القرى والجنّتين.

وقال آخرون : كانت صفة ذلك أن الماء الذى كانوا يعمرون به جناتهم سال إلى موضع غير الموضع الذى كانوا ينتفعون به ، فبذلك خربت جناتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : بعث الله عليهم ، يعنى على العرم دابة من الأرض ، فثقت فيه ثقبا ، فسال ذلك الماء إلى موضع غير الموضع الذى كانوا ينتفعون به ، وأبدلهم الله مكان جناتهم جنتين ذواتى أكلٍ خمط ، وذلك حين عصوا ، وبطروا المعيشة .

والقول الأول أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيل العرم ، ولا يكون إرسال ذلك عليهم إلا بإسألته عليهم ، أو على جناتهم وأرضهم ، لا بصرفه عنهم . وقوله (وَبَدَلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار ، بساتين من جنى ثمر الأراك ، والأراك : هو الخمط . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قال : أبدلهم الله مكان جناتهم جنتين ذواتى أكلٍ خمط ، والخمط : الأراك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسلىة ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن ، يقول فى قوله (ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ) قال : أراه قال : الخمط : الأراك .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنى عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (أكلٍ خمطٍ) قال : الخمط : الأراك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ) قال : الأراك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ) والخمط : الأراك ، وأكُلُهُ : بريره .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَبَدَلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ) قال : بدلهم الله بجنان الفواكه والأعشاب ،

إذ أصبحت جناتهم خمطا ، وهو الأراك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَبَدَلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ) قال : أذهب تلك القرى والجنات ، وأبدلهم الذى أخبرك ذواتى أكلٍ خمط ؛ قال : فالخمط :

الأراك ، قال : جعل مكان العنب أراكا ، والفاكهة أثلا ، وشىء من سدر قليل .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الأمصار بتنوين أُكُلٍ غيرَ أبي عمرو ، فإنه يضيفها إلى الحمط ، بمعنى : ذواتي ثم تخمط . وأما الذين لم يضيفوا ذلك إلى الحمط ، وينونون الأُكُل ، فإنهم جعلوا الحمط هو الأُكُل ، فردّوه عليه في إعرابه . وبضم الألف والكاف من الأُكُل قرأت قراء الأمصار ، غير نافع ، فإنه كان يخفف منها .

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه (ذَوَاتِي أُكُلٍ) بضم الألف والكاف لإجماع الحجة من القراء عليه ، وبتنوين أُكُلٍ لاستفاضة القراءة بذلك في قراء الأمصار ، من غير أن أرى خطأ قراءة من قرأ ذلك بإضافته إلى الحمط ، وذلك في إضافته وترك إضافته ، نظير قول العرب في بُسْتَانِ فلانِ أَعْنَابُ كَرَمٍ وَأَعْنَابُ كَرَمٍ ، فتضيف أحياناً الأعناب إلى الكرم ، لأنها منه ، وتنون أحياناً ، ثم ترجم بالكرم عنها ، إذ كانت الأعنابُ ثمرَ الكرم . وأما الأثل فإنه يقال له الطرفاء : وقيل : شجر شبيه بالطرفاء ، غير أنه أعظم منها . وقيل : إنها السممر .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وأثل) ، قال : الأثل : الطرفاء .

وقوله (وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ) يقول : ذواتي أُكُلٍ تخمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدر قليل . وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَوَاتِي أُكُلٍ تخمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سِدْرٍ قَلِيلٍ) قال : بينما شجر القوم خير الشجر ، إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم .

وقوله (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا) يقول تعالى ذكره : هذا الذي فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم ، حتى هلكت أموالهم ، وخرّبت جناتهم ، جزاء منّا على كفرهم بنا ، وتكذيبهم رسلنا ، « وذلك » من قوله (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ) في موضع نصب بوقوع جزيناهم عليه ؛ ومعنى الكلام : جزيناهم ذلك بما كفروا .

وقوله (وَهَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكَافُورَ) اختلفت القراء في قراءته ، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة (وَهَلْ يُجَازِي) بالياء وفتح الزاي على وجه ما لم يُسَمَّ فاعله (إِلَّا الْكَافُورُ) رفعا . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (وَهَلْ يُجَازِي) بالنون وبكسر الزاي (إِلَّا الْكَافُورَ) بالنصب .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب . ومعنى الكلام : كذلك كافأناهم على كفرهم بالله ، وهل يُجَازِي إلا الكفور لنعمة الله ؟ .

فإن قال قائل : أو ما يجزي الله أهل الإيمان به على أعمالهم الصالحة ، فيخصّ أهل الكفر بالجزاء ؟ فيقال : وهل يجازي إلا الكفور ؟ قيل : إن المجازاة في هذا الموضع : المكافأة ، والله تعالى ذكره وعد أهل الإيمان به التفضل عليهم ، وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشر أمثالها إلى ما لانهاية له من التضعيف ، ووعد

المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته ، مثلها مكافأة له على جرّمه ، والمكافأة لأهل الكبائر والكفر والجزاء لأهل الإيمان مع التفضل ، فلذلك قال جلّ ثناؤه في هذا الموضع (وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكُفُورُ) ؟ كأنه قال جلّ ثناؤه : لا يجازى : لا يكافأ على عمله إلا الكفور ، إذا كانت المكافأة مثل المكافأة عليه ، والله لا يغفر له من ذنوبه شيئاً ، ولا يُمَحِّصُ شَيْءَ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا . وأما المؤمن فإنه يتفضل عليه على ما وصفت . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَهَلْ يُجَازَى) : نعاقب . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكُفُورُ) إن الله تعالى إذا أراد بعبد كرامة تقبل حسناته ، وإذا أراد بعبد هواناً أمسك عليه ذنوبه حتى يوافي به يوم القيامة . قال : وذكر لنا أن رجلاً بينا هو في طريق من طرق المدينة ، إذ مرت به امرأة ، فأتبعها بصره ، حتى أتى على حائط ، فشجّ وجهه ، فأتى نبي الله ووجهه يسيل دماً ، فقال : يا نبي الله فعلت كذا وكذا ، فقال له نبي الله : إن الله إذا أراد بعبد كرامةً ، عَجَّلَ لَهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ هَوَانًا أَمْسَكَ عَلَيْهِ ذَنْبَهُ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَأَنَّهُ عَيْرٌ أَبْتَرٌ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرُ وَفِيهَا أَلْيَالِي

وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن نعمته التي كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم ، وجعلنا بين بلدكم وبين القرى التي باركنا فيها وهي الشام ، قرى ظاهرة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) قال : الشام . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) يعني الشام .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا حمّاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد (الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) قال : الشام .

وقيل : عُنِيَ بالقرى التي بُورِكَ فيها بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً) قال : الأرض التي باركنا فيها : هي الأرض المقدسة ، وقوله (قُرًى ظَاهِرَةً) يعني : قُرًى متصلة ، وهي قُرًى عَرَبِيَّةٌ .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن ، في قوله (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً) قال : قُرًى متواصلة ، قال : كان أحدهم يغدو فَيَقِيلُ في قرية ويروح ، فيأوي إلى قرية أخرى . قال : وكانت المرأة تضع زنبيلها على رأسها ، ثم تمتهن بمغزها ، فلا تأتي بيتها حتى يمتلئ من كل الثمار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُرًى ظَاهِرَةً) : أي متواصلة .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُرًى ظَاهِرَةً) يعني : قُرًى عَرَبِيَّةٌ ، بين المدينة والشام .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثني أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قُرًى ظَاهِرَةً) قال : السَّرَوَات .

حدثني عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (قُرًى ظَاهِرَةً) يعني : قُرًى عَرَبِيَّةٌ ، وهي بين المدينة والشام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً) قال : كان بين قريتهم وبين الشام قُرًى ظاهرة ، قال : إن كانت المرأة لتخرج معها مغزها وميكتلها على رأسها ، تروح من قرية وتغدوها ، وتبيت في قرية لا تحمل زادا ولا ماء لما بينها وبين الشام .

وقوله (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا بين قراهم والقرى التي باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل إلى منزل ، وقرية إلى قرية ، لا ينزلون إلا في قرية ، ولا يغدون إلا من قرية .

وقوله (سِيرُوا فِيهَا لِيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) يقول : وقلنا لهم سيروا في هذه القرى ما بين قراكم ، والقرى التي باركنا فيها ليالي وأياما ، آمنين لا تخافون جوعا ولا عطشا ، ولا من أحد ظلما .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سِيرُوا فِيهَا لِيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) :

لا يخافون ظلما ولا جوعا ، وإنما يغدون فيقيلون ، ويروحون فيبيتون في قرية أهل جنة ونهر ، حتى لقد ذكر لنا أن المرأة كانت تضع مكتلها على رأسها ، وتمتن بيدها ، فيمتلي مكتلها من الثمر قبل أن ترجع إلى أهلها من غير أن تخترف شيئا ، وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادا ولا سقاء مما بسط للقوم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وأياماً آمين) قال : ليس فيها خوف .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا لَهُمْ أَجْرَهُمْ مَرْقَاتٍ وَيَمْرُقُونَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

اختلف القراء في قراءة قوله (رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا) فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة (رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا) على وجه الدعاء والمسئلة بالألف ؛ وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة (بَعْدَ) بتشديد العين على الدعاء أيضا . وذكر عن المتقدمين أنه كان يقرؤه (رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا) على وجه الخبر من الله أن الله فعل ذلك بهم . وحكى عن آخر أنه قرأه ربنا بَعْدَ على وجه الخبر أيضا غير أن الرب منادى .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا (رَبَّنَا بَعْدَ) و (بَعْدَ) لأنهما القراءتان المعروفتان في قراءة الأمصار وما عداهما فغير معروف فيهم ، على أن التأويل من أهل التأويل أيضا يحقق قراءة من قرأه على وجه الدعاء والمسئلة ، وذلك أيضا مما يزيد القراءة الأخرى بعدا من الصواب .

فإذا كان هو الصواب من القراءة ، فتأويل الكلام : فقالوا : يا ربنا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا ، فاجعل بيننا وبين الشام فلتوات ومفاوز ، لتركب فيها الرواحل ، وتزود معنا فيها الأزواد ، وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم ، وجهلهم بمقدار العافية ، ولقد عجل لهم ربهم الإجابة ، كما عجل للقائلين (إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) أعطاهم ما رغبوا إليه فيه وطلبوا من المسألة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حُصَيْن عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عَبَّاسُ ، قال : ثنا حُصَيْنُ ، عن أبي مالك في هذه الآية (فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا) قال : كانت لهم قُرَى متصلة باليمن ، كان بعضها ينظر إلى بعض ، فبطروا ذلك ، وقالوا : ربنا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا ، قال : فأرسل الله عليهم سَيْلَ الْعَرَمِ ، وجعل طعامهم أَمْثَلًا وَخَمْطًا وشيئا من سدر قليل .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عَمِي ، قال : ثنا أَبِي ، عن ابن عباس ،

قوله (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) قال : فإنهم بطروا عيشهم ، وقالوا لو كان جَنَى جَنَاتِنَا أَبْعَدَ مِمَّا هِيَ كَانَ أَجْدَرُ أَنْ نَشْتَبِيهِ ، فَمُزَّقُوا بَيْنَ الشَّامِ وَسَبَأَ ، وَبَدَّلُوا بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أَكْلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ ، وَشَيْءٌ مِنْ سَدْرِ قَلِيلٍ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) بطر القوم نعمة الله ، وَغَمَطُوا كَرَامَةَ اللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ (وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) حتى نبيت في الفلوات والصحارى (فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) ، وقوله (فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) وكان ظلمهم إياها عمَلُهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه ، مما يوجب لهم عقاب الله (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) يقول : صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم المثل في السب ، فيقال : تفرق القوم أيادي سبًا ، وأيدي سبًا إذا تفرقوا وتقطعوا .

وقوله (وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) يقول : وقطعناهم في البلاد كلَّ مقطع .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ، وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) قال قتادة : قال عامر الشعبي : أما غَسَّانُ فقد لحقوا بالشَّامَ ، وأما الأنصار فلحقوا ببيثرب ، وأما خَزَاعَةَ فلحقوا بهامة ، وأما الأزدي فلحقوا بعمان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزعمون أن عمران بن عامر ، وهو عم القوم كان كاهنا ، فرأى في كهانته أن قومه سيمزقون ويتباعدون ، فقال لهم : إني قد علمت أنكم ستتمزقون ، فمن كان منكم ذا هم بعيد ، وجمل شديد ، ومزاد جديد ، فليلق بكأس أو كرود ، قال : فكانت وادعة بن عمرو . ومن كان منكم ذا هم مدن ، وأمرد عن ، فليلق بأرض شن ، فكانت عوف بن عمرو ، وهم الذين يقال لهم بارق ، ومن كان منكم يريد عيشا آينا ، وحرما آينا ، فليلق بالأرزين ، فكانت خزاعة . ومن كان يريد الراسيات في الوحل ، المطعيمات في الخجل ، فليلق ببيثرب ذات النخل ، فكانت الأوس والخزرج فهما هذان الحيان من الأنصار . ومن كان يريد خمرا وخميرا ، وذهبا وحريرا ، وملكا وتأميرا فليلق بكوثي وبُصْرَى ، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشَّامِ ومن كان منهم بالعراق . قال ابن إسحاق : قد سمعت بعض أهل العلم يقول : إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمران بن عامر ، وكانت كاهنة ، فرأت في كهانتها ذلك ، والله أعلم أي ذلك كان ؛ قال : فلما تفرقوا ، نزلوا على كهانة عمران بن عامر .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يقول تعالى ذكره : إن في تمزيقناهم كلَّ ممزق آيات ، يقول : لعظة وعبرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه إذا أنعم عليه ، وحقه من الصبر على محنته إذا امتحنه ببلاء لكلِّ صبار شكور على نعمه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)
كان مطرف يقول : نعم العبد الصبار الشكور ، الذي إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) فقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين
(وَلَقَدْ صَدَّقَ) بتشديد الدال من صدق ، بمعنى أنه قال ظنا منه (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)
وقال : (فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) ثم صدق ظنه ذلك
فيهم ، فحقق ذلك بهم ، وبتابعهم إياه . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة (وَلَقَدْ صَدَّقَ)
بتخفيف الدال ، بمعنى : ولقد صدق عليهم ظنه .

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ؛ وذلك أن إبليس قد صدق
على كفره بني آدم في ظنه ، وصدق عليهم ظنه الذي ظن حين قال (ثُمَّ لَا تَبْرَأُ مِنْ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ، وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) ، وحين
قال (وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِّيَنَهُمْ) . . . الآية ، قال ذلك عدو الله ، ظنا منه أنه يفعل ذلك لاعلما ،
فصار ذلك حقا بتابعهم إياه ، فبأى القراءتين قرأ القارئ فصيب . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام
على قراءة من قرأ بتشديد الدال : ولقد ظن إبليس بهؤلاء الذين بدلناهم بجناتهم جنتين ذوات أكل خبط ،
عقوبة منا لهم ، ظنا غير يقين ، علم أنهم يتبعونه ويطيعونه في معصية الله ، فصدق ظنه عليهم ، بإغوائه
إياهم ، حتى أطاعوه ، وعصوا ربهم ، إلا فريقا من المؤمنين بالله ، فإنهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية إبليس .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : أخبرني عمرو بن
مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس أنه قرأ (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) مشددة ،
وقال : ظن ظنا ، فصدق ظنه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ
إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) قال : ظن ظنا فاتبعوا ظنه .

قال : ثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ
إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) قال : الله ما كان إلا ظنا ظنه ، والله لا يصدق كاذبا ، ولا يكذب صادقا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ

إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) قال : أرأيت هؤلاء الذين كرمتهم على ، وفضلتهم وشرفتهم ، لا تجد أكثرهم شاكرين ، وكان ذلك ظنا منه بغير علم ، فقال الله (فاتَّبِعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : وما كان لإبليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حجة يضلهم بها ، إلا بتسلطناه عليهم ، ليعلم حزبنا وأولياؤنا (مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ) يقول : من يصدق بالبعث والثواب والعقاب (مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ) فلا يوقن بالمعاد ، ولا يصدق بثواب ولا عقاب . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ) قال : قال الحسن : والله ما ضربهم بعصا ولا سيف ولا سوط ، إلا أمانى وغرورا دعاهم إليها . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ) قال : وإنما كان بلاء ليعلم الله الكافر من المؤمن . وقيل : عني بقوله (إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ) إلا لنعلم ذلك موجودا ظاهرا ليستحق به الثواب أو العقاب . وقوله (وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) يقول تعالى ذكره : وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به ، وغير ذلك من الأشياء كلها (حَفِيظٌ) لا يعزب عنه علم شيء منه ، وهو مجاز جمعهم يوم القيامة ، بما كسبوا في الدنيا من خير وشر .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : فهذا فعلنا بولينا ومن أطاعنا ، داود وسليمان الذي فعلنا بهما من إنعامنا عليهما النعم التي لا كفاء لها إذ شكرانا ، وذلك فعلنا بسبب الذين فعلنا بهم ، إذ بطروا نعمتنا ، وكذبوا رسلنا ، وكفروا أيادينا ، فقل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك ، الجاحدين نعمنا عندهم ، ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم لله شريك من دونه ، فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا ، بالذين وصفنا أمرهم من إنعام أو إياس ، فإن لم يقدرُوا على ذلك فاعلموا أنكم مبطلون ، لأن الشركة في الربوبية لا تصلح ولا تجوز ، ثم

وصف الذين يدعون من دون الله ، فقال : إنهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض من خير ولا شر ولا ضرر ولا نفع ، فكيف يكون إلهما من كان كذلك . وقوله (وَمَا لَهُمْ مِنْ شَرِكٍ) يقول تعالى ذكره ، ولا هم إذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، منفردين بملكه من دون الله ، يملكونه على وجه الشراكة ، لأن الأملاك في المملوكات ، لا تكون لمالكها إلا على أحد وجهين : إما مقسوما ، وإما مشاعا ؛ يقول : وآلهتهم التي يدعون من دون الله ، لا يملكون وزن ذرة في السموات ولا في الأرض ، لامشاعا ولا مقسوما ، فكيف يكون من كان هكذا شريكا لمن له ملك جميع ذلك . وقوله (وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) يقول : وما لله من الآلهة التي يدعون من دونه معين على خلق شيء من ذلك ، ولا على حفظه ؛ إذ لم يكن لها ملك شيء منه مشاعا ولا مقسوما ، فيقال : هو لك شريك من أجل أنه أعان وإن لم يكن له ملك شيء منه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ شَرِكٍ) يقول : ما لله من شريك في السماء ولا في الأرض (وما له منهم) من الذين يدعون من دون الله (من ظهير) من عون بشيء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : ولا تنفع شفاعة شافع كائنا من كان الشافع لمن شفع له ، إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعة ، يقول تعالى : فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحداً إلا لمن أذن الله في الشفاعة له ، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعة لأحد من الكفرة به ، وأنتم أهل كفر به أيها المشركون ، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعما منكم أنكم تعبدونه ، ليقربكم إلى الله زلتني ، وليشفع لكم عند ربكم ، « فمن » إذ كان هذا معنى الكلام التي في قوله (إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) : المشفوع له .

واختلفت القراء في قراءة قوله (أَذِنَ لَهُ) فقرأ ذلك عامة القراء بضم الألف (مِنْ أَذِنَ لَهُ) على وجه ما لم يسم فاعله . وقرأه بعض الكوفيين (أَذِنَ لَهُ) على اختلاف أيضا عنه فيه ، بمعنى أذن الله له . وقوله (حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ) يقول : حتى إذا جلى عن قلوبهم ، وكشف عنها الفرع وذهب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) يعني : جُلِيَ .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال : كشف عنها الغطاء يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : إذا جلي عن قلوبهم .
واختلف أهل التأويل في الموصوفين بهذه الصفة مَنْ هُمْ ؟ وما السبب الذي من أجله فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ؟ فقال بعضهم : الذي فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِم الملائكة ، قالوا : وإنما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم الله بالوحي .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن داود ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : قال ابن مسعود في هذه الآية (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال : إذا حدث أمر عند ذي العرش سمع مَنْ دونه من الملائكة صوتا كجبر السلسلة على الصفا ، فيُغَشَى عليهم ، فإذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادوا (ماذا قال ربكم) قال : فيقول : من شاء ، قال : الحق ، وهو العليّ الكبير .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت داود ، عن عامر ، عن مسروق ؛ قال : إذا حدث عند ذي العرش أمر سمعت الملائكة صوتا ، كجبر السلسلة على الصفا ، قال : فيُغَشَى عليهم ، فإذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قالوا ماذا قال ربكم ؟ قال : فيقول : من شاء الله الحق ، وهو العليّ الكبير .
حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، أنه قال : إذا حدث أمر عند ذي العرش ، ثم ذكر نحو معناه إلا أنه قال : فيُغَشَى عليهم من الفزع ، حتى إذا ذهب ذلك عنهم تنادوا : ماذا قال ربكم ؟

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبد الله بن مسعود ، في قوله (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال : إن الوحي إذا أُلقي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان ، قال : فيتنادون في السموات ، ماذا قال ربكم ؟ قال : فيتنادون الحق ، وهو العليّ الكبير .
وبه عن منصور ، عن أبي الضُّحَى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : « يُنَزَّلُ الْأَمْرُ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعِزَّةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيُفَزِعُ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، حَتَّى يَسْتَبِينَ لَهُمُ الْأَمْرَ الَّذِي نُزِّلَ فِيهِ ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : قَالَ الْحَقُّ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ (حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) . . . الآية .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : ثنا أبو هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله إذا قضى أمراً في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها جميعاً ، ولقوله : صوت كصوت السلسلة على الصفا الصفوان ، فذلك قوله (حتى إذا فزع عن قلوبهم ، قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العلي الكبير) » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن هشام بن عروة ، قال : « قال الحارث بن هشام لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيك الوحي ؟ قال : يأتيني في صلصلة كصلصلة الجرس فينقصم عني حين ينقصم وقد وعيته ، ويأتي أحياناً في مثل صورة الرجل ، فيكلمني به كلاماً ، وهو أهون علي » .

حدثني زكريا بن أبان المصري ، قال : ثنا نعيم ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، عن ابن أبي زكريا ، عن جابر بن حيوة ، عن النّوّاس بن سمعان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي ، أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوف أمر الله ، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخرّوا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبرائيل على الملائكة كلماً مرّ بسماء سأله ملائكتها ؟ ماذا قال ربنا يا جبرائيل ؟ فيقول جبرائيل ، قال الحق وهو العلي الكبير ، قال : فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل ، فينتهي جبرائيل بالوحي حيث أمره الله » .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (حتى إذا فزع عن قلوبهم) . . . الآية . قال : كان ابن عباس يقول : إن الله لما أراد أن يوحى إلى محمد ، دعا جبريل ، فلما تكلم ربنا بالوحي ، كان صوته كصوت الحديد على الصفا ؛ فلما سمع أهل السموات صوت الحديد خروا سجداً ؛ فلما أتى عليهم جبرائيل بالرسالة رفعوا رؤوسهم ، فقالوا (ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العلي الكبير) وهذا قول الملائكة » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حتى إذا فزع عن قلوبهم) . . . إلى (وهو العلي الكبير) قال : لما أوحى الله تعالى ذكره إلى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسول من الملائكة ، فبعث بالوحي ، سمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي ؛ فلما كشف عن قلوبهم سألوها عما قال الله ، فقالوا الحق ، وعلموا أن الله لا يقول إلا حقاً ، وأنه منجز ما وعد ، قال ابن عباس : وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا ؛ فلما سمعوه خروا سجداً ؛ فلما رفعوا رؤوسهم (قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ، وهو العلي الكبير) ثم أمر الله نبيه أن يسأل الناس (قل من يرزقكم من السموات) . . . إلى قوله (في ضلال مبين) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرّة ، عن عبد الله بن القاسم ، في قوله (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) . . . الآية ، قال : الوحي ينزل من السماء ، فإذا قضاه (قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الْحَقَّ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، في قوله (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال : إن الوحي إذا قَضِيَ في زوايا السماء ، قال : مثل وقع الفؤاد على الصخرة ، قال : فيُشْفِقُونَ ، لا يدرون ما حدث ، فيفزعون ، فإذا مرت بهم الرسل (قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) .

وقال آخرون ممن قال : الموصوفون بذلك الملائكة : إنما يُفَزَعُ عن قلوبهم فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه حذرا أن يكون ذلك قيام الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ) . . . الآية ، قال : يوحى الله إلى جبرائيل ، فتفرق الملائكة ، أو تفرع مخافة أن يكون شيء من أمر الساعة ، فإذا جُليَ عن قلوبهم ، وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة (قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الْحَقَّ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) .

وقال آخرون : بل ذلك من فعل ملائكة السموات إذا مرت بها المعقبات فزعا أن يكون حدث أمر الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) . . . الآية ، زعم ابن مسعود أن الملائكة المعقبات الذين يختلفون إلى الأرض يكتبون أعمالهم ، إذا أرسلهم الرب فأنحدروا سمع لهم صوت شديد ، فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة ، فخرّوا سُجُودًا ، وهكذا كلما مروا عليهم يفعلون ذلك من خوف ربهم .

وقال آخرون : بل الموصوفون بذلك المشركون ، قالوا : وإنما يُفَزَعُ الشيطان عن قلوبهم ؛ قال :

وإنما يقولون : ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (حتى إذا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال : فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيتهم ، وما كان يضلهم (قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) قال : وهذا في بني آدم ، وهذا عند الموت أقرّوا به حين لم ينفعهم الإقرار .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، القول الذي ذكره الشَّعْبِيُّ ، عن ابن مسعود لصحة الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييده . وإذا كان ذلك كذلك ؛ فعنى الكلام : لا تنفع

الشفاعة عنده ، إلا لمن أذن له أن يشفع عنده ، فإذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع فزاع لسماعه إذنه ، حتى إذا فزَع عن قلوبهم ، فجُئليَ عنها ، وكشَف الفزع عنهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالت الملائكة : الحق ، (وهو العلي) على كل شيء (الكبير) الذي لا شيء دونه . والعرب تستعمل فزَع في معنيين ، فتقول للشجاع الذي به تنزل الأمور التي يفزع منها : هو مُفزع ؛ وتقول للجبان الذي يفزع من كل شيء : إنه لمُفزع ، وكذلك تقول للرجل الذي يقضى له الناس في الأمور بالغلبة على من نازله فيها : هو مُغلب ؛ وإذا أريد به هذا المعنى كان غالبا ؛ وتقول للرجل أيضا الذي هو مغلوب أبدا : مُغلب .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الأمصار أجمعون (فزَع) بالزاي والعين على التأويل الذي ذكرناه عن ابن مسعود ومن قال بقوله في ذلك . ورؤى عن الحسن أنه قرأ ذلك (حتى إذا فزَع عن قلوبهم) بالراء والغين على التأويل الذي ذكرناه عن ابن زيد . وقد يحتمل توجيه معنى قراءة الحسن ذلك كذلك ، إلى (حتى إذا فزَع عن قلوبهم) فصارت فارغة من الفزع الذي كان حل بها ، ذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك (فزَع) بمعنى : كشَف الله الفزع عنها .
والصواب من القراءة في ذلك القراءة بالزاي والعين لإجماع الحجة من القراء وأهل التأويل عليها ، ولصحة الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييدها ، والدلالة على صحتها .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الأوثان والأصنام من يرزقكم من السموات والأرض بإنزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم ، وصلاحا لمعايشكم ، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم ، ومنافع أقواتكم ، والأرض بإخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم ، وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه ، ثم ذكره ، وهو : فإن قالوا : لاندري ، فقل : الذي يرزقكم ذلك الله ، وإنا أو إياكم أيها القوم لعلَى هُدًى ، أو في ضلال مبين : يقول : قل لهم : إنا لعلَى هدى أو في ضلال ، أو إنكم على ضلال أو هُدًى .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، قُلْ اللَّهُ ، وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) قال : قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين ، والله ما أنا وأنتم على أمر واحد ، إن أحد الفريقين لمهتد . وقد قال قوم : معنى ذلك : وإنا لعلَى هدى ، وإنكم لفي ضلال مبين .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن إبراهيم الشهيدي ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف عن عكرمة وزياد ، في قوله (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى ، أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) قال : إنا لعلی هدی ؛ وإنکم لفي ضلال مبين . واختلف أهل العربية في وجه دخول « أو » في هذا الموضع ، فقال بعض نحويي البصرة : ليس ذلك لأنه شك ، ولكن هذا في كلام العرب على أنه هو المهتدي ، قال : وقد يقول الرجل لعبده : أحدنا ضارب صاحبه ، ولا يكون فيه إشكال على السامع أن المولى هو الضارب . وقال آخر منهم : معنى ذلك : إنا لعلی هدی ، وإنکم إياکم في ضلال مبين ، لأن العرب تضع « أو » في موضع واو الموالاة ، قال جرير :

أثعلبة الفوارسِ أو رياحا عدلتَ بهم طهيّة والحشابا

قال : يعني ثعلبة ورياحا ، قال : وقد تكلم بهذا من لا يشك في دينه ، وقد علموا أنهم على هدى ، وأولئك في ضلال ، فيقال : هذا وإن كان كلاما واحدا على جهة الاستهزاء ، فقال : هذا لهم ، وقال : فإن يك حبهم رشدا أوصبه وكست بمخطئ إن كان غيبا . وقال بعض نحويي الكوفة : معنى « أو » ومعنى الواو في هذا الموضع في المعنى ، غير أن القرينة على

(١) البيت لجرير . وهو من شواهد سيويه (الكتاب ١ : ٥٢ ، ٤٨٩) وروايته في الموضع الثاني « أو رياحا » . وفي الموضع الأول : أم رياحا . « قال : فأما إذا قلت أنتضرب أو تضرب زيدا ، فهو بمنزلة أريدا أو عمرا ضربت . قال الشاعر : « أثعلبة ... البيت » . وإن قلت : أريدا تضرب أو تقتل كان كقولك أنتقتل زيدا وعمرا . قال : و « أم » في كل هذا : جيد . وإن قال : أتجلس أم تنهب ، فأمر أو فيه سواء .

والبيت : من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن الورقة ٩٩ - ب) قال في تفسير الآية : (وأنا أو إياكم لعلی هدی أوفضلال مبين) : لأن العرب تضع أو في موضع واو الموالاة ، قال : أثعلبة الفوارس أو ... البيت . يعني ثعلبة ورياحا . وقال قوم قد يتكلم بهذا من يشك في دينه ، وقد علموا أنهم على هدى ، وأولئك على ضلال ، فقال هذا ، وإن كان كلاما واحدا ، على وجه الاستهزاء يقال هذا لهم . وقال :

إن يكن حبهم رشدا أوصبه وكست بمخطئ إن كان غيبا

قلت : وقد سمي ابن هشام في المعنى « أو » هذه : أو التي للإبهام . (٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي ، قال صاحب الأغاني ترجمته : كان أبو الأسود الدؤلي نازلا في بني قشير ، وكانت بنو قشير ممانية ، وكانت امرأته أم عوف منهم ، فكانوا يؤذونه ويسبونونه وينالون من علي بن أبي طالب بحضرتة ، ليفيظوه به ، ويرمونونه بالليل ، فقال في ذلك أبياتا يهجوهم ويمدح عليا وآل بيته . فقال له بنو قشير : شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول : « فإن يك حبهم رشدا أوصبه » فقال : أما سمعتم قول الله عز وجل : « وإنا أو إياكم لعلی هدی أوفضلال مبين » . أفترى الله جل وعز شك في نبيه . وقد روي أن معاوية قال هذه المقالة ، فأجابه بهذا الجواب . هـ . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقتان ٢٦٣ ، ٢٦٤) في تفسير قوله تعالى : « وإنا أو إياكم » . . . الآية : قال المفسرون : معناه : وإنا لعلی هدی ، وأنتم في ضلال مبين . معنى « أو » معنى الواو عندهم . وكذلك هو في المعنى . غير أن العربية على غير ذلك . لا تكون « أو » بمنزلة الواو ، ولكنها تكون في الأمر المفوض (واو الإباحة) كما تقول : إن شئت خذ درهما أو اثنين ، فله أن يأخذ واحدا أو اثنين ، وليس له أن يأخذ ثلاثة ؛ في قول من لا يبصر العربية ، ويجعل أو بمنزلة الواو ، ويجوز له أن يأخذ ثلاثة ، لأنه في قولهم بمنزلة قولك : خذ درهما واثنين . فالمعنى في قوله : « وإنا أو إياكم » : إنا الضالون أو مهتدون ، وإنكم أيضا لضاالون أو مهتدون ، وهو يعلم أن رسوله المهتدي ، وأن غيره الضالون . . الخ ما قاله .

غير ذلك لا تكون « أو » بمنزلة الواو ، ولكنها تكون في الأمر المفوض ، كما تقول : إن شئت فخذ درهما أو اثنين ، فله أن يأخذ اثنين أو واحدا ، وليس له أن يأخذ ثلاثة . قال : وهو في قول من لا يبصر العربية ، ويجعل أو بمنزلة الواو ، ويجوز له أن يأخذ ثلاثة ، لأنه في قولهم بمنزلة قولك : خذ درهما أو اثنين ؛ قال : والمعنى في (إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ) إنا لضالون أو مهتدون ، وإنكم أيضا لضالون ، وهو يعلم أن رسوله المهتدي ، وأن غيره الضال . قال : وأنت تقول في الكلام للرجل يكذبك ، والله إن أحدنا لكاذب ، وأنت تعنيه ، وكذبتة تكذيبا غير مكشوف ، وهو في القرآن وكلام العرب كثير ، أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه ، إذا عرف ، كقول القائل إن قال : والله لقد قدم فلان ، وهو كاذب ؛ فيقول : قل : إن شاء الله ، أو قل : فيما أظن ، فيكذبه بأحسن تصريح التكذيب . قال : ومن كلام العرب أن يقولوا : قاتله الله ، ثم يستقبح فيقولون : قاتله الله ، وكاتعه الله . قال : ومن ذلك : ويحك ، وويسك ، إنما هي في معنى : ويسلك ، إلا أنها دونها .

❖ والصواب من القول في ذلك عندي أن ذلك أمر من الله لنبيه بتكذيب من أمره بخطابه بهذا القول بأجل التكذيب ، كما يقول الرجل لصاحب له يخاطبه ، وهو يريد تكذبه في خبر له : أحدنا كاذب ، وقائل ذلك يعني صاحبه ، لانفسه ؛ فلهذا المعنى صير الكلام بأو .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿١٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين : أحد فريقينا على هدى والآخر على ضلال ، لا تسألون أتم عما أجرمنا نحن من جرم ، وركبنا من إثم ولا نسأل نحن عما تعملون أتم من عمل ، قل لهم : يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ، ثم يفتح بيننا بالحق . يقول : ثم يقضى بيننا بالعدل ، فيتبين عند ذلك المهتدي منا من الضال (وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) يقول : والله القاضى العليم بالقضاء بين خلقه ، لأنه لا تخفى عنه خافية ، ولا يحتاج إلى شهود تعرفه المحقق من المبطل .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا) يوم القيامة (ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا) : أى يقضى بيننا .
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) يقول : القاضى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام أَرُونِي أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمُوهُمْ بِاللَّهِ فَصِيرْتُمُوهُمْ لَهُ شُرَكَاءَ فِي عِبَادَتِكُمْ أَيُّهَاهُمْ : ماذا خلقوا من الأرض ، أم لهم شرك في السموات ، كلا ، يقول تعالى ذكره : كذبوا ، ليس الأمر كما وصفوا ، ولا كما جعلوا وقالوا من أن لله شريكا ، بل هو المعبود الذي لا شريك له ، ولا يصلح أن يكون له شريك في ملكه ، العزيز في انتقامه من أشرك به من خلقه ، الحكيم في تدبيره خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة ، ولكننا أرسلناك كافة للناس أجمعين ، العرب منهم والعجم ، والأحمر والأسود ، بشيرا من أطاعك ، ونذيرا من كذبتك ، (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ) قال : أرسل الله محمداً إلى العرب والعجم ، فأكرمهم على الله أطوعهم له .
ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنا سابقُ العربِ ، وصهيبُ سابقُ الرومِ ، وبلالُ سابقُ الحبشةِ ، وسلمانُ سابقُ فارسِ » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً
وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المشركون بالله إذا سمعوا وعيد الله الكفار وما هو فاعل بهم في معادهم مما أنزل الله في كتابه (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) جاثيا ، وفي أي وقت هو كائن (إِن كُنتُمْ) فيما تعدوننا من ذلك (صَادِقِينَ) أنه كائن ، قال الله لنبيه : (قُلْ) لهم يا محمد (لَكُمْ) أيها القوم (مِيعَادُ يَوْمٍ) هو آتاكم (لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ) إذا جاءكم (سَاعَةً) فتنظروا للتوبة والإنابة (وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ) قبله بالعذاب ، لأن الله جعل لكم ذلك أجلا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْجَعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) من مشركي العرب (لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ) الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا بالكتاب الذي جاء به غيره من بين يديه . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) قال : قال المشركون : لن نؤمن بهذا القرآن ، ولا بالذي بين يديه من الكتب والأنبياء .

وقوله (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يتلاومون ، يحاور بعضهم بعضا ، يقول المستضعفون : كانوا في الدنيا للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون لولا أتم أيها الرؤساء والكبراء في الدنيا لكانا مؤمنين بالله وآياته .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا وَالَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدٌ نَكُفُّ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) في الدنيا ، فرأسوا في الضلالة والكفر بالله (لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) فيها فكانوا أتباعا لأهل الضلالة منهم ، إذ قالوا لهم (لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ - أَنَحْنُ صَدَدٌ نَكُفُّ عَنْ الْهُدَى) ومنعناكم من اتباع الحق (بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ) من عند الله ، بين لكم (بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) فمنعكم إيثاركم الكفر بالله على الإيمان من اتباع الهدى ، والإيمان بالله ورسوله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره (وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) من الكفرة بالله في الدنيا ، فكانوا أتباعا لرؤسائهم

في الضلالة (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) فيها . فكانوا لهم رؤساء (بَلْ مَكْرُومًا) كم لنا بـ (اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) صدنا من الهدى (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ) أمثالا وأشباها في العبادة والألوهة ، فأضيف المكر إلى الليل والنهار . والمعنى ما ذكرنا من مكر المستكبرين بالمستضعفين في الليل والنهار ، على اتساع العرب في الذي قد عُرِف معناها فيه من منطيقها ، من نقل صفة الشيء إلى غيره ، فتقول للرجل : يافلان نهارك صائم وليك قائم ، وكما قال الشاعر :

وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ ۱

وما أشبه ذلك مما قد مضى بياننا له في غير هذا الموضع من كتابنا هذا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بَلْ مَكْرُومًا وَالنَّهَارِ) إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) يقول بل مكركم بنا في الليل والنهار أيها العظماء الرؤساء حتى أزلتمونا عن عبادة الله .

وقد ذكر في تأويله عن سعيد بن جبيرة ما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة (بَلْ مَكْرُومًا وَالنَّهَارِ) قال : مرَّ الليل والنهار .
وقوله (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ) يقول : حين تأمروننا أن نكفر بالله .
وقوله (وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) يقول : شركاء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) شركاء ، قوله (وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) يقول : وندموا على ما فرطوا من طاعة الله في الدنيا حين هابنوا عذاب الله الذي أعدّه لهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ) بينهم (لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) .
قوله (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) وغلَّت أيدي الكافرين بالله في جهنم إلى أضعافهم في جوامع من نار جهنم ، جزاء بما كانوا بالله في الدنيا يكفرون ، يقول جل ثناؤه : ما يفعل الله ذلك بهم إلا ثوابا لأعمالهم الخبيثة التي كانوا في الدنيا يعملونها ، ومكافأة لهم عليها .

(١) هذا صجز بيت لجرير بن عطية الخطمي الشاعر الإسلامي ، وصدوره « لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى » (ديوانه طبعة الصاوي ٥٥٤) واستشهد به المؤلف على أنك تقول يافلان نهارك صائم ، وليك قائم ، فتسند الصيام والقيام إلى الليل والنهار إسنادا مجازيا عقليا ، والأصل فيه أن يسند الصيام والقيام للرجل لا للزمان ، ذلك من باب التوسع المجازي ، فالعلاقة هنا الزمانية ، والقرينة عقلية . وذلك نظير قوله تعالى « بل مكر الليل والنهار » . أصله : بل مكركم بنا في الليل والنهار ، ثم أسند الفعل إليهما . قال الفراء في (معاني القرآن ، الورقة ٢٦٤) : وقوله « بل مكر الليل والنهار » : المكر ليس ليل ولا النهار ، وإنما المعنى . بل مكركم بالليل والنهار . وقد يجوز أن تضيف الفعل إلى الليل والنهار ، ويكونا كالفاعلين ؛ لأن العرب تقول : نهارك صائم ، وليك قائم ، ثم تضيف الفعل إلى الليل والنهار ، وهو في المعنى للآدميين ، كما تقول : نام ليك . اهـ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وما بعثنا إلى أهل قرية نذيرا ينذرهم بأسنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا ، إلا قال كبراؤها ورؤساؤها في الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين له : إنا بما أُرسلتم به من النذارة ، وبُعثتم به من توحيد الله ، والبراءة من الآلهة والأنداد كافرين .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) قال : هم رعوسهم وقادتهم في الشر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّبِينَ ﴾ ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطِ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وقال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيرا لأنبيائنا ورسلنا ، نحن أكثر أموالاً وأولاداً) وما نحن في الآخرة (بمُعَدَّبِينَ) لأن الله لو لم يكن راضيا مانحن عليه من الملة والعمل لم يُخولنا الأموال والأولاد ، ولم يبسط لنا في الرزق ، وإنما أعطانا ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا ، وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا ، وزلفة لنا عنده ؛ يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد (إن ربِّي يبسط الرزق) من المعاش والرياش في الدنيا (لمن يشاء) من خلقه (ويَقْدِرُ) فيضيق على من يشاء لا محبة فيمن يبسط له ذلك ولاخير فيه ولازلفة له ، استحق بها منه ، ولا لبغض منه لمن قدر عليه ذلك ، ولا ممتت ، ولكنه يفعل ذلك محنة لعباده وابتلاء ، وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارا لعباده ، ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له وممتت لمن قدر عليه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) . . . الآية ، قال : قالوا : نحن أكثر أموالا وأولادا ، فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ، (إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) ، قال : وهذا قول المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قالوا : لو لم يكن الله عناراضيا لم يعطنا هذا ، كما قال

قارون : لولا أن الله رَضِيَ بِي وبِحَالِي مَا أَعْطَانِي هَذَا ، قَالَ (أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ) . . . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ
الَّذِينَ عَمِلُوا وَأَوْهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ؕ آمِنُونَ ﴿٢٧﴾

يقول جل ثناؤه : وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ، ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم بالتي تقربكم منا قرربة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عِنْدَنَا زُلْفَى) قال : قُرْبَى .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد ، وإن الكافر قد يُعْطَى المال ، وربما حُبِسَ عن المؤمن . وقال جل ثناؤه (وَمَا أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) ولم يقل باللتين ، وقد ذكر الأموال والأولاد ، وهما نوعان مختلفان لأنه ذكر من كل نوع منهما جمع يصلح فيه التي ، ولو قال قائل : أراد بذلك أحد النوعين لم يبعد قوله ، وكان ذلك كقول الشاعر :
نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا ، وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ
ولم يقل : راضيان .

وقوله (إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زُلْفَى ، إلا من آمن وعمل صالحا ، فإنه تقربهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه إلى الله زُلْفَى دون أهل الكفر بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) قال : لم تضرهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين ، وقرأ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) فالْحُسْنَى : الجنة ، والزيادة : ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به ، كما حاسب الآخرين ، فمن

(١) البيت لقيس بن الخطيم من قصيدة من المنسرح ، كما في معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص . لعبد الرحيم العباسي وقد تقدم

الكلام عليه في (١٠ : ١٢٢) مبسوطا . فراجعه ثمة .

حملا على هذا التأويل نصب بوقوع تقرب عليه ، وقد يحتمل أن يكون « من » في موضع رفع ، فيكون كأنه قيل : وما هو إلا من آمن وعمل صالحا .

وقوله (فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ) يقول : فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب ، بالواحدة عشر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا) قال : بأعمالهم الواحد عشر ، وفي سبيل الله بالواحد سبع مئة .
وقوله (فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ) يقول : وهم في غرفات الجنات آمنون من عذاب الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره : والذين يعملون في آياتنا ، يعني : في حججنا وآي كتابنا ، يبتغون إبطاله ، ويريدون إطفاء نوره معاونين ، يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ، ويضعوننا (أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) يعني في عذاب جهنم محضرون يوم القيامة (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه ، فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة ، ويقدر على من يشاء منهم فيضيقه ويقره إهانة له وغير إهانة ، بل محنة واختبارا (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) يقول : وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله ، فإن الله يخلفها عليكم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبيرة (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) قال : ما كان في غير إسراف ولا تقير .

وقوله (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقول : وهو خير من قيل إنه يرزق ووُصِفَ به ، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه ، فيقال : فلان يرزق أهله وعياله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ
وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾

✽ يقول تعالى ذكره : ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعا ، ثم نقول للملائكة : أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا ؟ ففتبرأ منهم الملائكة (قَالُوا : سُبْحَانَكَ) ربنا ، تنزيها لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد (أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ) لانتخذ وليا دونك (بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ؟) استفهام ، كقوله لعيسى (أَعَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) ؟
وقوله (أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) يقول : أكثرهم بالجن مصدقون ، يزعمون أنهم بنات الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ
بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿٤٣﴾

✽ يقول تعالى ذكره : فالיום لا يملك بعضكم أيها الملائكة للذين كانوا في الدنيا يعبدونكم نفعا ينفعونكم به ولا ضرا ينالونكم به ، أو تنالونهم به (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : ونقول للذين عبدوا غير الله فوضعوا العبادة في غير موضعها ، وجعلوها لغير من تنبغي أن تكون له (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا) في الدنيا (تَكْذِبُونَ) فقد وردتموها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ تَسَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِآيَاتِنَا قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ
وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَدِحِقٌ لَنَا جَاءَهُمْ مِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره: وإذا تولى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بينات: يقول: واضحات أنهم حق من عندنا (قالوا ما هذا إلا رجُل يُريدُ أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) يقول: قالوا عند ذلك: لا تتبعوا محمدا، فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان، وبغير دينكم ودين آباءكم (وقالوا ما هذا إلا إفكٌ مفترى) يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون: ما هذا الذي تتلو علينا يا محمد، يعنون القرآن، إلا إفك. يقول: إلا كذبٌ مفترى: يقول: مختلف، متخرف (وقال الذين كفروا للحقّ لما جاءهم إن هذا إلا سحرٌ مبين) يقول جل ثناؤه: وقال الكفار للحقّ، يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لما جاءهم، يعني: لما بعثه الله نبيا: هذا سحر مبين: يقول: ما هذا إلا سحر مبين، بين لمن رآه وتأمله أنه سحر.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَمَا بَلَغُوا مِئْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره: وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم لما جاءهم بآياتنا: هذا سحر مبين بما يقولون من ذلك كتبنا يدرسونها: يقول: يقرءونها. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وما آتيناهم من كتب يدرسونها): أي يقرءونها (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) يقول: وما أرسلنا إلى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد فيما يقولون ويعملون قبلك من نبي يندرهم بأسنا عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم. وقوله (وكذب الذين من قبلهم) يقول: وكذب الذين من قبلهم من الأمم أرسلنا وتنزلنا (وما بلغوا مِئْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) يقول: ولم يبلغ قومك يا محمد عُشْرَ مَا أَعْطَيْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْأَيْدِي وَالْبَطْشِ، وغير ذلك من النعم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (وما بلغوا مِئْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) من القوة في الدنيا.

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا بَلَغُوا مِيعَ شَارَ مَاءَاتَيْنَاهُمْ) يقول : ما جاوزوا معشار ما أنعمنا عليهم .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِيعَ شَارَ مَاءَاتَيْنَاهُمْ) يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يُعْطَكم من القوة وغير ذلك .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا بَلَغُوا مِيعَ شَارَ مَاءَاتَيْنَاهُمْ) قال : ما بلغ هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم معشار ما آتينا الذين من قبلهم ، وما أعطيناهم من الدنيا ، وبسطنا عليهم (فَكَذَّبُوا رَسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) يقول : فكذبوا رسلي فيما أتوهم به من رسالتي ، فعاقبناهم بتغييرنا بهم ما كنا آتيناهم من النعم ، فانظر يا محمد كيف كان نكير .
يقول : كيف كان تغييرى بهم وعقوبتى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ أَمْ أَبْصَارِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿١﴾

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك : إنما أعظكم أئبها القوم بواحدة وهي طاعة الله . كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ) قال : بطاعة الله .

وقوله (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى) يقول : وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي أن تقوموا لله اثنين اثنين ، (وَفُرَادَى) فُرَادَى ١ ، فأن في موضع خفض ترجمة عن الواحدة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى) قال : واحدا واثنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى) رجلا ورجلين . وقيل : إنما قيل : إنما أعظكم بواحدة ، وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى . (مِثْلِي) يقول : يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصدقان على

(١) لعله : وفردا فردا : أي أن تقوموا اثنين اثنين ، وواحدا واحدا .

المناظرة ، هل علمتم بمحمد صلى الله عليه وسلم جنونا قطُّ ، ثم ينفرد كل واحد منكم ، فيتفكر ويعتبر فردا هل كان ذلك به ، فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم ؟ .
 وقوله (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ) يقول : لأنه ليس بمجنون . وقوله (إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) يقول : ما محمد إلا نذير لكم يندرکم على كفرکم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوہا ، وقوله : هو كناية اسم محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لقومك المكذبيك ، الرادين عليك ما أتيتهم به من عند ربك : ما أسألكم من جعل على إنذاركم عذاب الله ، وتخويفكم به بأسه ، ونصيحتي لكم في أمرى إياكم بالإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، فهو لكم لاجابة لى به . وإنما معنى الكلام : قل لهم : إني لم أسألكم على ذلك جُعلاً فتهموني ، وتظنوا أنى إنما دعوتكم إلى اتباعى لمال آخذه منكم .
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ) : أى جعل (فَهُوَ لَكُمْ) يقول : لم أسألكم على الإسلام جُعلاً .
 وقوله (إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) يقول : ما ثوابى على دعائكم إلى الإيمان بالله ، والعمل بطاعته ، وتبليغكم رسالته ، إلا على الله (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) يقول : والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لى به ، وعلى غير ذلك من الأشياء كلها .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لمشركى قومك (إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) وهو الوحي ، يقول : ينزله من السماء ، فيقذفه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (عَلَٰمُ الْغُيُوبِ) يقول : علام ما يغيب عن الأبصار ، ولا مظهر لها ، وما لم يكن مما هو كائن ، وذلك من صفة الرب ، غير أنه رفع لمحبيته بعد الخبر ، وكذلك تفعل العرب إذا وقع النعت بعد الخبر ، فى أن أتبعوا النعت إعراب ما فى الخبر ، فقالوا : إن أباك يقوم الكريم ، فرفع الكريم على ما وصفت ، والنصب فيه جائز ، لأنه نعت للأب ، فيتبع إعرابه (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) يقول : قل لهم يا محمد : جاء القرآن ووحى الله (وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ) يقول :

وما ينشئ الباطل خلقا ؛ والباطل هو فيما فسره أهل التأويل : إبليس (وَمَا يُعِيدُ) يقول : ولا يعيده حيا بعد فنائه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْدِفُ بِالْحَقِّ) : أى بالوحي (عَلَامُ الْغُيُوبِ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) أى القرآن (وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) ، والباطل : إبليس : أى ما يخلق إبليس أحدا ، ولا يعثه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَامُ الْغُيُوبِ) ، فقرأ (بَلْ نَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ) . . . إلى قوله (وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) قال : يزهد الله الباطل ، ويثبت الله الحق الذى دمع به الباطل ، يدمع بالحق على الباطل ، فيهلك الباطل ويثبت الحق ، فذلك قوله (قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَامُ الْغُيُوبِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لقومك : إن ضللت عن الهدى ، فسلكت غير طريق الحق ، فإنما ضللت عن الصواب على نفسى ، يقول : فإن ضللت عن الهدى على نفسى ضره (وَإِنِ اهْتَدَيْتُ) يقول : وإن استقيت على الحق (فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي) يقول : فبوحى الله الذى يوحى إلى ، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى .

وقوله (إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) يقول : إن ربي سميع لما أقول لكم ، حافظ له ، وهو المجازى لى على صدق فى ذلك ، وذلك منى غير بعيد ، فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم ، وما تقولون ، وما يقوله غيرنا ، ولكنه قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به ، أقرب إليه من جبل الوريد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ أَفْلَاقًا وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : ولو ترى يا محمد إذ فرعوا . واختلف أهل التأويل فى المعنيين بهذه الآية ، فقال بعضهم : عني بها هؤلاء المشركون الذين وصفهم تعالى ذكره بقوله (وَإِذَا تَتَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُؤِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ) .

عَمَّا كَانَ يَعْْبُدُ آبَاؤَكُمْ) قال: وعني بقوله (إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ ، وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) عند نزول نقمة الله بهم في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذا من عذاب الدنيا . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) قال : هذا عذاب الدنيا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ) . . . إلى آخر السورة ، قال : هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر ، نزلت فيهم هذه الآية ، قال : وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرا ، وأحلوا قومهم دار البوار جهنم ، أهل بدر من المشركين . وقال آخرون : عني بذلك جيش يخسف بهم ببداء من الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ) قال : هم الجيش الذي يخسف بهم بالبداء ، يبق منهم رجل يخبر الناس بما لقي أصحابه .

حدثنا عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد ، قال : ثني منصور بن المعتمر ، عن ربعي بن حراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب . قال : فبينما هم كذلك ، إذ خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فورة ذلك ، حتى ينزل دمشق ، فيبعث جيشين : جيشا إلى المشرق ، وجيشا إلى المدينة ، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة ، والبقعة الحبيثة ، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ، ويَبْقُرُونَ بها أكثر من مئة امرأة ، ويقتلون بها ثلاث مئة كبش من بني العباس ، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ماحولها ، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام ، فتخرج راية هذا من الكوفة ، فتلحق ذلك الجيش منها على الفتين فيقتلونهم ، لايفلت منهم مخبر ، ويستنقذون ما في أيديهم من السبى والغنائم ، ويخلى جيشه التالي بالمدينة ، فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها ، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة ، حتى إذا كانوا بالبداء ، بعث الله جبريل ، فيقول : يا جبرائيل اذهب فأبدهم ، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم ، فذلك قوله في سورة سبأ (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ) . . . الآية ، ولا ينفلت منهم إلا رجلان : أحدهما بشير ، والآخر نذير ، وهما من جهينة ، فلذلك جاء القول :

وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ^١

(١) هذا عجز بيت من الوافر . وصدوره :

* تُسَائِلُ عَنْ حُصَيْنٍ كُلِّ رَكْبٍ *

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني قال : سألت رواد بن الجراح ، عن الحديث الذي حدث به عنه ، عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ربي ، عن حذيفة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، عن قصة ذكرها في الفن ، قال : فقلت له : أخبرني عن هذا الحديث سمعته من سفيان الثوري ؟ قال : لا ، قلت : فقرأته عليه ، قال : لا ، قلت : فقرئ عليه وأنت حاضر ؟ قال : لا ، قلت : فما قصته ، فما خبره ؟ قال : جاءني قوم فقالوا : معنا حديث عجيب ، أو كلام هذا معناه ، نقرأه وتسمعه ، قلت لهم : هاتوه ، فقرأوه عليّ ، ثم ذهبوا فحدثوا به عني ، أو كلام هذا معناه .

قال أبو جعفر : وقد حدثني ببعض هذا الحديث محمد بن خلف ، قال : ثنا عبد العزيز بن أبان ، عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ربي ، عن حذيفة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حديث طويل ، قال : رأيت في كتاب الحسين بن عليّ الصدائي ، عن شيخ ، عن رواد ، عن سفيان بطوله وقال آخرون : بل عني بذلك المشركون إذا فزعوا عند خروجهم من قبورهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا) قال : فزعوا يوم القيامة حين خرجوا من قبورهم .

وقال قتادة (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) حين عابنوا عذاب الله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ابن معقل (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) قال : أفرعهم يوم القيامة فلم يفوتوا .

والذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك ، وأشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال : وعيد الله المشركين الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه لأن الآيات قبل هذه الآية جاءت بالإخبار عنهم وعن أسبابهم ، وبوعيد الله إياهم مغبته ، وهذه الآية في سياق تلك الآيات ، فلا يكون ذلك خبراً عن حالهم أشبه منه بأن يكون خبراً لما لم يجر له ذكر . وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك ، فتعابنهم حين فزعوا من معابنهم عذاب الله (فَلَا فَوْتَ) يقول فلا سبيل حينئذ أن يفوتوا بأنفسهم ، أو يعجزونا هرباً ، وينجوا من عذابنا .

كما حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) يقول : فلا نجاة .

(مجمع الأمثال للميداني ١ : ٣٠٤) . والشطر الثاني من الأمثال السائرة ، وله قصة مطولة ذكرها الميداني خلاصتها : أن حصين بن عمرو ابن معاوية بن كلاب والأخنس بن كعب الجهني خرجا لما يخرج له الفتيان الصعاليك ، ليغيرا ويكسبا ويغنما ، فلما غنما بعض الشيء عدا الجهني على صاحبه فقتله ، ثم رجع إلى قومه جهينة ، وأخبرهم بالذي صنع بصاحبه ، وقال أبياتا من الشعر تتضمن القصة . ويلوح لي أن هذه القصة موضوعة . ولذلك يروى المثل : « وعند جفينة الخبر اليقين » كما في « الاقتصاب شرح أدب الكتاب » لابن السيد البطليوسي . وأما استشهاد المؤلف به في قصة السفياني ، فيدل على أن جهينة كانت قبيلة مشهورة بتتبع أخبار العرب ، ومعرفة الأحداث « حتى كان عندها علم من كل شيء . ولكثرة ذلك فيها نسب إليها العلم بما يقع من الأحداث المستقبلية .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان ، عن جوير ، عن الضحاك ، في قوله (وَكَوَّ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا فَوْتَ) قال : لاهرب .
وقوله (وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) يقول : وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب ، لأنهم حيث كانوا من الله قريب لا يبعدون عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَإِنَّا لَمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون حين عاينوا عذاب الله آمنا به ، يعني : آمنا بالله وبكتابه ورسوله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) قالوا : آمنا بالله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالَُوا آمَنَّا بِهِ) عند ذلك ، يعني : حين عاينوا عذاب الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) بعد القتل وقوله (وَإِنَّا لَمُ التَّنَاوُشُ) يقول : ومن أي وجه لهم التناوش .
واختلفت قرآءة الأمصار في ذلك ، فقرآته عامة قرآءة المدينة (التَّنَاوُشُ) بغير همز ، بمعنى : التناول ؛ وقرآته عامة قرآءة الكوفة والبصرة (التَّنَاوُشُ) بالهمز ، بمعنى : التنؤش ، وهو الإبطاء ، يقال منه : تناءشت الشيء : أخذته من بعيد ، ونشته : أخذته من قريب ؛ ومن التنؤش قول الشاعر :

تَمَنَّى نَشِيْشًا أَنْ يَكُوْنَ أَطَاعِنِيْ
وَقَدْ حَدَّثَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورًا

(١) الأبيات لنهشل بن حري ، انشدها اللسان في (نأش) المهموز على أنه يقال : جاء نئيشا : أي بطيشا . أنشد يعقوب لنهشل بن حري

وَمَوَّلِي عَصَانِي وَأَسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ
فَلَمَّا رَأَى مَا غِيبُ أَمْرِي وَأَمْرِهِ
تَمَنَّى نَشِيْشًا أَنْ يَكُوْنَ أَطَاعِنِيْ
وَبَحْدُثَ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورًا

قوله ، تمنى نئيشا : أي في الأخير ، وبعد الفوت أن لو أطاعني وقد حدثت أمور لا يستدرك بها ما فات . أي أطاعني في وقت لا تنفعه فيه الطاعة . قال : ويقال فعله نئيشا : أي أخيرا ، واتبعه نئيشا : إذا تأخر عنه تم اتبعه على عجلة ، شفقة أن يفوته . والنئيش أيضا : البعيد عن ثعلب وقال الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة . الوقفة ٢٦٥) وقوله « وأنى لهم التناوش » ؟ قرأ الأعمش وحمزة والكسائي ، بالهمز ، يجعلونه من الشيء البطيء من نأشت من النأش . قال الشاعر : « وجئت نئيشا بعد ما فاتك الخير » وقال الآخر : تمنى نئيشا... الخ البيت . وقد ترك همزها أهل الحجاز وغيرهم ، جعلوها من نشته نوشا ، وهو التناول ، وهما متقاربان مثل ذمت الشيء وذأمته أي حبته . وقال الشاعر : « فهى تنوش الحوض . . . الخ » . وتناوش القوم في القتال : إذا تناول بعضهم بعضا ولم يتدانوا كل التداني . وقد يجوز همزها ، وهى من نشت ، لانضمام الواو ، يعنى التناوش ، مثل قوله : « وإذا الرسل أقتت » .

ومن النَّوْشِ قول الراجز :

فَهِيَ تَنْوُشُ الحَوْضِ نَوْشًا مِنْ عَلا نَوْشًا بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الفَلا

ويقال للقوم في الحرب ، إذا دنا بعضهم إلى بعض بالرماح ولم يتلاقوا : قد تناوش القوم .

والصواب من القول في ذلك عندى أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان في قرآء الأمصار ، متقاربتا المعنى ،

وذلك أن معنى ذلك : وقالوا آمنا بالله ، في حين لا ينفعهم قيل ذلك ، فقال الله (وَأَنِّي لَهُمُ التَّنَاشُ)

أى وأين لهم التوبة والرجعة : أى قد بعدت عنهم ، فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها ، وإنما وصفت

ذلك الموضع بالبعيد ، لأنهم قالوا ذلك في القيامة ، فقال الله : أَنِّي لَهُمُ بِالتَّوْبَةِ المَقْبُولَةِ ، والتوبة المقبولة

إنما كانت في الدنيا ، وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيدا من الآخرة ، فبأية القراءتين اللتين ذكرت قرأ القارىء

فصيب الصواب في ذلك .

وقد يجوز أن يكون الذين قرءوا ذلك بالهمز همزوا ، وهم يريدون معنى من لم يهمز ، ولكنهم همزوه

لانضمام الواو فقلبوها ، كما قيل (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ) فجعلت الواو من وقتت ، إذا كانت مضمومة همزوه

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُريِّب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، قال :

قلت لابن عباس : رأيت قول الله (وَأَنِّي لَهُمُ التَّنَاشُ) قال : يسألون الرد ، وليس بجين رد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس نحوه .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنِّي

لَهُمُ التَّنَاشُ) يقول : فكيف لهم بالرد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَنِّي لَهُمُ التَّنَاشُ) قال : الرد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد (وَأَنِّي لَهُمُ التَّنَاشُ) قال : التناول (مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ، وَأَنِّي

(١) هذان البيتان من الرجز المشطور لأبي النجم الراجز (اللسان : علا) . شاهد على أن قوله « من علا » أى من أعلا ، أى من

فوق . وفيه لغات آخر . وأورده (اللسان) أيضا في (نوش) ونسبه إلى غيلان بن حريث ، لا إلى أبي النجم . وجعله شاهدا على أن

الناقعة تنوش الحوض بفيها ، أى تتناول ماءه قال : وقوله « من علا » أى من فوق ، . يريد أنها فوقه عالية الأجسام طوال الأعناق وذلك

النوش الذى تناوله : هو الذى يعينها على قطع الفلوات . والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط . أى تتناول ماء الحوض من فوق ،

وتشرب شربا كثيرا . وتقطع بذلك الشرب فلوات ، فلا تحتاج إلى ماء آخر . وأنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢٠٠) ونسبه

لغيلان ، وجعله شاهدا على أن التناوش في الآية « وَأَنِّي لَهُمُ التَّنَاشُ » يجعله من لم يهمز من نشت تنوش ، هو التناول . قال غيلان :

« فهى تنوش . . . » البيتين . ومن همز جعله من ناشت إليه ، وهو من بعد المطلب . وقال في (اللسان : ناش) التناوش بالهمز :

التأخر والتباعد . والتناوش : الأخذ من بعد ، مهموز عن ثعلب ، قال : فإن كان عن قرب فهو التناوش . اه قلت : وروايتا اللسان

متفقة مع رواية أبي عبيد . وتختلف عنها رواية المؤلف في قوله « باتت » في موضع « فهى » .

لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (قال : هؤلاء قتلى أهل بدر من قتل منهم ، وقرأ (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَتَاتٍ ، وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) . . . الآية ، قال : التناوش : التناول ، وأنى لهم تناول التوبة من مكان بعيد ، وقد تركوها في الدنيا ، قال : وهذا بعد الموت في الآخرة .
قال : وقال ابن زيد في قوله (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) بعد القتل (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) وقرأ (وَلَا الَّذِينَ يَمْوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ) قال : ليس لهم توبة ، وقال : عرض الله عليهم أن يتوبوا مرة واحدة ، فيقبلها الله منهم ، فأبوا ، أو يعرضون التوبة بعد الموت ، قال : فهم يعرضونها في الآخرة خمس مرات ، فيأبى الله أن يقبلها منهم ؛ قال : والتائب عند الموت ليست له توبة (وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ ، فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا) . . . الآية ، وقرأ (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ) .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان ، عن جُوَيْر ، عن الضحاك ، في قوله (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ) قال : وأنى لهم الرجعة .

وقوله (مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) يقول : من آخرتهم إلى الدنيا .
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) من الآخرة إلى الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ) يقول : وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم ، ومعابنتهم إياه من الإقالة له ، وذلك الإيمان بالله ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاءهم به من عند الله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) : أى بالإيمان في الدنيا .

وقوله (وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) يقول : وهم اليوم يقذفون بالغيب محمدا من مكان بعيد ، يعنى أنهم يرجونه ، وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والأوهام ، فيقول بعضهم : هو ساحر ، وبعضهم شاعر ، وغير ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)
قال : قولهم ساحر ، بل هو كاهن ، بل هو شاعر .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)
أى يرجعون بالظن ، يقولون لا بعث ، ولا جنة ، ولا نار .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ
مَكَانٍ بَعِيدٍ) قال : بالقرآن .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره : وحيل بين هؤلاء المشركين حين فرغوا ، فلا فوت ، وأخذوا من مكان قريب ،
فقالوا آمنا به (وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) حينئذ من الإيمان بما كانوا به في الدنيا قبل ذلك يكفرون ولا سبيل لهم إليه
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسماعيل بن حفص الأبلبي ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، في قوله (وَحِيلَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : حيل بينهم وبين الإيمان بالله .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الصمد ، قال : سمعت الحسن ، وسئل
عن هذه الآية (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : حيل بينهم وبين الإيمان .
حدثني ابن أبي زياد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
مَا يَشْتَهُونَ) قال : حيل بينهم وبين الإيمان .
حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصاري ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد
(وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : من الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ)
كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها في الدنيا حين عاينوا ما عاينوا .
حدثنا الحسن بن واضح ، قال : ثنا الحسن بن حبيب ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن ، في قوله
(وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : حيل بينهم وبين الإيمان .
وقال آخرون : معنى ذلك : وحيل بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد وزهرة الدنيا .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ قال : ثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ)
قال : من مال أو ولد أو زهرة .

حدثني يونس ، قال : قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) قال : في الدنيا التي كانوا فيها والحياة .
 وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك ، لأن القوم إنما تَمَنَّوْا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا ، ما أخبر الله عنهم أنهم تَمَنَّوْهُ ، وقالوا آمنا به ، فقال الله : وأنى لهم تناوؤش ذلك من مكان بعيد ، وقد كفروا من قبل ذلك في الدنيا . فإذا كان ذلك كذلك ، فلأن يكون قوله (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) خبرا عن أنه لا سبيل لهم إلى ما تمنوه أولى من أن يكون خبرا عن غيره .
 وقوله (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِمَّنْ قَبْلُ) يقول فعلنا بهؤلاء المشركين ، فعلنا بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان بالله عند نزول سخط الله بهم ، ومعاينتهم بأسه كما فعلنا بأشياءهم على كفرهم بالله من قبلهم من كفار الأمم ، فلم نقبل منهم إيمانهم في ذلك الوقت ، كما لم نقبل في مثل ذلك الوقت من ضربائهم .
 والأشياء : جمع شَيْعٍ ، وشَيْعٍ : جمع شَيْعَةٍ ، فأشياء جمع الجمع .
 وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِمَّنْ قَبْلُ) قال الكفار من قبلهم .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِمَّنْ قَبْلُ) أي في الدنيا كانوا إذا عاينوا العذاب لم يقبل منهم إيمان .
 وقوله (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ) يقول تعالى ذكره : وحيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله ، وبين الإيمان : إنهم كانوا قبل في الدنيا في شكٍّ من نزول العذاب الذي نزل بهم وعائتوه ، وقد أخبرهم نبيهم أنهم إن لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون من الكفر بالله ، وعبادة الأوثان أن الله مهلكهم ، ومحلُّ بهم عقوبته في عاجل الدنيا ، وآجل الآخرة قبل نزوله بهم مرِيب : يقول : موجب لصاحبه الذي هو به ما يريبه من مكروهه ، من قولهم : قد أراب الرجل : إذا أتى ريبة وركب فاحشة ؛ كما قال الراجز :
 يَا قَوْمُ مَالِي وَأَبَا ذُوَيْبٍ ؟ كُنْتُ إِذَا أَتَوْتُهُ مِنْ غَيْبٍ
 يَشْمُ عِطْفِي وَيَسْبِرُ ثَوْبِي كَأَنَّمَا أَرَبْتُهُ بِرَيْبٍ
 يقول : كأنما أتيت إليه ريبة .

آخر تفسير سورة سبأ

(١) هذه أبيات الرجز من المشطور ، أنشدها صاحب (اللسان : أتي) . قال ويقال : أتوته أتوا : لغة في أتيته . قال خالد بن زهير . « يا قوم مالي ؟ . . . الأبيات . وأنشدها أيضا في (اللسان : ريب) ونسبها إلى خالد بن زهير الهذلي . وفيها : أتيته في موضع « أتوته » وهي لغة . وجعلها شاهدا على أنه يقال : رابني ريبا وريبة بمعنى شككتني وأما أراب فإنه يأتي متعديا بمعنى راب ، ولازما بمعنى أتي ريبة . كما تقول : ألام : إذا أتى بما يلام عليه . اهـ .

(٣٥) سُورَةُ فَاطِرٍ مَكِّيَّةٍ
وَأَنبَأْنَا هَاجِمِينَ وَارْجُومَنَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۗ فِي الْخَلْقِ
مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى ذكره : الشكر الكامل للمعبود الذي لانصلح العبادة إلا له ، ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السموات السبع والأرض ، (جاعل الملائكة رُسُلًا) إلى من يشاء من عباده ، وفيما شاء من أمره ونهيه (أُولَى أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) يقول : أصحاب أجنحة : يعني ملائكة ، فمنهم من له اثنان من الأجنحة ، ومنهم من له ثلاثة أجنحة ، ومنهم من له أربعة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أُولَى أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) قال بعضهم : له جناحان ، وبعضهم : ثلاثة ، وبعضهم أربعة .

واختلف أهل العربية في علة ترك إجراء مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ، وهي ترجمة عن أجنحة ، وأجنحة نكرة ، فقال بعض نحوي البصرة : ترك إجراءهن لأنهن مصروفات عن وجوههن ، وذلك أن مثنى مصروف عن اثنين ، وثلاث عن ثلاثة ، ورباع عن أربعة ، فصرف نظير عمر ، وزفر ، إذ صرف هذا عن عامر إلى عمر ، وهذا عن زافر إلى زفر ، وأنشد بعضهم في ذلك :

وَلَقَدْ قَتَلْتُمْ ثَنَاءً وَمَوْحَدًا
وَتَرَكْتُمْ مَرَّةً مِثْلَ أَمْسِ الْمُدْبِرِ

وقال آخر منهم : لم يصرف ذلك لأنه يوهم به الثلاثة والأربعة ، قال : وهذا لا يستعمل إلا في حال العدد . وقال بعض نحوي الكوفة : هن مصروفات عن المعارف ، لأن الألف واللام لاتدخلها ، والإضافة لاتدخلها قال : ولو دخلها الإضافة والألف واللام لكانت نكرة ، وهي ترجمة عن النكرة ؛ قال : وكذلك ما كان في القرآن ، مثل (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْنَى وَفَرَادَى) ، وكذلك وحاد وأحاد ، وما أشبهه من مصروف العدد وقوله (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء ، ونقصانه عن الآخر ما أحب ، وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه ، وينقص ما شاء من خلق ما شاء ، له الخلق والأمر ، وله القدرة والسلطان (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

(١) البيت لصخر بن عمرو بن الشريد السلمي . وقد تقدم الاستشهاد به ، مع شواهد أخرى في (٤ : ٢٣٧) من هذا التفسير . فراجعه ثمة . وأنشده أبو حبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢٠١) قال : مثنى وثلاث ورباع : مجازه : اثنين ، وثلاثة ، وأربعة . فزعم النحويون أنه لما صرف عن وجهه لم ينون فهن . قال صخر بن عمرو : « ولقد قتلتكم البيت » . هـ .

يقول : إن الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء ، ونقصان ما شاء منه ممن شاء ، وغير ذلك من الأشياء كلها ، لا يمتنع عليه فعل شيء أرادته سبحانه وتعالى .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده ، فما يفتح الله للناس من خير فلا مغلاق له ، ولا ممسك عنهم ، لأن ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد ، وكذلك ما يغلاق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ، ولا يفتح لهم ، فلا فاتح له سواه ، لأن الأمور كلها إليه وله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما يفتح الله للناس من رحمة) : أي من خير (فلا ممسك لها) فلا يستطيع أحد حبسها (وما يمسك فلا مرسل له من بعده) وقال تعالى ذكره (فلا ممسك لها) فأنث ما لذكر الرحمة من بعده ، وقال (وما يمسك فلا مرسل له من بعده) فذكر للفظ « ما » لأن لفظه لفظ مذكر ، ولو أنث في موضع التذكير للمعنى ، وذكر في موضع التأنيث للفظ جاز ، ولكن الأوضح من الكلام التأنيث إذا ظهر بعد ما يدل على تأنيثها والتذكير إذا لم يظهر ذلك .

وقوله (وهو العزيز الحكيم) يقول : وهو العزيز في نيقته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمة عنه وخيراته ، الحكيم في تدبير خلقه ، وفتح لهم الرحمة إذا كان فتح ذلك صلاحا ، وإمساكه إياه عنهم إذا كان إمساكه حكمة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله التي أنعمها عليكم) بفتحها لكم من خيراته ما فتح وبسطه لكم من العيش ما بسط وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السموات والأرض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها (يرزقكم من السماء والأرض) فتعبده دونه (لا إله إلا هو) يقول : لا معبود تنبغي له العبادة إلا الذي فطر السموات

والأرض ، القادر على كل شيء ، الذى بيده مفاتيح الأشياء وخزائنها ، ومغالق ذلك كله ، فلا تعبدوا أيها الناس شيئا سواه ، فإنه لا يقدر على نفعكم وضرركم سواه ، فله فأخلصوا العبادة ، وإياه فأفردوا بالألوهة (فَأَنى تُوَفَّكُونَ) يقول : فأى وجه عن خالقكم ورازقكم الذى بيده نفعكم وضرركم تصرفون .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَنى تُوَفَّكُونَ) يقول الرجل : إنه ليوفك عنى كذا وكذا : وقد بينت معنى الإفك ، وتأويل قوله (تُوَفَّكُونَ) فيما مضى بشواهده المغنية عن تكريره .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٠١﴾

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك فلا يحزننك ذاك ، ولا يعظم عليك ، فإن ذلك سنة أمثالهم من كفره الأمم بالله ، من قبلهم وتكذيبهم رسل الله التى أرسلها إليهم من قبلك ، ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم ، فيتبعوا فى تكذيبك منهاجهم ، ويسلكوا سبيلهم (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) يقول تعالى ذكره : وإلى الله مرجع أمرهم وأمرهم ، فحل بهم العقوبة ، إن هم لم ينيبوا إلى طاعتنا فى اتباعك ، والإقرار بنبوتك ، وقبول مادعوتهم إليه من النصيحة ، نظير ما أحلنا بنظرهم من الأمم المكذبة رسلها قبلك ، ومنجيتك وأتباعك من ذلك ، سنتنا بمن قبلك فى رسلنا وأوليائنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ) يعزى نبيه كما تسمعون .
وقوله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) يقول تعالى ذكره لمشركى قريش ، المكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس إن وعد الله إياكم بأسه على إصراركم على الكفر به ، وتكذيب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وتحذيركم ، وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك حق ، فأيقنوا بذلك ، وبادروا حلول عقوبتكم بالتوبة والإنابة إلى طاعة الله والإيمان به وبرسوله (فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) يقول : فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش فى هذه الدنيا ورياستكم التى ترأسون بها فى ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والإيمان (وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) يقول : ولا يخدعنكم بالله الشيطان ، فيمنيكم الأمانى ، ويعدكم من الله العداة الكاذبة ، ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَلَا يَغْرُنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) يقول : الشيطان .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره (إِنَّ الشَّيْطَانَ) الذي نهيتكم أيها الناس أن تغرّوا بغروره إياكم بالله (لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) يقول : فأنزله من أنفسكم منزل العدو منكم ، واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه ، حذركم من عدوكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم ، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته ، فإنه إنما يدعو حزبه يعني شيعته ، ومن أطاعه إلى طاعته والقبول منه ، والكفر بالله (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) يقول : ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) فإنه لحقّ على كل مسلم عدواته ، وعدواته أن يعاديه بطاعة الله (إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ) وحزبه : أولياؤه (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) : أي ليسوقهم إلى النار ، فهذه عدواته .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) وقال : هؤلاء حزبه من الإنس ، يقول : أولئك حزب الشيطان ، والحزب : ولاته الذين يتولاهم ويتولونه ، وقرأ (إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره : (الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله (لَهُمْ عَذَابٌ) من الله (شَدِيدٌ) ، وذلك عذاب النار . وقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا) يقول : والذين صدقوا الله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله ، وانتهوا عما نهاهم عنه (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من الله لذنوبهم (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) وذلك الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) وهي الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥١﴾

✽ يقول تعالى ذكره : أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به ، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان ، فرآه حسنا ، فحسب سيء ذلك حسنا ، وظن أن قبحه جميل ، لتزيين الشيطان ذلك له ، ذهبت نفسك عليهم حسرات ، وحذف من الكلام : ذهبت نفسك عليهم حسرات ، اكتفاء بدلالة قوله (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) منه . وقوله (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) يقول : فإن الله يخذل من يشاء عن الإيمان به واتباعك وتصديقك ، فيضله عن الرشاد إلى الحق في ذلك ، ويهدي من يشاء : يقول : ويوفق من يشاء للإيمان به واتباعك ، والقبول منك ، فهديه إلى سبيل الرشاد (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) يقول : فلا تهلك نفسك حزنا على ضلالهم وكفرهم بالله ، وتكذيبهم لك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) قال قتادة والحسن : الشيطان زين لهم (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) : أى لا يحزنك ذلك عليهم ، فإن الله يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) قال : الحسرات : الحزن ، وقرأ قول الله (يَا حَسْرَاتَا عَلَى مَا فرطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) ووقع قوله (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) موضع الجواب ، وإنما هو منبع الجواب ، لأن الجواب هو المتروك الذي ذكرت ، فاكتفى به من الجواب لدلالته على الجواب ومعنى الكلام . واختلفت القراء في قراءة قوله (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) فقرأته قراء الأمصار سوى أبي جعفر المدني (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ) بفتح التاء من (تَذْهَبْ) ، ونفسك برفعها . وقرأ ذلك أبو جعفر (فَلَا تَذْهَبْ) بضم التاء من (تَذْهَبْ) ، ونفسك بنصبها ، بمعنى : لا تذهب أنت يا محمد نفسك .

✽ والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليه . وقوله (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم ، وهو محصيه عليهم ، ومجازيهم به جزاءهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُشِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ
النُّشُورُ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : والله الذى أرسل الرياح فتشير السحاب للحييا والغيث (فسقناه إلى بلد مييت) يقول : فسقناه إلى بلد مجذب الأهل ، محل الأرض ، دائر لانبت فيه ولا زرع (فأحيينا به الأرض بعد موتها) يقول : فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الأرض التى سقناه إليها بعد جدوبها ، وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل (كذلك النُّشُورُ) يقول تعالى ذكره : هكذا يُنْشِرُ الله الموتى بعد بلائهم فى قبورهم ، فيحييهم بعد فناءهم ، كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها .
وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله ، قال : يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون ، فليس من بنى آدم إلا وفى الأرض منه شيء قال : فيرسل الله ماء من تحت العرش منيا كنى الرجل ، فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك ، كما تنبت الأرض من الثرى ، ثم قرأ (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُشِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) . . . إلى قوله (كذلك النُّشُورُ) قال : ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض ، فينفخ فيه ، فتنتلق كل نفس إلى جسد لها ، فتدخل فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُشِيرُ سَحَابًا) قال : يرسل الرياح فتسوق السحاب ، فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء ، فكذلك يبعثه يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ ﴿١١﴾

اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) فقال بعضهم : معنى ذلك : من كان يريد العزّة بعبادة الآلهة والأوثان ، فإن العزّة لله جميعا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ) يقول .
من كان يريد العزة بعبادته الآلهة (فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) .
وقال آخرون : معنى ذلك : من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) يقول : فليتعزز بطاعة الله .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : من كان يريد علم العزة لمن هي ، فإنها لله جميعا كلها : أى كل وجه من العزة لله .

والذى هو أولى الأقوال بالصواب عندى قول من قال : من كان يريد العزة ، فبالله فليتعزز ، فله العزة جميعا ، دون كل مادونه من الآلهة والأوثان .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصواب ، لأن الآيات التى قبل هذه الآية ، جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان ، وتوبيخه إياهم ، ووعيدهم لهم عليها ، فأولى بهذه أيضا أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك ، فكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وكانت فى سياقها .

وقوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) يقول تعالى ذكره : إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) يقول : ويرفع ذكر العبد ربه إليه عمله الصالح ، وهو العمل بطاعته ، وأداء فرائضه ، والانتهاى إلى ما أمر به .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن إسماعيل الأحمسى ، قال : أخبرنى جعفر بن عون ، عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى ، عن عبد الله بن المخارق ، عن أبيه المخارق بن سليم ، قال : قال لنا عبد الله : إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله ، إن العبد المسلم إذا قال : سبحان الله وبحمده ، الحمد لله لا إله إلا الله ، والله أكبر ، تبارك الله ، أخذهن ملك ، فجعلهن تحت جناحيه ، ثم صعد بهن إلى السماء ، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجي بهن وجه الرحمن ، ثم قرأ عبد الله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا سعيد الجريرى ، عن عبد الله بن شقيق ، قال : قال كعب : إن لسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لدويا حول العرش كدوى النحل ، يذكرن بصاحبهن ، والعمل الصالح فى الخزائن .

حدثنى يونس ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث بن أبي سليم ، عن شهر بن حوشب الأشعرى ، قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال : العمل الصالح يرفع الكلم الطيب

حدثني عليّ ، ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال : الكلام الطيب : ذكر الله ، والعمل الصالح : أداء فرائضه ، فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه ، حمّل عليه ذكر الله فصعد به إلى الله ، ومن ذكر الله ، ولم يؤدّ فرائضه ، ردّ كلامه على عمله ، فكان أولى به .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال : العمل الصالح يرفع الكلام الطيب .

حدثنا بشر ، قال ثنا يزيد قال : ثنا سعيد عن قتادة قوله (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال : قال الحسن و قتادة : لا يقبل الله قولا إلا بعمل ، من قال وأحسن العمل قبل الله منه . وقوله (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ) يقول تعالى ذكره : والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) قال : هؤلاء أهل الشرك . وقوله (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ) يقول : وعمل هؤلاء المشركين يبور ، فيبطل فيذهب ، لأنه لم يكن لله ، فلم ينفع عامله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ) : أي يفسد . حدثني يونس ، قال : أخبرنا سفیان ، عن ليث بن أبي سليم ، عن شهر بن حوشب (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ) قال : هم أصحاب الرياء .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا سهل بن أبي عامر ، قال : ثنا جعفر الأحمر ، عن شهر بن حوشب ، في قوله (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ) قال : هم أصحاب الرياء . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ) قال : بار فلم ينفعهم ، ولم ينتفعوا به ، وضرهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاجًا وَمَا تَحِجُلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ) أيها الناس (مِنْ تَرَابٍ) يعني بذلك أنه خلق أباهم آدم من تراب ، فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقا (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) يقول : ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) يعني أنه زوج منهم الأنثى من الذكر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ) يعني آدم (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) يعني ذريته (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) فزوج بعضهم بعضا .
وقوله (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) يقول تعالى ذكره : وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة إلا وهو عالم بحملها إياه ووضعها ، وما هو؟ ذكر أو أنثى؟ لا يخفى عليه شيء من ذلك .

وقوله (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وما يعمر من معمر فيطول عمره ، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمر عمرًا طويلًا (إِلَّا فِي كِتَابٍ) عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه ، وقبل أن تضعه قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه ، لا يزداد فيما كتب له ولا ينقص .
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ) . . . إلى (يَسِيرٌ) يقول : ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر ، وقد قضيت ذلك له ، وإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت له ، لا يزداد عليه ، وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالح العمر ، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت له لا يزداد عليه ، فذلك قوله (وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) يقول : كل ذلك في كتاب عنده .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : من قضيت له أن يعمر حتى يدركه الكبر ، أو يعمر أنقص من ذلك ، فكل بالغ أجله الذي قد قضى له ، كل ذلك في كتاب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) قال : ألا ترى الناس : الإنسان يعيش مئة سنة ، وآخر يموت حين يولد؟ فهذا هذا ، فالهاء التي في قوله (وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ) على هذا التأويل وإن كانت في الظاهر أنها كناية عن اسم المُعَمَّرِ الأوَّل ، فهي كناية اسم آخر غيره ، وإنما حسن ذلك لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأوَّل ، وذلك كقولهم : عندي ثوب ونصفه ، والمعنى : ونصف الآخر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ بقاء ما فني من أيام حياته ، فذلك هو نقصان عمره ، والهاء على هذا التأويل للمُعَمَّرِ الأوَّل ، لأن معنى الكلام : ما يطول عمر أحد ، ولا يذهب من عمره شيء ، فيُنْقَصُ إِلَّا وهو في كتاب عبد الله مكتوب قد أحصاه وعلمه .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك في هذه الآية (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) قال : ما يقضى من أيامه التي عدت له إلا في كتاب .

❦ وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب ، التأويل الأول ، وذلك أن ذلك هو أظهر معنيه ، وأشبههما بظاهر التنزيل .

وقوله (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) : يقول تعالى ذكره : إن إحصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل ، طويل ذلك وقصيره ، لا يتعدّر عليه شيء منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لِيَتَبَنَّغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وما يعتدل البحرين فيستويان ، أحدهما عذب فُرَات ، والفرات : هو أعذب العذب ، وهذا ملح أُجَاج : يقول : والآخر منهما ملح أجاج ، وذلك هو ماء البحر الأخضر ، والأجاج : المر ، وهو أشدّ المياه ملوحة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) والأجاج : المر .

وقوله (وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) يقول : ومن كلّ البحار تأكلون لحما طريا ، وذلك السمك من عذبها الفرات ، وملحها الأجاج (وتستخرجون حليّة تلبسونها) يعني : الدرّ والمرجان تستخرجونها من الملح الأجاج . وقد بينا قبل وجه (تستخرجون حليّة) ، وإنما يستخرج من الملح فيما مضى بما أغنى عن إعادته (وترى الفلك فيه مَوَآخِرَ) يقول تعالى ذكره : وترى السفن في كل تلك البحار مواخر ، تمخر للماء بصدورها ، وذلك خرقها إياه إذا مرت واحدها ماخرة ، يقال منه تمخرت تمخر ، وتمخر مخرا ، وذلك إذا شقت الماء بصدورها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا

طَرِيًّا) : أى منهما جميعا (وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا) هذا اللؤلؤ، (وترى الفلك فيه مواخر) : فيه السفن مُقبلةً ومدبرة بريح واحدة .

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ) يقول : جوارى .
وقوله (لِيَتَبَتَّغُوا مِن فَضْلِهِ) يقول : لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معاشكم ، ولتصرفوا فيها في تجارتكم ، وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم ، وما رزقكم منه من طيبات الرزق ، وفاخر الحلى .

القول في تأويل قوله تعالى :

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : يدخل الليل في النهار ، وذلك ما نقص من الليل أدخله في النهار فزاده فيه ، ويولج النهار في الليل ، وذلك ما نقص من أجزاء النهار زاد في أجزاء الليل ، فأدخله فيها .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) زيادة هذا في نقصان هذا ، ونقصان هذا في زيادة هذا .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) يقول : هو انتقاص أحدهما من الآخر .
وقوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول : وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم ، ورحمة منه بكم ، لتعلموا عدد السنين والحساب ، وتعرفوا الليل من النهار .
وقوله (كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول : كل ذلك يجرى لوقت معلوم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) أجل معلوم ، وحد لا يُقَصَّرُ دونه ولا يتعداه .
وقوله (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ) يقول : الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لاتصلح العبادة إلا له ، وهو الله ربكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ) : أى هو الذى يفعل هذا .

وقوله (لَهُ الْمُلْكُ) يقول تعالى ذكره : له الملك التام الذي لا شيء إلا وهو في ملكه وسلطانه .
 وقوله (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) يقول تعالى ذكره والذين
 تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التي ذكرها في هذه الآيات الذي له الملك الكامل ، الذي
 لا يشبهه ملك ، صفته (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) يقول : ما يملكون قِشْرَ نَوَاةٍ فما فوقها .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن حدثه ، عن ابن عباس في قوله :
 (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) قال : هو جلد النواة .
 حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ
 قِطْمِيرٍ) يقول : الجلد الذي يكون على ظهر النواة .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
 قوله (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) يعني : قشر النواة .
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (مِنْ قِطْمِيرٍ) قال : لفافة النواة
 كسحاة البيضة .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ)
 والقطمير : القشرة التي على رأس النواة .
 حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيْرٍ ، عن بعض أصحابه ، في قوله
 (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) قال : هو القميص الذي يكون على التمرة .
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مرة ، عن عطية ، قال : القطمير : قشر النواة .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ
 بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿٢١﴾

❖ قوله (إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ) ، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) يقول تعالى
 ذكره : إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعون دعاءكم ، لأنها جماد لا تفهم
 عنكم ما تقولون (وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) يقول : ولو سمعوا دعاءكم إياهم ، وفهموا عنكم
 أنها قولكم ، بأن جعل لهم سمع يسمعون به ما استجابوا لكم ، لأنها ليست ناطقة ، وليس كل سامع قولاً
 متيسراً له الجواب عنه ، يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان : فكيف تعبدون من دون الله من

هذه صفته ، وهو لانفع لكم عنده ، ولا قدرة له على ضرركم ، وتدعون عبادة الذى بيده نفعكم وضرركم ، وهو الذى خلقكم وأنعم عليكم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) ؛ أى ما قبلوا ذلك عنكم ، ولا نفعوكم فيه .
وقوله (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِيرِكُمْ) يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان :
ويوم القيامة تبرأ ألهتكم التى تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكا فى الدنيا .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِيرِكُمْ)
إياهم ، ولا يرضون ، ولا يقرون به .

وقوله (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) يقول تعالى ذكره : ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عبدتها يوم القيامة ، من تبرئها منهم ، وكفرها بهم ، مثل ذى خبرة بأمرها وأمرهم ، وذلك الخبير هو الله الذى لا يخفى عليه شىء كان أو يكون سبحانه .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقير إلى ربكم ، فإياه فاعبدوا ، وفى رضاه فسارعوا يغنكم من فقركم ، وتنجح لديه حوائجكم (وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) عن عبادتكم إياه ، وعن خدمتكم ، وعن غير ذلك من الأشياء ، منكم ومن غيركم ، (الْحَمِيدُ) يعنى : المحمود على نعمه ، فإن كل نعمة بكم وبغيركم فنه ، فله الحمد والشكر بكل حال .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكُ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِيلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ

يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى

اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : إن يشأ يهلككم أيها الناس ربكم ، لأنه أنشأكم من غير ما حاجة به إليكم (وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) يقول : ويأت بخلق سواكم يُطيعونه ، ويأتمرون لأمره ، وينتهون عما نهاهم عنه . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) : أي ويأت بغيركم .

وقوله (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) يقول : وما إذهابكم والإتيان بخلق سواكم على الله بشديد ، بل ذلك عليه يسير سهل ، يقول : فاتقوا الله أيها الناس ، وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك . وقوله (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) يقول تعالى ذكره : ولا تحمل آثمة لثم أخرى غيرها (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) يقول تعالى : وإن تسأل ذات ثقل من الذنوب مَنْ يَحْمِلُ عَنْهَا ذُنُوبَهَا ، وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيئاً منها ، ولو كان الذي سأله ذا قرابة من أب أو أخ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا ، لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) يقول : يكون عليه وزر لا يجد أحداً يحمل عنه من وزره شيئاً .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ) كنعو : (لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا) إلى ذنوبها (لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) : أي قريب القرابة منها ، لا يحمل من ذنوبها شيئاً ، ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئاً (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) ، ونصب ذا قربي على تمام كان لأن معنى الكلام : ولو كان الذي سأله أن يحمل عنها ذنوبها ذا قربي لها ، وأثت مثقلة ، لأنه ذهب بالكلام إلى النفس ، كأنه قيل : وإن تدع نفس مثقلة من الذنوب إلى حمل ذنوبها ، وإنما قيل كذلك لأن النفس تؤدى عن الذكر والأنثى ، كما قيل : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) يعني بذلك : كل ذكر وأنثى . وقوله (إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك ، ولكن لإيمانهم بما

أَتَيْتَهُمْ بِهِ ، وَتَصَدِّقُهُمْ لَكَ فِي مَا أُنْبَأَتْهُمْ عَنْ اللَّهِ ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْفَعُهُمْ إِذْ نَادَى ، وَيَتَعَطَّوْنَ بِمَوَاعِظِكَ ،
لِلَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهَمْ لَا يَفْقَهُونَ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ) : أى يخشون النار .

وقوله (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) يقول : وَأَدَّوْا الصَّلَاةَ المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم . وقوله
(وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ) يقول تعالى ذكره : ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب
بالتوبة إلى الله ، والإيمان به ، والعمل بطاعته ، فإنما يتطهر لنفسه ، وذلك أنه يثيبها به رضا الله ، والفوز
بجنانه ، والنجاة من عقابه ، الذى أعدّه لأهل الكفر به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى
لِنَفْسِهِ) : أى من يعمل صالحا فإنما يعمل لنفسه .

وقوله (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) يقول : وإلى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس ، مؤمنكم وكافركم ،
وبركم وفاجركم ، وهو مجاز جميعكم بما قدم من خير أو شر على ما أهل منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١١﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿١٢﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿١٣﴾ وَمَا يَسْتَوِي
الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿١٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿١٥﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى) عن دين الله الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه
وسلم (وَالْبَصِيرُ) الذى قد أبصر فيه رشده ، فاتبع محمدا وصدقه ، وقبل عن الله ما ابتعثه به (وَلَا
الظُّلُمَاتُ) يقول : وما تستوى ظلمات الكفر ، ونور الإيمان (وَلَا الظُّلُّ) قيل : ولا الجنة (وَلَا
الْحَرُورُ) قيل : النار ، كأن معناه عندهم : وما تستوى الجنة والنار ؛ والحرور بمنزلة السموم ، وهى الرياح
الحارة . وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى ، عن رؤبة بن العجاج ، أنه كان يقول : الحرور بالليل ، والسموم
بالنهار . وأما أبو عبيدة فإنه قال : الحرور فى هذا الموضع والنهار مع الشمس . وأما الفراء فإنه كان يقول :
الحرور يكون بالليل والنهار ، والسموم لا يكون بالليل إنما يكون بالنهار .

والقول فى ذلك عندى ، أن الحرور يكون بالليل والنهار ، غير أنه فى هذا الموضع بأن يكون كما قال
أبو عبيدة : أشبه مع الشمس ، لأن الظل إنما يكون فى يوم شمس ، فذلك يدل على أنه أريد بالحرور : الذى
يوجد فى حال وجود الظل .

وقوله (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ) يقول : وما يستوى الأحياء القلوب بالإيمان بالله

ورسوله ، ومعرفة تنزيل الله ، والأموات : القنوب لغلبة الكفر عليها ، حتى صارت لاتعقل عن الله أمره ونهيه ، ولا تعرف الهدى من الضلال ، وكلّ هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان ، والكافر والكفر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) . الآية ، قال : هو مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية ، يقول : وما يستوي الأعمى والظلمات والحرور ، ولا الأموات ، فهو مثل أهل المعصية ، ولا يستوي البصير ولا النور ، ولا الظلّ والأحياء ، فهو مثل أهل الطاعة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى) . . . الآية خلقا ، فضل بعضه على بعض ، فأما المؤمن فبعد حتى الأثر ، حتى البصر ، حتى النية ، حتى العمل . وأما الكافر فبعد ميت ، ميت البصر ، ميت القلب ، ميت العمل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، وَلَا الظُّلُّمَاتُ وَلَا النُّورُ ، وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحرُّورُ ، وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الأمواتُ) قال : هذا مثل ضربه الله ، فالمؤمن بصير في دين الله ، والكافر أعمى ، كما لا يستوي الظلّ ولا الحرور ، ولا الأحياء ولا الأموات ، فكذلك لا يستوي هذا المؤمن الذي يبصر دينه ، ولا هذا الأعمى ، وقرأ (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) قال : الهدى الذي هداه الله به ونور له ، هذا مثل ضربه الله لهذا المؤمن الذي يبصر دينه ، وهذا الكافر الأعمى ، فجعل المؤمن حيا ، وجعل الكافر ميتا ، ميت القلب (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) قال : هديناه إلى الإسلام كمن مثله في الظلمات أعمى القلب ، وهو في الظلمات ، أهذا وهذا سواء ؟

واختلف أهل العربية في وجه دخول « لا » مع حرف العطف في قوله (وَلَا الظُّلُّمَاتُ وَلَا النُّورُ ، وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحرُّورُ) فقال بعض نحويّ البصرة : قال : ولا الظلّ ولا الحرور ، فيشبه أن تكون « لا » زائدة ، لأنك لو قلت : لا يستوي عمرو ولا زيد في هذا المعنى لم يجوز إلا أن تكون « لا » زائدة ؛ وكان غيره يقول : إذا لم تدخل « لا » مع الواو ، فإنما لم تدخل اكتفاء بدخولها في أول الكلام ، فإذا أدخلت فإنه يراد بالكلام أن كل واحد منهما لا يساوي صاحبه ، فكان معنى الكلام إذا أعيدت « لا » مع الواو عند صاحب هذا القول لا يساوي الأعمى البصير ولا يساوي البصير الأعمى فكل واحد منهما لا يساوي صاحبه .
وقوله (إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) يقول تعالى ذكره : كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله ، فيهديهم به إلى سبيل الرشاد ، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله ، وبيان حججه ، من كان ميت القلب من أحياء عباده ، عن معرفة الله ، وفهم كتابه وتنزيله ، وواضح حججه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) كذلك الكافر لا يسمع ، ولا ينتفع بما يسمع .
وقوله (إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ما أنت إلا نذير تُنذِر هؤلاء المشركين بالله ، الذين طبع الله على قلوبهم ، ولم يُرْسِلِك ربك إليهم إلا لتبلغهم رسالته ، ولم يكلفك من الأمر ما لا سبيل لك إليه ، فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به ، فإن ذلك بيد الله لا بيدك ، ولا بيد غيرك من الناس ، فلا تذهب نفسك عليهم حسراتٍ إن هم لم يستجيبوا لك .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يَكذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

﴿٢٤﴾ يقول جل ثناؤه لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (بِالْحَقِّ) وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده (بَشِيرًا) يقول : مُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ مِنْ صِدْقِكَ وَقَبْلِ مَنْكَ مَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنَ النَّصِيحَةِ (وَنَذِيرًا) تُنذِرُ النَّاسَ مَنْ كَذَّبَكَ وَرَدَّ عَلَيْكَ مَا جِئْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنَ النَّصِيحَةِ (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) يقول : وما من أمة من الأمم الدائنة بجملة إلا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) كل أمة كان لها رسول .

وقوله (وَإِنْ يَكذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول تعالى ذكره مسلينا نبية صلى الله عليه وسلم فيما يلقي من شركى قومه من التكذيب ، وإن يكذبك يا محمد مشركو قومك ، فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم الذين جاءتهم رسلهم بالبينات : يقول : بحجج من الله واضحة ، وبالزُّبُرِ يقول : وجاءتهم بالكتب من عند الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ) أى الكتب وقوله (وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) يقول : وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمله وتدبره أنه الحق .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) يضعف الشيء وهو واحد .

وقوله (ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) يقول تعالى ذكره : ثم أهلكتنا الذين جحدوا رسالة رسلنا ، وحقيقة مادعوهم إليه من آياتنا ، وأصروا على جحودهم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) يقول : فانظر يا محمد كيف كان تغييرى بهم ، وحلول عقوبتى بهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ
وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ
كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثا ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها : يقول فسقيناها أشجارا في الأرض ، فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفا ألوانها ، منها الأحمر ، ومنها الأسود والأصفر ، وغير ذلك من ألوانها (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ) يقول تعالى ذكره : ومن الجبال طرائق ، وهي الجدد ، وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود ، كالطرق : واحدها جدّة ؛ ومنه قول امرئ القيس في صفة حمار :

كَأَنَّ سَرَاتَهُ وَجُدَّةَ مَتْنِهِ
كَنَائِنُ يَجْرِي فَوْقَهُنَّ دَلِيصٌ

يعني بالجدّة : الخطّة السوداء تكون في متن الحمار .

وقوله (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) يعني : مختلف ألوان الجدد (وَغَرَابِيبُ سُودٍ) ، وذلك من المقدم الذي هو بمعنى التأخير ، وذلك أن العرب تقول : هو أسود غريب ، إذا وصفوه بشدة السواد ، وجعل السواد ههنا صفة للغرابيب . وقوله (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة ، وغير ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) أحمر وأخضر وأصفر (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ) : أي طرائق بيض (وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) أي جبال حمر وبيض (وَغَرَابِيبُ سُودٌ) هو الأسود ، يعني لونه كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك .

(١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى الباني الخليلي وأولاده ص ١٢٧) وفيه « ظهره » في موضع « متنه » . و « بينهن » في موضع « فوقهن » . قال شارحه : سراته : ظهره . والجدّة : الخط الذي في وسط الظهر . والكنائين : جماب السهام ، من جلد أو خشب . والدليص : ماء الذهب . شبه الخط الذي على ظهر الحمار في بريقه ولونه ، بجماب منهية ، مع بريق جلدها وإملاسه . اه . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى « ومن الجبال جدد بيض وحمرة » على أن معنى الجدد : الخطط تكون في الجبال : بيض وحمرة وسود كالطرق ، واحدها جدّة . وقال الفراء في معاني القرآن . (الورقة ٢٦٦) قوله « جدد بيض » الخطط والطرق تكون في الجبال كالعروق : بيض وسود وحمرة ، واحدها جدّة ، وأنشد بيت امرئ القيس كرواية المؤلف . ثم قال : والجدّة : الخطّة السوداء في متن الحمار . وقال الفراء : يقال : أدلصت الشيء ودلصته : إذا برق . فكل شيء يبرق نحو المرأة والذهب والغضة ، فهو دليص . اه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ) طرائق بيض ، وحمرة وسود ، وكذلك الناس مختلف ألوانهم .
حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي ، قال : ثنا مروان ، عن جويبر ، عن الضحاک قوله (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ) قال : هي طرائق حمرة وسود .
وقوله (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) يقول تعالى ذكره : إنما يخاف الله فيتقى عقابه بطاعته العلماء ، بقدرته على ما يشاء من شيء ، وأنه يفعل ما يريد ، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته ، فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) قال : الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) قال : كان يقال : كفي بالرهبة علما .
وقوله (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله عزيز في انتقامه ممن كفر به ، غفور لذنوب من آمن به وأطاعه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢١﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين يقرءون كتاب الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم (وأقاموا الصلاة) يقول : وأدوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها وقال : وأقاموا الصلاة بمعنى : ويقوموا الصلاة وقوله (وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) يقول : وتصدقوا بما أعطيناكم من الأموال سرا في خفاء ، وعلانية : جهارا . وإنما معنى ذلك أنهم يؤدون الزكاة المفروضة ، ويتطوعون أيضا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه . وقوله (يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ) يقول تعالى ذكره : يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور : لن تكسد ولن تهلك ، من قولهم : بارت السوق : إذا كسدت وبار الطعام . وقوله (تِجَارَةً) جواب لأول الكلام . وقوله (لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ) يقول : ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا (وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ) يقول : وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل . وكان مطرف بن عبد الله يقول : هذه آية القراء .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عمرو بن عاصم ، قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال :

كان مطرف إذا مر بهذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) يقول : هذه آية القراء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يزيد ، عن مطرف بن عبد الله ، أنه قال في هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذه آية القراء .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان مطرف بن عبد الله يقول :
هذه آية القراء (لِيُؤْفِقِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) .
وقوله (إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) يقول : إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم ، شكور لحسناتهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) : إنه غفور لذنوبهم ، شكور لحسناتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾

❖ يقول تعالى ذكره : (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ) يا محمد ، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه (هُوَ الْحَقُّ) يقول : هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به ، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أوحيت إلى غيرك (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول : هو يصدق ماضي بين يديه ، فصار أمامه من الكتب التي أنزلها إلى من قبلك من الرسل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) للكتب التي خلت قبله .
وقوله (إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن الله بعباده ل ذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

اختلف أهل التأويل في معنى الكتاب الذي ذكر الله في هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده ، ومن المصطفون من عباده ، والظالم لنفسه ، فقال بعضهم : الكتاب : هو الكتب التي أنزلها الله من قبل الفرقان ، والمصطفون من عباده : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والظالم لنفسه : أهل الإجرام منهم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ)

أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ) . . . إلى قوله (الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله كل كتاب أنزله ، فظالمهم يغفر له ، ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب . . .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن عبد الله بن عيسى ، عن يزيد بن الحارث ، عن شقيق ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال : هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة : ثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ، وثلث يجيئون بذنوب عظام ، حتى يقول : ما هؤلاء ، وهو أعلم تبارك وتعالى ، فتقول الملائكة : هؤلاء جاءوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك ، فيقول الرب : أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي ، وتلا عبد الله هذه الآية (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا عون ، قال : ثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : ثنا كعب الأحبار أن الظالم لنفسه من هذه الأمة ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات : كلهم في الجنة ، ألم تر أن الله قال (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) . . . إلى قوله : (كُلٌّ كَفُورٍ) .

حدثني علي بن سعيد الكندي ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن عوف ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : سمعت كعبا يقول (فَفِيهِمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ) قال : كلهم في الجنة ، وتلا هذه الآية (جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا)
حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن عوف بن أبي جبلة ، قال : ثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : ثنا كعب أن الظالم من هذه الأمة ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ، ألم تر أن الله قال (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) . . . إلى قوله (لُغُوبٍ) والذين كفروا لهم نار جهنم ، قال : قال كعب : فهؤلاء أهل النار .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عوف ، قال : سمعت عبد الله بن الحارث يقول : قال كعب إن الظالم لنفسه ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات من هذه الأمة : كلهم في الجنة ، ألم تر أن الله يقول : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) . . . حتى بلغ قوله (جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا) .
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا حميد ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه ، أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) . . . إلى قوله (بِإِذْنِ اللَّهِ) فقال : تماسست مناكهم ورب الكعبة ، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن أبي إسحاق السبيعي ، في هذه الآية (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا) قال : قال أبو إسحاق : أما ما سمعت منذ ستين سنة ، فكلهم ناج .

قال : ثنا عمرو ، عن محمد بن الحنفية ، قال : إنها أمة مرحومة ، الظالم مغفور له ، والمقتصد في الجنات عند الله ، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله .

وقال آخرون : الكتاب الذي أورث هؤلاء القوم ، هو شهادة أن لا إله إلا الله ، والمصطفون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والظالم لنفسه منهم هو المنافق ، وهو في النار ، والمقتصد ، والسابق بالخيرات في الجنة . ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن حسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن عبد الله (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قال : اثنان في الجنة ، وواحد في النار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) . . . إلى آخر الآية ، قال : جعل أهل الإيمان على ثلاثة منازل ، كقوله (أَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ، وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) فهم على هذا المثال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) . . . الآية ، قال : الاثنان في الجنة ، وواحد في النار ، وهي بمنزلة التي في الواقعة (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) .

حدثنا سهل بن موسى ، قال : ثنا عبد الحميد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) قال هم أصحاب المشأمة (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) قال : هم أصحاب الميمنة (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قال : هم السابقون من الناس كلهم حدثنا الحسن بن عرفة قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : قال عوف ، قال الحسن : أما الظالم لنفسه فإنه هو المنافق ، سقط هذا . وأما المقتصد والسابق بالخيرات ، فهما صاحباً الجنة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عوف ، قال : قال الحسن : الظالم لنفسه : المنافق . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) شهادة أن لا إله إلا الله (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) هذا المنافق في قول قتادة والحسن (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) قال : هذا صاحب اليمين (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قال : هذا المقرَّب ، قال قتادة : كان الناس ثلاث منازل في الدنيا ، وثلاث منازل عند الموت ، وثلاث منازل في الآخرة . أما الدنيا ، فكانوا : مؤمن ، منافق ، ومشرك . وأما عند الموت ، فإن الله قال (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ) ، وأما إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ

(١) هو تقدير مبتدأ قبله ، أي هم مؤمن . . . الخ . أو بعضهم مؤمن .

الْيَمِينِ ؛ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذَّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزِّلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ) . وَأَمَّا فِي
الْآخِرَةِ فَكَانُوا أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ، (وَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ
عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) قال : هم أصحاب المشأمة (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) قال : أصحاب الميمنة ،
(وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قال : فهم السابقون من الناس كلهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال :
ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ،
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) قال : سقط هذا (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ
اللَّهِ) قال : سبق هذا بالخيرات ، وهذا مقتصد على أثره .

❖ وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ تَأْوِيلٌ مِنْ قَالَ : عَنِ بَقُولِهِ (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا
مِنْ عِبَادِنَا) الْكُتُبَ الَّتِي أَنْزَلَتْ مِنْ قَبْلِ الْفُرْقَانِ .

❖ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ : وَأَمَّةٌ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتْلُونَ غَيْرَ كِتَابِهِمْ ،
وَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ ؟ قِيلَ : إِنْ مَعْنَى ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ الَّذِي ذَهَبَتْ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ :
ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْإِيمَانَ بِالْكِتَابِ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ، فَهُمْ هُؤُلَاءِ بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ قَبْلَ كِتَابِهِمْ وَعَامِلُونَ
بِهِ ، لِأَنَّ كُلَّ كِتَابٍ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ قَبْلَ الْفُرْقَانِ ، فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَمَلِ بِالْفُرْقَانِ عِنْدَ نَزْوَلِهِ ، وَبِاتِّبَاعِ مَنْ جَاءَ
بِهِ ، وَذَلِكَ عَمَلٌ مِنْ أَقْرَبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ ، وَعَمَلٌ بِمَادِعَاةٍ إِلَيْهِ بِمَا فِي الْقُرْآنِ ، وَبِمَا فِي
غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَتْ قَبْلَهُ .

وإِنَّمَا قِيلَ : عَنِ بَقُولِهِ (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ) الْكُتُبَ الَّتِي ذَكَرْنَا لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) ثُمَّ أَتْبَعَ
ذَلِكَ قَوْلَهُ (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا) فَكَانَ مَعْلُومًا إِذْ كَانَ مَعْنَى الْمِيرَاثِ إِنَّمَا هُوَ انْتِقَالُ مَعْنَى مَنْ
قَوْمٌ إِلَى آخَرِينَ وَلَمْ تَكُنْ أُمَّةٌ عَلَى عَهْدِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَقَلَ إِلَيْهِمْ كِتَابٌ مِنْ قَوْمٍ كَانُوا قَبْلَهُمْ غَيْرِ أُمَّتِهِ
أَنَّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ : وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَبَيْنَ أَنْ الْمِصْطَفِينَ مِنْ عِبَادِهِ هُمْ مُؤْمِنُونَ أُمَّتِهِ ؛ وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ ،
فَإِنَّهُ لِأَنَّ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي هِيَ دُونَ النِّفَاقِ وَالشُّرْكِ عِنْدِي أَشْبَهَ بِمَعْنَى الْآيَةِ مِنْ أَنْ يَكُونَ
الْمُنَافِقُ أَوْ الْكَافِرَ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَتْبَعَ هَذِهِ الْآيَةَ قَوْلَهُ (جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا) فَعَمَّ بِدُخُولِ
الْجَنَّةِ جَمِيعَ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ .

❖ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَإِنْ قَوْلُهُ (يَدْخُلُونَهَا) إِنَّمَا عَنَى بِهِ الْمُقْتَصِدَ وَالسَّابِقَ ؟ قِيلَ لَهُ : وَمَا بَرَهَانُكَ عَلَى أَنَّ
ذَلِكَ كَذَلِكَ مِنْ خَبَرٍ أَوْ عَقْلِ ، فَإِنْ قَالَ : قِيَامُ الْحُجَّةِ أَنَّ الظَّالِمَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَيَدْخُلُ النَّارَ ، وَلَوْ لَمْ يَدْخُلْ

النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد وجب أن لا يكون لأهل الإيمان وعيد؟ قيل : إنه ليس في الآية خبر أنهم لا يدخلون النار ، وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره أنهم يدخلون جنات عدن ، وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله إياه على ذنوبه التي أصابها في الدنيا ، وظلمه نفسه فيها بالنار ، أو بما شاء من عقابه ، ثم يدخله الجنة ، فيكون ممن عمه خبر الله جل ثناؤه بقوله (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) .
وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قلنا في ذلك أخبار وإن كان في أسانيدنا نظر مع دليل الكتاب على صحته على النحو الذي بيّنت .

ذكر الرواية الواردة بذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا سفيان عن الأعمش ، قال : ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد ، فجلس إلى جنب أبي الدرداء ، فقال : اللهم آانس وحشتي ، وارحم غرْبتي ، ويسر لي جليسا صالحا ، فقال أبو الدرداء : لئن كنت صادقا لأنا أسعد به منك ، سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته ذكر هذه الآية (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) ، فأما السابق بالخيرات ، فيدخلها بغير حساب ، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ، وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن ، فذلك قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة عن الوليد بن المغيرة ، أنه سمع رجلا من ثقف حدث عن رجل من كنانة ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية « (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ) » قال : هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة ، وكلهم في الجنة . وعنى بقوله (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) : الذين اخترناهم لطاعتنا واجتبييناهم . وقوله (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) يقول : فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا ، من يظلم نفسه بركوبه المآثم ، واجترامه المعاصي ، واقترافه الفواحش (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) وهو غير المبالغ في طاعة ربه ، وغير المجتهد فيما ألزمه من خدمة ربه ، حتى يكون عمله في ذلك قصدا (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) وهو المبرز الذي قد تقدم المجتهدين في خدمة ربه ، وأداء ما لزمه من فرائضه ، فسبقهم بصالح الأعمال ، وهي الخيرات التي قال الله جل ثناؤه (بِإِذْنِ اللَّهِ) يقول : بتوفيق الله إياه لذلك .

وقوله (ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) يقول تعالى ذكره : سبق هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله ، هو الفضل الكبير الذي فضل به من كان مقصرا عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه .

القول في تأويل قوله تعالى:

جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٦﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره : بساتين إقامة يدخلونها هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب ، الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ) يلبسون في جنات عدن أسورة من ذهب (وَلُؤْلُؤًا ، وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) يقول : ولباسهم في الجنة حرير .
وقوله (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) اختلف أهل التأويل في الحزن الذي حمد الله على إذهابه عنهم هؤلاء القوم ، فقال بعضهم : ذلك الحزن الذي كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار ، إذ كانوا خائفين أن يدخلوها .

ذكر من قال ذلك

حدثني قتادة بن سعيد بن قتادة السدوسي ، قال : ثنا معاذ بن هشام صاحب الدستوائى ، قال : ثنا أبي ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، في قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) قال : حزن النار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) قال : إن المؤمنين قوم ذُلُّ ، ذَلَّتْ وَاللَّهِ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ وَالْجَوَارِحُ ، حَتَّى يَحْسِبَهُمُ الْجَاهِلُ مَرْضَى ، وَمَا بِالْقَوْمِ مَرَضٌ ، وَإِنَّهُمْ لِأَصْحَةِ الْقُلُوبِ ، وَلَكِنْ دَخَلَهُمْ مِنَ الْخَوْفِ مَا لَمْ يَدْخُلْ غَيْرُهُمْ ، وَمَنْعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا عِلْمُهُمْ بِالْآخِرَةِ ، فَقَالُوا : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) ، وَالْحَزْنَ ، وَاللَّهُ مَا حَزَنَهُمْ حَزْنَ الدُّنْيَا ، وَلَا تَعَاظَمَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا طَلَبُوا بِهِ الْجَنَّةَ أَبْكَاهُمْ الْخَوْفُ مِنَ النَّارِ ، وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَتَعَزَّ بِعِزِّ اللَّهِ يَقْطَعُ نَفْسَهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَاتٍ ، وَمَنْ لَمْ يَرِ لِلَّهِ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ إِلَّا فِي مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ ، فَقَدْ قَلَّ عِلْمُهُ ، وَحَضَرَ عَذَابُهُ .

وقال آخرون : عني به الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، في قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) قال : الموت .

وقال آخرون : عني به حزن الحبز^١ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، يعني ابن حميد ، عن شمر ، قال : لما أدخل الله أهل الجنة الجنة ، قالوا (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) قال : حزن الحبز .

(١) كذا في الأصل : الحبز . ولعل المراد به . هم العيش في الدنيا . والعيش فيها قوامه الطعام والحبز .

وقال آخرون : عنى بذلك : الحزن من التعب الذي كانوا فيه في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) قال : كانوا في الدنيا يعملون وينصبون وهم في خوف ، أو يحزنون .
وقال آخرون : بل عنى بذلك الحزن الذي ينال الظالم لنفسه في موقف القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، قال : ذكر أبو ثابت أن أبا الدرداء ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ ، فَيُصِيبُهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ الْغَمِّ وَالْحَزَنِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) » .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) وخوف دخول النار من الحزن ، والجزع من الموت من الحزن ، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن ، ولم يخص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعا دون نوع ، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك ، وكذلك ذلك ، لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك ، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن .
وقوله (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة : إن ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم ، فساترها عليهم بعفوه لهم عنها ، شكور لهم على طاعتهم إياه ، وصالح ما قدموا في الدنيا من الأعمال .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في قوله (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ)
لحسناتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شمر (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) غفر لهم ما كان من ذنب ، وشكر لهم ما كان منهم .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ لَآ يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين أدخلوا الجنة (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ) : أي ربنا الذي أنزلنا هذه الدار ، يعنون الجنة ، فدار المقامة : دار الإقامة التي لا تنقل معها عنها ، ولا تحوّل ، والميم إذا ضمت من المقامة ، فهي من الإقامة ، فإذا فتحت فهي من المجلس ، والمكان الذي يُقام فيه ، قال الشاعر :

يَوْمَانِ يَوْمٌ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٌ وَيَوْمٌ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيلٌ ۝
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ) أقاموا فلا يتحولون .

وقوله (لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ) يقول : لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع (وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) يعنى باللغوب : العناء والإعياء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا موسى بن عمير ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، في قوله (لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ) ، وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) قال : اللغوب : العناء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ) : أى وجع .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٦٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبِّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَبْدَأُ فِيهِمْ مِنْ تَذَكُّرٍ لَّوَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله (لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ) يقول : لهم نار جهنم مخلدين فيها ، لاحظ لهم في الجنة ولا نعيمها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ) بالموت فيموتوا ، لأنهم لو ماتوا لاستراحوا (وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) يقول : ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم بإماتهم ، فيخفف ذلك عنهم .

كما حدثني مطرف بن عبد الله الضبي ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا أبو هلال الراسبي ، عن قتادة عن أبي السوداء ، قال : مساكين أهل النار لا يموتون ، لو ماتوا لاستراحوا .

حدثني عقبه عن سنان القزاز ، قال : ثنا غسان بن مضر ، قال : ثنا سعيد بن يزيد ؛ وحدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسبة ، عن سعيد بن يزيد ؛ وحدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، ثنا أبو سلمة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا أَهْلُ النَّارِ

(١) البيت قد تقدم الاستشهاد به في هذا الجزء (٢٢ : ٦٥) .

الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ ، لَكِنَّ نَاسًا ، أَوْ كَمَا قَالَ : تُصِيبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ ، أَوْ قَالَ : بِخَطَايَاهُمْ ، فَيُؤْتِيهِمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا صَارُوا فَحْمًا أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ ، فَتَجِيءُ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرَ ، فَبُشُّوا عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيَّهِمْ فَيَنْتَبِطُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ حِينَئِذٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ (وَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِيهَا) وَقَدْ قِيلَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : (كُلَّمَا خَبَّتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) ؟ قِيلَ : مَعْنَى ذَلِكَ : وَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ مِنْ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْعَذَابِ . وَقَوْلُهُ (كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : هَكَذَا يَكْفِي كُلَّ جَحُودٍ لِنِعْمِ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بِأَنْ يَدْخُلَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ بِسَيِّئَاتِهِمْ الَّتِي قَدَّمُوا فِي الدُّنْيَا .

وَقَوْلُهُ (وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ يَسْتَغِيثُونَ ، وَيَضْجُونَ فِي النَّارِ ، يَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا : أَيْ نَعْمَلْ بِطَاعَتِكَ (غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) قَبْلُ مِنْ مَعَاصِيكَ . وَقَوْلُهُ (يَصْطَرِّخُونَ) يَفْتَعَلُونَ مِنَ الصُّرَاخِ ، حَوَّلَتْ تَأْوِيلًا طَاءَ لِقَرَبِ مَخْرَجِهَا مِنَ الصَّادِ لَمَّا ثَقَلَتْ . وَقَوْلُهُ (أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَبْلَغِ ذَلِكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ذَلِكَ أَرْبَعُونَ سَنَةً .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا بَشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عُمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : الْعُمَرُ الَّذِي أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَى ابْنِ آدَمَ (أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) : أَرْبَعُونَ سَنَةً .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبٌ ، قَالَ : ثَنَا هَشِيمٌ ، عَنْ مُجَالِدٍ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ مَسْرُوقٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِذَا بَلَغَ أَحَدُكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَلْيَأْخُذْ حِذْرَهُ مِنَ اللَّهِ . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ ذَلِكَ سِتُونَ سَنَةً .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : ثَنَا سَفْيَانٌ ، عَنْ ابْنِ خُثَيْمٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) قَالَ : سِتُونَ سَنَةً . حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : الْعُمَرُ الَّذِي أَعَذَرَ اللَّهُ فِيهِ لِابْنِ آدَمَ سِتُونَ سَنَةً .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ شُعَيْبٍ ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي كَلْبَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْفَضْلِ ، عَنْ أَبِي حَسِينِ الْمَكِّيِّ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نُودِيَ : أَيُّنَ أَبْنَاءِ السَّتِّينَ ، وَهُوَ الْعُمُرُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ (أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ، وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ) » .

حدثني أحمد بن الفرّج الحمصي ، قال : ثنا بقیة بن الوليد ، قال : ثنا مطرف بن مازن الكنانی ، قال : ثنا معمر بن راشد ، قال : سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفاری يقول : سمعت أباهريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ أَعْدَرَ اللَّهُ إِلَى صَاحِبِ السَّتِّينَ سَنَةً وَالسَّبْعِينَ » .

حدثنا أبو صالح الفزاري ، قال : ثنا محمد بن سوار ، قال : ثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القاري الإسكندري ، قال : ثنا أبو حازم ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ عَمَّرَهُ اللَّهُ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْدَرَ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ » .

حدثنا محمد بن سوار ، قال : ثنا أسد بن حميد ، عن سعيد بن طريف ، عن الأصبع بن نباتة ، عن علي رضي الله عنه ، في قوله (أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ، وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ) قال : العمر الذي عمركم الله به ستون سنة .

وأشبه القولين بتأويل الآية إذ كان الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبراً في إسناده بعض من يجب الثبوت في نقله ، قول من قال ذلك أربعون سنة ، لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه وما قبل ذلك وما بعده ، منتقَص عن كماله في حال الأربعين .

وقوله (وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ) اختلف أهل التأويل في معنى النذير ، فقال بعضهم : عنى به محمداً صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ) قال : النذير : النبي . وقرأ (هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى) وقيل : عنى به الشيب .

فتأويل الكلام إذن : أولم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قريش من السنين ، ما يتذكر فيه من تذكر ، من ذوى الألباب والعقول ، واتعظ منهم من اتعظ ، وتاب من تاب ، وجاءكم من الله منذر يُنذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله ، فلم تتذكروا مواعظ الله ، ولم تقبلوا من نذير الله الذي جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ ﴿٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : (فَذُوقُوا) نار عذاب جهنم الذي قد صليتموه أيها الكافرون بالله (فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ) يقول : فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوا غضب الله بكفرهم بالله في الدنيا

من نصير ينصرهم من الله ليستنقذهم من عقابه . وقوله (إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ مَا تُخْفُونَ أَيُّهَا النَّاسُ فِي أَنْفُسِكُمْ وَتُضْمِرُونَهُ ، وَمَا لَمْ تَضْمُرُوهُ ، وَمَا لَمْ تَنْوُوهُ مِمَّا سَتَوُونَهُ ، وَمَا هُوَ غَائِبٌ عَنْ أَبْصَارِكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَاتَّقُوهُ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ تَضْمُرُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنَ الشُّكِّ فِي وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ ، أَوْ فِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ، غَيْرِ الَّذِي تَبْدُونَهُ بِالسَّنْتِكُمْ ، (إِنَّهُ عَسَىٰ مِمَّا بَدَأَتْ الصُّدُورِ) .
القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُتَقَاتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَثَمُودَ ، وَمَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ فَجَعَلَ لَكُمْ تَخْلُفُونَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ) أمة بعد أمة ، وقرنا بعد قرن .

وقوله (فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) يقول تعالى ذكره : فَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ، فَعَلَىٰ نَفْسِهِ ضَرُّ كُفْرِهِ ، لَا يَضُرُّ بِذَلِكَ غَيْرَ نَفْسِهِ ، لِأَنَّهُ الْمَعَاقِبُ عَلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ . وقوله (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُتَقَاتًا) يقول تعالى : وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا بُعْدًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا) يقول : وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا هَلَاكًا .
القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ بَعْدَ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَغْرُورًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يَا مُحَمَّدُ لِمَشْرِكِي قَوْمِكَ (أَرَأَيْتُمْ) أَيُّهَا الْقَوْمُ (شُرَكَاءَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) يقول : أَرُونِي أَى شَيْءٍ خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ) يقول : أَمْ لَشُرَكَائِكُمْ شِرْكٌ مَعَ اللَّهِ فِي السَّمَوَاتِ ، إِنْ لَمْ يَكُونُوا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ) يقول : أَمْ آتَيْنَاهُمْ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ كِتَابًا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ بِأَنْ يَشْرِكُوا بِاللَّهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ ، فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ ، فَهُمْ عَلَىٰ بَرَهَانٍ مِمَّا أَمَرْتُمْ فِيهِ مِنَ الْإِشْرَاقِ بِي .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) لاشيء والله خلقوا منها (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ) لا والله ما لهم فيها شرك (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ) منه . يقول : أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ بِأَمْرِهِمْ أَنْ يَشْرِكُوا .

وقوله (بَلْ إِنْ بَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا) وذلك قول بعضهم لبعض (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) خداعا من بعضهم لبعض وغرورا ، وإنما تزلفهم آلهتهم إلى النار ، وتقصبيهم من الله ورحمته .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝

يقول تعالى ذكره (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) لئلا تزولا من أماكنهما (وَلَئِن زَالَتَا) يقول : ولوزالتا (إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) يقول : ما أمسكهما أحد سواه ووضعت « لئن » في قوله (وَلَئِن زَالَتَا) في موضع لو لأنهما يجابان بجواب واحد ، فيتشابهان في المعنى ، ونظير ذلك قوله (وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) بمعنى : ولو أرسلنا ريحا ، وكما قال : (وَلئن أتيت الذين آمنوا الكتاب) بمعنى : لو أتيت . وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) من مكانهما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : جاء رجل إلى عبد الله ، فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشام ، قال : من لقيت ؟ قال : لقيت كعبا ، فقال : ما حدثك كعب ؟ قال : حدثني أن السموات تدور على منكب ملك ، قال : فصدقته أو كذبتة ؟ قال : ما صدقته ولا كذبتة ، قال : لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحتك ورحلها ، وكذب كعب إن الله يقول (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) .

حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : ذهب جندب البجلي إلى كعب الأحمار ، فقدم عليه

ثم رجع ، فقال له عبد الله : حدثنا ما حدثك ، فقال : حدثني أن السماء في قطب كقطب الرجا ، والقطب عمود على منكب ملك ، قال عبد الله : لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل رحلتك ؛ ثم قال : ما تنتكت اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه ، ثم قال : (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) كفى بها زوالا أن تدور .

وقوله (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) يقول تعالى ذكره : إن الله كان حلما عن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل عذابه له ، غفورا لذنوب من تاب منهم ، وأتاب إلى الإيمان به ، والعمل بما يرضيه .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٦﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّنْتَ الْأُولَىٰ ۗ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم : يقول : أشد الأيمان ، فبالغوا فيها ، لأن جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله (لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ) يقول : ليكونن أسلك لطريق الحق ، وأشد قبولا لما يأتيهم به النذير من عند الله ، من إحدى الأمم التي خلت من قبلهم ؛ (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) يعني بالنذير : محمدا صلى الله عليه وسلم ، يقول : فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله (مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا) يقول : ما زادهم مجيء النذير من الإيمان بالله واتباع الحق ، وسلوك هدى الطريق ، إلا نفورا وهربا .

وقوله (اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ) يقول : نفروا استكبارا في الأرض ، وخدعة سيئة ، وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به . والمكر هاهنا : هو الشرك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَكْرَ السَّيِّئِ) وهو الشرك ، وأضيف المكر إلى السيئ ، والسيئ من نعت المكر ، كما قيل : (إن هذا هو حق اليقين) . وقيل : إن ذلك في قراءة عبد الله (وَمَكْرًا سَيِّئًا) ، وفي ذلك تحقيق القول الذي قلناه من أن السيئ في المعنى من نعت المكر . وقرأ ذلك قراء الأماص غير الأعمش وحمزة بهمزة محركة بالخفض . وقرأ ذلك الأعمش وحمزة بهمزة وتسكين

الهمزة اعتلالاً منهما بأن الحركات لما كثرت في ذلك ثقل ، فسكنا الهمزة ، كما قال الشاعر :

« إذا اعوجججن قلتُ صاحب قومٍ ! * »

فسكّن الباء ، لكثرة الحركات .

والصواب من القراءة ما عليه قرآء الأمصار من تحريك الهمزة فيه إلى الخفض ، وغير جائز في القرآن أن يقرأ بكل ما جاز في العربية ، لأن القراءة إنما هي ما قرأت به الأئمة الماضية ، وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عن قبلهم .

وقوله (وَلَا يَحْبِقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) يقول : ولا ينزل المكر السيئ إلا بأهله ، يعني بالذين يمكرونه ، وإنما عني أنه لايجل مكروه ذلك المكر الذي مكروه هؤلاء المشركون إلا بهم . وقال قتادة في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا يَحْبِقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) وهو الشرك .

وقوله (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولِينَ) يقول تعالى ذكره : فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أليم العقاب . يقول : فهل ينتظر هؤلاء إلا أن أُحلَّ بهم من نعمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالم من الأمم . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولِينَ) : أي عقوبة الأولين (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) يقول : فلن تجد يا محمد لسنة الله تغييراً .

وقوله (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) يقول : ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلاً : يقول : لن يغير ذلك ، ولا يبدله ، لأنه لا مرد لقضائه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره : أو لم يسير يا محمد هؤلاء المشركون بالله ، في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٦٧) قال : وقوله « ومكر السيء » : أضيف المكر إلى السيء ، وهو هو ، كما قال : إن هذا لهو حق اليقين . وتصديق ذلك في قراءة عبد الله : « ومكرا سيئا » . وقوله « مكر السيء » الهمزة في السيء مخفوضة ، وقد جزمها الأعمش وحمزة ، لكثرة الحركات ، كما قال : « لا يجزئهم الفزع الأكبر » ؛ قال الشاعر :

« إذا اعوجججن قلتُ صاحب قومٍ . »

يريد : صاحب قوم ، فجزم الباء لكثرة الحركات . قال الفراء : حدثني الرواسي ، عن أبي عمرو بن العلاء : « لا يجزئهم » جزم : اه .

وتكذيبهم رسلنا ، فإنهم تجار يسلكون طريق الشام (فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من الأمم التي كانوا يمرون بها ألم نهلكهم ونخرّب مساكنهم ونجعلهم مثلاً لمن بعدهم ، فيتعظوا بهم ، وينزجروا عما هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله ، ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل (وكانوا أشدّ منهم قُوَّةً وَبَطْشًا) لن يتعدّر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة ، والعذاب لهم .

وبنحو الذي قلنا في قوله (وكانوا أشدّ منهم قُوَّةً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكانوا أشدّ منهم قُوَّةً) يخبركم أنه

أعطى القوم ما لم يعطكم .

وقوله (وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة ، المكذّبون محمداً فيسبقونا هرباً في الأرض ، إذا نحن أردنا هلاكهم ، لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريد في السموات ولا في الأرض ، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض . وقوله (إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيرًا) يقول تعالى ذكره : إن الله كان عليماً بخلقهم ، وما هو كائن ، ومن هو المستحقّ منهم تعجيل العقوبة ، ومن هو عن ضلالته منهم راجع إلى الهدى آتب ، قدير على الانتقام ممن شاء منهم ، وتوفيق من أراد منهم للإيمان .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿١٠٠﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ولو يؤاخذ الله الناس . يقول : ولو يعاقب الله الناس ، ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي ، واجترحوا من الآثام ، ما ترك على ظهرها من دابة تدبّ عليها (وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) يقول : ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده ، محدود لا يقصرون دونه ، ولا يجاوزونه إذا بلغوه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا

مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ) إلا ما حمل نوح في السفينة .

وقوله (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا) يقول تعالى ذكره : فإذا جاء أجل

عقابهم ، فإنه الله كان بعباده بصرا من الذي يستحق أن يعاقب منهم ، ومن الذي يستوجب الكرامة ، ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعا ، ومن كان فيها به مشركا ، لا يخفى عليه أحد منهم ، ولا يعزب عنه علم شيء من أمرهم .

آخر تفسير سورة فاطر

(٣٦) سُورَةُ يَسٍ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَشِتَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (يس) ، فقال بعضهم : هو قسم أقسم الله به ، وهو من أسماء الله . ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يس) قال : فإنه قسم أقسمه الله ، وهو من أسماء الله . وقال آخرون : معناه : يا رجل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله (يس) قال : يا إنسان بالحبشية . حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن شريك ، قال : سمعت عكرمة يقول : تفسير (يس) : يا إنسان .

وقال آخرون : هو مفتاح كلام افتتح الله به كلامه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال (يس) مفتاح كلام ، افتتح الله به كلامه . وقال آخرون : بل هو اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يس) قال : كل هجاء في القرآن اسم من أسماء القرآن .

❦ قال أبو جعفر : وقد بينا القول فيما مضى في نظائر ذلك من حروف الهجاء بما أغنى عن إعادته وتكريره في هذا الموضع .

وقوله (والقرآن الحكيم) يقول : والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه ، وبيّنات حججه (إنك لمن المرسلين) يقول تعالى ذكره مقسما بوحيه وتنزيله لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : إنك يا محمد لمن المرسلين بوحى الله إلى عباده .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين) قسم كما تسمعون (إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم) .

وقوله (على صراط مستقيم) يقول : على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى ، وهو الإسلام .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (على صراط مستقيم) : أى على الإسلام .

وفى قوله (على صراط مستقيم) وجهان : أحدهما : أن يكون معناه : إنك لمن المرسلين على استقامة من الحق ، فيكون حينئذ على من قوله (على صراط مستقيم) من صلة الإرسال . والآخر أن يكون خبرا مبتدأ ، كأنه قيل : إنك لمن المرسلين ، إنك على صراط مستقيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥٠﴾

اختلف القراء في قراءة قوله (تنزيل العزيز الرحيم) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (تنزيل العزيز) برفع تنزيل ، والرفع في ذلك يتجه من وجهين : أحدهما : بأن يجعل خبرا ، فيكون معنى الكلام : إنه تنزيل العزيز الرحيم . والآخر : بالابتداء ، فيكون معنى الكلام حينئذ : إنك لمن المرسلين ، هذا تنزيل العزيز الرحيم . وقراءته عامة قراء الكوفة وبعض أهل الشام (تنزيل) نصبا على المصدر من قوله (إنك لمن المرسلين) لأن الإرسال إنما هو عن التنزيل ، فكأنه قيل : لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقا .

❦ والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب . ومعنى الكلام : إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به ، الرحيم بمن تاب إليه ، وأتاب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٥١﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ) فقال بعضهم : معناه : لتنذر قوما ما أنذر الله من قبلهم من آبائهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سيبك ، عن عكرمة في هذه الآية (لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ) قال : قد أنذروا .
وقال آخرون : بل معنى ذلك لتنذر قوما ما أنذر آبائهم ^١ .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ) قال : بعضهم : لتنذر قوما ما أنذر آبائهم من إنذار الناس قبلهم . وقال بعضهم : لتنذر قوما ما أنذر آبائهم : أي هذه الأمة لم يأتهم نذير ، حتى جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم .
واختلف أهل العربية في معنى « ما » التي في قوله (مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ) إذا وجّه معنى الكلام إلى أن آبائهم قد كانوا أنذروا ، ولم يرد بها الجحد ، فقال بعض نحوّي البصرة : معنى ذلك : إذا أريد به غير الجحد لتنذرهم الذي أنذر آبائهم (فَهَمُّ غَافِلُونَ) . وقال : فدخول الفاء في هذا المعنى لا يجوز ، والله أعلم . قال : وهو على الجحد أحسن ، فيكون معنى الكلام : إنك لمن المرسلين إلى قوم لم ينذر آبائهم ، لأنهم كانوا في الفترة .

وقال بعض نحوّي الكوفة : إذا لم يرد بما الجحد ، فإن معنى الكلام : لتنذرهم بما أنذر آبائهم ، فتلقى الباء ، فتكون « ما » في موضع نصب (فَهَمُّ غَافِلُونَ) يقول : فهم غافلون عما الله فاعل بأعدائه المشركين به ، من إحلال نعمته ، وسطوته بهم .
وقوله (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : لقد وجب العقاب على أكثرهم ، لأن الله قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله ، ولا يصدقون رسوله .
القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١١﴾

﴿١٠﴾ يقول تعالى ذكره : إنا جعلنا إيمان هؤلاء الكفار مغلولة إلى أعناقهم بالأغلال ، فلا تبسط بشيء من الخيرات ، وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَيْمَانِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ) وقوله (إِلَى الْأَذْقَانِ) يعني : فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم ، فكُنِيَ عن الأيمان ، ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام ، وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان ، كما قال الشاعر :

(١) أي لم ينذر آبائهم .

وَمَا أَذْرِي إِذَا يَمَّمْتُ وَجْهًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِيَنِي
 أَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أُبْتَغِيهِ أَمْ الشَّرُّ الَّذِي لَا يَأْتَلِيَنِي
 فكنى عن الشر ، وإنما ذكر الخير وحده لعلم سامع ذلك بمعنى قائله ، إذ كان الشر مع الخير يُذكر .
 والأذقان : جمع ذقن ، والذقن : مجمع اللحيين .

وقوله (فَهَمْ مُقْمَحُونَ) والمقْمَح : هو المقنع ، وهو أن يحدر الذقن حتى يصر في الصدر ، ثم يرفع رأسه في قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة . وفي قول بعض الكوفيين : هو الغاض بصره ، بعد رفع رأسه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهَيَّ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهَمُّ مُقْمَحُونَ) قال : هو كقول الله (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ) يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم ، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَهَمُّ مُقْمَحُونَ) قال : رافعو رؤوسهم ، وأيديهم موضوعة على أفواههم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهَيَّ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهَمُّ مُقْمَحُونَ) : أي فهم مغلولون عن كل خير .
 وقوله (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا) يقول تعالى ذكره : وجعلنا من بين أيدي هؤلاء المشركين سدا ، وهو الحاجز بين الشيثين ، إذا فتح كان من فعل بني آدم ، وإذا كان من فعل الله كان بالضم ، وبالضم قرأ ذلك عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين . وقرأه بعض المكيين وعامة قرآء الكوفيين بفتح السين (سَدًّا) في الحرفين كلاهما ، والضم أعجب القراءتين إلى في ذلك ، وإن كانت الأخرى جائزة صحيحة .

(١) البيتان من الوافر ، وهما لسحيم بن وثيل الرياحي . وقد سبق الاستشهاد بهما في (١٤ : ١٥٧) عند قوله تعالى « سراويل تقيكم الحر » في سورة النحل . واستشهد بهما هنا على أن قوله « أريد الخير أيها يلىني » أي أي الخير والشر يلىني ، فاكتفى بذكر الخير وكفى عن الشر ، إذ كان معلوما من السياق كما في قوله تعالى « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا » إذ لم يصرح بذكر الأيمان لأن الأغلال إنما تكون في الأعناق مع الأغلال . فاكتفى بالأغلال عن ذكر الأيمان . قال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٦٧) وقوله : « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ، فهي إلى الأذقان » فكفى عن هي ، وهي للأيمان ، ولم تذكر . وذلك أن الغل لا يكون إلا في اليمين والعنق جامعا لليمين والعنق ، فيكفى ذكر أحدهما من صاحبه ، ومثله قول الشاعر : « وما أدرى . . . البيتين » . فكفى عن الشر ، وإنما ذكر الخير وحده . وذلك أن الشريد ذكر مع الخير . وهي في قراءة عبد الله : « إنا جعلنا في أيامهم أغلالا ، فهي إلى الأذقان » ، فكفت من ذكر « الأعناق » في حرف عبد الله ، وكفت « الأعناق » من الأيمان « في قراءة العامة . والنقن : أسفل اللحيين .

وعنى بقوله (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) أنه زين لهم سوء أعمالهم ، فهم يعمهون ، ولا يبصرون رشدا ، ولا يتنبهون حقا .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) قال : عن الحق .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) عن الحق فهم يترددون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) قال : ضلالات .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) قال : جعل هذا سدا بينهم وبين الإسلام والإيمان ، فهم لا يخلصون إليه ، وقرأ (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ، وقرأ (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) . . . الآية كلها ، وقال : من منعه الله لا يستطيع .

وقوله (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) يقول : فأغشينا أبصار هؤلاء : أى جعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) هدى ، ولا ينتفعون به .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى أبي جهل بن هشام حين حلف أن يقتله أو يشدخ رأسه بصخرة .

ذكر الرواية بذلك

حدثني عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا عمارة بن أبي حفصة ، عن عكرمة قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدا لأفعلن ولأفعلن ، فأنزلت (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) . . . إلى قوله (فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) قال : فكانوا يقولون : هذا محمد ، فيقول : أين هو ، أين هو لا يبصره . وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) بالعين بمعنى أعشيناهم عنه ، وذلك أن العشا هو أن يمشى بالليل ولا يبصر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حق عليهم القول ، أى الأمرين كان منك إليهم الإنذار ، أو ترك الإنذار ، فإنهم لا يؤمنون ، لأن الله قد حكم عليهم بذلك . وقوله (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) يقول تعالى ذكره : إنما ينفع إنذارك يا محمد من آمن بالقرآن ، واتبع ما فيه من أحكام الله (وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ) يقول : وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين ، لا المذاق الذى يستخف بدين الله إذا خلا ، ويظهر الإيمان فى الملاء ، ولا المشرك الذى قد طبع الله على قلبه . وقوله (فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ) يقول : فبشر يا محمد هذا الذى اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه (وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) يقول : وثواب منه له فى الآخرة كريم ، وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) واتباع الذكر : اتباع القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) من خلقنا (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) فى الدنيا من خير وشر ، وصالح الأعمال وسيئها .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) من عمل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) قال : ما عملوا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَا قَدَّمُوا) قال : أعمالهم .

وقوله (وآثارهم) يعني : وآثار خُطاهم بأرجلهم ، وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليقترب عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي الجهضمي ، قال : ثنا أبو أحمد الزُّبيري ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد ، فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) فقالوا : ثبت في مكاننا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد ، فأرادوا أن ينتقلوا ، قال : فنزلت (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) فثبتوا .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا الحريري ، عن أبي نضرة ، عن جابر ، قال : أراد بنو سلمة قرب المسجد ، قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني سلمة دياركم إنما تكتب آثاركم » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر ، قال : سمعت كهمساً يحدث ، عن أبي نضرة ، عن جابر ، قال : أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد ، قال : والبقاع خالية ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بني سلمة دياركم إنما تكتب آثاركم » قال : فأقاموا وقالوا : ما سرنا أنا كنا نحولنا .

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن طريف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : « شكت بنو سلمة بعد منازلهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ، وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) فقال : عَلَيْكُمْ مَنَازِلَكُمْ تَكْتَبُ آثَارَكُمْ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، قال : ثنا الحسين ، عن ثابت ، قال : مشيت مع أنس ، فأسرعت المشي ، فأخذ بيدي ، فشينا رويدا ، فلما قضينا الصلاة قال أنس : مشيت مع زيد بن ثابت ، فأسرعت المشي ، فقال : يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب ؟

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن أن بني سلمة كانت دورهم قاصية عن المسجد ، فهموا أن يتحولوا قرب المسجد ، فيشهدون الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا تحمسون آثاركم يا بني سلمة ؟ فكثروا في ديارهم » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ابن أبي بزرة ، عن مجاهد ، في قوله (ما قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ) قال : خُطاهم بأرجلهم .

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآثارهم) قال : خطاهم .
 حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وآثارهم) قال : قال الحسن : وآثارهم قال : خطاهم . وقال قتادة : لو كان مغفلا شيئا من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعنى الرياح من هذه الآثار .
 وقوله (وكل شيء أحصيناه في إمام مبین) يقول تعالى ذكره : وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه ، فأثبتناه في أم الكتاب ، وهو الإمام المبين . وقيل : (مبین) ، لأنه يبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (في إمام مبین) قال : في أم الكتاب .
 حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكل شيء أحصيناه في إمام مبین) كل شيء محصى عند الله في كتاب .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وكل شيء أحصيناه في إمام مبین) قال : أم الكتاب التي عند الله فيها الأشياء كلها هي الإمام المبين .
 القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا
 فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : ومثل يا محمد لمشركي قومك مثلا أصحاب القرية ، ذكر أنها أنطاكية (إذ جاءها المرسلون) اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل ، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية ، فقال بعضهم : كانوا رسل عيسى بن مريم ، وعيسى الذي أرسلهم إليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأضرب لهم مثلا أصحاب القرية) إذ جاءها المرسلون ، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما ، فعززنا بثالث ، قال : ذكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية مدينة بالروم فكذبوهما ، فأعززنا بثالث ، فقالوا إننا إليكم مرسلون .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، قال : ثنا السدي ، عن عكرمة (وأضرب لهم مثلا أصحاب القرية) قال : أنطاكية .

وقال آخرون : بل كانوا رسلا أرسلهم الله إليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب الأحرار ، وعن وهب بن منبّه ، قال : كان بمدينة أنطاكية ، فرعون من الفراعنة يقال له أبطيحس بن أبطيحس يعبد الأصنام ، صاحب شرك ، فبعث الله المرسلين ، وهم ثلاثة : صادق ، ومصدوق ، وسلوم ، فقدم إليه وإلى أهل مدينته ، منهم اثنان فكذبوهما ، ثم عزز الله بثالث ، فلما دعت الرسل ونادته بأمر الله ، وصعدت بالذي أمرت به ، وعابت دينه ، وما هم عليه ، قال لهم (إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ، لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) . وقوله (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ، فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) يقول تعالى ذكره : حين أرسلنا إليهم اثنين يدعوانهم إلى الله فكذبوهما فشددناهما بثالث ، وقويتهما به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) قال : شددنا . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) قال : زدنا . حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) قال : جعلناهم ثلاثة ، قال : ذلك التعزز ، قال : والتعزز : القوة . وقوله (فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ) يقول : فقال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية : إنا إليكم أيها القوم مرسلون ، بأن تخلصوا العبادة لله وحده ، لا شريك له ، وتبرءوا مما تعبدون من الآلهة والأصنام وبالتشديد في قوله (فَعَزَّزْنَا) قرأت القراء سيوى عاصم ، فإنه قرأه بالتخفيف ، والقراءة عندنا بالتشديد ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأن معناه : إذا شدد فقويتهما ، وإذا خفف : فغلبننا ، وليس لغلبننا في هذا الموضع كثير معنى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا
يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا إليهم حين أخبروهم أنهم أرسلوا إليهم بما أرسلوا به : ما أنتم أيها القوم إلا أناس مثلنا ، ولو كنتم رسلا كما تقولون ، لكنتم ملائكة (وما أنزل

الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ) يقول : قالوا : وما أنزل الرحمن إليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم فينا بشيء (إن أنتم إلا تكذبون) في قبلكم إنكم إلينا مرسلون (قالوا ربنا يعلم إننا إليكم مرسلون) يقول قال الرسل : ربنا يعلم إننا إليكم لمرسلون فيما دعوناكم إليه ، وإننا لصادقون (وما علينا إلا البلاغ المبين) يقول : وما علينا إلا أن نبلغكم رسالة الله التي أرسلنا بها إليكم بلاغا بين لكم أنا أبلغناكموها ، فإن قبلتموها فحظ أنفسكم تصيبون ، وإن لم تقبلوها فقد أدبنا ما علينا ، والله ولي الحكم فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال أصحاب القرية للرسل : (إننا تطيّرنا بكم) يعنون : إننا تشاءمنا بكم ، فإن أصابنا بلاء فمن أجلكم . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالوا إننا تطيّرنا بكم) قالوا : إن أصابنا شر ، فإنما هو من أجلكم . وقوله (لئن لم تنتهوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) يقول : لئن لم تنتهوا عما ذكرتم من أنكم أرسلتم إلينا بالبراءة من آلهتنا ، والنهي عن عبادتنا لَنَرْجُمَنَّكُمْ ، قيل : عنى بذلك لَنَرْجُمَنَّكُمْ بالحجارة . ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لئن لم تنتهوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) بالحجارة (ولَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ولينالكنم منا عذاب مٌوجِع . القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : قالت الرسل لأصحاب القرية (طائرُكم معكم أين ذُكِّرْتُمْ) يقولون : أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم ، ذلك كله في أعناقكم ، وما ذلك من شؤمنا إن أصابكم سوء فبما كتب عليكم ، وسبق لكم من الله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، (قالوا طائرُكم معكم) : أي أعمالكم معكم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس ، وعن كعب ، وعن وهب ابن منبه ، قالت لهم الرسل (طائرُكم معكم) : أي أعمالكم معكم .

وقوله (أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار (أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ) بكسر الألف من « إن » وفتح ألف الاستفهام : بمعنى إن ذكرناكم فمعكم طائرکم ، ثم أدخل على « إن » التي هي حرف جزاء ألف استفهام في قول بعض نحويي البصرة ، وفي قول بعض الكوفيين منوى به التكرير ، كأنه قيل : قالوا طائرکم معكم إن ذُكِّرْتُمْ فمعكم طائرکم ، فحذف الجواب اكتفاء بدلالة الكلام عليه . وإنما أنكر قائل هذا القول القول الأول ، لأن ألف الاستفهام قد حالت بين الجزاء وبين الشرط ، فلا تكون شرطا لما قبل حرف الاستفهام . وذكر عن أبي رزين أنه قرأ ذلك (أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ) بمعنى : الآن ذُكِّرْتُمْ طائرکم معكم ؟ . وذكر عن بعض قارئيه أنه قرأه (قالوا طائرکم معكم أين ذُكِّرْتُمْ) بمعنى : حيث ذُكِّرْتُمْ بتخفيف الكاف من ذُكِّرْتُمْ .

والقراءة التي لا تجيز القراءة بغيرها القراءة التي عليها قراء الأمصار ، وهي دخول ألف الاستفهام على حرف الجزاء ، وتشديد الكاف على المعنى الذي ذكرناه عن قارئيه كذلك ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ) : أي إن ذكرناكم الله تطيرتم بنا ؟ (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) .

وقوله (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) يقول : قالوا لهم : ما بكم التطير بنا ، ولكنكم قوم أهل معاص لله وآثام ، قد غلبت عليكم الذنوب والآثام .

وقوله (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) يقول : وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت إليهم هذه الرسل رجل يسعى إليهم ، وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا ، واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذُكِر ، فبلغ ذلك هذا الرجل ، وكان منزله أقصى المدينة ، وكان مؤمنا ، وكان اسمه فيما ذُكِر « حبيب بن مري » .

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار .

ذكر الأخبار الواردة بذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي مجلز ، قال : كان صاحب يس « حبيب بن مري » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : كان من حديث صاحب يس فيما حدثنا محمد بن إسحاق فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه اليماني أنه كان رجلا من أهل أنطاكية ، وكان اسمه « حبيبا » ، وكان يعمل الحرير ، وكان رجلا سقيا ، قد أسرع فيه الجذام ، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصيا ، وكان مؤمنا ذا صدقة ، يجمع كسبه إذا أمسى فيما يدكرون ، فيقسمه نصفين ، فيطعم نصفًا عياله ، ويتصدق بنصف ، فلم يُهَيِّمَهُ سقمه ولا عمله ولا ضعفه ، عن عمل ربه ، قال : فلما أجمع

قومه على قتل الرسل ، بلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الأقصى ، فجاء يسعى إليهم يذكركم بالله ، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين ، فقال (يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن عمرو بن حزم أنه حدث عن كعب الأحبار قال : ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم ، ثم يقول : أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول : له لا أسمع ، فيقول مسيلمة : أسمع هذا ، ولا تسمع هذا ؟ فيقول : نعم ، فجعل يقطعه عضوا عضوا ، كلما سأله لم يزد على ذلك حتى مات في يديه . قال كعب حين قيل له اسمه حبيب ، وكان والله صاحب يس اسمه حبيب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول : كان اسم صاحب يس حبيبا ، وكان الجذام قد أسرع فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) قال : ذكر لنا أن اسمه حبيب ، وكان في غار يعبد ربه ، فلما سمع بهم أقبل إليهم ، وقوله (قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) يقول تعالى ذكره : قال الرجل الذي جاء من أقصى المدينة لقومه يا قوم اتبعوا المرسلين الذين أرسلهم الله إليكم ، واقبلوا منهم ما أتوكم به .

وذكر أنه لما أتى الرسل سألم : هل يطلبون على ما جاءوا به أجرا ؟ فقالت الرسل : لا ، فقال لقومه حينئذ : اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما انتهى إليهم ، يعني إلى الرسل ، قال : هل تسألون على هذا من أجر ؟ قالوا : لا ، فقال عند ذلك : (يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب الأحبار ، وعن وهب بن منبه (اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ) : أي لا يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من الهدى ، وهم لكم ناصحون ، فاتبعوهم تهتدوا بهداهم . وقوله (وَهُمْ مُهْتَدُونَ) يقول : وهم على استقامة من طريق الحق ، فاهتدوا أيها القوم بهداهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّنَ

الرَّحْمَنُ بَضْرًا لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٤﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٥﴾
 إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا الرجل المؤمن (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) : أى وأى شىء لى لأعبد الرب الذى خلقنى (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه تصيرون أنتم أيها القوم وتردّون جميعا ، وهذا حين أبدى لقومه إيمانه بالله وتوحيده .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب الأحبار ، وعن وهب بن منبه قال : ناداهم ، يعنى نادى قومه بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام ، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه ، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ، ولا ضره غيره ، فقال (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، أَعَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً) ثم عابها ، فقال : (إِنْ يُرَدَّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ) وشدة (لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ) . وقوله (أَعَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً) يقول : أأعبد من دون الله آلهة ، يعنى معبودا سواه (إِنْ يُرَدَّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ) يقول : إذ مسنى الرحمن بضرٍّ وشدة (لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا) يقول : لا تغنى عنى شيئا بكونها إلى شفعاء ، ولا تقدر على دفع ذلك الضر عنى (وَلَا يُنْقِذُونَ) يقول : ولا يخلصونى من ذلك الضر إذا مسنى .

وقوله (إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) يقول : (إِنِّي) إن اتخذت من دون الله آلهة هذه صفها « إذن لى ضلال مبين » لمن تأمله جوره عن سبيل الحق .

وقوله (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) فاختلف فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : قال هذا القول هذا المؤمن لقومه يعلمهم إيمانه بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما بلغه ، عن ابن عباس ، وعن كعب ، وعن وهب بن منبه (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) إلى آمنت بربكم الذى كفرتم به ، فاسمعوا قولى . وقال آخرون : بل خاطب بذلك الرسل ، وقال لهم : اسمعوا قولى لتشهدوا لى بما أقول لكم عند ربى ، وأنى قد آمنت بكم واتبعتمكم ، فذكر أنه لما قال هذا القول ، ونصح لقومه النصيحة التى ذكرها الله فى كتابه وثبوا به فقتلوه .

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة قتلهم إياه ، فقال بعضهم : رجموه بالحجارة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) هذا رجل دعا قومه إلى الله ، وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك . وذكر لنا أنهم كانوا

يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي، حتى أقعصوه وهو كذلك.

وقال آخرون: بل وثبوا عليه، فوطئوه بأقدامهم حتى مات.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب، وعن وهب ابن منبه قال لهم (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) . . . إلى قوله (فَاسْتَمْعُونِ) وثبوا وثبة رجل واحد فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه، ولم يكن أحد يدفع عنه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول: وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دُبُرِهِ.

القول في تأويل قوله تعالى

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره: قال الله له إذ قتلوه كذلك فلقية (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) فلما دخلها وعابن ما أكرهه الله به لإيمانه وصبره فيه (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . . . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي) يقول: يا ليتهم يعلمون أن السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي، وجعلني من الذين أكرمهم الله بادخاله إياهم الجنة . كان إيماني بالله وصبري فيه، حتى قتلت، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول: قال الله له: ادخل الجنة، فدخلها حيا يرزق فيها، قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها، فلما أفضى إلى رحمة الله وكرامته (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . . . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ) فلما دخلها (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . . . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) قال: فلا تلقى المؤمن إلا ناصحا، ولا تلقاه غاشا، فلما عابن ما عابن من كرامة الله (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . . . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) تمنى على الله أن يعلم قومه ما عابن من كرامة الله، وما هجم عليه . حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ) قال : قيل : قد وجبت له الجنة ، قال ذلك حين رأى الثواب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ) قال : وجبت لك الجنة .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبدالرحمن ، عن القاسم بن أبي بزرة ، عن مجاهد (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ) قال : وجبت له الجنة .

حدثنا ابن بشار . قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي مجلز ، في قوله (بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي) قال : إيماني بربي ، وتصديقي رسله ، والله أعلم .

تم الجزء الثاني والعشرون ، من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

وبليه الجزء الثالث والعشرون

وأول : القول في تأويل قوله تعالى (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ)

جَامِعُ الْبَيَانِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣١٠ هـ

الجزء الثالث والعشرون

دار الفكر

تاريخنا الأول

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

تمت الطباعة في بيروت
١٩٨٤

الطبعة الأولى

الطبعة الأولى

المكاتب، البناية المركزية - هاتف، ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب. ٧٠٦١ / ١١
المطابع والمعمل، حارة حرريك - شارع عبد النور - هاتف، ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
بيروت لبنان } برفقيا، فكسي - تليكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء الثالث والعشرون
من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

- الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية .

ذہنی طور پر اس کا جواب دینا
 ہے
 کہ اس کا جواب دینا
 ہے

- 1. اس کا جواب دینا ہے
- 2. اس کا جواب دینا ہے
- 3. اس کا جواب دینا ہے
- 4. اس کا جواب دینا ہے

اس کا جواب دینا ہے
 اس کا جواب دینا ہے
 اس کا جواب دینا ہے

فهارس

الجزء الثالث والعشرين من جامع البيان ، للإمام محمد بن جرير الطبري

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٣	٥٠ فلا يستطيعون توصية . . .	١٣	٢٨	وما أنزلنا على قومه من بعده . . .	١
١٥	٥١ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث ...	١٥	٢٩	إن كانت إلا صيحة واحدة . . .	١
١٥	٥٢ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا . . .	١٥	٣٠	يا حسرة على العباد ما يأتيهم . . .	٢
١٥	٥٣ إن كانت إلا صيحة واحدة . . .	١٥	٣١	ألم يروا كم أهلكنا قبلهم . . .	٣
١٧	٥٤ فالיום لا تظلم نفس شيئا . . .	١٧	٣٢	وإن كل لما جميع لدينا محضرون .	٣
١٧	٥٥ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون .	١٧	٣٣	وآية لهم الأرض الميتة أحييناها . . .	٤
١٩	٥٦ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك ...	١٩	٣٤	وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب . . .	٤
١٩	٥٧ لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون .	١٩	٣٥	ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم . . .	٤
١٩	٥٨ سلام قولا من رب رحيم .	١٩	٣٦	سبحان الذي خلق الأزواج كلها . . .	٥
٢٢	٥ وامتازوا اليوم أيها المجرمون .	٢٢	٣٧	وآية لهم الليل نسلخ منه النهار . . .	٥
٢٢	٦٠ ألم أعهد إليكم يا بني آدم . . .	٢٢	٣٨	والشمس تجري لمستقر لها . . .	٥
٢٢	٦١ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم .	٢٢	٣٩	والقمر قد رناه منازل . . .	٦
٢٣	٦٢ ولقد أضل منكم جبلا كثيرا . . .	٢٣	٤٠	لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر . . .	٦
٢٣	٦٣ هذه جهنم التي كنتم توعدون .	٢٣	٤١	وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون	٩
٢٣	٦٤ اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون .	٢٣	٤٢	وخلقنا لهم من مثله ما يركبون .	٩
٢٤	٦٥ اليوم نختم على أفواههم . . .	٢٤	٤٣	وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم . . .	٩
٢٤	٦٦ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم .	٢٤	٤٤	إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين .	٩
٢٤	٦٧ ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم . . .	٢٤	٤٥	وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم . . .	١١
٢٦	٦٨ ومن عمره ننكسه في الخلق . . .	٢٦	٤٦	وما تأتيهم من آية من آيات ربهم . . .	١١
٢٦	٦٩ وما علمناه الشعر . . .	٢٦	٤٧	وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله . . .	١٢
٢٦	٧٠ لينذر من كان حيا . . .	٢٦	٤٨	ويقولون متى هذا الوعد . . .	١٣
٢٨	٧١ أو لم يروا أنا خلقنا لهم . . .	٢٨	٤٩	ما ينظرون إلا صيحة واحدة . . .	١٣
٢٨	٧٢ وذللناها لهم فنها ركوبهم . . .	٢٨			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧٣	ولهم فيها منافع ومشارب . . .	٢٩	١٦	إذا متنا وكنا ترابا وعظاما . . .	٤٤
٧٤	واتخذوا من دون الله آلهة . . .	٢٩	١٧	أو آباؤنا الأولون . . .	٤٤
٧٥	لا يستطيعون نصرهم . . .	٢٩	١٨	قل نعم وأنتم داخرون .	٤٤
٧٦	فلا يحزنك قولهم . . .	٢٩	١٩	فإنما هي زجرة واحدة .	٤٤
٧٧	أو لم ير الإنسان أنا خلقناه . . .	٣٠	٢٠	وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين .	٤٥
٧٨	وضرب لنا مثلا ونسي خلقه . . .	٣٠	٢١	هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون .	٤٥
٧٩	قل يحييها الذي أنشأها . . .	٣٠	٢٢	احشروا الذين ظلموا وأزواجهم . . .	٤٦
٨٠	الذي جعل لكم من الشجر الأخضر . . .	٣١	٢٣	من دون الله . . .	٤٦
٨١	أو ليس الذي خلق السموات . . .	٣١	٢٤	وقفوهم إنهم مسئولون .	٤٨
٨٢	إنما أمره إذا أراد شيئا . . .	٣٢	٢٥	ما لكم لا تنصرون .	٤٨
٨٣	فسبحان الذي بيده ملكوت . . .	٣٢	٢٦	بل هم اليوم مستسلمون .	٤٨
<u>تفسير سورة الصافات</u>					
١	والصافات صفا .	٣٣	٢٧	وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .	٤٨
٢	فالزّاجرات زجرا .	٣٣	٢٨	قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين .	٤٩
٣	فالتاليات ذكرا .	٣٣	٢٩	قالوا بل لم تكونوا مؤمنين .	٤٩
٤	إن إلهكم لواحد .	٣٤	٣٠	وما كان لنا عليكم من سلطان . . .	٤٩
٥	ربّ السموات والأرض وما بينهما .	٣٤	٣١	فحقّ علينا قول ربنا . . .	٥٠
٦	إننا زينا السماء الدنيا . . .	٣٤	٣٢	فأغويناكم إنا كنا غاوين .	٥٠
٧	وحفظا من كلّ شيطان مارد .	٣٤	٣٣	فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون .	٥٠
٨	لا يسمعون إلى الملائ الأعلى . . .	٣٤	٣٤	إننا كذلك نفعل بالمجرمين .	٥٠
٩	دحورا ولهم عذاب واصب .	٣٤	٣٥	إنهم كانوا إذا قيل لهم . . .	٥١
١٠	إلا من خطف الخطفة . . .	٣٤	٣٦	ويقولون أئنا لتاركوا آلئتنا . . .	٥١
١١	فاستفتهم أهم أشدّ خلقا . . .	٤١	٣٧	بل جاء بالحقّ وصدق المرسلين .	٥١
١٢	بل عجبت ويسخزون .	٤٢	٣٨	إنكم لذائقوا العذاب الأليم .	٥٢
١٣	وإذا ذكروا لا يذكرون .	٤٤	٣٩	وما تجزون إلا ما كنتم تعملون .	٥٢
١٤	وإذا رأوا آية يستسخرون .	٤٤	٤٠	إلا عباد الله المخلصين . . .	٥٢
١٥	وقالوا إن هذا إلا سحر مبين .	٤٤	٤١	أولئك لهم رزق معلوم .	٥٢
			٤٢	فواكه وهم مكرمون .	٥٢
			٤٣	في جنات النعيم .	٥٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٤	على سرر متقابلين .	٥٢	٧٢	ولقد أرسلنا فيهم منذرين .	٦٦
٤٥	يطاف عليهم بكأس من معين .	٥٢	٧٣	فانظر كيف كان عاقبة المنذرين .	٦٦
٤٦	بيضاء لذة للشاربين .	٥٢	٧٤	إلا عباد الله المخلصين .	٦٦
٤٧	لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون .	٥٢	٧٥	ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون .	٦٧
٤٨	وعندهم قاصرات الطرف عين .	٥٦	٧٦	ونجيناه وأهله من الكرب العظيم .	٦٧
٤٩	كأنهن بيض مكنون .	٥٦	٧٧	وجعلنا ذريته هم الباقين .	٦٧
٥٠	فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .	٥٦	٧٨	وتركنا عليه في الآخرين .	٦٨
٥١	قال قائل منهم إنى كان لى قرين .	٥٨	٧٩	سلام على نوح في العالمين .	٦٨
٥٢	يقول أئنك لمن المصدقين .	٥٨	٨٠	إنا كذلك نجزي المحسنين .	٦٨
٥٣	إذا متنا وكنا ترابا وعظاما	٥٨	٨١	إنه من عبادنا المؤمنين .	٦٨
٥٤	قال هل أنتم مطلعون .	٦٠	٨٢	ثم أغرقنا الآخرين .	٦٨
٥٥	فاطلع فرآه في سواء الجحيم . . .	٦٠	٨٣	وإن من شيعته لإبراهيم .	٦٩
٥٦	قال تالله إن كدت لتردين .	٦٠	٨٤	إذ جاء ربه بقلب سليم .	٦٩
٥٧	ولولا نعمة ربى لكنت من المخضرين .	٦٠	٨٥	إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ؟	٦٩
٥٨	أفما نحن بميتين .	٦٢	٨٦	أئنك آلهة دون الله تريدون ؟	٦٩
٥٩	إلا موتتنا الأولى .	٦٢	٨٧	فما ظنكم برب العالمين	٧٠
٦٠	إن هذا هو الفوز العظيم .	٦٢	٨٨	فنظر نظرة في النجوم .	٧٠
٦١	لمثل هذا فليعمل العاملون .	٦٢	٨٩	فقال إني سقيم .	٧٠
٦٢	أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم .	٦٣	٩٠	فتولوا عنه مدبرين .	٧٠
٦٣	إنا جعلناها فتنة للظالمين .	٦٣	٩١	فراغ إلى آلتهم فقال ألا تأكلون ؟	٧٠
٦٤	إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم .	٦٣	٩٢	مالكم لاتنطقون .	٧٠
٦٥	طلعها كأنه رءوس الشياطين .	٦٣	٩٣	فراغ عليهم ضربا باليمين .	٧٣
٦٦	فإنهم لا ياكلون منها فالثون منها البطون .	٦٣	٩٤	فأقبلوا إليه يزفون .	٧٣
٦٧	ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم .	٦٤	٩٥	قال أتعبدون ما نتحتون .	٧٣
٦٨	ثم إن مرجعهم إلى الجحيم .	٦٤	٩٦	والله خلقكم وما تعملون .	٧٣
٦٩	لأنهم ألفوا آباءهم ضالين .	٦٤	٩٧	قالوا ابنوا له بنيانا	٧٥
٧٠	فهم على آثارهم يهرعون .	٦٤	٩٨	فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين .	٧٥
٧١	ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأولين .	٦٦	٩٩	وقال إني ذاهب إلى ربى	٧٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٠	ربّ هب لي من الصالحين .	٧٥	١٢٨	إلا عباد الله المخلصين .	٩١
١٠١	فبشرناه بغلام حلیم .	٧٦	١٢٩	وتركنا عليه في الآخرين .	٩١
١٠٢	فلما بلغ معه السعی . . .	٧٦	١٣٠	سلام على إلياسين .	٩٤
١٠٣	فلما أسلما وتله للجبين .	٧٩	١٣١	إنا كذلك نجزي المحسنين .	٩٤
١٠٤	وناديناه أن يا إبراهيم .	٧٩	١٣٢	إنه من عبادنا المؤمنين .	٩٤
١٠٥	قد صدقت الرؤيا . . .	٧٩	١٣٣	وإن لوطا لمن المرسلين .	٩٧
١٠٦	إن هذا هو البلاء المبين .	٧٩	١٣٤	إذ نجيناه وأهله أجمعين .	٩٧
١٠٧	وفديناه بذبح عظيم .	٨١	١٣٥	إلا عجوزا في الغابرين .	٩٧
١٠٨	وتركنا عليه في الآخرين .	٨١	١٣٦	ثم دمرنا الآخرين .	٩٧
١٠٩	سلام على إبراهيم .	٨١	١٣٧	وإنكم لتقرّون عليهم مصبحين .	٩٧
١١٠	كذلك نجزي المحسنين .	٨١	١٣٨	وبالليل أفلا تعقلون .	٩٧
١١١	إنه من عبادنا المؤمنين .	٨١	١٣٩	وإن يونس لمن المرسلين .	٩٨
١١٢	وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين .	٨٩	١٤٠	إذ أبق إلى الفلك المشحون .	٩٨
١١٣	وباركنا عليه وعلى إسحاق .	٨٩	١٤١	فساهم فكان من المدحضين .	٩٨
١١٤	ولقد مننا على موسى وهارون .	٩٠	١٤٢	فالتقمه الحوت وهو مليم .	٩٨
١١٥	ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم .	٩٠	١٤٣	فلولا أنه كان من المسبحين .	٩٩
١١٦	ونصرناهم فكانوا هم الغالبين .	٩٠	١٤٤	للبث في بطنه إلى يوم يبعثون .	٩٩
١١٧	وآتيناهما الكتاب المستبين .	٩٠	١٤٥	فنبذناه بالعراء وهو سقيم .	٩٩
١١٨	وهديناهما الصراط المستقيم .	٩٠	١٤٦	وأنبثنا عليه شجرة من يقطين .	٩٩
١١٩	وتركنا عليهما في الآخرين .	٩٠	١٤٧	وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون .	١٠٤
١٢٠	سلام على موسى وهارون .	٩٠	١٤٨	فآمنوا فتعناهم إلى حين .	١٠٤
١٢١	إنّا كذلك نجزي المحسنين .	٩٠	١٤٩	فاستفتحهم أربك البنات . . .	١٠٤
١٢٢	إنهما من عبادنا المؤمنين .	٩٠	١٥٠	أم خلقنا الملائكة إناثا . . .	١٠٦
١٢٣	وإن إلياس لمن المرسلين .	٩١	١٥١	ألا إنهم من إفكهم ليقولون .	١٠٦
١٢٤	إذ قال لقومه ألا تتقون .	٩١	١٥٢	ولد الله وإنهم لكاذبون .	١٠٦
١٢٥	أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين .	٩١	١٥٣	أصطفى البنات على البنين .	١٠٦
١٢٦	الله ربكم ورب آبائكم الأولين .	٩١	١٥٤	مالكم كيف تحكمون .	١٠٦
١٢٧	فكذبوه فإنهم لمحضرون .	٩١	١٥٥	أفلا تذكرون .	١٠٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥٦	أم لكم سلطان مبين .	١٠٦	١	تفسير سورة ص	
١٥٧	فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين .	١٠٦	٢	ص القرآن ذى الذكر .	١١٧
١٥٨	وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا .	١٠٧	٣	بل الذين كفروا في عزة وشقاق .	١١٧
١٥٩	سبحان الله عما يصفون .	١٠٧	٤	كم أهلكنا من قبلهم من قرن . . .	١٢٠
١٦٠	إلا عباد الله المخلصين .	١٠٧	٥	وعجبوا أن جاءهم منذر منهم . . .	١٢٤
١٦١	فإنكم وما تعبدون .	١٠٩	٦	أجعل الآلهة لها واحدا . . .	١٢٤
١٦٢	ما أنتم عليه بفاتنين .	١٠٩	٧	وانطلق الملائم منهم أن امشوا . . .	١٢٦
١٦٣	إلا من هو صال الجحيم .	١٠٩	٨	ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة . . .	١٢٦
١٦٤	وما منا إلا له مقام معلوم .	١٠٩	٩	أنزل عليه الذكر من بيننا . . .	١٢٨
١٦٥	وإنا لنحن الصافون .	١١١	١٠	أم عندهم خزائن رحمة ربك . . .	١٢٨
١٦٦	وإنا لنحن المسبحون .	١١١	١١	أم لهم ملك السموات والأرض . . .	١٢٩
١٦٧	وإن كانوا ليقولون .	١١١	١٢	جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب .	١٢٩
١٦٨	لو أن عندنا ذكراً من الأولين .	١١١	١٣	كذبت قبلهم قوم نوح وعاد . . .	١٣٠
١٦٩	لكننا عباد الله المخلصين .	١١١	١٤	وتمود وقوم لوط . . .	١٣٠
١٧٠	فكفروا به فسوف يعلمون	١١٤	١٥	إن كل إلا كذب الرسل . . .	١٣٠
١٧١	ولقد سبقت كلمتنا . . .	١١٤	١٦	وما ينظر هؤلاء إلا صيحة . . .	١٣٢
١٧٢	إنهم لهم المنصورون .	١١٤	١٧	وقالوا ربنا عجل لنا قطننا . . .	١٣٢
١٧٣	وإن جندنا لهم الغالبون .	١١٤	١٨	اصبر على ما يقولون . . .	١٣٥
١٧٤	فتول عنهم حتى حين .	١١٤	١٩	إنا سنخرنا الجبال معه . . .	١٣٥
١٧٥	وأبصر فسوف يبصرون .	١١٤	٢٠	والطير محشورة كل له أوأب .	١٣٦
١٧٦	أفبعذابنا يستعجلون ؟	١١٤	٢١	وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة . . .	١٣٦
١٧٧	فإذا نزل بساحتهم . . .	١١٤	٢٢	وهل أتاك نبأ الخصم . . .	١٤١
١٧٨	وتول عنهم حتى حين .	١١٦	٢٣	إذ دخلوا على داود ففرع منهم . . .	١٤١
١٧٩	وأبصر فسوف يبصرون .	١١٦	٢٤	إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة .	١٤٣
١٨٠	سبحان ربك رب العزة عما يصفون .	١١٦	٢٥	قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك . . .	١٤٤
١٨١	وسلام على المرسلين .	١١٦	٢٦	فغفرنا له ذلك . . .	١٥١
١٨٢	والحمد لله رب العالمين .	١١٦		يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض . . .	١٥١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٧	وما خلقنا السماء والأرض . . .	١٥٢	٥٥	هذا وإن للطاغين لشرّ مآب .	١٧٥
٢٨	أم نجعل الذين آمنوا . . .	١٥٢	٥٦	جهنم يصلونها فبئس المهاد .	١٧٥
٢٩	كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته . . .	١٥٢	٥٧	هذا فليذوقوه حيم وغساق .	١٧٥
٣٠	ووهبنا لداود سليمان نعم العبد . . .	١٥٣	٥٨	وآخر من شكله أزواج .	١٧٥
٣١	إذ عرض عليه بالعشي الصافنات . . .	١٥٣	٥٩	هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم . . .	١٧٥
٣٢	فقال إني أحببت حبّ الخير . . .	١٥٣	٦٠	قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم . . .	١٧٥
٣٣	ردّها على فطفق مسحا . . .	١٥٣	٦١	قالوا ربنا من قدّم لنا هذا . . .	١٨٠
٣٤	ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه . . .	١٥٦	٦٢	وقالوا مالنا لانرى رجالا . . .	١٨٠
٣٥	قال رب اغفر لي وهب لي ملكا . . .	١٥٦	٦٣	أتخذناهم سخرى أم زاغت عنهم الأبصار .	١٨٠
٣٦	فسخرنا له الريح تجري بأمره . . .	١٦٠	٦٤	إن ذلك لحقّ تحاصم أهل النار .	١٨٠
٣٧	والشياطين كل بناء وغوّاص .	١٦٠	٦٥	قل إنما أنا منذر . . .	١٨٢
٣٨	وآخرين مقرنين في الأصفاد .	١٦٠	٦٦	ربّ السموات والأرض وما بينهما . . .	١٨٣
٣٩	هذا عطاؤنا فامنن . . .	١٦٠	٦٧	قل هو نبيّ عظيم .	١٨٣
٤٠	وإن له عندنا لزليّ وحسن مآب .	١٦٠	٦٨	أنتم عنه معرضون .	١٨٣
٤١	واذكر عبدنا أيوب . . .	١٦٥	٦٩	ما كان لي من علم بالملاّ الأعلى . . .	١٨٣
٤٢	اركض برجلك هذا مغتسل بارد . . .	١٦٥	٧٠	إن يوحى إلىّ إلاّ أنما أنا نذير مبين .	١٨٣
٤٣	ووهبنا له أهله ومثلهم معهم . . .	١٦٧	٧١	إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا . . .	١٨٤
٤٤	وخذ بيدك ضعفا فاضرب به . . .	١٦٧	٧٢	فإذا سويته ونفخت فيه من روحي . . .	١٨٤
٤٥	واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق . . .	١٦٩	٧٣	فسجد الملائكة كلهم أجمعون .	١٨٤
٤٦	إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . . .	١٦٩	٧٤	إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين .	١٨٤
٤٧	ولأنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . . .	١٦٩	٧٥	قال يا إبليس ما منعك أن تسجد . . .	١٨٥
٤٨	واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل . . .	١٧٢	٧٦	قال أنا خير منه خلقتني من نار . . .	١٨٥
٤٩	هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب .	١٧٢	٧٧	قال فاخرج منها فإنك رجيم .	١٨٦
٥٠	جنات عدن مفتحة لهم الأبواب .	١٧٣	٧٨	وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين .	١٨٦
٥١	متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة . . .	١٧٣	٧٩	قال ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون .	١٨٦
٥٢	وعندهم قاصرات الطرف أتراب .	١٧٤	٨٠	قال فإنك من المنظرين .	١٨٦
٥٣	هذا ما توعدون ليوم الحساب .	١٧٤	٨١	إلى يوم الوقت المعلوم .	١٨٦
٥٤	إن هذا لرزقنا ماله من نفاد .	١٧٤	٨٢	قال فبِعزّتك لأغوينهم أجمعين .	١٨٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٣	إلا عبادك منهم المخلصين .	١٨٦	١٢	وأمرت أن أكون أول المسلمين . . .	٢٠٤
٨٤	قال فالحق والحق أقول .	١٨٧	١٣	قل إني أخاف إن عصيت ربي . . .	٢٠٤
٨٥	لأملأن جهنم منك . . .	١٨٧	١٤	قل الله أعبد مخلصا له ديني .	٢٠٤
٨٦	قل ما أسألكم عليه من أجر . . .	١٨٧	١٥	فاعبدوا ما شئتم من دونه . . .	٢٠٤
٨٧	إن هو إلا ذكر للعالمين .	١٨٨	١٦	لهم من فوقهم ظلل من النار . . .	٢٠٥
٨٨	ولتعلمن نبأه بعد حين .	١٨٨	١٧	والذين اجتنبوا الطاغوت . . .	٢٠٥
<u>تفسير سورة الزمر</u>					
١	تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم .	١٩٠	١٨	لهم الذين يستمعون القول . . .	٢٠٥
٢	إنا أنزلنا إليك الكتاب . . .	١٩٠	١٩	أفمن حق عليه كلمة العذاب .	٢٠٧
٣	ألا لله الدين الخالص . . .	١٩٠	٢٠	لكن الذين اتقوا ربهم . . .	٢٠٧
٤	لو أراد الله أن يتخذ ولدا . . .	١٩٢	٢١	ألم تر أن الله أنزل من السماء . . .	٢٠٨
٥	خلق السموات والأرض بالحق . . .	١٩٢	٢٢	أفمن شرح الله صدره للإسلام . . .	٢٠٩
٦	خلقكم من نفس واحدة . . .	١٩٣	٢٣	الله نزل أحسن الحديث كتابا . . .	٢٠٩
٧	إن تكفروا فإن الله غني عنكم . . .	١٩٧	٢٤	أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب . . .	٢١١
٨	وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه . . .	١٩٨	٢٥	كذب الذين من قبلهم . . .	٢١١
٩	أمن هو قانت آناء الليل . . .	٢٠٠	٢٦	فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا . . .	٢١٢
١٠	قل يا عباد الذين آمنوا . . .	٢٠٣	٢٧	ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن . . .	٢١٢
١١	قل إني أمرت أن أعبد الله . . .	٢٠٤	٢٨	قرآنا عربيا غير ذي عوج . . .	٢١٢
			٢٩	ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء . . .	٢١٣

٢ - فهرس الموضوعات

- الصفحة
٣٠ تأويل قوله « أو لم ير الإنسان » ، وسبب نزول الآية .
- تفسير سورة الصافات
- ٣٥ عدد مشارق الشمس ومغاربها .
- ٣٦ ما كانت تفعله الشياطين من استراق السمع ، وما فعلته بعد منعها .
- ٣٩ العذاب المرسل على من يسترق السمع الآن من الشياطين .
- ٤٢ ما تفعله العرب من إبدال بعض الحروف ببعض ، والشواهد على ذلك .
- ٤٣ بيان أن القراءتين ربما يختلف معناهما ، ولا يلزم من ذلك التنزيل مرتين .
- ٤٦ تأويل قوله « احشروا الذين ظلموا » . . . الآية ، والمراد من الأزواج .
- ٤٨ ما يتجلى الله به لليهود والنصارى يوم القيامة .
- ٥٠ تأويل قوله « قالوا بل لم تكونوا مؤمنين » ، وما يجرى بين الإنس والجن من التحاور يوم القيامة .
- ٥٢ صفة شراب أهل الجنة .
- ٥٧ الصواب في لون نساء أهل الجنة .
- ٥٨ تأويل قوله « قال قائل منهم » . . . الآية ، وسوق قصة شريكين اكتسبا مالا ، فتصدق أحدهما وبخل الآخر .

- الصفحة
١ تأويل قوله تعالى « وما أنزلنا على قومه » . والصواب في معنى الجند بعد ذكر الخلاف فيه .
- ٢ تأويل قوله « يا حسرة على العباد » ، وأن الحسرة من العباد على أنفسهم .
- ٥ معنى سلخ الليل من النهار ، وما ورد في الشمس وغروبها وسجودها .
- ٦ تأويل قوله « والقمر قدرناه منازل » . . . الآية ، ووجه تشبيه القمر بالعرجون .
- ١٠ المراد بالمثل في قوله « وخلقنا لهم » الخ .
- ١١ تأويل قوله « وإذا قيل لهم اتقوا » . . . الآية ، وأن المراد بما بين الأيدي هي الذنوب .
- ١٥ الصور والنفخات الثلاث التي تنفخ فيه .
- ١٧ نعيم أهل الجنة الذي هو شغل لهم .
- ٢٠ تأويل قوله « هم وأزواجهم » . . . الآية ، والسلام الذي يكون لأهل الجنة من الله .
- ٢٢ ما يأمر الله به جهنم يوم القيامة ، وما يخاطب به أهل الموقف .
- ٢٤ كيفية الحساب الواقع يوم القيامة للمؤمن والكافر .
- ٢٦ تأويل قوله « ومن نعمه » . . . الآية ، وأن القرآن مستبين أمره لمن كان غير ميت الفؤاد بليد .
- ٢٨ ما يطلق عليه النعم من الحيوان .

الصفحة	الصفحة
١٣٢ تأويل قوله « وما ينظر هؤلاء » .	٦٣ الشبهة التي أوردتها المشركون على شجرة الزقوم ، وما ردّ الله به عليهم .
١٣٤ الخلاف في المراد بالقط .	٦٤ تأويل قوله « ثم إن لهم عليها لشوبا » . . .
١٣٦ تأويل قوله « اصبر على ما يقولون » ، وذكر طرف من تاريخ ملك داود .	الآية ، ومعنى الشوب .
١٤١ ما حصل لنبيّ الله داود من دخول الملائكة عليه ، وما قيل في أسباب ذلك .	٦٧ نسبة أصناف العالم إلى نوح .
١٥٣ تأويل قوله « ووهبنا لداود سليمان » ، وما عرض على نبيّ الله سليمان .	٧٠ ما فعله إبراهيم عليه السلام حين قال « إني سقيم » من إظهار الاعتلال وكسر الأصنام .
١٥٦ ما قيل في فتنة نبيّ الله سليمان .	٧٦ تأويل قوله « فبشرناه بغلام حليم » ، وأن المبشر به إسحاق .
١٦٠ ما أعطيه نبيّ الله سليمان .	٨١ تأويل قوله « وفديناه بذبح عظيم » ، والخلاف في الذبيح ، وذكر الدلائل لكلّ .
١٦٥ تأويل قوله « واذكر عبدنا أيوب » ، وما حصل له من المرض ، وما تمّ له بعد ذلك .	٨٥ ما اختاره المفسر من أن الذبيح إسحاق ، وسوق الأدلة على ذلك .
١٦٩ تأويل قوله « واذكر عبادنا إبراهيم » . . .	٩١ إلياس ومبعثه ، وسوق طرف من تاريخه .
الآية ، ومعنى خالصة الدار .	٩٨ تأويل قوله « وإن يونس » . . الآية ، وسوق طرف من تاريخه .
١٧٥ طرف من عذاب أهل النار .	١٠٧ تأويل قوله « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا » والقول الذي كانوا يقولونه .
١٨٣ تأويل قوله « قل هو نبأ عظيم » . . . الآية ، واختصاص الملأ الأعلى في أمر آدم .	١١٢ ما ورد من أن السموات مملوءة بالملائكة .
١٨٥ من سجد من الملائكة لآدم .	١١٧ تفسير سورة ص
١٩٠ تفسير سورة الزمّر	١٢٠ تأويل قوله « كم أهلكنا قبلهم من قرن » ، والشواهد على عمل لات .
١٩١ ما كانت تقول المشركون في عبادتهم لآلهتهم .	١٢٥ ما قالته قريش لأبي طالب في شأن رسول الله ، وما فعلوه حين اجتمع بهم عند عمه .
١٩٣ تأويل قوله « خلقكم من نفس واحدة » .	١٣٠ السبب في تسمية فرعون ذى الأوتاد .
١٩٦ الصواب في الظلمات الثلاث .	
٢٠٩ تأويل قوله « أفمن شرح الله صدره » ، ووجه ترك المقابل في الآية .	

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٥٣	الأول	٧٤	وأَقْمَهْرًا		ا
١٩٩	يُبَسِّخَلْ . الخَوْلِ	ص		١٢٢	بَقَاءِ
١٤٢	باطِلِي	١٢٠	وتَبَّوْصُ		ب
١٤٥	إِغْفَا لَهَا	ض		١٦٥	وسَيَذْهَبُ
٦٢	كَمْ يَبْرِمُ	١٢٠	مَنَاضُ . نَحْضَاضُ	٤٢	لَاتِبُ
١٢٣	المُطْعِمِ	ع		١٧٣	كَاذِبِ . والحَوَاجِبِ
٣	تَمِيمِ	١٣٣	لو رَضِعَا	٤٢	لَازِبِ
٩٩	حَكِيمِ	٢٠١	مَدَّ فَمَعَا	١٦٥	الكَوَاكِبِ
١٢٢	مَسْدَمِ	ف		١٦٨	مُسْتَطِيبِ
٤٢	لَازِمِ	٦٤	أَحْلَفُ . أَعْرَفُ	١٤١	مُصْعَبِ
٩٦	المُتَضَاجِمِ	٧٣	زُفَفُ	١٠١	ثِيَابِي
١٤٢	وَنَحْشَعَمَا . مَحْجَمَا	٣٩	قَارْفُ	٤٠	وَأَصْبَا
٩٥	بِالكَرَامَةِ	ق		١٧٤	الرَقَابَا
١١٠	أَجْمَعِينَا	١٣٤	وَيَا فِقُ	ح	
٩٥	جَيْسِنَا . إِسْرَائِينَا	١٧٩	مُضَيِّقُ	٦١	شَرَاحِي
٩٥	السَّعْدِينَا	ك		د	
١٢٢	القَمْرِينَا	٢٠	الأَرَاثِكِ	٢٠١	عَضْدُ
١٢٣	جَمَانَا . تَلَانَا	ل		١٤٢	أَبْعَدُ
١٨٤	أَخْبِرَانَا . عُرْيَانَا	١٧٦	تَتَلَوُ	١٧٦	وَمُخْصُودُ
٥٨	مَكْنُونِ	١٩٩	يُغْلَوُ	١٦٥	وَلَا جُحْدُ
٤٩	بِالْيَمِينِ	١٩٩	يُخْبَلَوُ	١٩٤	التَّعْدَى . الجَهْدُ
١٠٣	ضَا حِيَا	١٥٩	النَّوْقِلُ . جَبَلُ	ر	
		١٤٢	مُسْتَأْقِلُ	١٩	تَامِرُ
		٥٣	المَحْمَلِ	٧٢	النَّحْرِيرُ
				٥٥	أَبْجَرَا

٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
٣٠	جاء العاص بن وائل السهمي ...	١٢٧	أدعوهم إلى ان يتكلموا بكلمة تدين لهم ...
٣١	جاء عبدالله بن أبي إلى النبي ﷺ ...	١١٩	إذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين ...
١٣٧	دخل علي رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي ...	٢٢	إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها ...
٥٧	العين: الضخام العيون شُفِرَ الحوراء ...	١٢٤	أسألكم أن تحيوني إلى واحدة تدين لكم ...
٥٧	قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله ﴿ حور عين ﴾ قال: ...	١٣٧	أن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة صلى الضحى ...
٥٨	قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله: ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ قال: رقتن كرقعة الجلدة ...	١٠٠	أن يونس النبي حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات حين ناداه وهو في بطن الحوت: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ...
١٢٨	قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة ...	١٥٠	إن داود النبي ﷺ حين نظر إلى المرأة ...
٢٧	قيل لعائشة: هل كان رسول الله ﷺ ...	١٩٤	إن الله لما خلق آدم مسح ظهره ...
٣٧	كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه ...	١٣٢، ١٤	إن الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض ...
٥	كنت جالساً عند النبي ﷺ ...	٣٨	إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب ...
١٢٥	لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش ...	١٦٧	إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة ...
٧١	لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ...	٢٧	إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي .
٧١	لم يكذب إبراهيم في شيء قط إلا في ثلاث ...	٢٤	أول شيء يتكلم من الإنسان يوم يختم الله ...
١٧٨	لو أن دلواً من غسان يهراق في الدنيا ...	١٢٧	أي عم أولاً أدعوهم إلى ما هو خير لهم منهم؟ ...
١١١	ما في سماء الدنيا موضع قدم ...	٤٨	أما رجل دعا رجلاً إلى شيء ...
١١٢	ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ...	٣٧	بينما نحن جلوس ذات ليلة مع رسول الله ...
١٢٥	مرض أبو طالب فأتاه رسول الله ﷺ بعوده ...	٣٧	بينما النبي ﷺ في نفر من الأنصار ...
١٢٥	يا عم أريدهم على كلمة تدين لهم بها العرب ...	١٣	تهيج الساعة بالناس والرجل يسقي ماشيته ...
١٢٥	يا عم إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها ...		

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّكَ إِلاَّ صَيِّحَةٌ
وَاحِدَةٌ فَاذَاهُمْ خَمْدُونَ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذي قتله قومه لدعائه إياهم إلى الله ونصيحته لهم (مِنَ بَعْدِهِ) (عَنِ) : من بعد مهلكه (مِنَ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ)

واختلف أهل التأويل في معنى الجند الذي أخبر الله أنه لم ينزل إلى قوم هذا المؤمن بعد قتلهموه فقال بعضهم : عني بذلك أنه لم ينزل الله بعد ذلك إليهم رسالة ، ولا بعث إليهم نبيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنَ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ) قال : رسالة . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) قال فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله (إِنَّكَ إِلاَّ صَيِّحَةٌ وَاحِدَةٌ فَاذَاهُمْ خَمْدُونَ) .

وقال آخرون : بل عني بذلك أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنودا يقاتلهم بها ، ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، أن عبد الله بن مسعود ، قال : غضب الله له ، يعني لهذا المؤمن ، لاستضعافهم إياه غضبة لم تبق من القوم شيئا ، فعجل لهم النعمة

بما استحلوا منه ، وقال : (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) يقول : ما كاثرتناهم بالجموع : أى الأمر أيسر علينا من ذلك (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ، فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم يبق منهم باقية .

❖ وهذا القول الثانى أولى القولين بتأويل الآية ، وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرُّسُل ، فيكون وجهها ، وإن كان أيضا من المفهوم بظاهر الآية بعيدا ، وذلك أن الرُّسُل من بنى آدم لا ينزلون من السماء والخبر فى ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مهلك هذا المؤمن على قومه جندا وذلك بالملائكة أشبه منه بنى آدم .

❖ وقوله (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) يقول : ما كانت هلكتهم إلا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم .

❖ واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) نصبا على التأويل الذى ذكرت ، وأن فى كانت مضمرا وذكر عن أبى جعفر المدنى أنه قرأه « إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً » رفعا على أنها مرفوعة بكان ، ولا مضمرا فى كان .

❖ والصواب من القراءة فى ذلك عندى النصب لإجماع الحجة على ذلك ، وعلى أن فى كانت مضمرا .

❖ وقوله (فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) يقول : فإذا هم هالكون .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾

❖ يقول تعالى ذكره : يا حسرة من العباد على أنفسها وتندما وتلهفا فى استهزأهم برسول الله (ما يأتىهم من رسول) من الله (إلا كانوا به يستهزئون) وذكر أن ذلك فى بعض القراءات (يا حسرة العباد على أنفسها) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا حسرة على العباد) : أى يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله ، وفرطت فى جنب الله . قال : وفى بعض القراءات (يا حسرة العباد على أنفسها) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يا حسرة على العباد) قال : كان حسرة الله عليهم استهزأؤهم بالرسول .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يا حسرةً على العباد) يقول : يا ويل للعباد . وكان بعض أهل العربية يقول معنى ذلك يا لها حسرة على العباد .
القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : ألم يرهؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد كم أهلكتنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا ، وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية (أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ) يقول : ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ) قال : عاد وثمود ، وقرون بين ذلك كثير . و « كم » من قوله (كَمْ أَهْلَكْنَا) في موضع نصب إن شئت بوقوع يروا عليها . وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (أَلَمْ يَرَوْا مَنْ أَهْلَكْنَا) وإن شئت بوقوع أهلكتنا عليها ، وأما أنهم ، فإن الألف منها فتحت بوقوع يروا عليها . وذكر عن بعضهم أنه كسر الألف منها على وجه الاستئناف بها ، وترك إعمال يروا فيها .

وقوله (وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) يقول تعالى ذكره : وإن كل هذه القرون التي أهلكتنا والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة (وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) أي هم يوم القيامة .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (وَإِنْ كُلُّ لَمَّا) بالتخفيف توجيها منهم إلى أن ذلك « ما » أدخلت عليها اللام التي تدخل جوابا لإن وأن معنى الكلام : وإن كل لجمع لدينا محضرون . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (لَمَّا) بتشديد الميم . ولتشديدهم ذلك عندنا وجهان : أحدهما : أن يكون الكلام عندهم كان مرادا به وإن كل لجمع ، ثم حذف إحدى الميمات لما كثرت ، كما قال الشاعر :

غَدَاةَ طَفَّتْ عُلَمَاءَ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَعَمَجْنَا صُدُورَ الْحَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ ١

(١) هذا بيت من مقطوعة نسبها البلاذري في « أنساب الأشراف » إلى صالح بن عبد الله العيشي الخارجي في محاربة حارثة بن بدر الغداني للأزارقة ، قبل أن يخاربه المهلب . ونسبها المبرد في الكامل إلى قطري بن الفجاءة الخارجي في يوم دولاب . ورواية البلاذري « طفت في الماء » ورواية المبرد : « طفت علماء » . وأصله على الماء ، كما تقول في بني الحارث : بلحارث . والبيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٦٩) قال : وقوله « وإن كل لما جميع » : شددتها (لما) الأعمش وعاصم ، وقد خففها قوم كثير من قراء أهل المدينة . وبلغني أن عليا خففها ، وهو الوجه ؛ لأنها « ما » أدخلت عليها لام ، تكون جوابا لإن ، كأنك قلت وإن كل لجمع =

والآخر : أن يكونوا أرادوا أن تكون (كَلْمًا) بمعنى إلا ، مع إن خاصة فتكون نظيرة إنما إذا وضعت موضع « إلا » . وقد كان بعض نحوي الكوفة يقول : كأنها « كَلْمٌ » ضمت إليها « ما » ، فصارتا جميعا استثناء ، وخرجتا من حد الجحد . وكان بعض أهل العربية يقول : لأعرف وجه « لَمَّا » بالتشديد .

❖ والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ودلالة هؤلاء المشركين على قدرة الله على ما يشاء ، وعلى إحيائه من مات من خلقه وإعادته بعد فنائه ، كهيبته قبل مماته وإحيائه الأرض الميتة ، التي لانبت فيها ولا زرع بالغيث الذي ينزله من السماء حتى يخرج زرعا ، ثم إخراجها منها الحب الذي هو قوت لهم وغذاء ، فمِنْهُ يَأْكُلُونَ .

وقوله (وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا في هذه الأرض التي أحييناها بعد موتها بساتين من نخيل وأعناب (وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ) يقول وأنبعا فيها من عيون الماء .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾

❖ يقول تعالى ذكره : أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ليأكل عبادي من ثمره ، وما عملت أيديهم يقول : ليأكلوا من ثمر الجنات التي أنشأنا لهم ، وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا . و « ما » التي في قوله (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) في موضع خفض عطفًا على الثمر ، بمعنى : ومن الذي عملت ، هي في قراءة عبد الله فيما ذكر (وَمِمَّا عَمِلَتْهُ) بالهاء على هذا المعنى ، فالهاء في قراءةنا مضمرة ، لأن العرب تضمها أحيانا ، وتظهرها في صلوات : من ، وما ، والذي . ولو قيل : « ما » بمعنى المصدر كان مذهبنا ، فيكون معنى الكلام : ومن عمل أيديهم . ولو قيل : إنها بمعنى الجحد ولا موضع لها كان أيضا مذهبنا ، فيكون معنى الكلام : ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم . وقوله (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) يقول أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الأرض الميتة التي أحييناها لهم مَنْ رزقهم ذلك وأنعم عليهم به ؟ .

= لدينا محضرون ؛ ولم ينقلها من ثقلها إلا عن صواب ، فإن شئت أردت : وإن كل « لمن ما » جميع ، ثم حذف إحدى الميمات لكثرة كما قاله « غداة طفت علماء . . . البيت » . والوجه الآخر من الثقل : أن يجعلوا « لما » بمنزلة « إلا » مع « إن » خاصة فتكون في مذهبها بمنزلة « إنما » إذا وضعت في معنى « إلا » ، كأنها « لم » ضمت إليها « ما » فصارتا جميعا حرفا واحدا ، وخرجتا من حد الجحد . وكان الكسائي يبنى هذا القول ، يقول : لا أعرف جهة « لما » في التشديد في القراءة . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢٠٤) : « وإن كل » : إذا خفت « إن » رفعتها ، وإن ثقلت نصبت . « لما جميع » تفسيرا : وإن كل لجميع . و « ما » : مجازها مجاز « مثلا ما بموضة » ، و « عما قليل » .

القول في تأويل قوله تعالى :

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره تزيها وتبرئة للذي خلق الألوان المختلفة كلها من نبات الأرض ، ومن أنفسهم : يقول : وخلق من أولادهم ذكورا وإناثا ، ومما لا يعلمون أيضا من الأشياء التي لم يطلعهم عليها ، خلق كذلك أزواجا مما يضيف إليه هؤلاء المشركون ، ويصفونه به من الشركاء وغير ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : ودليل لهم أيضا على قدرة الله على فعل كل ما شاء (اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) يقول : نزع عنه النهار . ومعنى « منه » في هذا الموضع : عنه ، كأنه قيل : نسلخ عنه النهار ، فنأى بالظلمة ونذهب بالنهار . ومنه قوله (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) : أى خرج منها وتركها ، فكذلك انسلخ الليل من النهار . وقوله (فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) يقول : فإذا هم قد صاروا في ظلمة بمجيء الليل .

وقال قتادة في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) قال : يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ، وهذا الذي قاله قتادة في ذلك عندي ، من معنى سلخ النهار من الليل بعيد ، وذلك أن إيلاج الليل في النهار ، إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر ، وليس السلخ من ذلك في شيء ، لأن النهار يسلم من الليل كله ، وكذلك الليل من النهار كله ، وليس يولج كل الليل في كل النهار ، ولا كل النهار في كل الليل .

وقوله (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) يقول تعالى ذكره : والشمس تجري لموضع قرارها ، بمعنى : إلى موضع قرارها ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذر الغفاري ، قال : « كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فلما غربت الشمس ، قال : يا أبا ذر هل تدري أين تذهب الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب فتسجد بين يدي ربها ، ثم تستأذن بالرجوع فيؤذن لها ، وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جيئت ، فتطلع من مكانها ، وذلك مستقرها » .

وقال بعضهم في ذلك بما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) قال : وقت واحد لا تعدوه .

وقال آخرون : معنى ذلك : تجرى لمجرى لها إلى مقادير مواضعها ، بمعنى : أنها تجرى إلى أبعد منازلها في الغروب ، ثم ترجع ولا تجاوزه ، قالوا : وذلك أنها لا تزال تتقدم كل ليلة حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع .

وقوله (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) يقول : هذا الذي وصفنا من جرى الشمس لمستقر لها ، تقدير العزيز في انتقامه من أعدائه ، العليم بمصالح خلقه ، وغير ذلك من الأشياء كلها ، لا يخفى عليه خافية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ
وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ) فقراه بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين (وَالْقَمَرَ) رفعا عطفًا بها على الشمس ، إذ كاتت الشمس معطوفة على الليل ، فأتبعوا القمر أيضا الشمس في الإعراب ، لأنه أيضا من الآيات ، كما الليل والنهار آيتان ، فعلى هذه القراءة تأويل الكلام : وآية لهم القمر قدّرناه منازل ، وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين ، وعامة قراء الكوفة نصبا (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ) بمعنى : وقدّرنا القمر منازل ، كما فعلنا ذلك بالشمس ، فردّوه على الماء من الشمس في المعنى ، لأن الواو التي فيها للفعل المتأخر .

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، فتأويل الكلام : وآية لهم : تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتماهه واستوائه ، حتى عاد كالعرجون القديم ، والعرجون : من العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ ، وإنما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم ، والقديم هو اليابس ، لأن ذلك من العذق ، لا يكاد يوجد إلا متقوسا منحنيا إذا قدم ويبس ، ولا يكاد أن يُصاب مستويا معتدلا ، كأغصان سائر الأشجار وفروعها ، فكذلك القمر إذا كان في آخر الشهر قبل استساراه ، صار في انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) يقول : أصل العذق العتيق .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) يعني بالعرجون : العذق اليابس .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (والقمر قد رناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) قال : كعذق النخلة إذا قدم فأنحنى .
 حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، قال : ثنا أبو يزيد الحرّاز ، يعني خالد بن حيان الرقي ، عن جعفر ابن برقان ، عن يزيد بن الأصم في قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) قال : عذق النخلة إذا قدم اتحنى .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، عن عكرمة ، في قوله :
 (كالعرجون القديم) قال : النخلة القديمة .

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى عن مجاهد (كالعرجون القديم) قال : العذق اليابس .
 حدثني محمد بن عمر بن عليّ المقدمي وابن سنان القرّاز ، قالوا : ثنا أبو عاصم والمقدمي ، قال : سمعت أبا عاصم يقول : سمعت سليمان التيمي في قوله (حتى عاد كالعرجون القديم) قال : العذق .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حتى عاد كالعرجون القديم) قال : قدره الله منازل ، فجعل ينقص حتى كان مثل عذق النخلة ، شبهه بعذق النخلة .
 وقوله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) يقول تعالى ذكره : لا الشمس يصلح لها إدراك القمر ، فيذهب ضوءها بضوئه ، فتكون الأوقات كلها نهارا لاليل فيها (ولا الليل سابق النهار) يقول تعالى ذكره : ولا الليل بفاتت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه ، فتكون الأوقات كلها ليلا .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في ألفاظهم في تأويل ذلك ، إلا أن معاني عامتهم الذي قلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن مجاهد في قوله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) قال : لا يشبه ضوءها ضوء الآخر ، لا ينبغي لها ذلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) قال : لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر ، ولا ينبغي ذلك لهما . وفي قوله (ولا الليل سابق النهار) قال : يتطالبان حثيثين ينسأخ أحدهما من الآخر .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح : (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار) قال : لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول ، في قوله

(لا الشَّمْسُ يُنَبِّغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) وهذا في ضوء القمر وضوء الشمس ، إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء ، وإذا طلع القمر بضوئه لم يكن للشمس ضوء (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) قال : في قضاء الله وعلمه أن لا يفوت الليل النهار حتى يدركه ، فيذهب ظلمته ، وفي قضاء الله أن لا يفوت النهار الليل حتى يدركه ، فيذهب بضوئه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لا الشَّمْسُ يُنَبِّغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) ولكلُّ حدٌّ وعلم لا يعدوه ، ولا يقصر دونه إذا جاء سلطان هذا ، ذهب سلطان هذا ، وإذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا .

وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لا الشَّمْسُ يُنَبِّغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) يقول إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر ، فإذا غابا غاب أحدهما بين يدي الآخر . وأن من قوله (أَنْ تُدْرِكَ) في موضع رفع بقوله : ينبغي .

وقوله (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يقول : وكلٌّ ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلكٍ يجرون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) قال : في فلكٍ كفلك المغزل . حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن أبي ابن نجيح عن مجاهد ، قال : مجرى كل واحد منهما ، يعني الليل والنهار في فلكٍ يسبحون : يجرون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) : أي في فلك السماء يسبحون .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) دوراناً ، يقول : دوراناً يسبحون : يقول : يجرون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يعني : كلٌّ في فلكٍ في السموات .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَيُّهَا اللَّهُمَّ إِنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ آخِرِينَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره : ودليل لهم أيضا ، وعلامة على قدرتنا على كل ما نشاء حملنا ذريتهم ، يعنى من نجا من ولد آدم فى سفينة نوح ، وإياها عنى جل ثناؤه بالفلك المشحون ، والفلك : هى السفينة ، والمشحون المملوء الموقر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس (قوله أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) يقول : الممتلى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس ، قوله (فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) يعنى الممتلئ .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد (الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) قال : الموقر .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، فى قوله (الْمَشْحُونِ) قال : المحمول .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) يعنى : سفينة نوح عليه السلام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَيُّهَا اللَّهُمَّ إِنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) الموقر ، يعنى سفينة نوح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) قال الفلك المشحون : المركب الذى كان فيه نوح ، والذرية التى كانت فى ذلك المركب : قال : والمشحون : الذى قد شحن ، الذى قد جعل فيه ليركبه أهله ، جعلوا فيه ما يريدون ، فربما امتلأ ، وربما لم يمتلأ .

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : أتدرون ما الفلك المشحون ؟ قلنا : لا ، قال : هو الموقر .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملى ، قال : ثنا هارون ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) قال : الموقر .

وقوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) يقول تعالى ذكره: وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذبيك يا محمد ، تفضلا منا عليهم ، من مثل ذلك الفلك الذي كنا حملنا من ذرية آدم من حملنا فيه الذي يركبونه من المراكب .

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله (ما يركبُونَ) فقال بعضهم : هي السفن .
ذكر من قال ذلك

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جببير ، عن ابن عباس قال : تدرون ما (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) ؟ قلنا : لا . قال : هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح على مثلها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك في قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : السفن الصغار .
قال : ثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، في قوله : (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : السفن الصغار ، ألا ترى أنه قال : (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ) ؟

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن في هذه الآية (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : السفن الصغار .
حدثنا حاتم بن بكر الضبي ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح : (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : السفن الصغار .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) يعني : السفن التي اتخذت بعدها ، يعني بعد سفينة نوح .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : هي السفن التي ينتفع بها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : وهي هذه الفلك .

حدثني يونس ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله : (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : نعم من مثل سفينة وقال آخرون : بل عني بذلك الإبل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) يعنى : الإبل ، خَلَقَهَا اللهُ كَمَا رَأَيْتَ ، فَهِيَ سَفْنُ الْبَرِّ ، يُحْمَلُونَ عَلَيْهَا وَيَرْكَبُونَهَا .

حدثنا نصر بن على ، قال : ثنا غندر ، عن عثمان بن غياث ، عن عكرمة (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : الإبل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدى ، قال : قال عبد الله بن شداد : (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) هى الإبل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) قال : من الأنعام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : هى الإبل .
 وَأَشْبَهَ الْقَوْلِينَ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ قَوْلَ مَنْ قَالَ : عُنِيَ بِذَلِكَ السَّفْنِ ، وَذَلِكَ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقَهُمْ فَلَا صَرَِيخَ لَهُمْ) عَلَى أَنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْغُرُقَ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْمَاءِ ، وَلَا غُرُقَ فِي الْبَرِّ ، وَقَوْلُهُ (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقَهُمْ فَلَا صَرَِيخَ لَهُمْ) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِذَا رَكَبُوا الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ (فَلَا صَرَِيخَ لَهُمْ) يَقُولُ : فَلَا مُغِيثَ لَهُمْ إِذَا نَحْنُ غَرَقْنَا هُمْ بِغِيثِهِمْ ، فَيُنَجِّيهِمْ مِنَ الْغُرُقِ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقَهُمْ فَلَا صَرَِيخَ لَهُمْ) : أى لا مُغِيثَ .

وقوله (وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ) يقول : ولا هو ينقذهم من الغرق شئ إن نحن أغرقناهم فى البحر ، إلا أن ننقذهم نحن رحمة منا لهم ، فننجيهم منه .

وقوله (وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) يقول : ولنمتعهم إلى أجل هم بالغو ، فكأنه قال : ولا هم يُنْقَذُونَ ، إلا أن نرحمهم فنمتعهم إلى أجل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) : أى إلى الموت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا نَأْتِيهِمْ مِنْ أَيْدِي رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله ، المكذبين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم :

احذروا ماضى بين أيديكم من نقم الله ومثلاته بمن حل ذلك به من الأمم قبلكم أن يحل مثله بكم بشرككم وتكذيبكم رسوله . (وَمَا خَلَفَكُمْ) يقول : وما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه إن هلكتم على كفركم الذى أنتم عليه (لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ) يقول : ليرحمكم ربكم إن أنتم حذرتم ذلك ، واتقيتموه بالتوبة من شرككم والإيمان به ، ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم من فرائضه .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) : وقائع الله فيمن خلا قبلهم من الأمم وما خلفهم من أمر الساعة .
وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما بين أيديكم) قال : ما مضى من ذنوبهم ، وهذا القول قريب المعنى من القول الذى قلنا ، لأن معناه : اتقوا عقوبة ما بين أيديكم من ذنوبكم ، وما خلفكم مما تعملون من الذنوب ولم تعملوه بعد ، فذلك بعد تخويف لهم العقاب على كفرهم .
وقوله (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) يقول تعالى ذكره : وما تجيء هؤلاء المشركين من قریش آية ، يعنى حجة من حجج الله ، وعلامة من علاماته على حقيقة توحيده ، وتصديق رسوله ، إلا كانوا عنها معرضين ، لا يفكرون فيها ، ولا يتدبرونها ، فيعلموا بها ما احتج الله عليهم بها .

فإن قال قائل : وأين جواب قوله : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلَفَكُمْ) ؟ قيل : جوابه وجواب قوله (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ) . . . قوله (إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) لأن الإعراض منهم كان عن كل آية لله ، فاكتفى بالجواب عن قوله (اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) وعن قوله (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ) بالخبر عن إعراضهم عنها لذلك ، لأن معنى الكلام : وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا ، وإذا أتتهم آية أعرضوا .
القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله : أنفقوا من رزق الله الذى رزقكم ، فأدوا منه ما فرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم ، قال الذين أنكروا وحدانية الله ، وعبدوا من دونه للذين آمنوا بالله ورسوله ، أنطعم أموالنا وطعامنا من لو يشاء الله أطعمه .
وفى قوله (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) وجهان : أحدهما أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين ،

فيكون تأويل الكلام حينئذ : ما أنتم أيها القوم في قيلكم لنا : أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم ، إلا في ذهاب عن الحق ، وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبره ، أنه في ضلال ، وهذا أولى وجهيه بتأويله . والوجه الآخر : أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين ، فيكون تأويله حينئذ : ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إلا في ضلال مبين ، عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المشركون المكذبون وعيد الله ، والبعث بعد الممات ، يستعجلون ربهم بالعذاب (متى هذا الوعد) : أي الوعد بقيام الساعة (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أي القوم ، وهذا قولهم لأهل الإيمان بالله ورسوله .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ

أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم ، إلا صيحة واحدة تأخذهم ، وذلك نفخة الفزع عند قيام الساعة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، وجاءت الآثار .

ذكر من قال ذلك ، وما فيه من الأثر

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر ، قالوا : ثنا عوف بن أبي جميلة عن أبي المغيرة القوأس ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « لِيُنْفَخَنَّ فِي الصُّورِ ، وَالنَّاسُ فِي طَرَقِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ ، حَتَّىٰ إِنْ الثُّوبَ لِيَكُونَ بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ يَتَسَاوَمَانِ ، فَمَا يُرْسَلُهُ أَحَدُهُمَا مِنْ يَدِهِ حَتَّىٰ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ ، وَحَتَّىٰ إِنْ الرَّجُلَ لِيُغْدَوْ مِنْ بَيْتِهِ فَلَا يَرْجِعُ حَتَّىٰ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ ، وَهِيَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ . فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) . . . الآية » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « تَهْبِجُ السَّاعَةُ النَّاسَ وَالرَّجُلُ يَسْتَقِي مَاشِيَّتَهُ ، وَالرَّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضَهُ ، وَالرَّجُلُ يُقِيمُ سِلْعَتَهُ فِي سَوْقِهِ وَالرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ ، وَتَهْبِجُ بِهِمْ وَهُمْ كَذَلِكَ ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (ما ينظرون إلا صيحةً واحدةً) قال : النفخة نفخة واحدة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن إسماعيل بن رافع ، عن ذكره ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور ، فأعطاه إسرافيل ، فهو واضع على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر ، قال أبو هريرة : يا رسول الله : وما الصور ؟ قال : قرن ، قال : وكيف هو ؟ قال : قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات ، الأولى نفخة الفرع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول : انفخ نفخة الفرع ، فينفخ أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ، ويأمره الله فيدبمها ويطولها ، فلا يفتتر ، وهي التي يقول الله (ما ينظرون هؤلاء إلا صيحةً واحدةً ما لما من فواق) ، ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق ، فيقول : انفخ نفخة الصعق ، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، فإذا هم خامدون ، ثم يميت من بقى ، فإذا لم يبق إلا الله الواحد الصمد ، بدّل الأرض غير الأرض والسموات ، فيبسّطها ويبسّطها ، ويمدّها مدّ الأديم العكاظي ، لا تترى فيها عوجاً ولا أمّتا ، ثم ينزجر الله الخلق زجرةً ، فإذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم من الأولى ما كان في بطنها كان في بطنها ، وما كان على ظهرها كان على ظهرها . »

واختلفت القراء في قراءة قوله (وهم يختصمون) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة (وهم يختصمون) بسكون الخاء وتشديد الصاد ، فجمع بين الساكنين ، بمعنى : يختصمون ، ثم أدغم التاء في الصاد فجعلها صاداً مشددة ، وترك الخاء على سكونها في الأصل . وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين (وهم يختصمون) بفتح الخاء وتشديد الصاد بمعنى : يختصمون ، غير أنهم نقلوا حركة التاء وهي الفتحة التي في يفتعلون إلى الخاء منها ، فحركوها بتحريكها ، وأدغموا التاء في الصاد وشدّوها . وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة : (يختصمون) بكسر الخاء وتشديد الصاد ، فكسروا الخاء بكسر الصاد وأدغموا التاء في الصاد وشدّوها . وقرأ ذلك آخرون منهم (يختصمون) بسكون الخاء وتخفيف الصاد ، بمعنى (يفتعلون) من الحصومة ، وكان معنى قارئ ذلك كذلك : كأنهم يتكلمون ، أو يكون معناه عنده : كان وهم عند أنفسهم يختصمون من بعدهم مجيء الساعة ، وقيام القيامة ، ويغلبونه بالجدل في ذلك .

والصواب من القول في ذلك عندنا أن هذه قراءات مشهورات معروفات في قراء الأمصار ، متقاربات المعاني ، فبأيتن قرأ القارئ فصيب .

وقوله (فلا يستطيعون توصيةً) يقول تعالى ذكره : فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ

في الصور أن يوصوا في أموالهم أحدا (ولا إلى أهلهم يرجعون) يقول : ولا يستطيع من كان منهم خارجا عن أهله أن يرجع إليهم ، لأنهم لا يمتثلون بذلك . ولكن يعجلون بالهلاك .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فلا يستطيعون توصية) : أى فيما فى أيديهم (ولا إلى أهلهم يرجعون) قال : أعجلوا عن ذلك .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة) . . . الآية ، قال : هذا مبتدأ يوم القيامة ، وقرأ (فلا يستطيعون توصية) حتى بلغ (إلى ربهم ينسلون) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾
قَالُوا يَا كَيْفَ لَنَا مِن بَعثِنَا مِن
مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾
إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ
جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى ذكره : (ونُفِخَ فِي الصُّورِ) ، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين والصواب من القول فيه بشواهدة فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، ويعنى بهذه النفخة ، نفخة البعث .
وقوله (فإذا هم من الأجداث) يعنى من أجسادهم ، وهى قبورهم ، واحداها جدات ، وفيها لغتان ، فأما أهل العالية ، فتقوله بالثاء : جدات ، وأما أهل السافلة فتقوله بالفاء جَدَف .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (من الأجداث إلى ربهم ينسلون) يقول : من القبور .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإذا هم من الأجداث) : أى من القبور وقوله (إلى ربهم ينسلون) يقول : إلى ربهم يخرجون سراعا ، والنسلان : الإسراع فى المشى .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ينسلون) يقول : يخرجون .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) : أى يخرجون .
وقوله (قَالُوا : يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ، هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)
يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المشركون لما نُفِخَ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردت أرواحهم إلى
أجسامهم ، وذلك بعد نومة ناموها (يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) وقد قيل : إن ذلك نومة بين
النفختين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن خيثمة ، عن الحسن ،
عن أبي بن كعب ، فى قوله (يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) قال : ناموا نومة قبل البعث .
حدثنا ابن بشار ، قال ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن رجل يقال له خيثمة فى قوله
(يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) قال : ينامون نومة قبل البعث .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)
هذا قول أهل الضلالة . والرقدة : ما بين النفختين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا)
قال : الكافرون يقولونه .

ويعنى بقوله (مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا) من أيقظنا من منامنا ، وهو من قولهم : بعث فلان ناقته فانبعثت ،
إذا أثارها فثارت . وقد ذكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود (مَنْ أَهْبَنَّا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا) . وفى قوله
(هَذَا) وجهان : أحدهما : أن تكون إشارة إلى « ما » ، ويكون ذلك كلاما مبتدأ بعد تنهى الخبر الأول
بقوله (مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) فتكون « ما » حينئذ مرفوعة بهذا ، ويكون معنى الكلام : هذا وعد
الرحمن وصدق المرسلون . والوجه الآخر : أن تكون من صفة المرقد ، وتكون خفضا وردا على المرقد ،
وعند تمام الخبر عن الأول ، فيكون معنى الكلام : من بعثنا من مرقدنا هذا ، ثم يبتدئ الكلام فيقال :
ما وعد الرحمن ، بمعنى : بعثكم وعد الرحمن ، فتكون « ما » حينئذ رفعا على هذا المعنى .

وقد اختلف أهل التأويل فى الذى يقول حينئذ : هذا ما وعد الرحمن ، فقال بعضهم : يقول ذلك أهل

الإيمان بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (هَذَا مَا وَعَدَ

الرَّحْمَنُ) مما سر المؤمنون يقولون هذا حين البعث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) قال : قال أهل الهدى : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .
وقال آخرون : بل كلا القولين ، أعني (يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) : من قول الكفار .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) ثم قال بعضهم لبعض (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) كانوا أخبرونا أنا نبعث بعد الموت ، ونحاسب ونجازي .
والقول الأول أشبه بظاهر التنزيل ، وهو أن يكون من كلام المؤمنين ، لأن الكفار في قيلهم (مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جهلاً ، ولذلك من جهلهم استثبتوا ، ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك إلا من غيرهم ، ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك .
وقوله (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) يقول تعالى ذكره إن كانت إعادتهم أحياء بعد مماتهم إلا صيحة واحدة ، وهي النفخة الثالثة في الصور (فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) يقول : فإذا هم مجتمعون لدينا قد أُحضروا ، فأشهدوا موقوف العرض والحساب ، لم يتخلف عنه منهم أحد . وقد بينا اختلاف المختلفين في قراءتهم (إِلَّا صَيْحَةً) بالنصب والرفع فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره (فَالْيَوْمَ) يعني يوم القيامة (لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا) كذلك ربنا لا يظلم نفساً شيئاً ، فلا يوفى بها جزاء عملها الصالح ، ولا يحمل عليها وزر غيرها ، ولكنه يوفى كل نفس أجر ما عملت من صالح ، ولا يعاقبها إلا بما اجترمت واكتسبت من شيء (وَلَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : ولا تكافئون إلا مكافأة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا .

وقوله (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ) اختلاف أهل التأويل في معنى الشغل الذي وصف الله جل ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة ، فقال بعضهم : ذلك افتضاض العذارى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، عن شقيق بن سلمة ،

عن عبد الله بن مسعود ، في قوله (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ) قال : شغلهم افتضاض العذارى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن أبي عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ) قال : افتضاض الأبيكار .

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ) قال : افتضاض الأبيكار .

حدثني الحسن بن زريق الطهوي ، قال : ثنا أسباط بن محمد ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثني الحسين بن عليّ الصّدائي ، قال : ثنا أبو النصر ، عن الأشجعيّ ، عن وائل بن داود ، عن سعيد بن المسيب ، في قوله (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ) قال : في افتضاض العذارى . وقال آخرون : بل عُنِيَ بذلك : أنهم في نعمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ) قال : في نعمة .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان ، عن جُوَيْر ، عن أبي سهل ، عن الحسن ، في قول الله : (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) . . . الآية ، قال : شغلهم النعيمُ عما فيه أهل النار من العذاب . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم في شغل عما فيه أهل النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن عليّ الجهضمي ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن أبان بن تغلب ، عن إسماعيل بن أبي خالد (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) . . . الآية ، قال : في شغل عما يلقي أهل النار .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) وهم أهلها (فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ) بنعم تأتيهم في شغل ، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة ، وافتضاض أبيكار ، وهو ولذة ، وشغل عما يلقي أهل النار .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (فِي شُغْلٍ) ، فقرأت ذلك جماعة قراء المدينة وبعض البصريين على اختلاف عنه (فِي شُغْلٍ) بضم الشين وتسكين الغين . وقد روى عن أبي عمرو الضم في الشين والتسكين في الغين ، والفتح في الشين والغين جميعا في شغل . وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة وجماعة قراء أهل الكوفة (فِي شُغْلٍ) بضم الشين والغين .

والصواب في ذلك عندى قراءته بضم الشين والغين ، أو بضم الشين وسكون الغين ، بأي ذلك قرأه القارئ

فهو مصيب ، لأن ذلك هو القراءة المعروفة في قرآء الأمصار مع تقارب معنيهما . وأما قراءته بفتح الشين والغين ، فغير جائزة عندي ، لإجماع الحجة من القراء على خلافها .
واختلفوا أيضا في قراءة قوله (فَاكِهُونَ) فقراءت ذلك عامة قرآء الأمصار (فَاكِهُونَ) بالألف .
وذكر عن أبي جعفر القاري أنه كان يقرؤه (فَاكِهُونَ) بغير ألف .
والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بالألف ، لأن ذلك هو القراءة المعروفة .
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فرحون .
ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِي سُغُلٍ فَاكِهُونَ) يقول : فرحون .
وقال آخرون : معناه : عجبون .

ذكر من إقال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَاكِهُونَ) قال : عجبون .
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَاكِهُونَ) قال : عجبون .

قال : عجبون :
* واختلف أهل العلم بكلام العرب في ذلك ، فقال بعض البصريين : منهم الفكه الذي يتفكّه . وقال : تقول العرب للرجل الذي يتفكّه بالطعام أو بالفاكهة ، أو بأعراض الناس : إن فلانا لفكّه بأعراض الناس ، قال : ومن قرأها (فَاكِهُونَ) جعله كثير الفواكه صاحب فاكهة ، واستشهد لقوله ذلك بيت الحطيئة :
وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرًا
أى عنده لبن كثير ، وتمر كثير ، وكذلك عاسل ، ولاحم ، وشاحم . وقال بعض الكوفيين : ذلك بمنزلة حاذرون وحذرون ، وهذا القول الثاني أشبه بالكلمة .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُم مَوَازٍ وَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَائِدَاتُ عُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ
قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾

(١) البيت للحطيئة ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٠٧ - ١) قال في تفسير قوله تعالى : « في سغُلٍ فكهون » : الفكه الذي يتفكّه ، تقول العرب للرجل إذا كان يتفكّه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس : إن فلانا لفكّه بأعراض الناس . ومن قرأها « فاكهون » : جعلها كثير الفواكه ، صاحب فاكهة ؛ قال الحطيئة : « ودعوتني . . . » البيت ، أى عنده لبن كثير ، وتمر كثير . وكذلك عاسل ، ولاحم ، وشاحم . هـ . وفى (اللسان : فكه) : رجل فكه : يأكل الفاكهة ، وفاكه : عنده فاكهة . وكلاهما على النسب . أبو معاذ النحوى : الفاكه : الذى كثرت فاكهته . والفكه : الذى ينال من أعراض الناس . هـ . =

﴿يَسْأَلُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ يعني تعالى بقوله (هُمْ) أصحاب الجنة (وَأَزْوَاجُهُمْ) من أهل الجنة في الجنة .
كما حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله
(هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ) قال : حلائلهم في ظلل .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (فِي ظِلَالٍ) بمعنى : جمع ظلة ، كما تجمع الخلة حُللاً .
وقرأه آخرون : (فِي ظِلَالٍ) ، وإذا قرئ ذلك كذلك كان له وجهان : أحدهما أن يكون مراداً به جمع الظلل
الذي هو بمعنى الكين ، فيكون معنى الكلمة حينئذ : هم أزواجهم في كين لا يضحون لشمس كما يضحى
لها أهل الدنيا ، لأنه لا شمس فيها . والآخر : أن يكون مراداً به جمع ظلة ، فيكون وجه جمعها كذلك نظير
جمعهم الخلة في الكثرة : الخلال ، والقلة : قلال .

وقوله (عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ) والأرائك : هي الحجال فيها السرور والفرش : واحدها أريكة ،
وكان بعضهم يزعم أن كل فراش فأريكة ، ويستشهد لقوله ذلك بقول ذي الرمة :

كأَنَّمَا يُبَاشِرُنَّ بِالْمَعْزَاءِ مَسَّ الْأَرَائِكِ ۝

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله :
(عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ) قال : هي السرور في الحجال .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن مجاهد ، في قول الله (عَلَى الْأَرَائِكِ
مُتَكِئُونَ) قال : الأرائك : السرور عليها الحجال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال ثنا سفيان ، قال : ثنا حصين ، عن مجاهد ، في قوله :
(مُتَكِئِينَ عَلَى الْأَرَائِكِ) قال : الأرائك : السرور في الحجال .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن مجاهد ، في قوله (عَلَى الْأَرَائِكِ)
قال : سرور عليها الحجال .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : زعم محمد أن عكرمة قال : الأرائك :
السرور في الحجال .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن ، وسأله رجل عن الأرائك

= وفي معاني القرآن للفراء (مصورة الجامعة ص ٢٧٠) : وقوله « فاكهون » بالألف ، وتقرأ « فكهون » . وهي بمنزلة « حذرون »
« وحاذرون » . وهي في قراءة عبد الله : « فاكهين » بالألف . وقد نقله عنه المؤلف ، ورجحه .

(١) هذا جزء من بيت لذي الرمة (ديوانه ٤٢٢) وصدره : « خدودا جفت في السير حتى كأنما » . وخدودا منصوب مفعول
به لكسا في البيت الذي قبله . وقال شارح ديوانه : أراد كسوا حيث موتت الرياح خدودا . . الخ . أي صيروا المكان الذي ناموا
فيه كسوة الخدود . اه . والمعزاء : الأرض فيها الحجارة والحصى . والأرائك ؛ واحدها أريكة وهي السرير في الحجلة . يقول :
من شدة النوم يرون الأرض ذات الحجارة مثل الفرش على الأرائك . واستشهد أبو عبيدة بالبيت في مجاز القرآن (الورقة ٢٠٧) عند
قوله تعالى « على الأرائك » وقال : واحدها : أريكة ، وهو الفرش في الحجال . قال ذو الرمة : « خدودا . . . البيت ، جعلها فراشا .

قال: هي الحججال. أهل اليمن، يقولون: أريكة فلان وسمعت عكرمة وسئل عنها فقال: هي الحججال على السرر. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (على الأرائكِ مُتَكِيثُونَ) قال: هي الحججال فيها السرر.

وقوله (وَلَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ) يقول لهؤلاء الذين ذكرهم تبارك وتعالى من أهل الجنة في الجنة فاكهة (وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ) يقول: ولهم فيها ما يتمنون. وذكر عن العرب أنها تقول: دع على ما شئت: أي تمن على ما شئت.

وقوله (سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ) في رفع سلام وجهان في قول بعض نحوي الكوفة: أحدهما: أن يكون خبرا لما يدعون، فيكون معنى الكلام: ولهم ما يدعون مسلم لهم خالص. وإذا وجهه معنى الكلام إلى ذلك كان القول حينئذ منصوبا توكيدا خارجا من السلام، كأنه قيل: ولهم فيها ما يدعون مسلم خالص حقا، كأنه قيل: قاله قولا. والوجه الثاني: أن يكون قوله (سَلَامٌ) مرفوعا على المدح، بمعنى: هو سلام لهم قولا من الله. وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله (سَلَامًا قَوْلًا) على أن الخبر متناه عند قوله: (وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ)، ثم نصب سلاما على التوكيد، بمعنى: مسلما قولا. وكان بعض نحوي البصرة يقول: انتصب قولا على البدل من اللفظ بالفعل، كأنه قال: أقول ذلك قولا. قال: ومن نصبها نصبها على خبر المعرفة على قوله (وَلَهُمْ) فيها (ما يدعون).

والذي هو أولى بالصواب على ما جاء به الخبر عن محمد بن كعب القرظي، أن يكون (سَلَامٌ) خبرا لقوله (وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ) فيكون معنى ذلك: ولهم فيها ما يدعون، وذلك هو سلام من الله عليهم، بمعنى: تسليم من الله، ويكون سلام ترجمة عما يدعون، ويكون القول خارجا من قوله: سلام.

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لما حدثنا به إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا أبو عبد الرحمن المقرئ عن حرملة، عن سليمان بن حميد، قال: سمعت محمد بن كعب، يحدث عمر بن عبد العزيز، قال: «إذا فرغ الله من أهل الجنة وأدل النار، أقبل في ظلل من الغمام والملائكة، فيقف على أول أهل درجة، فيسلم عليهم، فيردون عليه السلام، وهو في القرآن (سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ) فيقول: سلوا، فيقولون: ما نسألك وعزتك وجلالك، لو أنك تسمت بيننا أرزاق الثمانيين لأطعمناهم وسقيناهم وكسوناهم، فيقول: سلوا، فيقولون: نسألك رضاك، فيقول: رضائي أحلكم دار كراحتي، فيفعل ذلك بأهل كل درجة حتى ينتهي، قال: ولو أن امرأة من الحور العين طلعت لأطفأ ضوء سوارها الشمس والقمر، فكيف بالمسورة».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا حرملة، عن سليمان بن حميد، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عمر بن عبد العزيز، قال: «إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار، أقبل في ظلل من الغمام والملائكة، قال: فيسلم على أهل الجنة، فيردون عليه السلام، قال القرظي: وهذا في كتاب الله (سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ)؟ فيقول: سلوني، فيقولون: ماذا نسألك، أي رب؟ قال: بل سلوني

قالوا : نسألك أى ربّ رضاك ، قال : رضائى أحلكم دار كرامتى ، قالوا : ياربّ وما الذى نسألك : فوعزتك وجلالك ، وارتفاع مكانك ، لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم ، ولأسقيناهم ، ولألبسناهم ولأخدمناهم ، لا ينقصنا ذلك شيئاً ، قال : إن لدىّ مزيداً ، قال : فيفعل الله ذلك بهم فى درجهم حتى يستوى فى مجلسه ، قال : ثم تأتيم التحف من الله تحملها إليهم الملائكة . ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عبد الرحمن ، قال : ثنا حرمله ، قال : ثنا سليمان بن حميد ، أنه سمع محمد بن كعب القرظى يحدث عمر بن عبد العزيز ، قال : « إذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار ، أقبل يمشى فى ظلل من الغمام ويقف ، قال : ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : فيقولون : فماذا نسألك ياربّ ، فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك ، لو أنك قسمت علينا أرزاق الثقلين ، الجنّ والإنس ، لأطعمناهم ، ولأسقيناهم ، ولأخدمناهم ، من غير أن ينتقص ذلك شيئاً مما عندنا ، قال : بلى فسلونى ، قالوا : نسألك رضاك ، قال : رضائى أحلكم دار كرامتى ، فيفعل هذا بأهل كل درجة ، حتى ينتهى إلى مجلسه . وسائر الحديث مثله . فهذا القول الذى قاله محمد بن كعب ، ينبئ عن أن « سلام » بيان عن قوله (ما يدعون) ، وأن القول خارج من السلام . وقوله (مِّنْ رَبِّ رَحِيمٍ) يعنى : رحيم بهم إذ لم يعاقبهم بما سلف لهم من من جرّم فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَمْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾

﴿٥٩﴾ يعنى بقوله (وأمتازوا) : تميزوا ، وهى افتعلوا ، من ماز يميز ، فعل يفعل منه : امتاز يمتاز امتيازاً : وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأمتازوا اليوم أيها المجرمون) قال : عزّلوا عن كل خير .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، عن إسماعيل بن رافع ، عن حدثه ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ، ثم يقول : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) . . . الآية ، إلى قوله (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ - وأمتازوا اليوم أيها المجرمون) ، فيتميز الناس ويبحثون ، وهى قول الله : (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ) . . . الآية . »

فتأويل الكلام إذن : وتميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون بالله ، فإنكم واردون غير موردكم ، داخلون غير مدخلهم .
 وقوله (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) ، وفي الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه منه ، وهو ثم يقال : ألم أعهد إليكم يا بني آدم ، يقول : ألم أوصيكم وأمركم في الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) يقول : وأقول لكم : إن الشيطان لكم عدو مبين ، قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود ، لأبيكم آدم ، حسدا منه له ، على ما كان الله أعطاه من الكرامة ، وغروره إياه ، حتى أخرجه وزوجته من الجنة .
 وقوله (وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يقول : وألم أعهد إليكم أن اعبدوني دون كل ما سواي من الآلهة والأنداد ، وإيأى فأطيعوا ، فإن إخلاص عبادتي ، وإفراد طاعتي ، ومعصية الشيطان ، هو الدين الصحيح ، والطريق المستقيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٧﴾
 أَصْلُهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٨﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا) : ولقد صد الشيطان منكم خلقا كثيرا عن طاعتي ، وإفرادى بالألوهة حتى عبده ، واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها .
 كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا) قال : خلقت واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين (جِبِلًّا) بكسر الجيم وتشديد اللام ، وكان بعض المكئين وعامة قراء الكوفة يقرءونه (جِبْلًا) بضم الجيم والباء وتخفيف اللام . وكان بعض قراء البصرة يقرؤه (جِبْلًا) بضم الجيم وتسكين الباء ، وكل هذه لغات معروفة ، غير أني لأحب القراءة في ذلك إلا بإحدى القراءتين اللتين إحداهما بكسر الجيم وتشديد اللام ، والأخرى : ضم الجيم والباء وتخفيف اللام ، لأن ذلك هو القراءة التي عليها عامة قراء الأمصار .

وقوله (أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) يقول : أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون ، إذ أطمع الشيطان في عبادة غير الله ، أنه لا ينبغي لكم أن تطيعوا عدوكم وعدو الله ، وتعبدوا غير الله . وقوله (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) يقول : هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله ، وتكذيبكم رسله ، فكنتم بها تكذبون . وقيل : إن جهنم أول باب من أبواب النار . وقوله (أَصْلُهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) يقول : احترقوا بها اليوم وريدوها ، يعني باليوم : يوم القيامة (بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) : يقول : بما كنتم تجحدونها في الدنيا ، وتكذبون بها ،

القول في تأويل قوله تعالى :

الْيَوْمَ نَخِمْ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (الْيَوْمَ نَخِمْ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ) : اليوم نطبع على أفواه المشركين ، وذلك يوم القيامة (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ) بما عملوا في الدنيا من معاصي الله (وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ) قيل : إن الذى ينطق من أرجلهم : أفخاذهم من الرجل اليسرى (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) في الدنيا من الآثام .
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا يونس بن عبيد ، عن حميد بن هلال ، قال : قال أبو بردة : قال أبو موسى : يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة ، فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه ، فيعترف فيقول : نعم أى ربّ عملت عملت عملت ، قال : فيغفر الله له ذنوبه ، ويستره منها ، فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئاً ، وتبدو حسناته ، فودّ أن الناس كلهم يرونها ، ويدعى الكافر والمنافق للحساب ، فيعرض عليه ربه عمله فيجحد ، ويقول : أى ربّ ، وعزتك لقد كتب علىّ هذا الملك ما لم أعمل ، فيقول له الملك : أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول : لا وعزتك أى ربّ ، ما عملته ، فإذا فعل ذلك ختم على فيه . قال الأشعري : فإنى أحسب أوّل ما ينطق منه لفخذه النبي ، ثم تلا : (الْيَوْمَ نَخِمْ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ ، وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى ، عن أبي بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن الشعبي ، قال : يقال للرجل يوم القيامة : عملت كذا وكذا ، فيقول : ما عملت ، فيختم على فيه ، وتنطق جوارحه ، فيقول لجوارحه : أبعدا كنّ الله ما خاصمت إلا فيكنّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الْيَوْمَ نَخِمْ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ) . . . الآية ، قال : قد كانت خصومات وكلام ، فكان هذا آخره ، (وَخِمْ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ) .
حدثني محمد بن عوف الطائي ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن عياش ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن عقبة بن عامر ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «أَوَّلُ شَيْءٍ يَسْكَتُ مِنْهُ مِنَ الْإِنْسَانِ ، يَوْمَ يَخِمْ اللَّهُ عَلَى الْأَفْوَاهِ فَيَخِذُهُ مِنْ رِجْلِهِ الْيُسْرَى» .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَكَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) فقال بعضهم : معنى ذلك : ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى ، وأضللناهم عن قصد المَحَجَّة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَكَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) يقول : أضللتهم وأعميتهم عن الهدى .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولو نشاء لتركناهم عميا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَكَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) قال : لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميا يترددون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) يقول : لو شئنا لتركناهم عميا يترددون . وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقاتادة أشبه بتأويل الكلام ، لأن الله إنما هتد به قوما كفارا ، فلا وجه لأن يقال : وهم كفار ، لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم ، ولكنه قال : لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم ، فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عميا لا يبصرون طريقا ، ولا يهتدون له ، والطمس على العين : هو أن لا يكون بين جفني العين غرٌّ ، وذلك هو الشق الذي بين الجفنين ، كما تطمس الريح الأثر ، يقال : أعمى مطموس وطميس .

وقوله (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) يقول : فابتدروا الطريق .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) قال الطريق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) : أي الطريق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) قال : الصراط . الطريق .

وقوله (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) يقول : فأى وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق ، وقد طمسنا على أعينهم .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) وقد طمسنا على أعينهم .

وقال الذين وجهوا تأويل قوله (وَكَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) إلى أنه معنى به العمى عن الهدى ، تأويل قوله (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) : فأنى يهتدون للحق .

(١) كذا في مجاز القرآن لأبي عبيدة (مصورة الجامعة ، الورقة ٢٠٧) .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (فَأَنِّي يُبْصِرُونَ) يقول : فكيف يهتدون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَأَنِّي يُبْصِرُونَ) يقول : لا يبصرون الحق .

وقوله (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) يقول تعالى ذكره : ولو نشاء لأقعدها هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم (فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) يقول : فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ، ولا أن يرجعوا وراءهم .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : نحو الذي قلنا في ذلك :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) قال : لو نشاء لأقعدها لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، ثنا سعيد عن قتادة (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) : أي لأقعدها لهم على أرجلهم (فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) فلم يستطيعوا أن يتقدموا ولا يتأخروا . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولو نشاء لأهلكناهم في منازلهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) يقول : ولو نشاء لأهلكناهم في مساكنهم ، والمكانة والمكان بمعنى واحد . وقد بينا ذلك فيما مضى قبل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى ذكره (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ) (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ) فنمّده له في العمر (نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) نرده إلى مثل حاله في الصبا من الهرم والكبر ، وذلك هو النكس في الخلق ، فيصير لا يعلم شيئا بعد العلم الذي كان يعلمه . وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ)

نقول : من نمّده له في العمر نكسه في الخلق ، لكيلا يعلم بعد علم شيئا ، يعني الهرم .

واختلفت القراء في قراءة قوله (نُنَكِّسُهُ) فقرأه عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : (نَنَكِّسُهُ) بفتح النون الأولى وتسكين الثانية ، وقرأته عامة قراء الكوفة (نُنَكِّسُهُ) بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد الكاف .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن التي عليها عامة قراء الكوفيين أعجب إلى ، لأن التنكيس من الله في الخلق إنما هو حال بعد حال ، وشيء بعد شيء ، فذلك تأييد للتشديد .

وكذلك اختلفوا في قراءة قوله (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) فقرأته قراء المدينة (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بالتاء على وجه الخطاب . وقرأته قراء الكوفة بالياء على الخبر ، وقراءة ذلك بالياء أشبه بظاهر التنزيل ، لأنه احتجاج من الله على المشركين الذين قال فيهم (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) فأخرج ذلك خبراً على نحو ماخرج قوله (لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) أعجب إلى ، وإن كان الآخر غير مدفوع .

ويعني تعالى ذكره بقوله (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) : أفلا يعقل هؤلاء المشركون قدرة الله على ما يشاء بمعابنتهم ما يعاينون من تصرفه خلقه فيما شاء وأحب من صغر إلى كبر ، ومن تنكيس بعد كبر في هرم . وقوله (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) يقول تعالى ذكره : وما علمنا محمدا الشعر ، وما ينبغي له أن يكون شاعراً .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) قال : قيل لعائشة : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت : كان أبغض الحديث إليه ، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس ، فيجعل آخره أوله ، وأوله آخره ، فقال له أبو بكر : إنه ليس هكذا ، فقال نبي الله : « إني وآله ما أنا بشاعير ، ولا يَنْبَغِي لي » . وقوله (إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) يتول تعالى ذكره : ما هو إلا ذكر ، يعني بقوله (إِنَّهُ هُوَ) : أي محمد إلا ذكر لكم أيها الناس ذكركم الله بإرساله إياهم إليكم ، ونسبهم به على حظكم (وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) يقول : وهذا الذي جاءكم به محمد قرآن مبين ، يقول : يَسِّينَ لمن تدبره بعقل ولب ، أنه تنزيل من الله أنزله إلى محمد ، وأنه ليس بشعر ولا مع كاهن .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) قال : هذا القرآن . وقوله (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) يقول : إن محمد إلا ذكر لكم لينذر منكم أيها الناس من كان حي القلب ، يعقل ما يقال له ، ويفهم ما يُبَيِّنُ له ، غير ميت الفؤاد بليد . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن رجل ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، في قوله : (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) قال : من كان عاقلاً .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) : حتى القلب ، حتى البصر .

قوله (وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) يقول : ويحق العذاب على أهل الكفر بالله ، المولئين عن اتباعه ، المعرضين عما أتاهم به من عند الله .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) بأعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٦﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ
وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالى ذكره (أَوَلَمْ يَرَ) هؤلاء المشركون بالله الآلهة والأوثان (أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) يقول : مما خلقنا من الخلق (أَنْعَامًا) وهي المواشى التي خلقها الله لبنى آدم ، فسخرها لهم من الإبل والبقر والغنم (فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) يقول : فهم لها مصرفون كيف شاءوا بالقهر منهم لها والضبط .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) : أى ضابطون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَوَلَمْ يَرَ) أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ؟ فقيل له : أهى الإبل ؟ فقال : نعم ، قال : والبقر من الأنعام ، وليست بداخلة في هذه الآية ، قال : والإبل والبقر والغنم من الأنعام ، وقرأ (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) قال : والبقر والإبل هي النعم ، وليست تدخل الشاء في النعم .

وقوله (وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ) يقول : وذللنا لهم هذه الأنعام (فَفِيهَا رَكُوبُهُمْ) يقول : فيها ما يركبون كالإبل يسافرون عليها ؛ يقال : هذه دابة ركوب ، والركوب بالضم : هو الفعل (وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) لحومها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَفِيهَا رَكُوبُهُمْ) :

يركبونها يسافرون عليها (وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) لحومها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٦﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُم يُبْصِرُونَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : ولهم في هذه الأنعام منافع ، وذلك منافع في أصوافها وأوبارها وأشعارها باتخاذهم من ذلك أثاثا ومتاعا ، ومن جلودها أكلانا ، ومشارب يشربون ألبانها .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) يَلْبَسُونَ أَصْوَافَهَا (وَمَشَارِبُ) يشربون ألبانها .

وقوله (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) يقول : أفلا يشكرون نعمتي هذه ، وإحساني إليهم بطاعتي ، وإفراد الألوهية لي والعبادة ، وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام .
قوله (وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً) يقول : واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها (لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ) يقول : طمعا أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٨﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ نَعْلَمَ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٩﴾

يقول تعالى ذكره : لا يستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله إن أراد بهم سوءا ، ولا تدفع عنهم ضررا .
وقوله (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ) يقول : وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضرون .
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (مُّحْضَرُونَ) وأين حضورهم إياهم ، فقال بعضهم : عنى بذلك : وهم لهم جند محضرون عند الحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ) قال : عند الحساب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهم لهم جند محضرون في الدنيا يغضبون لهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) الآلهة (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ) والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا ، وهي لا تسوق إليهم خيرا ، ولا تدفع عنهم سوءا ، إنما هي أصنام :

وهذا الذي قاله قتادة أولى القولين عندنا بالصواب في تأويل ذلك ، لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام ، وما كانوا يعبدونه ، فكيف يكونون لها جندا حينئذ ، ولكنهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم ، ويقاتلون دونهم .

وقوله تعالى (فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : فَلَا يَحْزُنُكَ يا محمد قول هؤلاء المشركين بالله من قومك لك : إنك شاعر ، وما جئتنا به شعر ، ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوتك . وقوله (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) يقول تعالى ذكره : إنا نعلم أن الذي يدعوهم إلى قيل ذلك الحسد ، وهم يعلمون أن الذي جئتهم به ليس بشعر ، ولا يشبه الشعر ، وأنت لست بكذاب ، فنعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم إليه ، وما يعلنون من جحودهم ذلك بألسنتهم علانية .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

يقول تعالى ذكره (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ) واختلف في الإنسان الذي عني بقوله (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ) فقال بعضهم : عني به أئبي بن خلف .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى عن مجاهد ، في قوله (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) قال : أئبي بن خلف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا) أئبي بن خلف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) : ذكر لنا أن أئبي بن خلف ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ، ففتته ، ثم ذراه في الريح ، ثم قال : يا محمد من يحيي هذا وهو رميم ، قال : الله يحييه ، ثم يميته ، ثم يدخلك النار ؛ قال : فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

وقال آخرون : بل عني به : العاص بن وائل السهمي .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : « جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ، ففتته بين يديه ، فقال : يا محمد

أبيعت الله هذا حيا بعد ما أرم؟ قال : نَعَمْ يَبَعَثُ اللهُ هَذَا ، ثُمَّ يُمَيِّتُكَ ثُمَّ يُحْيِيكَ ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ قال : ونزلت الآيات : (أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) . . . إلى آخر الآية .

وقال آخرون : بل عُنِيَ به : عبد الله بن أُبَيّ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ) . . . إلى قوله (وَهِيَ رَمِيمٌ) قال : «جاء عبد الله بن أُبَيّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فكسره بيده ، ثم قال : يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَبَعَثُ اللهُ هَذَا ، وَيُمَيِّتُكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ ، فقال الله (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) » .

فتأويل الكلام إذن : أو لم ير هذا الإنسان الذى يقول : (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) أنا خلقناه من نطفة فسويناه خلقا سويًا (فإذا هو خَصِيمٌ) يقول : فإذا هو ذو خصومة لربه ، يخاصمه فيما قال له ربه إني فاعل ، وذلك إخبار لله إياه أنه يحيى خلقه بعد مماتهم ، فيقول : مَنْ يحيى هذه العظام وهى رميم؟ إنكارا منه لقدرة الله على إحيائها .

وقوله (مُبِينٌ) يقول : بين لمن سمع خصومته وقيامه ذلك أنه مخاصم ربه الذى خلقه . وقوله (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ) يقول : ومثل لنا شيئا بقوله (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) إذ كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد ، يقول : فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) يقول : ونسى خلقنا إياه كيف خلقناه ، وأنه لم يكن إلا نطفة ، فجعلناها خلقا سويًا ناطقا ، يقول : فلم يفكر فى خلقناه ، فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشرا سويًا ناطقا متصرفًا ، لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء ، والعظام الرميم بشرا كهيئتهم التى كانوا بها قبل الفناء ، يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) لهذا المشرك القائل لك : من يحيى العظام وهى رميم (يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول : يحيىها الذى ابتدع خلقها أول مرة ولم تكن شيئا (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) يقول : وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت ، وكيف يحيى ، وكيف يبدئ ، وكيف يعيد ، لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨١﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٢﴾

*** يقول تعالى ذكره : قل يحييها الذي أنشأها أول مرة (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا) يقول : الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر نارا تُحترق الشجر ، لا يمتنع عليه فعل ما أراد ، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رمت ، وإعادتها بشرا سويا ، وخلقها جديدا ، كما بدأها أول مرة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا) يقول : الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه .
قوله (فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) يقول : فإذا أنتم من الشجر توقدون النار ، وقال (مِنْهُ) والهاء من ذكر الشجر ، ولم يقل : منها ، والشجر جمع شجرة ، لأنه خرج مخرج الثمر والحصى ، ولو قيل : منها كان صوابا أيضا ، لأن العرب تذكر مثل هذا وتؤنثه . وقوله (أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) يقول تعالى ذكره منها هذا الكافر الذي قال (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) على خطأ قوله ، وعظيم جهله (أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ) مثلكم ، فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خالق السموات والأرض . يقول : فمن لم يتعذر عليه خالق ما هو أعظم من خلقكم ، فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمت وبليت ؟ وقوله (بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) يقول : : بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء ، الفعّال لما يريد ، العليم بكل ما خلق ويخلق ، لا يخفى عليه خافية .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٦﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٧﴾

*** يقول تعالى ذكره : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) .
وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) قال : هذا مثل إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، قال : ليس من كلام العرب شيء هو أخف من ذلك ، ولا أهون ، فأمر الله كذلك .

وقوله (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) يقول تعالى ذكره : فتزیه الذي بيده ملك كل شيء وخزائنه . وقوله (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه تردون وتصيرون بعد مماتكم .

آخر تفسير سورة يس

(٣٧) سُورَةُ الصَّافَّاتِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَتِسْعُونَ وَآيَاتُهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۖ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۖ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣٧﴾

قال أبو جعفر : أقسم الله تعالى ذكره بالصَّافَّاتِ ، والزَّاجِرَاتِ ، والتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ؛ فأما الصَّافَّاتِ : فإنها الملائكة الصَّافَّاتِ لربها في السماء وهي جمع صَافَّةٍ ، فالصَّافَّاتِ : جمعُ جَمْعٍ ، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني سلم بن جنادة : قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، قال : كان مسروق يقول في الصَّافَّاتِ : هي الملائكة .

حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا شُعْبَةُ ، عن سليمان ، قال : سمعت أبا الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، بمثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا) قال : قسم أقسم الله بخلق ، ثم خلق ، ثم خلق ، والصَّافَّاتِ : الملائكة صُفُوفًا في السماء .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله : (وَالصَّافَّاتِ) قال : هم الملائكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا) قال : هذا قسم أقسم الله به .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) فقال بعضهم : هي الملائكة تزجر السحاب نسوقه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الخارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) : قال : الملائكة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله : (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) قال : هم الملائكة .

وقال آخرون : بل ذلك آى القرآن التي زجر الله بها عما زجر بها عنه في القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) قال : مازَجَرَ

الله عنه في القرآن .

والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد ، ومن قال هم الملائكة ، لأن الله تعالى ذكره ، ابتداء القسم بنوع من الملائكة ، وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل ، فلا يُن يكون الذي بعده قسما بسائر أصنافهم أشبه .

وقوله (فالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) يقول : فالتقارئات كتابا .

واختلف أهل التأويل في المعنى بذلك ، فقال بعضهم : هم الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) قال : الملائكة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فالتَّالِيَاتِ

ذِكْرًا) قال : هم الملائكة .

وقال آخرون : هو ما يتلى في القرآن من أخبار الأمم قبلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) قال : ما يتلى عليكم

في القرآن من أخبار الناس والأمم قبلكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿١﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٢﴾ إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرَبِّنَا ﴿٣﴾
الْكَوَاكِبِ ﴿٤﴾ وَحِفْظًا ﴿٥﴾ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٦﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَعْلَىٰ وَيُقَدِّفُونَ ﴿٧﴾ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾
دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خِطِفَ الْخِطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ مِنْهَا شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

﴿١﴾ يعني تعالى ذكره بقوله : (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ) والصفات صفا إن معبودكم الذي يستوجب عليكم أيها الناس العبادة ، وإخلاص الطاعة منكم له لواحد لا ثاني له ولا شريك . يقول : فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالطاعة ، ولا تجعلوا له في عبادتكم إياه شريكا . وقوله (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) يقول : هو واحد خالق السموات السبع وما بينهما من الخلق ، ومالك ذلك كله ، والقسم على جميع ذلك ،

يقول: فالعبادة لاتصلح إلا لمن هذه صفته ، فلا تعبدوا غيره ، ولا تشرکوا معه في عبادتكم إياه من لا يضر ولا ينفع ، ولا يخلق شيئا ولا يفسنيه .

واختلف أهل العربية في وجه رفع رب السموات ، فقال بعض نحويّ البصرة : رفع على معنى : إن إلهكم لرب . وقال غيره : هو ردّ على « إن إلهكم لو احد » ثم فسّر الواحد ، فقال : رب السموات ، وهو ردّ على واحد . وهذا القول عندي أشبه بالصواب في ذلك ، لأن الخير هو قوله (لَوَاحِدٌ) ، وقوله (رَبُّ السَّمَوَاتِ) ترجمة عنه ، وبيان مردود على إعرابه .

وقوله (وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) يقول : ومدبر مشارق الشمس في الشتاء والصيف ومغاربها ، والقسم على ذلك ومصلحه ، وترك ذكر المغرب للدلالة الكلام عليه ، واستغنى بذكر المشارق من ذكرها ، إذ كان معلوما أن معها المغرب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ) وقع القسم على هذا إن إلهكم لو احد (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) قال : مشارق الشمس في الشتاء والصيف .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (رَبُّ الْمَشَارِقِ) قال : المشارق ستون وثلاث مئة مشرق ، والمغرب مثلها ، عدد أيام السنة .

وقوله (إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ) اختلفت القراء في قراءة قوله (بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بزينة الكواكب بإضافة الزينة إلى الكواكب ، وخفض الكواكب (إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) التي تليكم أيها الناس وهي الدنيا إليكم بتزيينها الكواكب : أي بأن زينتها الكواكب . وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة (بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ) بتنوين زينة ، وخفض الكواكب ردا لها على الزينة ، بمعنى : إنا زينا السماء الدنيا بزينة هي الكواكب ، كأنه قال : زينناها بالكواكب . ورؤي عن بعض قراء الكوفة أنه كان ينون الزينة وينصب الكواكب ، بمعنى : إنا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكب . ولو كانت القراءة في الكواكب جاءت رفعا إذا نونت الزينة ، لم يكن لنا ، وكان صوابا في العربية ، وكان معناه : إنا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكب : أي بأن زينتها الكواكب وذلك أن الزينة مصدر ، فجاءت توجيهها إلى أي هذه الوجوه التي وُصِفَتْ في العربية .

وأما القراءة فأعجبها إلى بإضافة الزينة إلى الكواكب وخفض الكواكب لصحة معنى ذلك في التأويل والعربية ، وأنها قراءة أكثر قراء الأمصار وإن كان التنوين في الزينة وخفض الكواكب عندي صحيحا أيضا . فأما النصب في الكواكب والرفع ، فلا أستجيز القراءة بهما ، لإجماع الحجة من القراء على خلافهما ، وإن كان لهما في الإعراب والمعنى وجه صحيح .

وقد اختلف أهل العربية في تأويل ذلك إذا أضيفت الزينة إلى الكواكب ، فكان بعض نحوِي البصرة يقول : إذا قرئ ذلك كذلك ، فليس يعنى بعضها ، ولكن زينتها حسنها ، وكان غيره يقول : معنى ذلك : إذا قرئ كذلك : إنا زينا السماء الدنيا بأن زينتها الكواكب . وقد بيّننا الصواب في ذلك عندنا .
 وقوله (وَحِيفَظَا) يقول تعالى ذكره : (وَحِيفَظَا) للسماء الدنيا زينها بزينة الكواكب .
 وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله (وَحِيفَظَا) فقال بعض نحوِي البصرة : قال وحفظا ، لأنه بدل من اللفظ بالفعل ، كأنه قال ، وحفظناها حفظا . وقال بعض نحوِي الكوفة : إنما هو من صلة التزيين أنا زينا السماء الدنيا حفظا لها ، فأدخل الواو على التكرير : أي وزيناها حفظا لها ، فجعله من التزيين ، وقد بيّننا القول فيه عندنا . وتأويل الكلام : وحفظا لها من كل شيطان عات خبيث زينها .
 كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَحِيفَظَا) يقول : جعلها حفظا من كل شيطان مارد .

وقوله (لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى) اختلفت القراء في قراءة قوله (لَا يَسْمَعُونَ) ، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض الكوفيين : (لَا يَسْمَعُونَ) بتخفيف السين من يسمعون ، بمعنى أنهم يتسمعون ولا يسمعون . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بعد لا يسمعون ، بمعنى : لا يتسمعون ، ثم أدغموا التاء في السين فشدّ دوها .

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف ، لأن الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ، أن الشياطين قد تتسمع الوحي ، ولكنها ترنم بالشهب لئلا تسمع .
 ذكر رواية بعض ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : كانت للشياطين مقاعد في السماء ، قال : فكانوا يسمعون الوحي ، قال : وكانت النجوم لا تجرى ، وكانت الشياطين لا ترى ، قال : فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض ، فزادوا في الكلمة تسعا ؛ قال : فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاء شهاب ، فلم يُخْطِطْهُ حَتَّى يجرقه ، قال : فشكوا ذلك إلى إبليس ، فقال : ما هو إلا لأمر حدث ؛ قال : فبعث جنوده ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلي نخلة ؛ قال أبو كُرَيْب ، قال وكيع : : يعني بطن نخلة ، قال : فرجعوا إلى إبليس فأخبروه ، قال : فقال هذا الذي حدث .

حدثنا ابن وكيع وأحمد بن يحيى الصوفي قالا : ثنا عبید الله ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد ابن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الجنّ يصعدون إلى السماء الدنيا يستمعون الوحي ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا ، فأما الكلمة فتكون حقا ، وأما ما زادوا فيكون باطلا ؛ فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكن النجوم يُرْمَى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس :

ما هذا إلا لأمر حدث في الأرض ، فبعث جنوده ، فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي ، فأتوه فأخبروه ، فقال : هذا الحدث الذي حدث .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن رجاء ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الجن لهم مقاعد ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن أبي إسحاق ، عن ابن عباس ، قال : حدثني رهط من الأنصار ، قالوا : « بينا نحن جلوس ذات ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ رأى كوكبا رمى به ، فقال : ما تقولون في هذا الكوكب الذي يرمى به ؟ فقانا : يُولد مولود ، أو يهلك هالك ، ويموت ملك ويملك ملك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس كذلك ، ولكن الله كان إذا قضى أمرا في السماء سبَّح لذلك حَمَلَةُ العرش ، فَيُسَبَّحُ لِتَسْبِيحِهِمْ مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ تَحْتِهِمْ مِنَ المَلَائِكَةِ ، فَمَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ التَّسْبِيحُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ المَلَائِكَةِ ؟ مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَندَرِي : سَمِعْنَا مَنْ فَوْقَنَا مِنَ المَلَائِكَةِ سَبَّحُوا فَسَبَّحْنَا اللهُ لِتَسْبِيحِهِمْ وَلَكِنَّا سَنَسَأَلُ ، فَيَسْأَلُونَ مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَمَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَمَلَةِ العرش ، فَيَقُولُونَ : قَضَى اللهُ كَذَا وَكَذَا ، فَيُخْبِرُونَ بِهِ مَنْ يَلِيهِمْ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَتَسْتَرْقُ الجِنُّ مَا يَقُولُونَ ، فَيَسْزَلُونَ إِلَى أَوْلِيائِهِمْ مِنَ الإنسِ فَيَلْقَوْنَهُ عَلَى أَسْنِنَتِهِمْ بِتَوَهُمٍ مِنْهُمْ ، فَيُخْبِرُونَهُمْ بِهِ ، فَيَكُونُ بَعْضُهُ حَقًّا وَبَعْضُهُ كَذِبًا ، فَلَمَّ تَزَلِ الجِنُّ كَذَلِكَ حَتَّى رُمُوا بِهَذِهِ الشُّهُبِ » .

حدثنا ابن وكيع وابن المثنى ، قالا : ثنا عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهري ، عن علي بن حسين ، عن ابن عباس ، قال : « بينما النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من الأنصار ، إذ رمى بنجم فاستنار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتُموه ؟ قالوا : كنا نقول : يموت عظيم أو يولد عظيم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنه لا يرمى به لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك اسمه إذا قضى أمرا سبَّح حَمَلَةُ العرش ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ ثُمَّ يَسْأَلُ أَهْلُ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَمَلَةَ العرش : ماذا قال ربنا ؟ فيخبرونهم ، ثم يستخبر أهل كل سماء ، حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا ، وتختطف الشياطين السَّمْعَ ، فيرمون ، فيقتد فونته إلى أوليائهم ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ ، وَلَكِنَّهُمْ يَزِيدُونَ » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : أخبرنا معمر ، قال : ثنا ابن شهاب ، عن علي بن حسين ، عن ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من أصحابه ، قال : فرمى بنجم ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه زاد فيه : قلت للزهري : أكان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنها غلظت حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم » .

حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عاصم بن علي ، قال : ثنا أبي علي بن عاصم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « كان للجن مقاعد في السماء يسمعون الوحي وكان الوحي إذا أُوحِيَ سمعت الملائكة كهيئة الخديعة يُرْمَى بها على الصّفنّوان ، فإذا سمعت الملائكة صلصلة الوحي خرّ لجباههم مَنْ في السماء من الملائكة ، فإذا نزل عليهم أصحاب الوحي (قالوا ماذا قال ربّكم ؟) قالوا الحقّ وهو العليّ الكبير) قال : فيتنادون ، قال : ربكم الحقّ وهو العليّ الكبير ؛ قال : فإذا أنزل إلى السماء الدنيا ، قالوا : يكون في الأرض كذا وكذا موتا ، وكذا وكذا حياة ، وكذا وكذا جدوبة ، وكذا وكذا خصبا ، وما يريد أن يصنع ، وما يريد أن يبتدىء تبارك وتعالى ، فنزلت الجنّ ، فأوحوا إلى أوليائهم من الإنس ، مما يكون في الأرض ، فبيناهم كذلك ، إذ بعث الله النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فزجرت الشياطين عن السماء ورمّوهم بكواكب ، فجعل لا يصعد أحد منهم إلا احترق ، وفزع أهل الأرض لما رأوا في الكواكب ، ولم يكن قبل ذلك ، وقالوا : هلك مَنْ في السماء ، وكان أهل الطائف أول من فزع ، فينطلق الرجل إلى إبله ، فينحر كل يوم بعيرا لآلهم ، وينطلق صاحب الغنم ، فيذبح كل يوم شاة ، وينطلق صاحب البقر ، فيذبح كل يوم بقرة ، فقال لهم رجل : ويئدكم لا تهلكوا أموالكم ، فإن معالكم من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها شيء ، فأقلعوا وقد أسرعوا في أموالهم . وقال إبليس : حدث في الأرض حدث فأتى من كل أرض بترية ، فجعل لا يؤتى بترية أرض إلا شمها ، فلما أتى بترية تهامة قال : ههنا حدث الحدث ، وصرف الله إليه نفرا من الجنّ وهو يقرأ القرآن ، فقالوا (إنّنا سمعنا قرآنا عجبا) حتى ختم الآية « فولّوا إلى قومهم منذرين » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن لهيعة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنّ الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر ما قضى في السماء ، فتسبرق الشياطين السمع ، فتسمع منه فتوحيه إلى الكهّان ، فيسكذبون معها مئة كذبة من عند أنفسهم » ، فهذه الأخبار تُنبئ عن أن الشياطين تسمع ، ولكنها تُرْمَى بالشهب لئلا تسمع .

فإن ظنّ ظانّ أنه لما كان في الكلام « إلى » ، كان التسمع أولى بالكلام من السمع ، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّ ، وذلك أن العرب تقول : سمعت فلانا يقول كذا ، وسمعت إلى فلان يقول كذا ، وسمعت من فلان .

وتأويل الكلام : إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظا من كلّ شيطان مارد أن لا يسمع إلى الملائكة الأعلى ، فحذفت « إن » اكتفاء بدلالة الكلام عليها ، كما قيل : كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به ، بمعنى : أن لا يؤمنوا به ، ولو كان مكان « لا » أن ، لكان فصيحاً ، كما قيل : (يبسين الله لكُم أن تضلّوا) بمعنى : أن لا تضلّوا ، وكما قال : (وألقني في الأرض رواي أن تميد بيكم)

بمعنى : أن لا تميد بكم . والعرب قد تجزم مع « لا » في مثل هذا الموضع من الكلام ، فتقول : ربطت الفرس لاينفليت ، كما قال بعض بني عقييل :

وحتى رأينا أحسن الود بيننا مساكنة لايقرف الشر قارفا

ويروى : لايقرف رفعا ، والرفع لغة أهل الحجاز فيما قيل :

وقال قتادة في ذلك ما حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لايسمعون إلى المذلل الأعلى) قال : منعوها . ويعنى بقوله (إلى المذل) : إلى جماعة الملائكة التي هم أعلى ممن هم دونهم . وقوله (ويقتذفون من كل جانب دحورا) ويرمون من كل جانب من جوانب السماء دحورا ، والدحور : مصدر من قولك : دحرت أدحرت دحرا ودحورا ، والدحور : الدفع والإبعاد ، يقال منه : ادحرت عنك الشيطان : أي ادفعه عنك وأبعده . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ويقتذفون من كل جانب دحورا) قذفا بالشهب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ويقتذفون) يرمون (من كل جانب) قال : من كل مكان . وقوله (دحورا) قال : مطرودين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ويقتذفون من كل جانب دحورا) قال : الشياطين يدحرون بها عن الاستماع ، وقرأ وقال (إلا من استترق السمع فأتبعه شهاب ثاقب) .

وقوله (ولهم عذاب وأصيب) يقول تعالى ذكره : ولهذا الشياطين المستترقة السمع عذاب من الله واصب .

واختلف أهل التأويل في معنى الواصب ، فقال بعضهم : معناه : الموضع .

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧١) قال في تفسير قوله تعالى : « لا يسمعون » قرأها عبد الله بالتشديد ، على معنى « لا يسمعون » . وكذلك قرأها ابن عباس ، وقال : يسمعون ولا يسمعون . قال الفراء : ومعنى « لا » كقوله « كذلك سلكناه في قلوب المجرمين . لا يؤمنون به » ، لو كان في موضع « لا » « أن » صلح ذلك ، كما قال : « بين الله لكم أن تضلوا » . وكما قال : « وأنت في الأرض رواسي أن تميد بكم » . ويصلح في « لا » على هذا المعنى الجزم . العرب تقول : ربطت الفرس لاينفليت ، وأوثقت عبدي لا يفر . وأنشد بعض بني عقييل : « وحتى رأينا . . . البيت » . وبعضهم يقول : لايقرف الشر (برفع الفعل) قال : والرفع لغة أهل الحجاز ، وبذلك جاء القرآن . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (وَكَلَّمُ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ) قال : موجه .
وحدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله : (عَذَابٌ وَأَصِيبٌ) قال : الموجه .
وقال آخرون : بل معناه : الدائم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة (وَكَلَّمُ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ) : أي دائم .
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَذَابٌ وَأَصِيبٌ) قال : دائم .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَكَلَّمُ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ) يقول : لهم عذاب دائم .
حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن ذكره ، عن عكرمة (وَكَلَّمُ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ) قال : دائم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكَلَّمُ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ) قال : الواصب : الدائب .

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال : معناه : دائم خالص ، وذلك أن الله قال (وَلَهُ الدِّينُ وَأَصِيبًا) فعلوم أنه لم يصفه بالإيلام والإيجاع ، وإنما وصفه بالثبات والخلوص ؛ ومنه قول أبي الأسود الدؤلي :
لَا أَشْتَرِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بِقَاؤُهُ
يَوْمًا بِدَمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعِ وَأَصِيبًا
أي دائما :

وقوله (إِلَّا مَنْ خَطِيفَ الْخَطِيفَةِ) يقول : إلا من استرق السمع منهم (فَأَتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) يعني : مضى ومتوقد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) من نار وثقوبه : ضوؤه .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٠٨ - ١) قال في تفسير قوله تعالى «عذاب واصب» : دائم قال أبو الأسود الدؤلي : «لأشترى الحمد . . . البيت . اهـ . وفي معاني القرآن للفراء (مصورة الجامعة ٢٧١) : وقوله «عذاب واصب» «وله الدين واصبها» : دائم خالص . اهـ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (شهابٌ ثاقِبٌ) قال : شهاب مضيء يحرقه حين يترمي به .
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَتَّبَعَهُ شِهَابٌ) قال : كان ابن عباس يقول : لا يقتلون الشهاب ، ولا يموتون ، ولكنها تحرقهم من غير قتل ، وتخبب وتخدج من غير قتل .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثاقِبٌ) قال : والثاقب : المستوقد ؛ قال : والرجل يقول : أتَّقِب نارك ، ويقول : استنقِب نارك ، استوقد نارك .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : سئل الضحاك ، هل للشياطين أجنحة ؟ فقال : كيف يطرون إلى السماء إلا ولهم أجنحة .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَسْتَفْتِيهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ۖ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يسكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء : يقول : فسألهم : أهم أشد خلقا ؟ يقول : أخلقهم أشد ؟ أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والأرض .
 وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله بن مسعود : (أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ عَدَدْنَا) ؟
 وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا) ؟ قال : السموات والأرض والجبال .
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك أنه قرأ (أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ عَدَدْنَا) ؟ . وفي قراءة عبد الله بن مسعود (عَدَدْنَا) يقول : (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) يقول : أهم أشد خلقا ، أم السموات والأرض ؟ يقول : السموات والأرض أشد خلقا منهم .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَسْتَفْتِيهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ عَدَدْنَا) من خلق السموات والأرض ، قال الله : (لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) . . . الآية .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ . قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحاک ، عن ابن عباس قال : اللازب : اللّزج : الطيب .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ) يقول : ملتصق .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ) قال : من التراب والماء فيصير طينا يَلْتَزِقُ .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ) قال : اللازب : اللّزج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاک (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ) واللازب : الطين الجيد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ) واللازب : الذى يَلْتَزِقُ باليد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ) قال : لازم .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : ثنا جُوَيْرٍ ، عن الضحاک ، في قوله (مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ) قال : هو اللازق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ) قال : اللازب : الذى يَلْتَصِقُ كأنه غير ذلك اللازب .

قوله (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة : (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) بضم التاء من عجبت ، بمعنى : بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لى شريكا ، وتكذيبهم تنزيلى وهم يسخرون . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (بَلْ عَجِبْتَ) بفتح التاء بمعنى : بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب .

❖ فإن قال قائل : وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنيهما ؟ قيل : إنهما وإن اختلف معنيهما فكل واحد من معنيهما صحيح ، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل ، وسخر منه أهل الشرك بالله ، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله ، وسخر المشركون بما قالوه .

❖ فإن قال : أكان التنزيل بإحداهما أو بكليتهما ؟ قيل : التنزيل بكليتهما . فإن قال : وكيف يكون تنزيل

حرف مرتين؟ قيل: إنه لم ينزل مرتين، إنما أنزل مرة، ولكنه أمر صلى الله عليه وسلم أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما، ولهذا موضع سنستقصي إن شاء الله فيه البيان عنه بما فيه الكفاية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) قال: عجب محمد عليه الصلاة والسلام من هذا القرآن حين أُعطيته، وسخر منه أهل الضلالة. القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره: وإذا ذُكِّر هؤلاء المشركون حُجِّجَ اللهُ عليهم ليعتبروا ويتفكروا، فينبؤوا إلى طاعة الله (لا يذكرون): يقول: لا ينتفعون بالتذكير فيتذكروا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ): أي لا ينتفعون ولا يبصرون. وقوله (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ) يقول: وإذا رأوا حُجَّةً من حجج الله عليهم، ودلالة على نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يستسخرون: يقول: يسخرون ويستهزئون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ): يسخرون منها ويستهزئون. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ) قال: يستهزئون، يستسخرون.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ دَامَتْنَا وَكُنَّا لِلرَّابِّ أَعْظَمَاءَ نَالِمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون من قريش بالله محمد صلى الله عليه وسلم : ما هذا الذي نجئنا به إلا سحرٌ مبين . يقول : بين لمن تأمله وراه أنه سحر (أئذآ . ميتنا وكننا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) يقولون : منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم ، أئنا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا ، ومصيرنا ترابا وعظاما ، قد ذهب عنها اللحوم (أو آباؤنا الأولون) الذين مضوا من قبلنا ، فبادوا وهلكوا . يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء : نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابا وعظاما أحياء كما كنتم قبل مماتكم ، وأنتم داخرون . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أئذآ ميتنا وكننا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون . أو آباؤنا الأولون) تكذيبا بالبعث (قل نعم وأنتم داخرون) .
وقوله (وأنتم داخرون) يقول تعالى ذكره : وأنتم صاغرون أشد الصغرة من قولهم صاغر داخر . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأنتم داخرون) : أي صاغرون .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وأنتم داخرون) قال : صاغرون .
وقوله (فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) يقول تعالى ذكره : فإنما هي صيحة واحدة ، وذلك هو النفخ في الصور (فإذا هم ينظرون) يقول : فإذا هم شاخصة أبصارهم ينظرون إلى ما كانوا يوعدونه من قيام الساعة ويعاينونه .
كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (زجرة واحدة) قال : هي النفخة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون المكذَّبون إذا زجرت زجرة واحدة ، ونُفخ في الصور نفخة واحدة : (يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) يقولون : هذا يوم الجزاء والمحاسبة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَذَا يَوْمَ الدِّينِ) قال : يدِين الله فيه العباد بأعمالهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (هَذَا يَوْمَ الدِّينِ) قال : يوم الحساب .

وقوله (هَذَا يَوْمَ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذَّبُونَ) يقول تعالى ذكره : هذا يوم فصل الله بين خلقه بالعدل من قضائه الذي كنتم به تكذبون في الدنيا فتنكرونه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَذَا يَوْمَ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذَّبُونَ) يعني : يوم القيامة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي . في قوله : (هَذَا يَوْمَ الفَصْلِ) قال : يوم يُقضى بين أهل الجنة وأهل النار .

القول في تأويل قوله تعالى

أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿١٣﴾

وفي هذا الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك ، وهو : فيقال : احشروا الذين ظلموا ، ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله في الدنيا وعصوه وأزواجهم وأشياعهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب (أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) قال : ضرباءهم .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) يقول : نظراءهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) يعني : أتباعهم ، ومن أشبههم من الظلمة .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، قال : سألت أبا العالية ، عن قول الله

(احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال : الذين ظلموا وأشياعهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن أبي العالية ، أنه قال في هذه الآية (احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) قال : وأشياعهم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا داود ، عن أبي العالية مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) : أى وأشياعهم الكفار مع الكفار .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، في قوله (احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) قال : وأشياعهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) قال : أزواجهم في الأعمال ، وقرأ (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) فالسابقون زوج وأصحاب الميمنة زوج ، وأصحاب الشمال زوج ، قال : كل من كان من هذا حشره الله معه . وقرأ (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قال : زوجت على الأعمال ، لكل واحد من هؤلاء زوج ، زوج الله بعض هؤلاء بعضا ، زوج أصحاب اليمين أصحاب اليمين ، وأصحاب المشأمة أصحاب المشأمة ، والسابقين السابقين ، قال : فهذا قوله (احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) قال : أزواج الأعمال التى زوجهن الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَزْوَاجَهُمْ) قال : أمثالهم .
وقوله (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْتَدَوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) يقول تعالى ذكره : احشروا هؤلاء المشركين وأهلهم التى كانوا يعبدونها من دون الله ، فوجهوهم إلى طريق الجحيم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) الأصنام .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَاهْتَدَوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) يقول : وجهوهم ، وقيل : إن الجحيم الباب الرابع من أبواب النار .

القول في تاويل قوله تعالى :

وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره (وَقِفُوهُمْ) : احبسوهم : أى احبسوا أيها الملائكة هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم ، وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة (إِنَّهُمْ مُسْتَسْلِمُونَ) فاختلف أهل التأويل في المعنى الذى يأمر الله تعالى ذكره بوقفهم لمسألهم عنه ، فقال بعضهم : يسألهم هل يعجبهم ورود النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، قال : كنا عند عبد الله ، فذكر قصة ، ثم قال : يتمثل الله للخلق فيلقاهم ، فليس أحد من الخلق كان يعبد من دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه قال : فيلقى اليهود فيقول : من تعبدون؟ فيقولون : نعبد عزيرا ، قال : فيقول : هل يسركم الماء؟ فيقولون : نعم ، فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ، ثم قرأ (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا) قال : ثم يلقى النصارى فيقول : من تعبدون؟ فيقولون : المسيح ، فيقول : هل يسركم الماء؟ فيقولون : نعم ، فيريهم جهنم ، وهي كهيئة السراب ، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئا ، ثم قرأ عبد الله (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مُسْتَسْلِمُونَ) . وقال آخرون : بل ذلك للسؤال عن أعمالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا معتمر ، عن ليث ، عن رجل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَيْمًا رَجُلٌ دَعَا رَجُلًا إِلَى شَيْءٍ كَانَ مَوْقُوفًا لَازِمًا بِهِ ، لَا يُغَادِرُهُ ، وَلَا يُفَارِقُهُ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مُسْتَسْلِمُونَ) » . وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم لأنهم مسئولون عما كانوا يعبدون من دون الله .

وقوله (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ) يقول : مالكم أيها المشركون بالله لا ينصروا بعضكم بعضا (بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) يقول : بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه ، موقنون بعذابه . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ) لا والله لا يتناصرون ، ولا يدفع بعضهم عن بعض (بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) في عذاب الله . وقوله (وَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) قيل : معنى ذلك : وأقبل الإنس على الجن يتساءلون :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) الإنسُ على الجن .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى ذكره : قالت الإنس للجن : إنكم أيها الجن كنتم تأتوننا من قبيل الدين والحق فتحذعوننا بأقوى الوجوه ، واليمين : القوة والقدرة في كلام العرب ؛ ومنه قول الشاعر :

إِذَا مَارَايَةَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالسِّمِينِ ۱

يعنى : بالقوة والقدرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) قال : عن الحق ، الكفار تقوله للشياطين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) قال : قالت الإنس للجن : إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ، قال : من قبل الخير ، فتنهوننا عنه ، وتبطلوننا عنه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) قال : تأتوننا من قبل الحق تزينون لنا الباطل ، وتصدوننا عن الحق . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) قال : قال بنو آدم للشياطين الذين كفروا : إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ، قال : تحولون بيننا وبين الخير ، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان ، والعمل بالخير الذى أمر الله به .

(١) هذا البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٧٢) قال فى قوله تعالى : « كنتم تأتوننا عن اليمين » : يقول : كنتم تأتوننا من قبل الدين ، أى تأتوننا تحذعوننا بأقوى الوجوه . واليمين أى بالقوة والقدرة . قلت : والبيت للشياخ يمدح عرابة الأوسى ، وقبله :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْحَسِيرَاتِ مُنْقَطِعِ الْقَرِينِ

انظر (اللسان: يمن) . وفسره كما فسر الفراء ، وعرابة الأوسى : « وابن أوس بن قيطى قيل : هو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فى غزوة الخندق : « إن بيوتنا عورة » . قال السهيلي فى « الروض الأنف ٢ : ١٩٠ » : وكان عرابة الأوسى سيدا ، ولا صحبة له ، وقد قيل له صحبة ، وذكرناه فىمن استصفر يوم أحد ، وهو الذى يقول فيه الشياخ : « إذا مارية رفعت لمجد . . . البيت » .

وقوله (قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) يقول تعالى ذكره : قالت الجن للإنس مجيبة لهم : بل لم تكونوا بتوحيد الله مُقِرِّين ، وكنتم للأصنام عابدين (وما كان لنا عليكم من حُجَّة ، فنصدكم بها عن الإيمان ، ونحول بينكم من أجلها وبين اتباع الحق) (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ) يقول : قالوا لهم : بل كنتم أيها المشركون قوما طاغين على الله ، متعدّين إلى ما ليس لكم التعدّي إليه من معصية الله وخلاف أمره . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قالت لهم الجن (بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) حتى بلغ (قَوْمًا طَٰغِينَ) .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وما كان لنا عليكم من سلطان) قال : الحجة . . وفي قوله (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ) قال : كفار ضالّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يُومِتُونَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى ذكره : فحقّ علينا قول ربنا ، فوجب علينا عذاب ربنا ، إنا لذائقون العذاب نحن وأنتم بما قدّمنا من ذنوبنا ومعصيتنا في الدنيا ، فهذا خبر من الله عن قيل الجن والإنس .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا) . . . الآية ، قال : هذا قول الجن .

وقوله (فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) يقول : فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به إنا كنا ضالين ، وهذا أيضا خبر من الله عن قيل الجن والإنس ، قال الله (فَلِإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) يقول : فإن الإنس الذين كفروا بالله وأزواجهم ، وما كانوا يعبدون من دون الله ، والذين أغمّوا الإنس من الجن يوم القيامة في العذاب مشتركون جميعا في النار ، كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (فَلِإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) قال : هم والشياطين (إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره : إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته ، والكفر به على الإيمان ، فنذيقهم العذاب الأليم ، ونجمع بينهم وبين قرنائهم في النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَقُولُونَ آئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٢٦﴾
بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : وإن هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم في هذه الآيات كانوا في الدنيا إذا قيل لهم : قولوا (لا إله إلا الله يستكبرون) يقولون : يتعظمون عن قيل ذلك ويتكبرون ، وترك من الكلام قولوا ، اكتفاء بدلالة الكلام عليه من ذكره .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) قال : يعنى المشركين خاصة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) قال : قال عمر بن الخطاب : احضروا موتاكم ، ولقنوهم لا إله إلا الله ، فإنهم يرون ويسمعون .

وقوله (ويَقُولُونَ آئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ) يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المشركون من قريش : أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون ، يقول : لا تباغ شاعر مجنون ، يعنون بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ونقول : لا إله إلا الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَقُولُونَ آئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم .

وقوله (بل جاء بالحق) وهذا خبر من الله مكذبا للمشركين الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : شاعر مجنون ، كذبوا ، ما محمد كما وصفوه به من أنه شاعر مجنون ، بل هو الله نبي جاء بالحق من عنده ، وهو القرآن الذي أنزله عليه ، وصدق المرسلين الذين كانوا من قبله .

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بل جاء بالحق) بالقرآن (وصدق المرسلين) : أى صدق من كان قبله من المرسلين .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٤٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٥٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من أهل مكة ، القائلين لمحمد : شاعر مجنون (إِنَّكُمْ) أيها المشركون (لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ) الموجه في الآخرة (وَمَا تُجْزَوْنَ) يقول : وماتثابون في الآخرة إذا ذقم العذاب الأليم فيها (إِلَّا) ثواب (مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) في الدنيا ، معاصي الله . وقوله (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) يقول : لإعباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته ، وكتب لهم السعادة في أم الكتاب ، فإنهم لا يذوقون العذاب ، لأنهم أهل طاعة الله ، وأهل الإيمان به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) قال : هذه

ثنية الله .

وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ) يقول : هؤلاء هم عباد الله المخلصون لهم رزق معلوم ، وذلك الرزق المعلوم : هو الفواكه التي خلقها الله لهم في الجنة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ)

في الجنة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (أُولَئِكَ

لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ) قال : في الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَوَاكِهُمُ وَمُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَافِيهَا غَوْلٌ ﴿٤٧﴾ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٨﴾

يقوله (فَوَاكِهُمُ) رداً على الرزق المعلوم تفسيرا له ، ولذلك رفعت . وقوله (وَهُمْ مُكْرَمُونَ)

يقول : وهم مع الذي لهم من الرزق المعلوم في الجنة ، مكرمون بكرامة الله التي أكرمهم الله بها (فِي جَنَّاتِ

النَّعِيمِ) يعني : في بساتين النعيم (عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) يعني : أن بعضهم يقابل بعضا ، ولا ينظر بعضهم

في قفا بعض . وقوله (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ) يقول تعالى ذكره : يطوف الخدم عليهم

بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ

مَّعِينٍ) قال : كأس من خمر جارية ، والمعين : هي الجارية .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاک بن مزاحم ، في قوله (بكأسٍ من معينٍ) قال : كل كأس في القرآن فهو خمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبدالله بن داود ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاک بن مزاحم ، قال : كل كأس في القرآن فهو خمر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (بكأسٍ من معينٍ) قال : الخمر . والكأس عند العرب : كل إناء فيه شراب ، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأساً ، ولكنه يكون إناء .

وقوله (بيضاء لذة للشاربين) يعني بالبيضاء : الكأس ، ولتأنيث الكأس أنثت البيضاء ، ولم يقل أبيض ، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله : صفراء .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (بيضاء) قال السدي في قراءة عبد الله : صفراء .

وقوله (لذة للشاربين) يقول : هذه الخمر لذة يلتذها شاربوها .
وقوله (لافيهها غولٌ) يقول : لافى هذه الخمر غولٌ ، وهو أن تغتال عقولهم : يقول : لاتذهب هذه الخمر بعقول شاربها ، كما تذهب بها خمور أهل الدنيا إذا شربوها فأكثرها منها ، كما قال الشاعر :

وَمَا زَالَتِ الْكَأْسُ تُغْتَالُنَا وَتَذْهَبُ بِالْأَوَّلِ الْأَوَّلِ

والعرب تقول : ليس فيها غيلة وغائلة وغولٌ بمعنى واحد ، ورفع غولٌ ولم ينصب بلا لدخول حرف الصفة بينها وبين الغول ، وكذلك تفعل العرب في التبرئة إذا حالت بين لا والاسم بحرف من حروف الصفات رفعوا الاسم ولم ينصبوه ، وقد يحتمل قوله (لافيهها غولٌ) أن يكون معنياً به : ليس فيها ما يؤذيهم من مكروه ، وذلك أن العرب تقول للرجل يصاب بأمر مكروه ، أو ينال بدهاية عظيمة : غال فلانا غولٌ . وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : ليس فيها صداع .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لافيهها غولٌ) يقول : ليس فيها صداع .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليس فيها أذى فتشكى منه بطونهم .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٩ - ١) قال : « لافيهها غول » : مجازه : ليس فيها غول . والنول : أن تغتال عقولهم . قال الشاعر : « وما زالت الكأس . . . البيت » . وقال الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧٢) : وقوله : « لافيهها غول » : لو قلت : لاغول فيها ، كان رفعاً ونصباً (أي كانت « لا » عاملة عمل ليس أو عمل إن) . قال فإذا حلت بين النول بلام أو بنيرها من الصفات (حروف الجر) لم يكن إلا الرفع . والنول : يقول : ليس فيها غيلة ، وغائلة وغول . اهـ . وأنشد البيت في (اللسان : غول) عن أبي عبيدة ، وفيه ، « الخمر » في موضع : « الكأس » . اهـ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لافيها غَوْلٌ) قال : هي الخمر ليس فيها وجع بطن .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (لافيها غَوْلٌ) قال : وجع بطن .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (لافيها غَوْلٌ) قال : الغول ما يوجع البطون ، وشارب الخمر ههنا يشتكى بطنه .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لافيها غَوْلٌ) يقول : ليس فيها وجع بطن ، ولا صداع رأس .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنها لاتغول عقولهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لافيها غَوْلٌ) قال : لاتغتال عقولهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليس فيها أذى ولا مكروه .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن إسرائيل ، عن سالم الأفظس ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله (لافيها غَوْلٌ) قال : أذى ولا مكروه .
حدثنا محمد بن سنان القرّاز ، قال : ثنا عبد الله بن بزيع ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سالم ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله (لافيها غَوْلٌ) قال : ليس فيها أذى ولا مكروه .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليس فيها إثم .

ولكلّ هذه الأقوال التي ذكرناها وجه ، وذلك أن الغَوْلَ في كلام العرب : هو ما غال الإنسان فذهب به ، فكلّ من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل ، فقالوا : غالت فلانا غول ، فالذاهب العقل من شرب الشراب ، والمشتكى البطن منه ، والمصدع الرأس من ذلك ، والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غول .
فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد نفي عن شراب الجنة أن يكون فيه غَوْلٌ ، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال جل ثناؤه (لافيها غَوْلٌ) فيعمّ بنى كلّ معاني الغَوْلِ عنه ، وأعمّ ذلك أن يقال : لا أذى فيها ولا مكروه على شاربها في جسم ولا عقل ، ولا غير ذلك .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (يُنْزَفُونَ) بفتح الزاي ، بمعنى : ولا هم عن شربها تُنْزَفُ عقولهم . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) بكسر الزاي ، بمعنى : ولا هم عن شربها يُنْزَفُ شرابهم .

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى غير مختلفيه ، فبأيتهما قرأ القارىء فصيب ، وذلك أن أهل الجنة لا ينفد شرابهم ، ولا يسكرهم شرابهم إياه ، فيذهب عقولهم . واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : لاتذهب عقولهم ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس (ولا همم عنها ينزفون) يقول : لاتذهب عقولهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبى ، عن ابن عباس (ولا همم عنها ينزفون) قال : لاتنزع فتذهب عقولهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد (ولا همم عنها ينزفون) قال : لاتذهب عقولهم حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (ولا همم عنها ينزفون) قال : لاتنزع عقولهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ولا همم عنها ينزفون) قال : لاتنزع العقول .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ولا همم عنها ينزفون) قال : لاتغلبهم على عقولهم .

وهذا التأويل الذى ذكرناه عن ذكرنا عنه لم تفصل لنا رواته القراءة الذى هذا تأويلها ، وقد يحتمل أن يكون ذلك تأويل قراءة من قرأها ينزفون وينزفون كلتيهما ، وذلك أن العرب تقول : قد نزع الرجل فهو منزوف : إذا ذهب عقله من السكر ، وأنزع فهو منزع ، محكية عنهم اللغتان كلتاهما فى ذهاب العقل من السكر ؛ وأما إذا فنيت خمر القوم فإنى لم أسمع فيه إلا أنزع القوم بالالف ، ومن الإنزاف بمعنى : ذهاب العقل من السكر ، قول الأبيد :

لَعَمْرِي لَيْسَ أَنْزَفْتُمْ أَوْ صَحَوْتُمْ لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنْتُمْ آلَ أُبَيْرِ

(١) البيت من شواهد أبى عبدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٩ - ٢٠ - ١) قال فى « ولام عنها ينزفون » : تقول العرب لاتقطع عنه وتنزع سكره . وقال الأبيد الرياحى من بنى عجل : « لعمري . . . البيت » قال : « آل أيجرا » : آل أيجر من عجل . وقال الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧٢) ؛ وقوله « ولام عنها ينزفون » وينزفون (مبين للمجهول والمعلوم) وأصحاب عبد الله يقرءون : ينزفون ، وله معنيان يقال : قد أنزع الرجل : إذا فنيت خمره ، وأنزع : إذا ذهب عقله . فهذان وجهان . ومن قال : ينزفون يقول : لاتذهب عقولهم وهو منزوف . وفى (اللسان : نزع) : وفى التنزيل : « لا يصدعون عنها ولا ينزفون » : أى لا يسكرون . وأنشد الجوهري للأبيد :

لَعَمْرِي لَيْسَ أَنْزَفْتُمْ أَوْ صَحَوْتُمْ لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنْتُمْ آلَ أُبَيْرِ
شَرِبْتُمْ وَمَدَّرْتُمْ وَكَانَ أَبُوكُمْ كَذَا كُمْ إِذَا مَا يَشْرَبُ الْكَاسَ مَدَّارًا =

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مِّمَّكَوْنٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ

يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : وعند هؤلاء المختصين من عباد الله في الجنة قاصرات الطرف ، وهن النساء اللواتي قصرن أطرافهن على بُعُولتهن ، ولا يُردن غيرهم ، ولا يمددن أبصارهن إلى غيرهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ) يقول : عن غير أزواجهن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ) قال : عليّ أزواجهن ؛ زاد الحارث في حديثه : لا تبغى غيرهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) قال : قصرن أبصارهنّ وقلوبهنّ على أزواجهن ، فلا يُردن غيرهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : ذكر أيضا عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) قال : قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ ، فلا يُردن غيرهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) قال : لا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ ، قد قصرن أطرافهنّ على أزواجهنّ ، ليس كما يكون نساء أهل الدنيا .

وقوله (عَيْنٌ) يعني بالعين : النُّجُجَلُ العيون عظامها ، وهي جمع عيناء ، والعيناء : المرأة الواسعة العين عظيمتها ، وهي أحسن ما تكون من العيون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (عَيْنٌ) قال : عظام الأعين .

= قال ابن بري : هو أبحر بن جابر العجلي ، وكان نصرانيا . قال : وقوم يحملون المنزف مثل المنزوف ، الذي قد نزف دمه . وقال اللحياني : نزف الرجل ، فهو منزوف ونزيف سكر ، فذهب عقله . اهـ . وقول الأبيورد « شربتم ومدتم » لعله يريد : سلحتم على أنفسكم لذهاب عقولكم ، من قولهم : مدرت الضبع : إذا سلحت . وانظر (اللسان : مدر) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (عَيْنٌ) قال : العَيْنَاءُ : العظيمة العين .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا محمد بن الفرغ الصدّ في الدَّمِيَّاطِيّ ، عن عمرو بن هاشم ، عن ابن أبي كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن أبيه ، عن أمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم « أنها قالت : قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله (حُورٌ عِينٌ) قال : العَيْنُ : الضَّخَامُ العُيُونِ شُفْرُ الحُورَاءِ بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِ النَّسْرِ » .

وقوله (كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) اختلف أهل التأويل في الذى به شبهن من البيض بهذا القول ، فقال بعضهم : شبهن ببطن البيض في البياض ، وهو الذى داخل القمشر ، وذلك أن ذلك لم يمسه شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبّير ، في قوله (كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) قال : كأنهن بطن البيض .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) قال : البيض حين يُقْمَشَرُ قبل أن تمسه الأيدي .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) لم تمر به الأيدي ولم تمسه ، يشبهن بياضه .

وقال آخرون : بل شبهن بالبيض الذى يحضنه الطائر ، فهو إلى الصفرة ، فشبهه بياضهن في الصفرة بذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) قال : البيض الذى يُكْنَهُ الرِّيشُ ، مثل بيض النعام الذى قد أكنه الريش من الريح ، فهو أبيض إلى الصفرة فكأنه يُبْرِقُ ، فذلك المكنون .

وقال آخرون : بل عنى بالبيض في هذا الموضع : اللؤلؤ ، وبه شبهن في بياضه وصفائه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) يقول : اللؤلؤ المكنون .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندى قول من قال : شبهن في بياضهن ، وأنهن لم يمسنّ قبل أزواجهنّ إنس ولا جانّ بياض البيض الذى هو داخل القشر ، وذلك هو الجلدة المُلبَّسة المُحّ قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها ، وذلك لاشكّ هو المكنون ؛ فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسه ، والأيدي تباشرها ، والعشّ يلقاها . والعرب تقول لكلّ مصون مكنون ما كان ذلك الشيء لؤلؤا كان أو بيضا أو متاعا ، كما قال أبو دهبّيل :

وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ نُؤْلُؤَةِ الْغَنَوَا صِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونٍ ۱
وتقول لكل شيء أضمرته الصدور : أكنته ، فهو مكن .

ويُنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عبدالرحمن بن وهب ، قال : ثنا محمد بن الفرج الصدقي الدمياطي ، عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة ، عن هشام ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة « قلت : يا رسول الله أخبرني عن قوله (كَانَهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) قال : رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةَ الْجِلْدَةِ الَّتِي رَأَيْتَهَا فِي دَاخِلِ الْبَيْضَةِ الَّتِي تَلِي الْقِشْرَ وَهِيَ الْغِرْقِيُّ » .

وقوله (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) يقول تعالى ذكره : فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون ، يقول : يسأل بعضهم بعضا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) أهل الجنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) قال : أهل الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمُسَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَمْ دَأْبُ سَائِرِ كُنَّا
تُرَابًا وَعِظْمًا ۗ نَأْتِيهِمْ فِي أَيَّامٍ مَّوَدَّةِ الْعُقُودِ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى ذكره : قال قائل من أهل الجنة إذ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون (إني كان لي قرين) فاختلف أهل التأويل في القرين الذي ذكر في هذا الموضع ، فقال بعضهم : كان ذلك القرين شيطانا ، وهو الذي كان يقول له (أَهْلِكَ لِمَنِ الْمُسَدِّقِينَ) بالبعث بعد الممات .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله (إني كان لي قرين) قال : شيطان . وقال آخرون : ذلك القرين شريك كان له من بني آدم أو صاحب .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٩ - ١) قال في قوله تعالى : « بيض مكنون » أي مصون كل إواز أو بيض أو متاع صنفته ، فهو مكنون . وكل شيء أضمرته في نفسك فقد أكنته . قال الشاعر : « وهي زهراء . . . » البيت له . ولم يصرح باسم القائل ، وصرح به المؤلف .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قال قائلٌ مِنْهُمْ إني كانَ لي قَرينٌ . يقولُ أئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ) قال : هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الإيمان ، فيقول له المشرك : إنك لتُصدِّق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا تراباً ؟ فلما أن صاروا إلى الآخرة وأدخل المؤمن الجنة ، وأدخل المشرك النار ، فاطلع المؤمن ، فرأى صاحبه في سواء الجحيم (قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لُتْرَدِينَ) .

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن فرات بن ثعلبة البهراني في قوله (إني كانَ لي قَرينٌ) قال : إن رجلين كانا شريكين ، فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار وكان أحدهما له حرفة ، والآخر ليس له حرفة ، فقال الذي له حرفة للآخر : ليس لك حرفة ، ما أُراني إلا مفارقك ومقاسمك ، فقاسمه وفارقه ؛ ثم إن الرجل اشترى داراً بألف دينار كانت لملك قد مات فدعا صاحبه فأراه ، فقال : كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار ؟ قال : ما أحسنها ؛ فلما خرج قال : اللهم إن صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار ، وإني أسألك داراً من دور الجنة ، فتصدِّق بألف دينار ؛ ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنه تزوج امرأة بألف دينار ، فدعاه وصنع له طعاماً ؛ فلما أتاه قال : إني تزوجت هذه المرأة بألف دينار ؛ قال : ما أحسن هذا ؛ فلما انصرف قال : يا رب إن صاحبي تزوج امرأة بألف دينار ، وإني أسألك امرأة من الحور العين ، فتصدِّق بألف دينار ؛ ثم إنه مكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم اشترى بستانين بألف دينار ، ثم دعاه فأراه ، فقال : إني ابتعت هذين البستانين ، فقال : ما أحسن هذا ؛ فلما خرج قال : يا رب إن صاحبي قد اشترى بستانين بألف دينار ، وأنا أسألك بستانين من الجنة ، فتصدِّق بألف دينار ؛ ثم إن الملك أتاهما فتوفاهما ؛ ثم انطلق بهذا المتصدِّق فأدخله داراً تعجبه ، فإذا امرأة تطلع يضيء ماتحتها من حُسنها ، ثم أدخله بستانين ، وشيئا الله به عليم ، فقال عند ذلك : ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا . قال : فإنه ذاك ، ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة . قال : فإنه كان لي صاحب يقول : (أئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ) قيل له : فإنه في الجحيم ، قال : فهل أنتم مُطَّلِعُونَ ، فاطَّلَعَ فرآه في سواء الجحيم ، فقال عند ذلك (تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لُتْرَدِينَ . وَلَوْ لَانِعْمَةَ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) . . . الآيات .

وهذا التأويل الذي تأوله فرات بن ثعلبة يقوى قراءة من قرأ « إئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ » بتشديد الصاد بمعنى : لمن المتصدقين ، لأنه يذكر أن الله تعالى ذكره إنما أعطاه ما أعطاه على الصدقة لاعلى التصديق ، وقراءة قرآء الأمصار على خلاف ذلك ، بل قراءتها بتخفيف الصاد وتشديد الدال ، بمعنى : إنكار قرينه عليه التصديق أنه يبعث بعد الموت ، كأنه قال : أتصدِّق بأنك تبعث بعد مماتك ، وتجزى بعملك ، وتحاسب ؛ يدل على ذلك قول الله (أئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ) وهي القراءة الصحيحة عندنا التي لا يجوز خلافها لإجماع الحجة من القراء عليها .

وقوله (أَيْنَمَا لَمَدِ يَنْوُنَ) يقول : أئنا لمحاسبون ومجزئون بعد مصيرنا عظاما ولحومنا ترابا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (أَيْنَمَا لَمَدِ يَنْوُنَ) يقول : أئنا لمجازون بالعمل كما تد بين تدان .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَيْنَمَا لَمَدِ يَنْوُنَ) : أئنا لمحاسبون .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أَيْنَمَا لَمَدِ يَنْوُنَ)
محاسبون .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ ﴿٥٥﴾ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ قَالَ تَأَلَّىٰ إِنَّ كِدَّتْ لَرَدِّدِينَ ﴿٥٧﴾
وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال هذا المؤمن الذي أُدخل الجنة لأصحابه : (هل أنتم مُطَّلِعُونَ) في النار ، لعل أرى
قريني الذي كان يقول لي : إنك لمن المصدِّقين بأنا مبعوثون بعد الممات . وقوله (فَاطَّلَعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ) يقول : فاطلع في النار فرآه في وَسَطِ الْجَحِيمِ . وفي الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه من
ذكره ، وهو فقالوا : نعم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (فَاطَّلَعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) قال : أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ) يعني : في وَسَطِ الْجَحِيمِ .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس
(فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) يعني : في وسط الجحيم .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن الحسن ، في قوله (فِي سَوَاءِ
الْجَحِيمِ) يقول : في وسط الجحيم .
حدثنا ابن سنان ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا عباد بن راشد ، قال : سمعت الحسن ، فذكر مثله .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا قتادة ، في قوله (سَوَاءِ
الْجَحِيمِ) قال : وَسَطُهَا .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ) قال :
سأل ربه أن يطلعه ، قال (فَاطَّلَعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) : أي في وسط الجحيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن خلود العصري ، قال : لولا أن الله عرفه إياه ماعرفه ، لقد تغير حبره وسبره بعده ، وذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم ، فقال : (تالله إن كدت لتردين ، ولولا نعمة ربي لمكنت من المحضرين) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا إبراهيم بن أبي الوزير ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن مطرف بن عبد الله ، في قوله (فاطلع فرأه في سواء الجحيم) قال : والله لولا أنه عرفه ماعرفه ، لقد غيرت النار حبره وسبره .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (هل أنتم مطلعون) قال : كان ابن عباس يقرأها (هل أنتم مطلعوني ، فاطلع فرأه في سواء الجحيم) قال : في وسط الجحيم .

وهذه القراءة التي ذكرها السدي ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ في (مطلعون) إن كانت محفوظة عنه ، فإنها من شواذ الحروف ، وذلك أن العرب لا تؤثر في المكني من الأسماء إذا اتصل بفاعل على الإضافة في جمع أو توحيد ، لا يكادون أن يقولوا أنت مكلمني ولا أنتما مكلماني ولا أنتم مكلموني ولا مكلموني ، وإنما يقولون أنت مكلمي ، وأنتما مكلماي ، وأنتم مكلمتي ؛ وإن قال قائل منهم ذلك قاله على وجه الغلط توهمًا به : أنت تكلمني ، وأنتما تكلماني ، وأنتم تكلموني ، كما قال الشاعر :

وما أدري وظنني كل ظنٍّ أمسليمني إلى قومى شرأحي؟^١

فقال : مسلمي ، وليس ذلك وجه الكلام ، بل وجه الكلام أمسلمي ؛ فأما إذا كان الكلام ظاهرًا ولم يكن متصلًا بالفاعل ، فإنهم ربما أضافوا ، وربما لم يضيفوا ، فيقال : هذا مكلم أخاك ، ومكلم أخيك ، وهذا مكلم أخيك ، ومكلمان أخاك ، وهؤلاء مكلمو أخيك ، ومكلمون أخاك ؛ وإنما تختار الإضافة في المكني المتصل بفاعل لمصير الحرفين باتصال أحدهما بصاحبه ، كالحرف الواحد .

وقوله (تالله إن كدت لتردين) يقول : فلما رأى قرينه في النار قال : تالله إن كدت في الدنيا لتهاكني بصدك إياي عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب .

(١) في (اللسان : حبر) الخبر والسبر : الحسن والبهاء .

(٢) البيت من شواذ الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧٢) قال في قوله تعالى « هل أنتم مطلعون » : وقرأ بعض القراء : « هل أنتم مطلعون فاطلع » فكسر النون ، وهو شاذ ؛ لأن العرب لا تختار على الإضافة إذا أسندوا فاعلا مجموعا أو موحدًا ، إلى مكني عنه . فن ذلك أن يقولوا : أنت ضاربي ، ويقولون للثنتين : أنتما ضارباي ، وللجميع : أنتم ضاربي ولا يقولون للثنتين أنتما ضاربانتي ، ولا للجميع : أنتم ضاربونتي ، وإنما تكون هذه النون في يضر بونتي يضريني ، وربما غلط الشاعر ، فيذهب إلى المعنى ، فيقول : أنت ضاربي يتوهم أنه أراد : هل تضريني ، فيكون ذلك على غير صحة قال الشاعر : « وما أدري وظني . . . البيت » ، يربد شراويل ، ولم يقل : أمسلمي ، وهو وجه الكلام . وقال آخر :

هم القائلون الخير والفاعلونه إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما

ولم يقل : « الفاعلوه » ، وهو وجه الكلام . وإنما اختاروا (العرب) الإضافة في الاسم المكني ، لأنه يختلط بما قبله (أي يلتصق به) فيصير الحرفان كالحرف الواحد ، فلذلك استحبوا الإضافة في المكني ، وقالوا هما ضاربان زيدا ، وضاربا زيد ، لأن زيدا في ظهوره لا يختلط بما قبله ، لأنه ليس بحرف واحد ، والمكني (الضير) : حرف . فأما قوله « فاطلع » : فإنه على جهة فعل ذلك به ، كما تقول : دعا فأجيب يا هذا . ويكون : هل أنتم مطلعون فاطلع أنا ، فيكون منصوبا بجواب الفاء . اهـ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال ثنا أسباط ، عن السدي قوله (إِنْ كِدْتَ لِتَرْدِينَ) قال : لهلكني ، يقال منه : أردى فلان فلانا : إذا أهلكه ، وردى فلان : إذا هلك ، كما قال الأعشى .

أَفِي الطَّوْفِ خِفْتُ عَلَى الرَّدَى وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَهُ كَمْ يَرِمُ ۝

يعنى بقوله : « وكم من رد » : وكم من هالك .

وقوله (وَلَوْ لَا نِعْمَةٌ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) يقول : ولولا أن الله أنعم على بهديته ،

والتوفيق للإيمان بالبعث بعد الموت ، لكنت من المحضرين معك في عذاب الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) : أى

في عذاب الله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (لَكُنْتُ مِنَ

الْمُحْضَرِينَ) قال : من المعديين .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفْمَا نَحْنُ بِمَبِيَّتَيْنِ ۖ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ۖ ۝٤١ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ ۝٤٢ لِيَسْئَلِ

هَذَا قَلِيلٌ مِّنَ الْعَامِلِينَ ۖ ۝٤٣

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن الذي أعطاه الله ما أعطاه من كرامته في جنته سرورا منه بما أعطاه فيها (أفما نحن بمبيتين إلا موتتنا الأولى) يقول : أفما نحن بميتين غير موتتنا الأولى في الدنيا ، (وما نحن بمعديين) يقول : وما نحن بمعديين بعد دخولنا الجنة (إن هذا هو الفوز العظيم) يقول : إن هذا الذي أعطاه الله من الكرامة في الجنة ، أنا لانعذب ولا نموت ، هو النجاء العظيم مما كنا في الدنيا نحذر من عقاب الله ، وإدراك ما كنا فيها ، نؤمل بإيماننا ، وطاعتنا ربنا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ، قوله (أفما نحن بمبيتين) . . . إلى

قوله (الفوز العظيم) قال : هذا قول أهل الجنة .

وقوله (لِيَسْئَلِ هَذَا قَلِيلٌ مِّنَ الْعَامِلِينَ) يقول تعالى ذكره : لمثل هذا الذي أعطيت هؤلاء

المؤمنين من الكرامة في الآخرة ، فليعمل في الدنيا لأنفسهم العاملون ، ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم .

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٤١) من قصيدة ميمية مطولة يمدح بها قيس بن معد يكرب . والبيت من

أبيات في آخرها يخاطب الشاعر بها ابنته التي تخشى عليه الموت بسبب طول أسفاره وكثرتها ، فيرد عليها قائلا : أخفت على الموت بسبب

السفر ؛ فانظري كم إنسان يموت ولا يبرح ديار أهله . والردى : الهلاك ، وهو محل الشاهد على قوله تعالى : « إن كدت لتردين »

أى إنك كدت تهلكي . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٩ - ب) : أرديته : أهلكته وردى هو : أى هلك . اه .

وقال الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٢٧٢) قال : « هل أنتم مطلعون » : هذا رجل من أهل الجنة ، قد كان له أخ من أهل

الكفر ، فأحب أن يرى مكانه ، فيأذن الله له ، فيطلع في النار ويخاطبه ، فإذا رآه قال : « تالله إن كدت لتردين » . وفي قراءة عبدالله : هو ابن مسعود : « إن كدت اتغووين . ولولا رحمة ربى لكنت من المحضرين » : أى معك في النار محضرا .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ
الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿١٩﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا قَائِلُونَ ﴿٢٠﴾ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : أهذا الذى أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتى فى الجنة ، ورزقهم فيها من النعيم خير ، أو ما أعددت لأهل النار من الزقوم . وعسنى بالنزل : الفضل ، وفيه لغتان : نُزُلٌ ونُزْلٌ ، يقال للطعام الذى له ريع : هو طعام له نُزْلٌ ونُزْلٌ . وقوله (أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ) ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية قال المشركون : كيف ينبت الشجر فى النار ، والنار تحرق الشجر؟ فقال الله : (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) يعنى لهؤلاء المشركين الذين قالوا فى ذلك ما قالوا ، ثم أخبرهم بصفة هذه الشجرة (فَقَالَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ)
حتى بلغ (فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) قال : لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظالمية ، فقالوا : ينبئكم صاحبكم هذا أن
فى النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ، فأنزل الله ما تسمعون إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم ، غُدِيَّتْ بالنار
ومنها خلقت .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : قال
أبو جهل : لما نزلت (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ) قال : تعرفونها فى كلام العرب : أنا آتيتكم بها ، فدعا جارية
فقال : اثينى بتمر وزبد ، فقال : دونكم تَزَقُّمُوا ، فهذا الزقوم الذى يخوفكم به محمد ، فأنزل الله تفسيرها
(أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ . إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) قال : لأبى جهل وأصحابه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) قال : قول
أبى جهل : إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه .

وقوله (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) يقول تعالى ذكره : كأن طلع هذه الشجرة ، يعنى
شجرة الزقوم فى قبحة وسماجته رءوس الشياطين فى قبحها .

وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (إِنَّهَا شَجَرَةٌ نَابِتَةٌ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ
الشَّيَاطِينِ) قال : شبهه بذلك .

﴿ فَإِنَّ قَائِلًا : وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برعوس الشياطين في القبح ، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رعوس الشياطين ، وإنما يمثل الشيء بالشيء تعريفًا من المُمَثَّل المُمَثَّل له قربُ اشتباه المُمَثَّل أحدهما بصاحبه مع معرفة المُمَثَّل له الشئيين كليهما ، أو أحدهما ، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين ، لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم ، ولا برعوس الشياطين ، ولا كانوا رأوها ، ولا واحدا منهما ؟ قيل له : أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبينها حتى عرفوها ماهي وماصفها ، فقال لهم (شَجَرَةٌ تُخْرَجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) فلم يتركهم في عماء منها وأما في تمثيله طلوعها برعوس الشياطين ، فأقول لكلّ منها وجه مفهوم : أحدها أن يكون مثل ذلك برعوس الشياطين على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء ، قال : كأنه شيطان ، فذلك أحد الأقوال . والثاني أن يكون مُثَّل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانا ، وهي حية لها عُرفٌ فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر ، وإياه عنى الراجز بقوله :
عَنْجَرِدٌ تَحْلِفُ حِينَ أَحْلِفُ كَيْثَلِ شَيْطَانِ الْحَمَاطِ أَعْرَفُ
ويروى عَجَّيزٌ . والثالث : أن يكون مثل نبت معروف برعوس الشياطين ذكر أنه قبيح الرأس (فَإِنَّهُمْ لَا كِلُونَ مِنْهَا فَهَالِثُونَ مِنْهَا الْبُطُونُ) يقول تعالى ذكره : فإن هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنة ، لا كلون من هذه الشجرة التي هي شجرة الزقوم ، فهالثون من زقومها بطونهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٧٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٧٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَاؤٌ أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٧٩﴾

﴿ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٨٠﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ) ثم إن هؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم شوبًا ، وهو الخلط من قول العرب : شاب فلان طعامه فهو يشوبه شوبًا وشيابًا (مِّنْ حَمِيمٍ) والحميم : الماء المحموم ، وهو الذي أُسْنِنَ فأنهى حرّه ، وأصله مفعول صُرف إلى فعيل .

(١) هذان البيتان من مشطور الرجز ، أنشدهما الفراء في معاني القرآن . (مصورة الجامعة ٢٧٣) عند تفسير قوله تعالى : « كأنه رعوس الشياطين » قال : فإن فيه في العربية ثلاثة أوجه : أحدها : أن تشبه طلوعها في قبحه برعوس الشياطين ، لأنها موصوفة بالقبح ، كانت لا ترى ، وأنت قائل للرجل كأنه شيطان : إذا استقبحته . والآخر أن : العرب تسمى بعض الحيات شيطانا ، وهو حية ذو عرف ، قال الشاعر وهو بدم امرأة له : « عنجرد تحلف . . . البيت » . ويقال : إنه نبت قبيح يسمى برعوس الشياطين . والأوجه الثلاثة إلى معنى واحد في القبح . اهـ . وفي (اللسان : عنجرد) : الأزهرى - الفراء : امرأة عنجرد خبيثة سيئة الخلق وأنشد بيت الشاهد . وقال غيره : امرأة عنجرد : سليطة . وفي (اللسان : حمط) عن الجوهرى : الحماط يبيس الأفاني ، تألفه الحيات ، يقال شيطان حماط ، كما يقال : ذئب غضى ، وتيس حلب . وقال الأزهرى العرب تقول بلخس من الحيات : شيطان الحماط . وقيل الحماطة بلغة هذيل : شجر عظام تنبت في بلادهم ، تألفها الحيات . والحماط تبين الذرة خاصة عن أبي حنيفة . اهـ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ عَلَيْهَا لِشَوَّابًا مِنْ حَمِيمٍ) . يقول : كَلَمْرَجًا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ عَلَيْهَا لِشَوَّابًا مِنْ حَمِيمٍ) يعني : شرب الحميم على الزقوم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ عَلَيْهَا لِشَوَّابًا مِنْ حَمِيمٍ) قال : مزاجا من حميم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (ثُمَّ إِنَّكُمْ عَلَيْهَا لِشَوَّابًا مِنْ حَمِيمٍ) قال : الشَّوْبُ : الخِلَاطُ ، وهو المنزج .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ عَلَيْهَا لِشَوَّابًا مِنْ حَمِيمٍ) قال : حميم يُشَابُ لهم بغساق مما تَغْسِقُ أعينهم ، وصديد من قيحهم ودمائهم مما يخرج من أجسادهم .

وقوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ مَرْجِعُهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ) يقول تعالى ذكره : ثم إن مآبهم ومصيرهم إلى الجحيم . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (ثُمَّ إِنَّكُمْ مَرْجِعُهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ) فهم في عناء وعذاب من نار جهنم ، وتلا هذه الآية (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آناً) .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ مَرْجِعُهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ) قال في قراءة عبد الله (ثُمَّ إِنَّكُمْ مَرْجِعُهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ) وكان عبد الله يقول : والذي

نفسى بيده ، لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يثقل أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، ثم قال (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ مَرْجِعُهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ) قال : موتهم .

وقوله (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ) يقول : إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم : قولوا لا إله إلا الله يستكبرون ، وجدوا آباءهم ضالاً عن قصد السبيل ، غير سالكين محجة الحق (فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) يقول : فهؤلاء يسرع بهم في طريقهم ، ليقتفوا آثارهم وسنتهم ، يقال منه : أهرع فلان : إذا سار سيرا حثيثا فيه شبه بالرعدة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ) أي وجدوا آباءهم ضالين .

(١) لعله : مفرم أو مالم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَهُمْ الْفُتَوَا آبَاءَهُمْ) : أى وجدوا آباءهم .

وبنحو الذى قلنا فى يُهْرَعُونَ أيضا ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَهَمُّ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) قال : كهيئة الحرولة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَهَمُّ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ) : أى يُسْرَعُونَ إسراعا فى ذلك .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (يُهْرَعُونَ) قال : يُسْرَعُونَ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) قال : يستعجلون إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٨﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٩﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد ضلَّ يا محمد عن قصد السبيل ومحجة الحق قبل مشركى قومك من قريش أكثر الأمم الخالية من قبلهم (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ) يقول : ولقد أرسلنا فى الأمم التى خلت من قبل أمتك ، ومن قبل قومك المكذبة من نذرين تنذرهم بأسنا على كفرهم بنا ، فكذبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم ، فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا (فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ) يقول : فتأمل وتبين كيف كان غيب أمر الذين أنذرتهم أنبيأؤنا ، وإلآم صار أمرهم ، وما الذى أعقبهم كفرهم بالله ، ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عبرة ولمن بعدهم عظة ؟

وقوله (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) يقول تعالى : فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ، إلا عباد الله الذين أخلصناهم للإيمان بالله وبرسله ، واستثنى عباد الله من المنذرين ، لأن معنى الكلام : فانظر كيف أهلكنا المنذرين إلا عباد الله المؤمنين ، فلذلك حسن استثناءهم منهم .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (إلاَّ عبادَ اللهِ المُخْلِصِينَ) قال : الذين استخلصهم الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ نَادَانُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : لقد نادانا نوح بمسئلته إيانا هلاك قومه ، فقال : (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَلَمَّ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا) ... إلى قوله (رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) . وقوله (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) يقول : فلنعم المجيبون كنا له إذ دعانا ، فأجبتنا له دعاءه ، فأهلكنا قومه (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) يعني : أهل نوح الذين ركبوا معه السفينة . وقد ذكرناهم فيما مضى قبل ، وبيننا اختلاف العلماء في عددهم .
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ نَادَانُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) قال : أجابه الله .

وقوله (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) يقول : من الأذى والمكروه الذي كان فيه من الكافرين ، ومن كرب الطوفان والغرق الذي هلك به قوم نوح .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدي (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) قال : من الغرق .

وقوله (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) يقول : وجعلنا ذرية نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مهلك قومهم ، وذلك أن الناس كلهم من بعد مهلك نوح إلى اليوم إنما هم ذرية نوح ، فالعجم والعرب وأولاد سام ابن نوح ، والترك والصقالبة والخزر أولاد يافث بن نوح ، والسودان أولاد حام بن نوح ، وبذلك جاءت الآثار ، وقالت العلماء .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قوله (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) قال : سام وحام ويافث .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ)

قال : فالناس كلهم من ذرية نوح .

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ) يقول : لم يبق إلا ذرية نوح .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾

﴿٧٨﴾ يعني تعالى ذكره بقوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) وأبقينا عليه ، يعني علي نوح ذكرا جميلا ، وثناء حسنا في الآخِرِينَ ، يعني : فيمن تأخر بعده من الناس يذكرونه به .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) يقول : يذكّر بخير .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) يقول : جعلنا لسان صدق للأنبياء كلهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) قال : أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخِرِينَ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) قال : الثناء الحسن .

وقوله (سَلَّمَ) على نوح في العالمين) يقول : أَمَسَّه من الله لنوح في العالمين أن يذّكره أحد بسوء ، وسلام مرفوع بعلی . وقد كان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول : معناه : وتركنا عليه في الآخِرِينَ ، (سَلَّمَ) على نوح) أي تركنا عليه هذه الكلمة ، كما تقول قرأت من القرآن (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فتكون الجملة في معنى نصب ، وترفعها باللام ، كذلك سلام على نوح ترفعه بعلی ، وهو في تأويل نصب ، قال : ولو كان : تركنا عليه سلاما ، كان صوابا .

وقوله (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : إنا كما فعلنا بنوح مجازاة له على طاعتنا وصبره على أذى قومه في رضانا (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) ، وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ) ، وأبقينا عليه ثناء في الآخِرِينَ (كَذَلِكَ نَجْزِي) الذين يُحْسِنُونَ فَيَطِيعُونَنا ، وينتهون إلى أمرنا ، ويصبرون على الأذى فينا . وقوله (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) يقول : إن نوحا من عبادنا الذين آمنوا

بنا ، فوحدونا ، وأخلصوا لنا العبادة ، وأفردونا بالألوهة . وقوله (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ) يقول تعالى ذكره : ثم أغرقنا حين نجينا نوحا وأهله من الكرب العظيم من بسقى من قومه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ) قال : أنجاه الله ومن معه في السفينة ، وأغرق بقية قومه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبَرَاهِيمَ ﴿٨١﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٣﴾ أَيِفْكَاءَ إِلَهَ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٤﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وإن من أشياع نوح على منهاجه وملته والله لإبراهيم خليل الرحمن . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبَرَاهِيمَ) يقول : من أهل دينه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بنزرة ، عن مجاهد ، في قوله (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبَرَاهِيمَ) قال : على منهاج نوح وسنته .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبَرَاهِيمَ) قال : على منهاجه وسنته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبَرَاهِيمَ) قال : على دينه وملته .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبَرَاهِيمَ) قال : من أهل دينه .

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك : وإن من شيعة محمد لإبراهيم ، وقال ذلك مثل قوله (وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) بمعنى : أنا حملنا ذرية من هم منه ، فجعلها ذرية لهم ، وقد سبقهم هـ

وقوله (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) يقول تعالى ذكره : إذ جاء إبراهيمُ ربَّه بقلب سليم من الشرك ، مخلص له التوحيد .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) والله من الشرك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : سليم من الشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : لاشك فيه . وقال آخرون في ذلك بما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عشاء بن علي ، قال : ثنا هشام ، عن أبيه ، قال : يا بني لا تكونوا لعانين ، ألم تروا إلى إبراهيم لم يلعن شيئا قط ، فقال الله (إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) .

وقوله (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ) يقول حين قال : يعني إبراهيم لأبيه وقومه : أي شيء تعبدون .

وقوله (أَلَيْسَ لَكُمْ آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ؟) يقول : أكذبا معبودا غير الله تريدون .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ قَرَأَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْظِقُونَ ﴿٩٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لأبيه وقومه : (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ؟ يقول : فأى شيء تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره .

وقوله (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) ذكر أن قومه كانوا أهل تنجيم ، فرأى نجما قد طلع ، فعصب رأسه وقال : إني مطعون ، وكان قومه يهربون من الطاعون ، فأراد أن يتركوه في بيت آلهم ، ويخرجوا عنه ، ليخالفهم إليها فيكسرهما .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ، قوله (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) قال : قالوا له وهو في بيت آلهم : اخرج ، فقال إني مطعون ، فتركوه مخافة الطاعون .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسيرة ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) رأى نجما طلوع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، أنه رأى نجما طلع فقال (إني سقيم) قال : كابدني نبي الله عن دينه ، فقال : إني سقيم .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إني سقيم) قالوا لأبراهيم وهو في بيت آلهم : اخرج معنا ، فقال لهم : إني مطعون ، فركوه مخافة أن يعذبهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، عن أبيه ، في قول الله (فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إني سقيم) قال : أرسل إليه ملكهم ، فقال : إن غداً عيدنا ، فاحضر معنا ، قال : فنظر إلى نجم فقال : إن ذلك النجم لم يطلع قط إلا طلع بسقم لي ، فقال : (إني سقيم) .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إني سقيم) يقول الله (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) . وقوله (إني سقيم) : أي طعين ، أولسقم كانوا يهربون منه إذا سمعوا به ، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه ، ليلبغ من أصنامهم الذي يريد .

❖ واختلف في وجه قيل إبراهيم لقومه : (إني سقيم) وهو صحيح ، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات» .
ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال ثني هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لم يكذب إبراهيم غير ثلاث كذبات ، ثنتين في ذات الله ، قوله : إني سقيم ، وقوله : بل فعلته كبيرهم هذا ، وقوله في سارة : هي أختي» .
حدثنا سعيد بن يحيى ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثني أبو الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لم يكذب إبراهيم في شيء قط إلا في ثلاث» ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن المسيب بن رافع ، عن أبي هريرة ، قال : «ما كذب إبراهيم غير ثلاث كذبات ، قوله (إني سقيم) ، وقوله (بل فعلته كبيرهم هذا) ، وإنما قاله موعظة ، وقوله حين سأله الملك ، فقال أختي لسارة ، وكانت امرأته» .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، عن أيوب ، عن محمد ، قال : «إن إبراهيم ما كذب إلا ثلاث كذبات ، ثنتان في الله ، وواحدة في ذات نفسه ؛ فأما الثنتان فقولته (إني سقيم) ، وقوله (بل فعلته كبيرهم هذا) وقصته في سارة ، وذكر قصتها وقصة الملك» .

وقال آخرون : إن قوله (إني سقيم) كلمة فيها معراض ، ومعناها أن كل من كان في عقبه الموت فهو سقيم ، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر ، والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف هذا القول ،

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحقّ دون غيره ، قوله (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) يقول : فتولوا عن إبراهيم مدبرين عنه ، خوفاً من أن يعدّ بهم السقم الذي ذكر أنه به . كما حدثت عن يحيى بن زكريا ، عن بعض أصحابه ، عن حكيم بن جبّير ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس (إني سقيم) يقول : مطعون فتولّوا عنه مدبرين ، قال سعيد : إن كان الفرار من الطاعون لقديمًا . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد عن قتادة (فَتَوَلَّوْا) فنكصوا عنه (مُدْبِرِينَ) منطلقين . وقوله (فَرَاغَ إِلَى آلِهِمْ) يقول تعالى ذكره : فإل إلى آلهم بعد ماخرجوا عنه وأدبروا ، وأرى أن أصل ذلك من قولهم : راغ فلان عن فلان : إذا حاد عنه ، فيكون معناه إذا كان كذلك فراغ عن قومه والخروج معهم إلى آلهم ؛ كما قال عدى بن زيد :

حِينَ لَا يَنْفَعُ الرَّوَاحُ وَلَا يَنْفَعُ إِلَّا الْمُصَادِقُ النَّحْرِيرُ

يعنى بقوله : « لا ينفع الرواغ » : الجياد . أما أهل التأويل فإلهم فسروه بمعنى فإل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرَاغَ إِلَى آلِهِمْ) : أى قال إلى آلهم قال : ذهب .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ قوله (فَرَاغَ إِلَى آلِهِمْ) قال :

ذهب .

وقوله (فَفَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ . مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ) هذا خبر من الله عن قيل إبراهيم للآلهة ، وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة الكلام عليه من ذكره ، وهو فقرب إليها الطعام فلم يرها تأكل ، فقال لها : (أَلَا تَأْكُلُونَ) فلما لم يرها تأكل قال لها : ما لكم لا تأكلون ، فلم يرها تنطق ، فقال لها : (مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ) مستهزئاً بها ، وكذلك ذكر أنه فعل بها ، وقد ذكرنا الخبر بذلك فيما مضى قبل . وقال قتادة فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَفَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ)

يستنطقهم (مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ) ؟

(١) البيت نسبة المؤلف لعدى بن زيد العبادى ، ولم أجده فى ترجمته فى الأغاني ولا فى شعره فى شعراء النصرانية . ولعله من تصديده التى مطلعها « أرواح مودع أم بكور » . واستشهد به المؤلف عند قول الله تعالى : « فراغ عليهم ضرباً باليمين » ، على أن معنى راغ : حاد ، وفسره بعضهم بمال . وفى « اللسان : روع » : راغ يروغ روغاناً وروغاناً : حاد . وراغ : إلى كذا أى مال إليه سرا وحاد . وقوله تعالى : « فراغ عليهم ضرباً » أى مال وأقبل . اه . وفى (اللسان : نحر) : والنحر (بكسر النون) والنحرير : الحاذق الماهر العاقل المجرب . وقيل : النحرير : الرجل : العطن الفطن المتقن البصير فى كل شىء . وجمعه : النحرير . اه .

وقال الفراء فى معانى القرآن ٢٧٣ : « فراغ عليهم ضرباً باليمين » : أى مال عليهم ضرباً ، واغتم خلوتهم من أهل دينهم . وفى قراءة عبد الله (أى ابن مسعود) : « فراغ عليهم صققاً باليمين » .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿١٦﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ اتَّعَبُدُونَ مَا تَدْعُونَ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : فقال على آلهة قومه ضربا لها باليمين بفأس في يده يكسرها .
كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس قال : لما خلا جعل يضرب آلهتهم باليمين .
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، فذكر مثله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) فأقبل عليهم يكسرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، ثم أقبل عليهم كما قال الله ضربا باليمين ، ثم جعل يكسرها بفأس في يده .

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى : فراغ عليهم ضربا بالقوة والقدرة ، ويقول : اليمين في هذا الموضع : القوة . وبعضهم كان يتأول اليمين في هذا الموضع : الحلف ، ويقول : جعل يضربهن باليمين التي حلف بها بقوله (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ) .

وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَفْقًا بِالْيَمِينِ) . ورؤى نحو ذلك عن الحسن .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا خالد بن عبد الله الجشمي ، قال : سمعت الحسن قرأ (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَفْقًا بِالْيَمِينِ) : أي ضربا باليمين .

وقوله (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض قراء الكوفة (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) بفتح الياء وتشديد الفاء من قولهم : زَفَّتِ النعامة ، وذلك أول عدوها ، وآخر مشيها ؛ ومنه قول الفرزدق :

وَجَاءَ قَرِيبُ الشَّوْلِ قَبْلَ إِفَالِهَا يَزِفٌ وَجَاءَتْ خَلْفَهُ وَهِيَ زَفْفٌ

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة (يَزْفُونَ) بضم الياء وتشديد الفاء من أزف فهو يزف . وكان القراء يزعم أنه لم يسمع في ذلك إلا زَفَفْت ، ويقول : لعل قراءة من قرأه (يَزْفُونَ) بضم الياء من قول العرب :

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوي ٥٥٨) من قصيدته التي مطلعها : « عزفت بأعشاش وماكدت تعزف » . وفي (اللسان

قرع) : القرع من الإبل الذي يأخذ بذراع الناقة فينيخها . وقيل سمى قريبا لأنه يقرع الناقة ، قال الفرزدق (وأنشد بيت الشاهد) .
والإفال : جمع أفيل وأفيلة ، وهو الفصيل . وقال أبو عبيد : الإفال : بنات الخاض . وفي (اللسان : زفف) الزفيف : سرعة المشي مع تقارب وسكون . وقيل : هو أول عدو النعام . زف يزف زفا ، وزفيفا ، وزفونا ، وأزف عن ابن الأعرابي . قال القراء في معاني القرآن : والناس يزفون ، بفتح الياء ، أي يسرعون . وفراها الأعمش يزفون (بضم الياء) أي يجيئون على هيئة الزفيف ، بمنزلة المزفوفة على هذه الحال . وقال الزجاج : يزفون : يسرعون . وأصله من زفيف النعامة ، وهو ابتداء عدوها . . اه .

أَطْرَدْتُ الرَّجُلَ : أى صيرته طريدا ، وطرده : إذا أنت خسأته إذا قلت : اذهب عنا فيكون يزفون : أى جاءوا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة على هذه الحالة ، فتدخل الألف كما تقول : أهدت الرجل : إذا أظهرت حمده وهو محمد ، إذا رأيت أمره إلى الحمد ، ولم تنشر حمده ؛ قال : وأنشدني المفضل :

تَمَّتْ حُصَيْنٌ أَنْ يَسُودَ جِدَاعَهُ فَأَمْسَى حُصَيْنٌ قَدْ أَذَلَّ وَأَقْهَرَا

فقال : أقهر ، وإنما هو قهير ، ولكنه أراد صار إلى حال قهر . وقرأ ذلك بعضهم (يَزْفُونَ) بفتح الياء وتخفيف الفاء من وَزَفَ يَزِفُ . وذُكر عن الكسائي أنه لا يعرفها ، وقال الفراء : لا يعرفها إلا أن تكون لغة لم أسمعها . وذُكر عن مجاهد أنه كان يقول : الوزف : النَّسْلان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَيْهِ يَزْفُونَ) قال : الوزيف : النَّسْلان . والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه بفتح الياء وتشديد الفاء ، لأن ذلك هو الصحيح المعروف من كلام العرب ، والذي عليه قراءة الفصحاء من القراء . وقد اختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم : معناه : فأقبل قوم إبراهيم إلى إبراهيم يجرؤون .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) : فأقبلوا إليه يجرؤون . وقال آخرون : أقبلوا إليه يمشون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) قال : يمشون . وقال آخرون : معناه : فأقبلوا يستعجلون .

(١) البيت للمخبل السدي يهجو الزبرقان . واستشهد به الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ٢٧٣) لتخريج قراءة الأعمش قوله تعالى : « فأقبلوا إليه يزفون » بضم الياء . قال كأنها من أزفت ، ولم نسمعها إلا زففت . تقول للرجل : جاءنا يزف (بفتح الياء) . ولعل قراءة الأعمش من قول العرب : قد أطردت الرجل : أى صيرته طريدا ، وطرده : إذا أنت قلت له : اذهب عنا . « يزفون » : أى جاءوا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة . على هذه الحال ، فتدخل الألف ؛ كما تقول للرجل : هو محمود : إذا أظهرت حمده ، وهو محمد : إذا رأيت أمره إلى الحمد ؛ ولم تنشر حمده . قال : وأنشدني المفضل : « تمى حصين . . . البيت » فقال : أقهر : أى صار إلى القهر ، وإنما هو قهر . وقرأ الناس بعد « يزفون » بفتح الياء وكسر الزاي . وقد قرأ بعض القراء : « يزفون » بالتخفيف كأنها من وزف يزف . وزعم الكسائي أنه لا يعرفها . وقال الفراء : لا يعرفها أيضا ، إلا أن تكون لم تقع إلينا . وفي اللسان والمحكم : جذع : (وجذاع الرجل : قومه ، لا واحد لها) . قال المخبل يهجو الزبرقان : « تمى . . . البيت » . أى قد صار أصحابه أذلاء مقهورين . ورواه الأصمعي : قد أذل وأقهر (بالبناء للمجهول) : فأقهر على هذا ، لغة في « قهر » (مبنيا للمجهول) . أو يكون « أقهر » وجد مقهورا . وخص أبو عبيدة بالجداع رهط الزبرقان .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، عن أبيه (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) قال : يستعجلون ، قال : يَزِفٌ : يستعجل .
وقوله (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لقومه : أتعبدون أيها القوم ما تنحتون بأيديكم من الأصنام .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (نَالِ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) الأصنام .
وقوله (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لقومه : والله خلقكم أيها القوم وما تعملون . وفي قوله (وَمَا تَعْمَلُونَ) وجهان : أحدهما : أن يكون قوله « ما » بمعنى المصدر ، فيكون معنى الكلام حينئذ : والله خلقه وعملكم . والآخر أن يكون بمعنى الذى ، فيكون معنى الكلام عند ذلك : والله خلقكم والذى تعملونه : أى والذى تعملون منه الأصنام ، وهو الخشب والنحاس والأشياء التى كانوا ينحتون منها أصنامهم .

وهذا المعنى الثانى قصد إن شاء الله فتادة بقوله : الذى حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) : بأيديكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿١٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ ﴿١٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : قال قوم إبراهيم لما قال لهم إبراهيم : (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) ابنوا لإبراهيم بيانا ، ذكر أنهم بنوا له بيانا يشبه التنوير ، ثم نقلوا إليه الحطب ، وأوقدوا عليه (فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) والجحيم عند العرب : جمر النار بعضه على بعض ، والنار على النار .

وقوله (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) يقول تعالى ذكره : فأراد قوم إبراهيم بإبراهيم كيدا ، وذلك ما كانوا أرادوا من إحراقه بالنار ، يقول الله (فَجَعَلْنَاهُمْ) أى فجعلنا قوم إبراهيم (الْأَسْفَلِينَ) يعنى الأذلين حجة ، وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة ، وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ) قال : فما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم .

وقوله (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ) يقول : وقال إبراهيم لما أفلسجه الله على قومه ونجاه من كيدهم (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) يقول : إني مهاجر من بلدة قومي إلى الله : أى إلى الأرض المقدسة ومفارقهم ، فعزلهم لعبادة الله .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ) ذاهب بعمله وقلبه ونياته .

وقال آخرون في ذلك : إنما قال إبراهيم (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) حين أرادوا أن يُلقوه في النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت سليمان بن صُرد يقول : لما أرادوا أن يُلقوا إبراهيم في النار (قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ) فجمع الحطب ، فجاءت عجوز على ظهرها حطب ، فقيل لها : أين تريدين ؟ قالت : أريد أذهب إلى هذا الرجل الذي يُلقى في النار ؛ فلما ألقى فيها ، قال : حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، أَوْ قَالَ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، قال : فقال الله (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) قال : فقال ابن لوط ، أو ابن أخي لوط ، إن النار لم تحرقه من أجلي ، وكان بينهما قرابة ، فأرسل الله عليه عنقًا من النار فأحرقته .

❖ وإنما اخترت القول الذي قلت في ذلك ، لأن الله تبارك وتعالى ذكر خبره وخبر قومه في موضع آخر ، فأخبر أنه لما نجاه مما حاول قومه من إحراقه قال (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي) ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه : إني مهاجر إلى أرض الشام ، فكذلك قوله (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) لأنه كقوله (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي) . وقوله (سَيَّهْدِينِ) يقول : سيثبتني على الهدى الذي أبصرته ، ويعينني عليه .

وقوله (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) وهذا مسألة إبراهيم ربه أن يرزقه ولدا صالحا ، يقول : قال : يارب هب لي منك ولدا يكون من الصالحين الذين يطيعونك ، ولا يعصونك ، ويصلحون في الأرض ، ولا يفسدون .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المنفصل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) قال : ولدا صالحا ، وقال : من الصالحين ، ولم يتقبل : صالحا من الصالحين اجتزاء بمن ذكر المتروك ، كما قال عز وجل (وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) بمعنى زاهدين من الزاهدين .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٥١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَىٰ فِي السَّمَاءِ آيَةً أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَا ذَاتَرَىٰ قَالَ يَا بَتِ افْعَلْ مَا تَأْمُرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره : فبشِّرنا إبراهيم بغلام حلِيم ، يعني بغلام ذي حلِيم إذا هو كَسِير ، فأما في طفولته في المهدي ، فلا يوصف بذلك . وذكر أن الغلام الذي بشر الله به إبراهيم إسحاق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة :
(فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) قال : هو إسحاق .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) بشر بإسحاق ،
قال : لم يُسْتَنَّ بالحلم على أحد غير إسحاق وإبراهيم .
وقوله (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) يقول : فلما بلغ الغلام الذي بشر به إبراهيم مع إبراهيم العمل ،
وهو السعي ، وذلك حين أطاق معونته على عمله .
وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا
بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) يقول : العمل .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) قال : لما شبَّ
حتى أدرك سعيه سعى إبراهيم في العمل .
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثاه ، إلا أنه
قال : لما شبَّ حين أدرك سعيه .
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ
السَّعْيَ) قال : سعى إبراهيم .
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ
السَّعْيَ) : سعى إبراهيم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ)
قال : السَّعْيُ هاهنا العبادة .
وقال آخرون : معنى ذلك : فلما مشى مع إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) : أي لما
مشى مع أبيه .
وقوله (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنَّيَ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم خليل
الرحمن لابنه : (يَا بُنَيَّ إِنَّيَ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) وكان فيما ذكر أن إبراهيم أنذر حين بشرته
الملائكة بإسحاق ولدًا أن يجعله إذا ولدته سارة لله ذبيحا ؛ فلما بلغ إسحاق مع أبيه السَّعْيَ أرى إبراهيم في المنام ،

فقيل له : أوف لله بنذرك ، ورؤيا الأنبياء يقين ، فلذلك مضى لما رأى في المنام ، وقال له ابنه إسحاق ما قال .
ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : « قال جبرائيل لسارة : أبشري بولد اسمه إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضربت جبهتها عجباً ، فذلك قوله (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا - وَقَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) إلى قوله (حميدٌ حميدٌ) قالت : سارة لجبريل : ما آية ذلك ، فأخذ بيده عودا يابسا ، فلواه بين أصابعه ، فاهتز أخضر ، فقال إبراهيم : هو لله إذن ذبيح ؛ فلما كبر إسحاق أتى إبراهيم في النوم ، فقيل له : أوف بنذرك الذي نذرت ، إن الله رزقك غلاما من سارة أن تدبجه ، فقال لإسحاق : انطلق تقرب قربانا إلى الله ، وأخذ سكيناً وحبلًا ، ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام : يا أبت أين قربانك ؟ (قال يا بني إني أرى في المنام إني أذبحك فانظروا ماذا ترى ؟ قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) فقال له إسحاق : يا أبت أشد زباطي حتى لأضطرب ، واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء ، فراه سارة فتحزن ، وأسرع من السكين على حلقه ليكون أهون للموت على ، فإذا أتيت سارة فاقرا عليها مني السلام ، فأقبل عليه إبراهيم يقبله وقد ربطه وهو يبكي وإسحاق يبكي ، حتى استنقع الدموع تحت خد إسحاق ، ثم إنه جر السكين على حلقه ، فلم تحك السكين ، وضرب الله حتى استنقع الدموع تحت خد إسحاق ؛ فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه ، وحز من قفاه ، فذلك قوله : صفيحة من نحاس على حلق إسحاق ؛ فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه ، وحز من قفاه ، فذلك قوله : (فَلَمَّا أَسْلَمَا) يقول : سلما لله الأمر (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) فنودي يا إبراهيم (قد صدقت الرؤيا) بالحق فالتفت فإذا بكبش ، فأخذه وحسلى عن ابنه ، فأكب على ابنه يقبله ، وهو يقول اليوم : يا بني وهبت لي ، فذلك يقول الله (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) فرجع إلى سارة فأخبرها الخبر ، فجزعت سارة وقالت : يا إبراهيم أردت أن تذبح ابني ولا تعلمني .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا بُنَيَّ إني أرى في المنام إني أذبحك) قال : رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا في المنام شيئا فعلوه .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد ابن عمير ، قال : رؤيا الأنبياء وحى ، ثم تلا هذه الآية (إني أرى في المنام إني أذبحك) .
قوله (فانظروا ماذا ترى) : اختلفت القراء في قراءة قوله (ماذا ترى ؟) ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ، وبعض قراء أهل الكوفة (فانظروا ماذا ترى ؟) بفتح التاء ، بمعنى : أى شيء ، تأمر ، أو فانظر ما الذي تأمر ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (ماذا ترى ؟) بضم التاء ، بمعنى : ماذا تشير ، وماذا ترى من صبرك أو جزعك من الذبح ؟ .

والذي هو أولى القراءتين في ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه (ماذا ترى) بفتح التاء ، بمعنى : ماذا ترى من الرأى .

﴿ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : أَوْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُؤْمِرُ ابْنَهُ فِي الْمَضَى لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَالْإِنْتِهَاءُ إِلَى طَاعَتِهِ ؟ قِيلَ : لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ مَشَاوِرَةً لِابْنِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مِنْهُ لِيَعْلَمَ مَا عِنْدَ ابْنِهِ مِنَ الْعَزْمِ : هَلْ هُوَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ عَلَى مِثْلِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ ، فَيَسِرُّ بِذَلِكَ أَمْ لَا ، وَهُوَ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا ماضٍ لِأَمْرِ اللَّهِ .

وقوله (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) يقول تعالى ذكره : قَالَ إِسْحَاقُ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا يُأْمُرُكَ بِهِ رَبُّكَ مِنْ ذَبْحِي (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) يقول : سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا مِنَ الصَّابِرِينَ لِمَا يُأْمُرُنَا بِهِ رَبُّنَا ، وَقَالَ : افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ، وَلَمْ يَقُلْ : مَا تُؤْمَرُ بِهِ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى : افْعَلْ الْأَمْرَ الَّذِي تُؤْمَرُ بِهِ ، وَذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ : إِنْ أَرَى فِي الْمَنَامِ : افْعَلْ مَا أُمِرْتُ بِهِ .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ ﴿١٢﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَى يَا إِنْكَذَاكَ نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْهَبِينُ ﴿١٦﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : فلما أسلما أمرهما الله وفوضاه إليه واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا ثابت بن محمد ؛ وحدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم بن صالح ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (فَلَمَّا أَسْلَمَا) قال : اتفقا على أمر واحد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قوله (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ) قال : أسلما جميعا لأمر الله ورضى الغلام بالذبح ، ورضى الأب بأن يذبحه ، فقال : يا أبت اقدفني للوجه كيلا تنظر إليّ فرحمني ، وأنظر أنا إلى الشفرة فأجزع ، ولكن أدخل الشفرة من تحتي ، وامض لأمر الله ، فذلك قوله (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ) فلما فعل ذلك (نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا أَسْلَمَا) قال : أسلم هذا نفسه لله ، وأسلم هذا ابنه لله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فَلَمَّا أَسْلَمَا) قال : أسلما ما أمرا به .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا أَسْلَمَا) يقول : أسلما لأمر الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَمَّا أَسْلَمَا) : أي سلم إبراهيم لذبحه حين أمر به وسلم ابنه للصبر عليه ، حين عرف أن الله أمره بذلك فيه .

وقوله (وَتَلَّهٌ لِّلْجَبِينِ) يقول : وصَرَعه للجبين ، والجبينان ما عن يمين الجبهة وعن شمالها وللوجه جبينان ، والجبهة بينهما .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَتَلَّهٌ لِّلْجَبِينِ) قال : وضع وجهه للأرض ، قال : لاتذبني وأنت تنظر إلى وجهي عسى أن ترحمني ، ولا تجهز عليّ ، اربط يدي إلى رقبتي ثم ضع وجهي للأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَلَّهٌ لِّلْجَبِينِ) : أي وكبه لفيه وأخذ الشفرة (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) حتى بلغ (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَتَلَّهٌ لِّلْجَبِينِ) قال : أكبته على جبهته .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَلَّهٌ لِّلْجَبِينِ) قال : جبينه ، قال : أخذ جبينه ليدبجه .

حدثنا ابن سنان ، قال : ثنا حجاج ، عن حماد ، عن أبي عاصم الغنويّ عن أبي الطُّفَيْلِ ، قال : قال ابن عباس : إن إبراهيم لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسأقه ، فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم تله للجبين ، وعلى إسماعيل قسمة أبيض ، فقال له : يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفني فيه غير هذا ، فاخضعه حتى تكفني فيه ، فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أعين أبيض فذبجه ، فقال ابن عباس : لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكباش .

وقوله (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) وهذا جواب قوله (فَلَمَّا أَسْلَمَا) ومعنى الكلام : فلما أسلما وتله للجبين . ونادينا أن يا إبراهيم ، وأدخلت الواو في ذلك كما أدخلت في قوله (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو في جواب فلما وحتى وإذا تلقيا .

ويعنى بقوله (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) التي أريناها في منامك بأمرناك بذبح ابنك .
وقوله (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول : إنا كما جزيناك بطاعتنا يا إبراهيم ، كذلك نجزي الذين أحسنوا ، وأطاعوا أمرنا ، وعملوا في رضانا .

وقوله (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) : يقول تعالى ذكره : إن أمرنا إياك يا إبراهيم بذبح ابنك إتيان ، لهو البلاء ، يقول : لهو الاختبار الذي يبين لمن فكر فيه أنه بلاء شديد ومحنة عظيمة . وكان ابن زيد يقول : البلاء في هذا الموضع الشر وليس باختبار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ هَذَا كَلُوبُ الْبَلَاءِ الْمُبِينُ) قال : هذا في البلاء الذي نزل به في أن يذبح ابنه . (صدقت الرؤيا) : ابتليت ببلاء عظيم أمرت أن تذبح ابنك ، قال : وهذا من البلاء المكروه وهو الشر وليس من بلاء الاختبار .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾

وقوله (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) يقول : وفدينا إسحاق بذبح عظيم ، والفدية : الجزاء ، يقول : جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم ، وأنقذناه من الذبح .

واختلف أهل التأويل في المفدى من الذبح من ابني إبراهيم ، فقال بعضهم : هو إسحاق . ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس ابن عبد المطلب (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسحاق .

حدثني الحسين بن يزيد بن إسحاق ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن داود ، بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الذي أمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسحاق .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الذبيح إسحاق . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد بن جندعان ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره ، قال : هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : افتخر رجل عند ابن مسعود ، فقال : أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام ، فقال عبد الله : ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا إبراهيم بن المختار ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن الزهري ، عن العلاء بن حارثة الثقفي ، عن أبي هريرة ، عن كعب في قوله (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : من ابنه إسحاق .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا زكريا وشعبة ، عن ابن إسحاق ، عن مسروق ، في قوله (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسحاق .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبيد بن عمير ، قال : هو إسحاق .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عمير قال : « قال موسى : يا ربّ يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فبم قالوا ذلك ؟ قال : إن إبراهيم لم يعدل بي شيئاً قطّ إلا اختارني عليه ، وإن إسحاق جادل بالذبح ، وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظنّ . »

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد ابن عمير ، عن أبيه ، قال : قال موسى : أي ربّ بم أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما أعطيتهم ؟ فذكر معنى حديث عمرو بن عليّ .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبي سنان الشيبانيّ ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : الذبيح هو إسحاق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن حارثة الثقفي ، أخبره أن كعباً ، قال لأبي هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبيّ ، قال أبو هريرة : بل ، قال كعب : لما رأى إبراهيم ذبح إسحاق ، قال الشيطان : والله لئن لم أفن عند هذا آل إبراهيم لأفئن أحدا منهم أبداً ، فتمثل الشيطان لهم رجلاً يعرفونه ، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم ، فقال لها : أين أصبح إبراهيم غادياً بإسحاق ، قالت سارة غدا لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ما لذلك غدا به ، قالت سارة : فلم غدا به ، قال : غدا به ليذبحه ، قالت سارة : ليس من ذلك شيء ، لم يكن ليذبح ابنه ، قال الشيطان : بلى والله ، قالت سارة : فلم يذبحه ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قالت سارة : فهذا أحسن بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك ، فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على إثر أبيه ، فقال : أين أصبح أبوك غادياً بك ؟ قال : غدا بي لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ما غدا بك لبعض حاجته ، ولكن غدا بك ليذبحك ، قال إسحاق : ما كان أبي ليذبحني ، قال : بلى ، قال : لم ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قال إسحاق : فوالله لئن أمره بذلك ليطيعه ، قال : فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم ، فقال : أين أصبحت غادياً بابنك ، قال : غدوت به لبعض حاجتي ، قال : أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه ، قال : لم أذبحه ؟ قال : زعمت أن ربك أمرك بذلك ، قال : الله فوالله لئن كان أمرني بذلك ربي لأفعلن ، قال : فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلّم إسحاق ، أعفاه الله وفداه بذبح عظيم ، قال إبراهيم لإسحاق : قم أي بنيّ ، فإن الله قد أعفاه ، وأوحى الله إلى إسحاق : إني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها ، قال إسحاق . اللهم إني أدعوك أن تستجيب لي ، أيما عبد لقبك من الأولين والآخرين لا يُشرك بك شيئاً ، فأدخله الجنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن عبد الله بن بكر ، عن محمد بن

مسلم الزهري ، عن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفي ، حليف بني زهرة ، عن أبي هريرة ، عن كعب الأحبار أن الذي أمر إبراهيم بذبحه من ابنه إسحاق ، وأن الله لما فرج له ولابنه من البلاء العظيم الذي كان فيه ، قال الله لإسحاق : إني قد أعطيتك بصبرك لأمرى دعوة أعطيتك فيها ما سألت ، فسئلتني ، قال : رب أسألك أن لاتعذب عبدا من عبادك لقيك وهو يؤمن بك ، فكانت تلك مسئلة التي سألت .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن ابن سابط ، قال : هو إسحاق .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سفيان بن عثمة ، عن حمزة الزيات ، عن أبي ميسرة ، قال : قال يوسف للملك في وجهه : ترغب أن تأكل معي ، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .
قال : ثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : قال يوسف للملك ، فذكر نحوه .
وقال آخرون : الذي فدى بالذبح العظيم من بني إبراهيم : إسماعيل .
ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قالا : ثنا يحيى بن يمان ، عن إسرائيل ، عن ثور ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : الذبيح : إسماعيل .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا بيان ، عن الشعبي ، عن ابن عباس (وقد يئناه بذيئح عظيم) قال : إسماعيل .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن محمد بن ميمون السكري ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : إن الذي أمر بذبحه إبراهيم إسماعيل .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن علي بن زيد ، عن عمار ، مولى بني هاشم ، أو عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : هو إسماعيل ، يعني (وقد يئناه بذيئح عظيم) .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا داود ، عن الشعبي ، قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

وحدثني به يعقوب مرة أخرى ، قال : ثنا ابن علية ، قال : سئل داود بن أبي هند أي ابن إبراهيم الذي أمر بذبحه ؟ فزعم أن الشعبي قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .
حدثنا ابن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن بيان ، عن الشعبي ، عن ابن عباس أنه قال في الذي فداه الله بذبح عظيم قال : هو إسماعيل .
حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله (وقد يئناه بذيئح عظيم) قال : هو إسماعيل .

حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمر بن قيس ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عباس أنه قال : المَفْدِيّ إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود :
حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن مبارك ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس الذي فداه الله هو إسماعيل .
حدثنا ابن سنان القزاز ، قال : ثنا حجاج بن حماد ، عن أبي عاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ، مثله .
حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، قال : الذي أراد إبراهيم ذبحه : إسماعيل .
حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر أنه قال في هذه الآية (وَفَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسماعيل ، قال : وكان قرنا الكبش منسوطين بالكعبة .
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : الذبيح إسماعيل .
قال : ثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : رأيت قرني الكبش في الكعبة .
قال : ثنا ابن يمان ، عن مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، قال : هو إسماعيل .
قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هو إسماعيل .
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن (وَفَدَّيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : هو إسماعيل .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول : إن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من بنيه إسماعيل وإنا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه إسماعيل ، وذلك أن الله يقول : حين فرغ من قصة المذبح من إبراهيم ، قال (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) يقول : بشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، يقول : بابن وابن ابن ، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود ما وعده الله ، وما الذي أُمر به إلا إسماعيل .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أُمر به من ابني إبراهيم : إسماعيل .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول ذلك كثيرا .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بريدة بن سفيان بن قروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي ، أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة ، إذ كان معه بالشام فقال له عمر : إن هذا شيء ما كنت أنظر فيه ، وإني لأراه كما هو ، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام

كان يهوديا ، فأسلم فحسُن إسلامه ، وكان يرى أنه من علماء يهود ، فسأله عمر بن عبد العزيز ، عن ذلك فقال محمد بن كعب : وأنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : أى ابنى إبراهيم أُمير بذبحه ؟ فقال : إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه ، والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق ، لأن إسحاق أبوهم ، فالله أعلم أيهما كان ، كلّ قد كان طاهرا طيبا مطيعا لربه .

حدثني محمد بن عمار الرازى ، قال : ثنا إسماعيل بن عبيد بن أبى كريمة ، قال : ثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابى ، عن عبيد بن محمد العُتبي من ولد عتبة بن أبى سفيان ، عن أبيه ، قال : ثنا عبد الله بن سعيد ، عن الصنابحى ، قال : كنا عند معاوية بن أبى سفيان ، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق ، فقال : على الخير سقطم : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل ، فقال : يا رسول الله عدُّ علىّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك عليه الصلاة والسلام فقلنا له : يا أمير المؤمنين ، وما الذبيحان ؟ فقال : إن عبد المطلب لما أُمير بحضرة زمزم ، نذر لله لئن سهّل عليه أمرها ليدبجنّ أحد ولده ، قال : فخرج السهم على عبد الله ، ففنع أخواله ، وقالوا : افدّ ابنك بمئة من الإبل ، ففداه بمئة من الإبل ، وإسماعيل الثانى . »

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا ابن جريج ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : الذى فدّى به إسماعيل ، ويعنى تعالى ذكره الكبش الذى فدّى به إسحاق ، والعرب تقول : لكلّ ما أُعِدّ للذبيح ذبّح ، وأما الذبّح بفتح الذا ل فهو الفعل .

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب فى المفدى من ابنى إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال : هو إسحاق ، لأن الله قال (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) فذكر أنه فدّى الغلام الحليم الذى بشر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين ، فقال (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) فإذا كان المفدى بالذبيح من ابنه هو المبشّر به ، وكان الله تبارك اسمه قد بين فى كتابه أن الذى بشر به هو إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فقال جلّ ثناؤه (فَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) وكان فى كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد ، فإنما هو معنى به إسحاق ، كان بينا أن تبشيره إياه بقوله (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) فى هذا الموضع نحو سائر أخباره فى غيره من آيات القرآن .

وبعد : فإن الله أخبر جلّ ثناؤه فى هذه الآية عن خليله أنه بشره بالغلام الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا فى حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين لأنه لم يكن له من ابنه إلا إمام الصالحين وغير موهوم منه أن يكون سأل ربه فى هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له . فإذا كان ذلك كذلك فعلم أن الذى ذكر تعالى ذكره فى هذا الموضع هو الذى ذكر فى سائر القرآن أنه بشره به وذلك لاشك أنه إسحاق ، إذ كان المفدى هو المبشّر به . وأما الذى اعتلّ به من اعتلّ فى أنه إسماعيل أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن ، فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذى قد تقدم ، فإن الله إنما أمره

بذبحه بعد أن بلغ معه السعى ، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد وُلد لإسحاق فيها أولاد ، فكيف للواحد؟
وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدى من ولد إبراهيم بقوله (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا) ولو كان
المفدى هو إسحاق لم يبشّر به بعد ، وقد ولد ، وبلغ معه السعى ، فإن البشارة بنبوّة إسحاق من الله فيما جاءت
به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فُدى تكرامة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح ،
وقد تقدمت الرواية قبلُ عن ذلك . وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقا في الكعبة فغير
مستحيل أن يكون حُمِل من الشام إلى مكة . وقد روى عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أُمر بذبح ابنه
إسحاق بالشام ، وبها أراد ذبحه .

واختلف أهل العلم في الذبح الذي فُدى به إسحاق ، فقال بعضهم : كان كبشا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُريِب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ (وَفَدَيْنَاهُ)
(بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : كبش أبيض أقرن أعين مربوط بسمرة في ثبير .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن
ابن عباس (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : كبش ، قال عبيد بن عمير ذُبح بالمكان ، وقال مجاهد :
ذبح بمنى في المنحصر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن خثيم ، عن سعيد ، عن ابن عباس
قال : الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الكبش الذي قرّبه ابن آدم فتقبل منه .
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا سيار ، عن عكرمة ، أن ابن عباس كان
أفتى الذي جعل عليه أن ينحر نفسه ، فأمره بمئة من الإبل ، قال : فقال ابن عباس بعد ذلك : لو كنت
أفتيته بكبش لأجزأه أن يذبح كبشا ، فإن الله قال في كتابه (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال : ذبح كبش .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) قال :
قال ابن عباس : التفت فإذا كبش ، فأخذه فذبحه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبّير (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ)
قال : كان الكبش الذي ذبحه إبراهيم رعى في الجنة أربعين سنة ، وكان كبشا أملح ، صوفه مثل العهن الأحمر .
حدثنا أبو كُريِب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ
عَظِيمٍ) قال : بكبش .
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا ليث ، قال : قال مجاهد : الذبح العظيم : شاة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (بَدِئِحِ عَظِيمِ) قال : بكبش .
وحدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (وَفَدَيْتَاهُ بَدِئِحِ عَظِيمِ) قال : الذَّبْحِ الكَبِشِ .

حدثنا موسى ؛ قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي قال : التفت ، يعني إبراهيم فإذا بكبش ، فأخذوه وخلّى عن ابنه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الذَّبْحِ العَظِيمِ : الكَبِشِ الذي فَدَى الله به إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن قتادة بن دِعامَة ، عن جعفر بن إياس ، عن عبد الله بن العباس ، في قوله (وَفَدَيْتَاهُ بَدِئِحِ عَظِيمِ) قال : خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفا ، فأرسل إبراهيم ابنه واتبع الكبش ، فأخرجه إلى الحمرة الأولى فرمى بسبع حصيات ، فأفلته عنده ، فجاء الحمرة الوسطى ، فأخرجه عندها ، فرماه بسبع حصيات ، ثم أفلته فأدركه عند الحمرة الكبرى ، فرماه بسبع حصيات ، فأخرجه عندها ، ثم أخذه فأتى به المنحر من مِثْنَى ، فذبحه ، فوالذي نفس ابن عباس بيده ، لقد كان أول الإسلام ، وإن رأس الكبش لمعلق بقربيه عند ميزاب الكعبة قد حُشَّ ، يعني يبس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال ابن إسحاق : ويزعم أهل الكتاب الأول وكثير من العلماء أن ذبيحة إبراهيم التي فدى بها ابنه كبش أملح أقرن أعين .
حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : (وَفَدَيْتَاهُ بَدِئِحِ عَظِيمِ) قال : بكبش .
وقال آخرون : كان الذَّبْحِ وَعِلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن رجل ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس (وَفَدَيْتَاهُ بَدِئِحِ عَظِيمِ) قال : كان وَعِلا .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما فُدِيَ إسماعيل إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير .
واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل للذَّبْحِ الذي فدى به إسحاق عَظِيمِ ، فقال بعضهم : قيل ذلك كذلك ، لأنه كان رَعَى في الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عبد الله بن عيسى ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس (وَفَدَيْتَاهُ بَدِئِحِ عَظِيمِ) قال : رعى في الجنة أربعين خريفا .

وقال آخرون : قيل له عظيم ، لأنه كان ذبجاً متقبلاً .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، (عظيم) قال :

متقبل .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد في (وفدناؤه بذبح)

عظيم (قال : العظيم : المتقبل .

وقال آخرون : قيل له عظيم ، لأنه ذبج ذبج بالحق ، وذلك ذبحه بدين إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول :

ما يقول الله (وفدناؤه بذبح عظيم) لذبيحته التي ذبح فقط ، ولكنه الذبح على دينه ، فتلك السنة إلى يوم القيامة ، فاعلموا أن الذبيحة تدفع ميتة السوء ، فضحوا عباد الله .

قال أبو جعفر : ولا قول في ذلك أصح مما قال الله جل ثناؤه ، وهو أن يقال : فداه الله بذبح عظيم ، وذلك أن الله عم وصفه إياه بالعظم دون تخصيصه ، فهو كما عمه به .

وقوله (وتركنا عليه في الآخرين) يقول تعالى ذكره : وأبقينا عليه فيمن بعده إلى يوم القيامة

ثناءً حسناً .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعد ، عن قتادة (وتركنا عليه في الآخرين) قال :

أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين .

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله (وتركنا عليه في الآخرين)

قال : سألت إبراهيم ، فقال (وأجعل لي لسان صدق في الآخرين) قال : فترك الله عليه الثناء

الحسن في الآخرين ، كما ترك اللسان السوء على فرعون وأشباهه كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على

هؤلاء . وقيل : معنى ذلك : وتركنا عليه في الآخرين السلام ، وهو قوله (سلام على إبراهيم) ، وذلك

قول يروى عن ابن عباس تركنا ذكره لأن في إسناده من لم نستجز ذكره ، وقد ذكرنا الأخبار المروية

في قوله (وتركنا عليه في الآخرين) فيما مضى قبل . وقيل : معنى ذلك : وتركنا عليه في الآخرين أن يقال

سلام على إبراهيم .

وقوله (سلام على إبراهيم) يقول تعالى ذكره : أمّنة من الله في الأرض لإبراهيم أن لا يذكر من بعده

إلا بالجميل من الذكر . وقوله (كذلك نجزي المحسنين) يقول كما جزينا إبراهيم على طاعته إيانا

وإحسانه في الانتهاء إلى أمرنا ، كذلك نجزي المحسنين (إنّه من عبادنا المؤمنين) يقول : إن إبراهيم من

عبادنا المخلصين لنا الإيمان .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝١١٢ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ
وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ۝١١٣

يقول تعالى ذكره : وبشّرنا إبراهيم بإسحاق نبيا شكرا له على إحسانه وطاعته .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ)
قال : بشر به بعد ذلك نبيا ، بعد ما كان هذا من أمره لما جاد الله بنفسه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الذبيح
إسحاق ؛ قال : وقوله (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) قال بشر بنبوتته . ؛ قال : وقوله :
(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ هَارُونَ نَبِيًّا) قال : كان هارون أكبر من موسى ، ولكن أراد وهب الله له نبوته .
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، قال : سمعت داود يحدث ، عن عكرمة ، عن
ابن عباس في هذه الآية (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) قال : إنما بشره به نبيا حين فداه من
الذبح ، ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده .

حدثني الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
في قول الله (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا) قال : إنما بشر بالنبوة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ،
قوله (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) قال : بشر إبراهيم بإسحاق .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ
الصَّالِحِينَ) قال : بنبوتته .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن شيخ من أهل المسجد ، قال : بشر
إبراهيم لسبع عشرة ومئة سنة .

وقوله (وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ) يقول تعالى ذكره : وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق (وَمِن
ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) يعني بالمحسن : المؤمن المطيع لله ، المحسن في طاعته إياه (وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ) ويعني
بالظالم لنفسه : الكافر بالله ، الجالب على نفسه بكفره عذاب الله وأليم عقابه (مُبِينٌ) : يعني الذي قد أبان
ظلمته نفسه بكفره بالله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله :
(مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ) قال : المحسن : المطيع لله ، والظالم لنفسه : العاصي لله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ
فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد فضلنا على موسى وهارون ابني عمران ، فجعلناهما نبين ، ونجيناهما وقومهما من الغم والمكروه العظيم الذي كانوا فيه من عبادة آل فرعون ، ومما أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله : (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ) قال : من الغرق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ) : أي من آل فرعون .

وقوله (وَنَصَرْنَاهُمْ) يقول : ونصرنا موسى وهارون وقومهما على فرعون وآله بتغريقناهم ، (فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ) لهم .

وقال بعض أهل العربية : إنما أريد بالهاء والميم في قوله (وَنَصَرْنَاهُمْ) موسى وهارون ، ولكنها أخرجت على مخرج مكنى الجمع ، لأن العرب تذهب بالرئيس كالنبي والأمير وشبهه إلى الجمع بجنوده وأتباعه ، وإلى التوحيد لأنه واحد في الأصل ، ومثله (على خوف من فرعون وملئهم) وفي موضع آخر : وملئه . قال : وربما ذهبت العرب بالاثنين إلى الجمع كما تذهب بالواحد إلى الجمع ، فتخاطب الرجل ، فتقول : ما أحسنتم ولا أجلمتم ، وإنما تريده بعينه ، وهذا القول الذي قاله هذا الذي حكينا قوله في قوله (وَنَصَرْنَاهُمْ) وإن كان قولاً غير مدفوع ، فإنه لا حاجة بنا إلى الاحتياال به لقوله (وَنَصَرْنَاهُمْ) ، لأن الله أتبع ذلك قوله (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ) ثم قال : (وَنَصَرْنَاهُمْ) يعني : هما وقومهما ، لأن فرعون وقومه كانوا أعداء لجميع بني إسرائيل ، قد استضعفوهم ، يذبجون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم فنصرهم الله عليهم ، بأن غرقهم ونجى الآخرين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَيُّبَ إِسْمَاعِيلَ إِسْحَاقَ وَيُوسُفَ إِسْحَاقَ وَكَانَ صِدْقًا عَلَيْهِمْ ﴿١١٧﴾ وَإِنَّا لَكَاذِبِينَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ
﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَّاكُ نُجْرِي الْحَسْبَيْنِ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنَّا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : وآتينا موسى وهارون الكتاب : يعنى التوراة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وآتينا هُما الكتابَ المُستَينَ) : التوراة . ويعنى بالمستين : المتبين هُدَى مافيه وتفصيله وأحكامه .

وقوله (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) يقول تعالى ذكره : وهدينا موسى وهارون الطريق المستقيم ، الذى لا اعوجاج فيه وهو الإسلام دين الله ، الذى ابعث به أنبياءه .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) الإسلام وقوله (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ) يقول : وتركنا عليهما فى الآخريين بعدهم الثناء الحسن عليهما .
وقوله (سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ) يقول : وذلك أن يقال : سلام على موسى وهارون .
وقوله (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول : هكذا نجزي أهل طاعتنا ، والعاملين بما يرضينا عنهم (إِنَهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) يقول : إن موسى وهارون من عبادنا المخلصين لنا الإيمان .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾

يقول تعالى ذكره : وإن إلياس ، وهو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران فيما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وقيل : إنه إدريس ، حدثنا بذلك بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان يقال : إلياس هو إدريس ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل .

وقوله (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) يقول جل ثناؤه : لمرسل من المرسلين (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ) ؟ يقول حين قال لقومه من بنى إسرائيل : ألا تتقون الله أيها القوم ، فتخافونه ، وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربا غير الله ، وإلهاً سواه (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) يقول : وتدعون عبادة أحسن من قيل له خالق . وقد اختلف فى معنى بتعل ، فقال بعضهم : معناه : أئدعون ربا ؟ ، وقالوا : هى لغة لأهل اليمن معروفة فيهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا حرّمى بن عُمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عُمارة ، عن عكرمة ، فى قوله (أَدْعُونَ بَعْلًا) ؟ قال : إلهاً .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ، في قوله (أَدْعُونَ بَعْلًا) يقول : أَدْعُونَ رَبًّا ، وهي لغة أهل اليمن ، تقول : مَنْ بَعَلَ هذا الثور : أي من رَبُّهُ ؟ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو ، قالوا : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أَدْعُونَ بَعْلًا ؟) قال : ربا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَدْعُونَ بَعْلًا) قال : هذه لغة باليمانية : أَدْعُونَ ربا دون الله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (أَدْعُونَ بَعْلًا) قال : رَبًّا . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن عبد الله بن أبي يزيد ، قال : كنت عند ابن عباس فسألوه عن هذه الآية (أَدْعُونَ بَعْلًا ؟) قال : فسكت ابن عباس ، فقال رجل : أنا بَعْلُهَا ، فقال ابن عباس : كفاي هذا الجواب .

وقال آخرون : هو صنم كان لهم يقال له بَعْلٌ ، وبه سميت بعلبك .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَدْعُونَ بَعْلًا ؟) يعني : صنم كان لهم يسمى بَعْلًا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَدْعُونَ بَعْلًا) وَتَدْرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) ؟ قال : بعل : صنم كانوا يعبدون ، كانوا بعلك ، وهم وراء دمشق ، وكان بها البعل الذي كانوا يعبدون .

وقال آخرون : كان بَعْلٌ : امرأة كانوا يعبدونها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سمعت بعض أهل العلم يقول : ما كان بَعْلٌ إلا امرأة يعبدونها من دون الله ،

وللبَعْل في كلام العرب أوجه : يقولون لرب الشيء هو بَعْلُهُ ، يقال : هذا بَعْلُ هذه الدار ، يعني ربُّها ، ويقولون لزوج المرأة بعلها ، ويقولون لما كان من الغروس والزرورع مستغنيا بماء السماء ، ولم يكن سقيا بل هو بعل ، وهو العَدْي . وذكر أن الله بعث إلى بني إسرائيل إلیاس بعد مهلك حزقيل بن يوزا .

وكان من قصته وقصة قومه فيما بلغنا ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،

عن وهب بن منبه ، قال : إن الله قبض حزقيل ، وعظمت في بني إسرائيل الأحداث ، ونسوا ما كان من

عهد الله إليهم ، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله ، فبعث الله إليهم إلیاس بن ياسين بن فنحاص بن

العيزار بن هارون بن عمران نبيا . وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يُبْعَثُونَ إليهم بتجديد ما نسوا

من التوراة ، فكان إيلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل ، يقال له : أحاب ، كان اسم امرأته : أربيل ، وكان يسمع منه ويصدقّه ، وكان إيلياس يقيم له أمره ، وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه من دون الله يقال له بعل .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت بعض أهل العلم يقول : « ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله ، يقول الله لمحمد : (وَإِنَّ إِيْلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ . أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) فجعل إيلياس يدعوهم إلى الله ، وجعلوا لا يسمعون منه شيئا إلا ما كان من ذلك الملك ، والملوك متفرقة بالشام ، كل ملك له ناحية منها يأكلها ، فقال ذلك الملك الذي كان إيلياس معه يقوم له أمره ، ويراه على هدى من بين أصحابه يوما يا إيلياس ، والله ما أرى ماتدعو إليه إلا باطلا ، والله ما أرى فلانا وفلانا ، يعدد ملوكا من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله - إلا على مثل ما نحن عليه ، يأكلون ويشربون وينعمون مملكين ، ما ينقص دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل ، وما نرى لنا عليهم من فضل ، فيزعمون - والله أعلم - أن إيلياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده ، ثم رفضه وخرج عنه ، ففعل ذلك الملك فعل أصحابه : عبد الأوثان ، وصنع ما يصنعون ، فقال إيلياس : اللهم إن بني إسرائيل قد أبتوا إلا أن يكفروا بك والعبادة لغيرك ، فغسيّر ما بهم من نعمتك » أو كما قال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : فذكر لي أنه أوحى إليه : إنا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك حتى تكون أنت الذي تأذن في ذلك ، فقال إيلياس : اللهم فأمسك عليهم المطر ، فحبس عنهم ثلاث سنين ، حتى هلكت الماشية والهوام والدواب والشجر ، وجهد الناس جهدا شديدا . وكان إيلياس فيما يذكرون حين دعا بذلك على بني إسرائيل قد استخفى ، شققا على نفسه منهم ، وكان حينما كان وضع له رزق ، وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في دار أو بيت ، قالوا : لقد دخل إيلياس هذا المكان فطلبوه ، ولقي منهم أهل ذلك المنزل شرا . ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له اليسع ابن أخطوب به ضر ، فأوته وأخفت أمره ، فدعا إيلياس لابنها ، فعوفى من الضر الذي كان به ، واتبع اليسع إيلياس ، فأمن به وصدقّه ولزمه ، فكان يذهب معه حينما ذهب . وكان إيلياس قد أسنّ وكبر ، وكان اليسع غلاما شابا ، فيزعمون - والله أعلم - أن الله أوحى إلى إيلياس إنك قد أهلكك كثيرا من الخلق ممن لم يعص سوى بني إسرائيل من البهائم والدواب والطيور والهوام والشجر ، بحبس المطر عن بني إسرائيل ، فيزعمون والله أعلم أن إيلياس قال : أي رب دعني أنا الذي أدعو لهم وأكون أنا الذي آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم ، لعلهم أن يرجعوا ويتزعموا عما هم عليه من عبادة غيرك ، قيل له : نعم ؛ فجاء إيلياس إلى بني إسرائيل فقال لهم : إنكم قد هلكتم جهدا ، وهلكت البهائم والدواب والطيور والهوام والشجر ، بخطاياكم ، وإنكم على باطل وغرور ، أو كما قال لهم ، فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك ، وتعلموا أن الله عليكم ماخط فيما أنتم عليه ، وأن الذي أدعوكم إليه الحق ، فاخرجوا بأصنامكم هذه التي تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه ، فإن استجابت لكم ، فذلك كما تقولون ، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل ،

فزعهم ، ودعوت الله ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء ، قالوا : أنصفت ، فخرجوا بأوثانهم ، وما يتقربون به إلى الله من إحدائهم الذي لا يرضى ، فدعوها فلم تستجيب لهم ، ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء حتى عرفوا ما هم فيه من الضلالة والباطل ، ثم قالوا لإلياس : يا إلياس إنا قد هلكنا فادع الله لنا ، فدعا لهم إلياس بالفرج مما هم فيه ، وأن يسقوا ، فخرجت سحابة مثل الترس بإذن الله على ظهر البحر وهم ينظرون ، ثم ترمى إليه السحاب ، ثم أدحست ثم أرسل المطر ، فأغاثهم ، فحييت بلادهم ، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، فلم ينزعوا ولم يرجعوا ، وأقاموا على أخبت ما كانوا عليه ؛ فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم ، دعا ربه أن يقبضه إليه ، فريجه منهم ، فقبل له فيما يزعمون : انظر يوم كذا وكذا ، فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا ، فإذا جاءوك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج إلياس وخرج معه اليسع بن أخطوب ، حتى إذا كان في البلد الذي ذكر له في المكان الذي أمر به ، أقبل إليه فرس من نار حتى وقف بين يديه ، فوثب عليه ، فانطلق به ، فناداه اليسع : يا إلياس يا إلياس ما تأمرني ؟ فكان آخر عهدهم به ، فكساه الله الريش ، وألبسه النور ، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، وطار في الملائكة ، فكان إنسيا ملكيا أرضيا سماويا .

واختلفت القراء في قراءة قوله : (اللهُ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) فقرأته عامة قراء مكة والمدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (اللهُ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) رفعا على الاستئناف ، وأن الخبر قد تنهى عند قوله (أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة : (اللهُ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) نصبا ، على الرد على قوله (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) على أن ذلك كله كلام واحد .

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، مع استفاضة القراءة بهما في القراء ، فبأى ذلك قرأ القارى فصيب . وتأويل الكلام : ذلك معبودكم أيها الناس الذي يستحق عليكم العبادة : ربكم الذي خلقكم ، ورب آبائكم الماضين قبلكم ، لا الصنم الذي لا يخلق شيئا ، ولا يضر ولا ينفع .

وقوله (فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) يقول : فكذب إلياس قومه ، فإنهم لمحضرون : يقول : فإنهم لمحضرون في عذاب الله فيشهدونه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) في عذاب الله (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) يقول : فإنهم يحضرون في عذاب الله ، إلا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب (وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) يقول : وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين من الأئمة بعده .

القول في تأويل قوله تعالى :

سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٢٥﴾ إِنَّكَ ذَا الْجَنَّةِ الْبَارِئِ ﴿١٢٦﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : أمنة من الله لآل ياسين .

واختلفت القراء في قراءة قوله (سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) فقرأته عامة قراء مكة والبصرة والكوفة : (سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) بكسر الألف من إياسين ، فكان بعضهم يقول : هو اسم إياس ، ويقول : إنه

كان يُسمى باسمين: إلياس ، وإلياسين مثل إبراهيم ، وإبراهيم ؛ يُستشهد على ذلك أن ذلك كذلك بأن جميع ما في السورة من قوله (سلام) فإنه سلام على النبي الذي ذكر دون آله ، فكذلك إلياسين ، إنما هو سلام على إلياس دون آله . وكان بعض أهل العربية يقول : إلياس : اسم من أسماء العبرانية ، كقولهم : إسماعيل وإسحاق ، والألف واللام منه ، ويقول : لو جعلته عربيا من الإلس ، فتجعله إفعالا ، مثل الإخراج ، والإدخال أُجْرِي ؛ ويقول : قال سلام على إلياسين ، فتجعله بالنون ، والعجمي من الأسماء قد تفعل به هذا العرب ، تقول : ميكال وميكائيل وميكائين ، وهي في بني أسد تقول : هذا إسماعين قد جاء ، وسائر العرب باللام ؛ قال : وأنشدني بعض بني نُمير لضب صاده :

يَقُولُ رَبُّ السُّوقِ لَمَّا جِينَا هَذَا وَرَبَّ الْبَيْتِ إِسْرَائِينَا

قال : فهذا كقوله : إلياسين ؛ قال : وإن شئت ذهبت بإلياسين إلى أن تجعله جمعا ، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه ، كما تقول لقوم رئيسهم المهلب : قد جاءتكم المهالبة والمهلبون ، فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف ، والسعدين بالتخفيف وشبهه ، قال الشاعر :

أَنَا ابْنُ سَعْدٍ سَيِّدِ السَّعْدِيْنَ

قال : وهو في الاثنتين أن يضم أحدهما إلى صاحبه إذا كان أشهر منه اسما كقول الشاعر :

جَزَانِي الزَّهْدَمَانِ جَزَاءَ سَوْءٍ وَكُنْتُ الْمَرْءَ يُجْزَى بِالْكَرَامَةِ ٣

(١) هذان البيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ٢٧٤) قال : وقوله : « وإن إلياس لمن المرسلين » : ذكر أنه نبي ، وأن هذا الاسم اسم من أسماء العبرانية ، كقولهم : إسماعيل وإسحاق ، والألف واللام منه . ولو جعلته عربيا من الألس فتجعل إفعالا ، مثل الإخراج والإدخال ، بحري (أى صرف) . ثم قال : « سلام على إلياسين » ، فجعله بالنون ، والعجمي من الأسماء قد يفعل به هذا العرب ، تقول : ميكال وميكائيل وميكائين ، بالنون ، وهي في بني أسد ؛ يقولون : هذا إسماعين قد جاء ، بالنون ، وسائر العرب باللام . قال : وأنشدني بعض بني نُمير ، لضب صاده بعضهم : « يقول أهل السوق . . . البيت . فهذا وجه لقوله « إلياسين » في (مجاز القرآن : مصورة الجامعة الورقة ٢١٠ - ١) قال أبو عبيدة : « سلام على إلياسين » : أى سلام على إلياس وأهله ، وعلى أهل دينه جميعهم ، بغير إضافة الياء على العدد . قال الشاعر : « قدنى من نصير الحبيبين قدنى » فجعل عبد الله بن الزبير أبا خبيب « مصفرا » ومن كان على رأيه عددا ولم يضمهما بالياء (أى لم ينسبهم إليه بياء النسب) فيقول خبيبيون وقال أبو عمرو بن العلاء . نادى مناد يوم الكلاب فقال : هلك اليزيدون . يعنى يزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن هوبر ، ويزيد بن مخزومة الحارثيون . ويقال : جاءك الحارثون والأشعرون .

(٢) وهذا أيضا من شواهد الفراء في معاني القرآن ، جاء بعد الشاهد الذي قبله . قال الفراء بعد كلامه السابق في أن إلياسين لغة في إلياس عند بني أسد : وإن شئت ذهبت « بإلياسين » إلى أن تجعله جمعا ، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه ، كما تقول للقوم رئيسهم المهلب : قد جاءتكم المهالبة والمهلبون ، فيكون بمنزلة قوله : الأشعرين والسعدين وشبهه . قال الشاعر : « أنا ابن سعد . . . البيت . وهذا يشبه كلام أبي عبيدة في مجاز القرآن ، وقد نقلناه في آخر الشاهد السابق على هذا .

(٣) هذا الشاهد الثالث على قراءة قوله تعالى « سلام على إلياسين » . نقله الثمراء وأبو عبيدة في كتابيهما . قال الفراء بعد كلامه السابق : وهو في الاثنتين أكثر أن يضم أحدهما إلى صاحبه ، إذا كان أشهر منه اسما ، كقول الشاعر : « جزاني الزهدمان . . . البيت » . واسم أحدهما زهدم . وقال أبو عبيدة : وكذلك يقال في الاثنتين . وأنشد البيت ، ونسبه إلى قيس بن زهير . ثم قال بعده : وإنما هو زهدم وكردم العبيسان : أخوان . وقيل لعلى بن أبي طالب : نسألك سنة العمرين : يعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما . ثم ذكر أبو عبيدة بعد ذلك وجهها آخر فقال : إن أهل المدينة يقولون : « سلام على آل ياسن » أى على أهل ياسين . فقال سعد بن أبي وقاص وأبو عمرو وأهل الشام : هم قومه ومن كان معه على دينه . وقالت الشيمة : آل محمد : أهل بيته . واحتجوا بأنك تصغر الآل ، فتجعله أهيلا . اهـ . وذكر بعد كلامه السابق في الموضوع وجهها آخر فقال : وقد قرأ بعضهم : « وإن إلياس » يجعل اسمه « ياسا » أدخل عليه الألف واللام . ثم يقرءون : « سلام على آل ياسين » . جاء التفسير في التفسير الكلبي : على آل ياسين : على آل محمد صلى الله عليه وسلم =

واسم أحدهما : زهدم ؛ وقال الآخر :

جَزَى اللهُ فِيهَا الْأَعْوَرَيْنِ ذِمَامَةً وَقَرُوءَ ثَفَرَةَ الثَّوْرَةِ الْمُتَضَاجِمِ ١

واسم أحدهما أعور .

وقرأ ذلك عامة قرآء المدينة (سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ) بقطع آل من ياسين ، فكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى : سلام على آل محمد . وذكر عن بعض القرآء أنه كان يقرأ قوله (وَإِنَّ الْيَاسَ) بترك الهمز في إلياس ويجعل الألف واللام داخلتين على « ياس » للتعريف ، ويقول : إنما كان اسمه « ياس » أدخلت عليه ألف ولام ثم يقرأ على ذلك (سلام على الياسين) .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه (سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ) بكسر ألفها على مثال إدراسين ، لأن الله تعالى ذكره إنما أخبر عن كل موضع ذكر فيه نبيا من أنبيائه صلوات الله عليهم في هذه السورة بأن عليه سلاما لا على آله ، فكذلك السلام في هذا الموضع ينبغي أن يكون على إلياس كسلامه على غيره من أنبيائه ، لا على آله ، على نحو ما بيننا من معنى ذلك .

فإن ظنَّ ظانٌّ أن إلياسين غير إلياس ، فإن فيما حكينا من احتجاج من احتج بأن إلياسين هو إلياس

غنى عن الزيادة فيه .

مع أن فيما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ) قال : إلياس . وفي قراءة عبد الله بن مسعود : (سَلَامٌ عَلَى إِدْرَاسِينَ) دلالة واضحة على خطأ قول من قال : عنى بذلك سلام على آل محمد ، وفساد قراءة من قرأ (وَإِنَّ الْيَاسَ) بوصل النون من « إن » بالياس ، وتوجيه الألف واللام فيه إلى أنهما أدخلتا تعريفا للاسم الذي هو ياس ، وذلك أن عبد الله كان يقول : إلياس هو إدريس ، ويقرأ (وَإِنَّ إِدْرِيْسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) ، ثم يقرأ على ذلك (سَلَامٌ عَلَى إِدْرَاسِينَ) ، كما قرأ الآخرون (سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ) ، فلا وجه على ما ذكرنا من قراءة عبد الله لقراءة من قرأ ذلك : (سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ) بقطع الآل من ياسين ، ونظير تسمية إلياس بالياسين . (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ) ، ثم قال في موضع آخر (وَطُورِ سَيْنِينَ) وهو موضع واحد سمي بذلك .

وقوله (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : إنا هكذا نجزي أهل طاعتنا والمحسنين أعمالا . وقوله (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) يقول : إن إلياس عبد من عبادنا الذين آمنوا ، فوحدونا ، وأطاعونا ، ولم يشركوا بنا شيئا .

= والأول أشبه بالصواب والله أعلم ، لأن في قراءة عبد الله (يعنى ابن مسعود) : « وَإِنَّ إِدْرِيْسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ » « سلام على إدراسين » . وقد يشهد على صواب هذا قوله : « وشجرة تخرج من طور سيناء » . ثم قال في موضع آخر : « وطور سينين » . وهو معنى واحد . والله أعلم .

(١) هذا هو الشاهد الرابع في الموضوع نفسه ، أنشده الفراء في معاني القرآن بعد سابقه . وأنشده صاحب اللسان في نجم ، ونسبه إلى الأخطل ، وروايته فيه « ملامة » في موضع « ذمامة » . وقال : الضمجم : العوج في الأنف ، يميل إلى أحد شقيه . والمتضاجم : المعوج الفم قال الأخطل : « جزى الله . . . البيت » . وفروة : اسم رجل . اهـ . وموضع الشاهد فيه قوله « الأعورين » كالأذى قبله تماما .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٦﴾

يقول تعالى ذكره : وإن لوطا المرسل من المرسلين (إذ نجَّيناهُ وأهلهُ أجمعين) يقول : إذ نجَّينا لوطا وأهله أجمعين من العذاب الذي أحلناه بقومه ، فأهلكناهم به (إلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ) يقول : إلاَّ عجوزا في الباقيين ، وهي امرأة لوط ، وقد ذكرنا خبرها فيما مضى ، واختلاف المختلفين في معنى قوله (في الغابرين) ، والصواب من القول في ذلك عندنا .

وقد حدثت عن المسدِّب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاک (إلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ) يقول : إلاَّ امرأته تخلَّفت فمسخت حجرا ، وكانت تسمى هيشع^١ : حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (إلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ) قال : الهالكين .

وقوله (ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخِرِينَ) يقول : ثم قذفناهم بالحجارة من فوقهم ، فأهلكناهم بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

يقول تعالى ذكره لمشركي قريش : وإنكم لتمرُّون على قوم لوط الذين دمَّرناهم عند إصباحكم نهارا وبالليل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ) قالوا : نعم والله صباحا ومساء يطئونها وطنئا ، من أخذ من المدينة إلى الشام ، أخذ على سدوم قرية قوم لوط .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله (لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ) قال : في أسفاركم .

وقوله (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يقول : أفليس لكم عقول تدبرون بها وتفكرون ، فتعلمون أن من سلك من عباد الله في الكفر به ، وتكذيب رسله ، مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط ، نازل بهم من عقوبة الله ، مثل الذي نزل بهم على كفرهم بالله ، وتكذيب رسوله ، فيزجركم ذلك عما أنتم عليه من الشرك بالله ، وتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) قال : أفلا تفكرون ما أصابهم في معاصي الله أن يصيبكم ما أصابهم ، قال : وذلك المرور أن يمر عليهم .

(١) في عرائس المجالس للشعالبي ، طبعة الحلبي ١٠٦ : وكانت تسمى هلسع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الرُّسُلِينَ ﴿١٢٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٠﴾ فَسَاهَمَ ﴿١٣١﴾ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٣٢﴾
﴿١٣١﴾ قَالَتْقَمَّهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٣٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وإن يونس لمرسل من المرسلين إلى أقوامهم (إذ أبق إلى الفلك المشحون) يقول حين فر إلى الفلك ، وهو السفينة ، المشحون : وهو المملوء من الحمولة الموقر . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إلى الفلك المشحون) كنا نحدث أنه الموقر من الفلك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (الفلك المشحون) قال : الموقر . وقوله (فساهم) يقول : فقارع . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فساهم) يقول : أقرع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فساهم فكان من المدحضين) قال : فاحتبست السفينة ، فعلم القوم أنما احتبست من حدث أحدثوه ، فساهموا ، فقارع يونس ، فرمى بنفسه ، فالتقمه الحوت .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (فساهم) قال : قارع . وقوله (فكان من المدحضين) يعني : فكان من المسهومين المغلوبين ، يقال منه : أدحض الله حجة فلان فدحضت : أي أبطلها فبطلت ، والدحض : أصله الزلق في الماء والطين ، وقد ذكر عنهم : دحض الله حجته ، وهي قليلة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فكان من المدحضين) يقول : من المقروعين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (من المدحضين) قال : من المسهومين . حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (فكان من المدحضين) قال : من المقروعين .

وقوله (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) يقول: فابتلعه الحوت ، وهو افتعل من اللقَم . وقوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) يقول : وهو مكتسب اللوم ، يقال : قد ألام الرجل ؛ إذا أتى ما يُلام عليه من الأمر وإن لم يُلَم ، كما يقال : أصبحت مُحمقا مُعطشا : أى عندك الحمق والعطش ؛ ومنه قول لبيد :

سَفَّهَا عَدَلْتِ وَوَلَمْتِ غَيْرَ مُلِيمٍ وَهَذَاكَ قَبْلَ الْيَوْمِ غَيْرُ حَكِيمٍ ١

فأما الملوم فهو الذى يُلام باللسان ، ويعذل بالقول .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) قال : مذنب .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُوَ مُلِيمٌ) : أى فى صنعه .
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَهُوَ مُلِيمٌ) قال : وهو مذنب ، قال : والمليم : المذنب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَذَرْنَا بِالْحَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾

* يقول تعالى ذكره : (فَلَوْلَا أَنَّهُ) يعنى يونس (كَانَ مِنَ) الْمُصَلِّينَ لله قبل البلاء الذى ابتلى به من العقوبة بالحبس فى بطن الحوت (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) يقول : لبيتى فى بطن الحوت إلى يوم القيامة ، يوم يبعث الله فيه خلقه محبوسا ، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء ، فذكره الله فى حال البلاء ، فأنقذه ونجّاه .

وقد اختلف أهل التأويل فى وقت تسبيح يونس الذى ذكره الله به ، فقال (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) فقال بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك ، وقالوا مثل قولنا فى معنى قوله (مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) كان كثير الصلاة فى الرخاء ، فنجّاه الله بذلك ؛ قال : وقد كان يقال فى الحكمة : إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عسّر ، فإذا صرّع وجد متكئا .

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامرى . استشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢١١ - ١) قال فى قوله تعالى « وهو سليم » يقول العرب : ألام فلان فى أمره : وذلك إذا أتى أمرا يلام عليه . وقال لبيد : « سفها .. البيت » . هـ . واستشهد به فى (اللسان : لوم) على مثل ما استشهد به أبو عبيدة . وقال : لام فلان غير مليم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيْسِيَه ، عن بعض أصحابه ، عن قتادة ، في قوله (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : كان طويل الصلاة في الرخاء ؛ قال : وإن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر ، وإذا صرع وجد متكئا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا أبو صخر ، أن يزيد الرقاشي ، حدثه ، قال : سمعت أنس بن مالك ، قال : ولا أعلم إلا أن أنسا يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « أن يونس النبي حين بدأ له أن يدعو الله بالكلمات حين ناداه وهو في بطن الحوت ، فقال : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فأقبلت الدعوة تحت العرش ، فقالت الملائكة : يا رب هذا صوت ضعيف معروف في بلاد غريبة ، قال : أما تعرفون ذلك ؟ قالوا : يا رب ومن هو ؟ قال : ذلك عبدي يونس ، قالوا : عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة ، قالوا : يا رب أو لا يرحم بما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ قال : بلى ، فأمر الحوت فطرحه بالعراء . »

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : من المصلين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : من المصلين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : كان له عمل صالح فيما خلا .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : المصلين .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر ، قال : ثنا ميمون بن مهران قال : سمعت الضحاک بن قيس يقول على منبره : اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة ، إن يونس كان عبداً لله ذا كرا ، فلما أصابته الشدة دعا الله فقال الله : (لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) فذكره الله بما كان منه ، وكان فرعون طاغيا باغيا (فلما أدركه الغرق قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) قال الضحاک : فاذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة .

قال أبو جعفر : وقيل : إنما أحدث الصلاة التي أخبر الله عنه بها ، فقال : (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) في بطن الحوت .

وقال بعضهم : كان ذلك تسييحا ، لاصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا عمران القطان ، قال : سمعت الحسن يقول في قوله (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال : فوالله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت ؛ قال عمران : فذكرت ذلك لقتادة ، فأنكر ذلك وقال : كان والله يكثر الصلاة في الرخاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير : (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ) قال : قال (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) فلما قالها ، قذفه الحوت ، وهو مغرب .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَلَّبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) : لصار له بطن الحوت قبراً إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : لبث يونس في بطن الحوت أربعين يوماً .

وقوله (فَتَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) يقول : فقدفناه بالفضاء من الأرض ، حيث لا يواريه شيء من شجر ولا غيره ؛ ومنه قول الشاعر :

وَرَفَعْتُ رَجُلًا لَا أَخَافُ عِثَارَهَا وَنَبَذْتُ بِالْبَلَدِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي ١

يعنى بالبلد : الفضاء .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَتَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) يقول : ألقيناه بالساحل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَتَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) بأرض ليس فيها شيء ولا نبات .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (بِالْعَرَاءِ) قال : بالأرض .

وقوله (وَهُوَ سَقِيمٌ) يقول : وهو كالصبي المنفوس : لحم فيء .

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ، الورقة ٢١١ - ب) . قال في قوله تعالى : « فنبذناه بالعراء » : تقول العرب : « نبذته بالعراء » : أي الأرض الفضاء . قال الخزازي : « ورفعت رجلا . . . الخ البيت » . العراء : لا شيء يواريه من شجر ولا من غيره اه . وأنشده صاحب (اللسان : عرا) ولم ينسبه . قال : وقال أبو عبيدة إنما قيل له عراء ، لأنه لا شجر فيه ، ولا شيء ينطيه . وقيل : إن العراء وجه الأرض الخالي وأنشد : « ورفعت رجلا . . . البيت » . ونقل بعد ذلك كلام الزجاج في معنى العراء ، فراجعه ثمة .

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَهُوَ سَقِيمٌ) كهيئة الصبي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : خرج به ، يعني الحوت حتى لفظه في ساحل البحر ، فطرحة مثل الصبي المنفوس ، لم ينقص من خلقه شيء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ما لفظه الحوت حتى صار مثل الصبي المنفوس ، قد نشر اللحم والعظم ، فصار مثل الصبي المنفوس ، فألقاه في موضع ، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين .

وقوله (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِينٍ) يقول تعالى ذكره : وأنبتنا على يونس شجرة من الشجر التي لا تقوم على ساق ، وكل شجرة لا تقوم على ساق كالدُّبَّاء والبَطِيخ والحَنْظَل ونحو ذلك ، فهي عند العرب يَّقْطِين .

واختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِينٍ) قال : هو كل شيء ينبت على وجه الأرض ليس له ساق . حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الأصمغ بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِينٍ) قال : كل شيء ينبت ثم يموت من عامه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : (شَجَرَةٌ مِّنْ يَّقْطِينٍ) فقالوا عنده : القرع ؛ قال : وما يجعله أحق من البطيخ . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (شَجَرَةٌ مِّنْ يَّقْطِينٍ) قال : غير ذات أصل من الدُّبَّاء ، أو غيره من نحوه . وقال آخرون : هو القرع .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِينٍ) قال : القرع .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، أنه قال في هذه الآية (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقْطِينٍ) قال : القرع .

حدثني مطر بن محمد الضبيّ ، قال : ثنا عبد الله بن داود الواسطي ، قال : ثنا شريك ، عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي ، في قوله (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : القرع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) كُنَّا نَحَدِّثُ أَنَّهَا الدُّبَّاءُ ، هذا القرع الذي رأيتُم أنبتَها الله عليه يأكل منها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا أبو صخر ، قال : ثنا ابن قسيط ، أنه سمع أبا هريرة يقول : « طرح بالعراء ، فأبت الله عليه يقطينة ، فقلنا : يا أبا هريرة وما اليقطينة ؟ قال : الشجرة الدُّبَّاءُ ، هيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض أو هَشَّاش ، فنفشح عليه فرويه من لبنها كلَّ عشية وبكرة حتى نبت » . وقال ابن أبي الصلت قبل الإسلام في ذلك بيتا من شعر :

فَأَنْبَتَ يَقْطِينًا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ
مِنَ اللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ أَلْفِي ضَاحِيًا

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن مغيرة في قوله (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : القرع .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : القرع .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أنبت الله عليه شجرة من يقطين ؛ قال : فكان لا يتناول منها ورقة فيأخذها إلا أروته لبنا ، أو قال : شرب منها ماشاء حتى نبت .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : هو القرع ، والعرب تسميه الدُّبَّاءُ .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن ورقاء ، عن سعيد بن جبیر في قول الله (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : هو القرع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال : القرع .

وقال آخرون : كان اليقطين شجرة أظلمت يونس .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ثابت بن يزيد ، عن هلال بن خباب ، عن سعيد بن جبیر ، قال : اليقطين : شجرة سماها الله يقطينا أظلمته ، وليس بالقرع . قال : فيما ذكر أرسل الله عليه

(١) البيت لامية بن أبي الصلت كما قال المؤلف ، ولم أجده في شعراء النصرانية ولا في ترجمته في الأغاني . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢١١ - ب) : في قوله تعالى « شجرة من يقطين » : كل شجرة لا تقوم على ساق فهي يقطين ، مثل الدباء والحنظل والبطيخ . اه . وفي (اللسان : فطن) : قال الفراء قيل عند ابن عباس : هو ورق القرع . وما جعل القرع من بين الشجر يقطينا ؛ كل ورقة اتسمت وشتت فهي يقطين . قال الفراء : وقال مجاهد : كل شيء ذهب بسطا في الأرض : يقطين . ونحو ذلك قال الكلبي . قال : ومنه القرع ، والبطيخ ، والقشور . الشربان . وقال سعيد بن جبیر : كل شيء يذبت ثم يموت من عامه فهو يقطين . اه .

دابة الأرض ، فجعلت تقرض عروقها ، وجعل ورقها يتساقط حتى أفضت إليه الشمس وشكاها ، فقال : يا يونس جزعت من حر الشمس ، ولم تجزع لمئة ألف أو يزيدون تابوا إلى ، فتبت عليهم ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمَ أَلرَّبُّكَ
الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾

يقول تعالى ذكره : فأرسلنا يونس إلى مئة ألف من الناس ، أو يزيدون على مئة ألف . وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول : معنى قوله (أو) : بل يزيدون .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن الحكم بن عبد الله بن الأزور ، عن ابن عباس ، في قوله (وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون) قال : بل يزيدون ، كانوا مئة ألف وثلاثين ألفا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة ، في قوله (مئة ألف أو يزيدون) قال : يزيدون سبعين ألفا ، وقد كان العذاب أرسل عليهم ، فلما فرقوا بين النساء وأولادها ، والبهائم وأولادها ، وعجزوا إلى الله ، كشف عنهم العذاب ، وأمطرت السماء دما .

حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : سمعت زهيراً ، عن سمع أبا العالية ، قال : ثنا أبي بن كعب ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون) قال : يزيدون عشرون ألفا .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك : معناه إلى مئة ألف أو كانوا يزيدون عندكم ، يقول : كذلك كانوا عندكم .

وإنما عني بقوله (وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون) أنه أرسله إلى قومه الذين وعدهم العذاب ، فلما أظلم عليهم تابوا ، فكشف الله عنهم . وقيل : إنهم أهل نينوى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون) أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل ، قال : قال الحسن : بعثه الله قبل أن يصيبه ما أصابه (فآمنوا ، فمتتعهناهم إلى حين) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلى مئة ألف أو يزيدون) قال : قوم يونس الذين أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت .

وقيل : إن يونس أُرسِل إلى أهل نِينَوَى بعد ما نبذه الحوت بالعراء .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : سمعت أبا هلال محمد بن سليمان ، قال : ثنا شهر بن حوشب ، قال : « أتاه جبرائيل ، يعني يونس ، وقال انطلق إلى أهل نِينَوَى فأنذرهم أن العذاب قد حضرهم ، قال : ألتمس دابة ، قال : الأمر أعجل من ذلك ، قال : ألتمس حذاء ، قال : الأمر أعجل من ذلك ، قال فغضب فانطلق إلى السفينة فركب ؛ فلما ركب احتبست السفينة لا تُقدّم ولا تُؤخر ؛ قال : فتساهبوا ، قال : فسهم ، فجاء الحوت يبصص بذنبه ، فنودي الحوت : أيا حوت إنا لم نجعل يونس لك رزقا ، إنما جعلناك له حوزا ومسجدا ؛ قال : فالتقمه الحوت ، فانطلق به من ذلك المكان حتى مرّ به على الأيئلة ، ثم انطلق به حتى مرّ به على دجلة ، ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوى . »

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا شهر بن حوشب ، عن ابن عباس قال : إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت .

وقوله (فَآمَنُوا) يقول : فوحدوا الله الذي أرسل إليهم يونس ، وصدّقوا بحقيقة ما جاءهم به يونس من عند الله

وقوله (فَتَتَعَنَّاهُمْ إِلَى حِينٍ) يقول : فأخرنا عنهم العذاب ، وامتعناهم إلى حين بحياتهم إلى بلوغ آجالهم من الموت .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَتَتَعَنَّاهُمْ إِلَى حِينٍ) : الموت .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله : (فَتَتَعَنَّاهُمْ إِلَى حِينٍ) قال : الموت .

وقوله (فَاسْتَفْتِهِمْ) يقول تعالى ذكره انبييّه محمد صلى الله عليه وسلم : سل يا محمد مشركي قومك من قريش .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) : يعني مشركي قريش .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) قال : سلهم ، وقرأ (وَيَسْتَفْتُونَكَ) قال : يسألونك .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَاسْتَفْتِهِمْ) يقول : يا محمد سلهم . وقوله (أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) : ذكر أن مشركي قريش كانوا يقولون : الملائكة بنات الله ، وكانوا يعبدونها . فقال الله لبييّه محمد عليه الصلاة والسلام : سلهم ، وقل لهم : أَلِرَبِّ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، (أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) ؟ لأنهم قالوا : يعنى مشركى قريش : لله البنات ، ولهم البنون .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله : (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) قال : كانوا يعبدون الملائكة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾

يعنى تعالى ذكره : أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين : الملائكة بنات الله خلقى الملائكة وأنا خلقهم إناثا ، فشهدوا هذه الشهادة ، ووصفوا الملائكة بأنها إناث .
وقوله (أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ) يقول تعالى ذكره : ألا إن هؤلاء المشركين من كذبهم (لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى قلوبهم ذلك .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ) يقول : من كذبهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٢﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٣﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٤﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٥﴾ فَاتُوا بِكِنَايِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٦﴾

يقول تعالى ذكره موبخا هؤلاء القائلين لله البنات من مشركى قريش (أَصْطَفَى) الله أيها القوم (الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) ، والعرب إذا وجهوا الاستفهام إلى التوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحيانا وطرحوها أحيانا ، كما قيل : (أَذْهَبْتُمْ) بالقصر (طَيِّبَاتِكُمْ) فى حَيَاتِكُمْ (الدُّنْيَا) يستفهم بها ، ولا يُستفهم بها ، والمعنى فى الحالى واحد ، وإذا لم يستفهم فى قوله (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ) ذهب ألف اصطفى فى الوصل ، ويبتدأ بها بالكسر ، وإذا استفهم فُتحت وقطعت .

وقد ذكر عن بعض أهل المدينة أنه قرأ ذلك بترك الاستفهام والوصل . فأما قرأ الكوفة والبصرة ، فإنهم فى ذلك على قراءته بالاستفهام ، وفتح ألفه فى الأحوال كلها ، وهى القراءة التى نختار لإجماع الحجة من القراء عليها .

وقوله (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) يقول: بئس الحكم تحكون أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون ، وأنتم لاترضون البنات لأنفسكم ، فتجعلون له مالاترضونه لأنفسكم ؟
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) يقول : كيف يجعل لكم البنين ولنفسه البنات ، مالكم كيف تحكون ؟
وقوله (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) يقول : أفلا تتدبرون ما تقولون ؟ فتعرفوا خطأ فتنهوا عن قبله .
وقوله (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ) يقول : ألكم حجة تبين صحتها لمن سمعها بحقيقة ماتقولون .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ) : أى عذر مبين .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (سُلْطَانٌ مُّبِينٌ) قال حجة .
وقوله (فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ) يقول : فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله بأن الذى تقولون من أن له البنات ولكم البنين كما تقولون .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ) : أى بعذرکم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ) أن هذا كذا بأن له البنات ولكم البنون .
وقوله (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يقول : إن كنتم صادقين أن لكم بذلك حجة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمْنَا لِيُحْضِرُونَ سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ
الْأَعْبَادَ لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ

يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الجنة نسا .
واختلف أهل التأويل فى معنى النسب الذى أخبر الله عنهم أنهم جعلوه لله تعالى ، فقال بعضهم : هو أنهم قالوا أعداء الله : إن الله وإبليس أخوان .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا) قال : زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى وإبليس أخوان . وقال آخرون : هو أنهم قالوا : الملائكة بنات الله ، وقالوا : الجنة : هي الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا) قال : قال كفار قريش : الملائكة بنات الله ، فسأل أبو بكر : ممن أمهاتهن ؟ فقالوا : بنات سرورات الجن ، يحسبون أنهم خلقيوا مما خلق منه إبليس .

حدثنا عمرو بن يحيى بن عمران بن عفرة ، قال : ثنا عمرو بن سعيد الأبح ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، في قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا) قالت اليهود : إن الله تبارك وتعالى تزوج إلى الجن ، فخرج منهما الملائكة ، قال : سبحانه سبح نفسه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا) قال : الجنة : الملائكة ، قالوا : هن بنات الله .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا) : الملائكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا) قال : بين الله وبين الجنة نسبا افتروا .

وقوله (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : ولقد علمت الجنة إنهم لمُحْضَرُونَ الحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) أنها ستُحْضَرُ الحساب .

وقال آخرون : معناه : إن قائل هذا القول سيُحْضَرُونَ العذاب في النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) إن هؤلاء الذين قالوا هذا محضرون : لمُعْذَبُونَ .

﴿ وَأُولَى الْقَوْلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلٍ مِنْ قَالَ : إِنَّهُمْ لَمُخَضَّرُونَ الْعَذَابِ ، لِأَنَّ سَائِرَ آيَاتِ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا الْإِحْضَارَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ، إِنَّمَا عُنِيََ بِهِ الْإِحْضَارُ فِي الْعَذَابِ ، فَكَذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .
 وَقَوْلُهُ (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ تَنْزِيهَاً لِلَّهِ ، وَتَبَرُّةً لَهُ مِمَّا يُضِيفُ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِهِ ، وَيَفْتَرُونَ عَلَيْهِ ، وَيَصِفُونَهُ ، مِنْ أَنْ لَهُ بَنَاتٌ ، وَأَنْ لَهُ صَاحِبَةٌ .
 وَقَوْلُهُ (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) يَقُولُ : وَلَقَدْ عَلِمْتَ الْجَنَّةَ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ لَمُخَضَّرُونَ الْعَذَابِ ، إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الَّذِينَ أَخْلَصَهُمْ لِرَحْمَتِهِ ، وَخَلَقَهُمْ لِحَنَّتِهِ .
 الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

فَأَنْتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١١١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١١٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١١٤﴾

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : (فَأَنْتُمْ) أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ (وَمَا تَعْبُدُونَ) مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) يَقُولُ : مَا أَنْتُمْ عَلَى مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ بِفَاتِنِينَ : أَيُّ بِمُضِلِّينَ أَحَدًا (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) يَقُولُ : إِلَّا أَحَدًا سَبَقَ فِي عِلْمِي أَنَّهُ صَالٍ الْجَحِيمِ .
 وَقَدْ قِيلَ : إِنْ مَعْنَى (عَلَيْهِ) فِي قَوْلِهِ : (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) بِمَعْنَى بِهِ .
 وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي عَلِيُّ ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَأَنْتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) يَقُولُ : لَا تَتَضَلُّونَ أَنْتُمْ ، وَلَا أَضِلُّ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ قَدْ قَضَيْتَ أَنَّهُ صَالٍ الْجَحِيمِ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثنا أَبِي ، قَالَ : ثنا عُمَى ، قَالَ : ثنا أَبِي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) يَقُولُ : مَا أَنْتُمْ بِفَاتِنِينَ عَلَى أَوْثَانِكُمْ أَحَدًا ، إِلَّا مَنْ قَدْ سَبَقَ لَهُ أَنَّهُ صَالٍ الْجَحِيمِ .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا ابن عُلَيَّةَ ، عن خالد ، قَالَ : قلتُ للحسن ، قوله (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَصْطَلِيَ الْجَحِيمِ .

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ ، قَالَ : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، قَالَ : سألتُ الحسنَ ، عن قولِ اللَّهِ (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) قَالَ : مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِمُضِلِّينَ إِلَّا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ سَيَصْطَلِي الْجَحِيمِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عبد الرحمن ، قَالَ : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) : إِلَّا مَنْ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَصْطَلِي الْجَحِيمِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن العشرة الذين دخلوا على عمر بن عبد العزيز ، وكانوا متكلمين كلهم ، فتكلموا ، ثم إن عمر بن عبد العزيز تكلم بشيء ، فظننا أنه تكلم بتعني ، رد به ما كان في أيدينا ، فقال لنا : هل تعرفون تفسير هذه الآية (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) قال : إنكم والآلهة التي تعبدونها لستم بالذي تفتنون عليها إلا من قضيت عليه أنه يصلي الجحيم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) قال : ما أنتم بمضلين إلا من كتب عليه أنه يصلي الجحيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ) حتى بلغ (صَالٍ الْجَحِيمِ) يقول : ما أنتم بمضلين أحدا من عبادي بباطلكم هذا ، إلا من تولاكم بعمل النار .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدي (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) بمضلين (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) إلا من كتب الله أنه يصلي الجحيم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) يقول : لا تضلون بآلهتكم أحدا إلا من سبقت له الشقاوة ، ومن هو صال الجحيم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) يقول : لا تفتنون به أحدا ، ولا تضلونه ، إلا من قضى الله أنه صال الجحيم ، إلا من قد قضى أنه من أهل النار .

وقيل (بفاتينين) من فتنت أفن ، وذلك لغة أهل الحجاز ، وأما أهل نجد فإنهم يقولون : أفتنته فأنا أفتنته . وقد ذكر عن الحسن أنه قرأ (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) برفع اللام من « صال » ، فإن كان أراد بذلك الجمع كما قال الشاعر :

إِذَا مَا حَاتِمٌ وَجِدَ ابْنَ عَمِّي مَجْدَنَا مِنْ تَكَلَّمَ أَجْمَعِينَا

فقال : أجمعينا ، ولم يقل : تكلموا ، وكما يقال في الرجال : من هو إخوتك ، يذهب بهو إلى الاسم المجهول

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٧٥) ولم ينسبه . قال : وقد يكون أن تجعل « صالو » جمعا ، كما تقول : من الرجال من هو إخوتك . تذهب بهو إلى الاسم المجهول ، وتخرج فعله على الجمع ، كما قال الشاعر : « إذا ما حاتم . . . البيت » . ولم يقل تكلموا . وأجود ذلك في العربية ، إذا أخرجت الكناية ، أن تخرجها على المعنى والعدد ، لأنك تنوي تحقيق الاسم . اهـ . وفي فتح القدير للشوكاني (٤ : ٤٠٣) في تفسير قوله تعالى : « إلا من هو صال الجحيم » : قرأ الجمهور : « صال » بكسر اللام ، لأنه منقوص مضاف ، حذفت الياء لا لتقاء الساكنين ، وحمل على لفظ من ، وأفرد ، كما أفرد « هو » . وقرأ الحسن وابن أبي عمير بضم اللام ، مع واو بعدها ؛ وروى عنهما قرأ بضم اللام بدون واو . فأما مع الواو فعلى أنه جمع سلامة بالواو ، حملا على معنى « من » وحذف نون الجمع للإضافة . وأما بدون الواو ، فيحتمل أن يكون جمعا ، وإنما حذف الواو خطأ ، كما حذف لفظا . ويحتمل أن يكون مفردا ؛ وحقه على هذا كسر اللام . قال النحاس : وجماعة أهل التفسير يقولون : إنه لحن ، لأنه لا يجوز : هذا قاض المدينة . والمعنى أن الكفار وما يعبدونه ، لا يقدر على إضلال أحد من عباد الله ، إلا من هو من أهل النار . أي يدخلها . اهـ .

ويخرج فعله على الجمع ، فذلك وجه وإن كان غيره أفصح منه ، وإن كان أراد بذلك واحدا فهو عند أهل العربية لحن ، لأنه لحن عندهم أن يقال : هذا رامٌ وقاصٌ ، إلا أن يكون سماع في ذلك من العرب لغة مقلوبة ، مثل قولهم : شاكُ السلاح ، وشاكى السلاح ، وعاث وعثا وعاق وعقا ، فيكون لغة ، ولم أسمع أحدا يذكر سماع ذلك من العرب .

وقوله (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) وهذا خبر من الله عن قبيل الملائكة أنهم قالوا : وما منا معشر الملائكة إلا من له مقام في السماء معلوم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) قال : الملائكة .

حدثني يونس ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) قال الملائكة
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) هؤلاء الملائكة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) كان مسروق بن الأجدع يروي عن عائشة أنها قالت : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « ما في سماء الدنيا موضعٌ قَدَمٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ ساجدٌ أو قائمٌ » ، فذلك قول الملائكة : (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثني موسى بن إسحاق الحَبَيْثِيُّ المعروف بابن القوَّاس ، قال : ثنا يحيى بن عيسى الرملي ، عن الأعمش عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : « لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الدنيا ، لأفسدت على الناس معاشهم ، وإن ناركم هذه لتعود من نار جهنم » .

حدثنا موسى بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، قال : قال عبد الله بن مسعود : « إن ناركم هذه لما أنزلت ، ضُربت في البحر مرتين ففترت ، فلولا ذلك لم تنتفعوا بها » .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٣٧﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٣٨﴾ لَوَآءَنَّا عِنْدَ نَاذِرِكُمْ رَاغِبِينَ ﴿١٣٩﴾
لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٤٠﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيل ملائكته : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) لله لعبادته (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) له ، يعني بذلك المصلون له .

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال به أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن علي بن الحسن بن شفيق المرزوي ، قال : ثنا أبو معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد ابن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول قوله : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) كان مسروق بن الأجدع ، يروي عن عائشة أنها قالت : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « ما في السماء الدنيا موضعٌ قدَّم إلاَّ عليه مَلَكٌ ساجدٌ أو قائمٌ » ، فذلك قول الله (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : إن من السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدمه قائما ؛ قال : ثم قرأ : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله ، قال : إن من السموات سماء ما فيها موضع إلا فيه ملك ساجد ، أو قدماه قائم ، ثم قرأ : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا الجريري ، عن أبي نضرة ، قال : كان عمر إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه ، فقال : يا أيها الناس استووا ، إن الله إنما يريد بكم هدى الملائكة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) استووا ، تقدم أنت يا فلان ، تأخر أنت أي هذا ، فإذا استووا تقدم فكبر .

حدثني موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا الجريري سعيد بن إياس أبو مسعود ، قال : ثنا أبو نضرة ، كان عمر إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ، ثم قال : أقيموا صفوفكم واستووا فإنما يريد الله بكم هدى الملائكة ، يقول : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) ثم ذكر نحوه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبيه ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) قال : يعني الملائكة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) قال : الملائكة صافون تسبح لله عز وجل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) قال : الملائكة . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) قال : الملائكة .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) قال : صفوف في السماء (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) : أي المصلون ، هذا قول الملائكة يثنون بمكانهم من العبادة حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) قال : للصلاة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط عن السدي ، قال : وذكر السدي ، عن عبد الله ، قال : ما في السماء موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماء ، ساجدا أو قائما أو راكعا ، ثم قرأ هذه الآية (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) قال : الملائكة ، هذا كله لهم .

وقوله (وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّا عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأُولِينَ . لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : وكان هؤلاء المشركون من قريش يقولون قبل أن يبعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، (لَوْ أَنَّا عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأُولِينَ) يعني كتابا أنزل من السماء كالتوراة والإنجيل ، أو نبي آتانا مثل الذي أتى اليهود والنصارى (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ) الذين أخلصهم لعبادته ، واصطفاهم لجنته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّا عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأُولِينَ . لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) قال : قد قالت هذه الأمة ذلك قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم : لو كان عندنا ذكر من الأولين . لكننا عباد الله المخلصين ؛ فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به ، فسوف يعلمون .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله (ذِكْرًا مِّنَ الْأُولِينَ) قال : هؤلاء ناس من مشركي العرب قالوا : لو أن عندنا كتابا من كتب الأولين ، أو جاءنا علم من علم الأولين ؟ قال : قد جاءكم محمد بذلك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : رجع الحديث إلى الأولين أهل الشرك (وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّا عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأُولِينَ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (لَوْ أَنَّا عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأُولِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ) هذا قول مشركي أهل مكة ، فلما جاءهم ذكر الأولين وعلم الآخرين ، كفروا به فسوف يعلمون .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾

يقول تعالى ذكره : فلما جاءهم الذكر من عند الله كفروا به ، وذلك كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله من التنزيل والكتاب ، يقول الله : فسوف يعلمون إذا وردوا على ما ذا لهم من العذاب بكفرهم بذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ . لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) قال : لما جاء المشركين من أهل مكة ذكر الأولين وعلم الآخرين كفروا بالكتاب (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) يقول : قد جاءكم محمد بذلك ، فكفروا بالقرآن وبما جاء به محمد .

وقوله (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) يقول تعالى ذكره : ولقد سبق منا القول لرسولنا إنهم لهم المنصورون : أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب ، وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) حتى بلغ (كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) قال : سبق هذا من الله لهم أن ينصرهم . حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) يقول : بالحجج .

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك : ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين بالسعادة . وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا عَلَى عِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) فجعلت على مكان اللام ، فكان المعنى : حقت عليهم ولهم ، كما قيل : على ملك سليمان ، وفي ملك سليمان ، إذ كان معنى ذلك واحدا . وقوله (وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) يقول : وإن حزبنا وأهل ولايتنا لهم الغالبون ، يقول : لهم الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا ، والخلاف علينا :

القول في تأويل قوله تعالى :

فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ هَحِّيَّ حِينَ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرُهُمْ ﴿١٧٥﴾ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٦﴾ أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٧﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِخِهِمْ ﴿١٧٨﴾ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٩﴾

﴿ فَمَنْ يَعْرِضْ عَنْ حُرْمَاتِي﴾ يعني تعالى ذكره بقوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ) : فأعرض عنهم إلى حين .
واختلف أهل التأويل في هذا الحين ، فقال بعضهم : معناه إلى الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ) : أي إلى الموت .
وقال آخرون : إلى يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ) قال : حتى يوم بدر .
وقال آخرون : معنى ذلك : إلى يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ) قال : يوم القيامة .

وهذا القول الذي قاله السدي ، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن الله توعدهم بالعذاب الذي كانوا يستعجلونه ، فقال : (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ) ، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عليهم إلى مجيء حينه . فتأويل الكلام : فتولّ عنهم يا محمد إلى حين مجيء عذابنا ، ونزوله بهم .
وقوله (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) : وأنظرهم فسوف يرون ما يحلّ بهم من عقابنا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) حين لا ينفعهم البصر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) يقول : أنظرهم فسوف يبصرون ما لهم بعد اليوم ، قال : يقول : يبصرون يوم القيامة ماضياً من أمر الله ، وكفرهم بالله ورسوله وكتابه ، قال : فأبصرهم وأبصر ، واحد .

وقوله (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ) يقول : فنزل عذابنا بهم يستعجلونك يا محمد ، وذلك قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم (مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

وقوله (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) يقول : فإذا نزل بهؤلاء المشركين المستعجلين بعذاب الله العذاب .
العرب تقول : نزل بساحة فلان العذاب والعقوبة ، وذلك إذا نزل به ؛ والساحة : هي فناء دار الرجل ،

(فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ) يقول: فبئس صباح القوم الذين أنذرهم رسولنا نزول ذلك العذاب بهم فلم يصدقوا به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد قال ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) قال : بدارهم ، (فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ) قال : بئس ما يصبهون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٣٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٣٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٤٠﴾
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين ، وخلصهم وقربتهم على ربهم (حتى حين) يقول : إلى حين يأذن الله بهلاكهم (وأبصر فسوف يبصرون) يقول : وانظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا في حين لا تنفعهم التوبة ، وذلك عند نزول بأس الله بهم . وقوله (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) يقول تعالى ذكره تنزيها لربك يا محمد وتبرئة له . (رب العزة) يقول : رب القوة والبطش (عَمَّا يَصِفُونَ) يقول : عما يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركي قريش ، من قولهم ولد الله ، وقولهم : الملائكة بنات الله ، وغير ذلك من شركهم وفريتهم على ربهم كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) : أي عما يكذبون يسبح نفسه إذا قيل عليه السبوتان .

وقوله (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) يقول : وأمنة من الله للمرسلين الذين أرسلهم إلى أممهم الذين ذكروهم في هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر ، وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قبل الله تبارك وتعالى . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَمِنْ أَعْلَى الْمُرْسَلِينَ ، فَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ » (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول تعالى ذكره : والحمد لله رب الثقلين الجن والإنس ، خالصا دون ما سواه ، لأن كل نعمة لعباده فمنه ، فالحمد له خالص لاشريك له ، كما لا شريك له في نعمه عندهم ، بل كلها من قبلكه ، ومن عنده .

آخر تفسير سورة الصفات

(٣٨) سُبُوْرَةٌ صَنِ مَكِّيْبُرًا
وَأَنِيَّانَهَا بَشَارٌ وَثَنَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿٣٨﴾ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٣٩﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في معنى قول الله عز وجل (ص) ، فقال بعضهم : هو من المصاداة ، من صاديت فلانا ، وهو أمر من ذلك ، كأن معناه عندهم : صاد بعملك القرآن : أي عارضه به ، ومن قال هذا تأويله ، فإنه يقرؤه بكسر الدال ، لأنه أمر ، وكذلك روى عن الحسن .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن (ص) قال : حادث القرآن .

وحدثت عن علي بن عاصم ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، في قوله (ص) قال : عارض القرآن بعملك .

حدثت عن عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله (ص) والقرآن) قال : عارض القرآن ، قال عبد الوهاب : يقول عارضه على عملك ، فانظر أين عملك من القرآن .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن إسماعيل ، عن الحسن أنه كان يقرأ (ص) والقرآن) بخفض الدال ، وكان يجعلها من المصاداة ، يقول : عارض القرآن . وقال آخرون : هي حرف هجاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما (ص) فمن الحروف .

وقال آخرون : هو قسم أقسم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ص) قال : قسم أقسمه الله ، وهو من أسماء الله .

وقال آخرون : هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ص) قال : هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به .

وقال آخرون : معنى ذلك : صدق الله .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك في قوله (ص) قال : صدق الله .
واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار خلا عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر ،
بسكون الدال ، فأما عبد الله بن أبي إسحاق فإنه كان يكرسها لاجتماع الساكنين ، ويجعل ذلك بمنزلة الأداة ،
كقول العرب : تركته حاثِ باثِ ، وخازِ بازِ يخفضان من أجل أن الذي يلي آخر الحروف ألف فيخفضون
مع الألف ، وينصبون مع غيرها ، فيقولون حيث بيت ، ولأجعلنك في حيص بيص : إذا ضيق عليه
وأما عيسى بن عمر فكان يوفق بين جميع ما كان قبل آخر الحروف منه ألف ، وما كان قبل آخره ياء أو واو
يفتح جميع ذلك وينصبه ، فيقول : ص وق ون ويس ، فيجعل ذلك مثل الأداة كقولهم : ليت ، وأين
وما أشبه ذلك :

والصواب من القراءة في ذلك عندنا السكون في كل ذلك ، لأن ذلك القراءة التي جاءت بها قراء الأمصار
مستفيضة فيهم ، وأنها حروف هجاء لأسماء المسميات ، فيعربن إعراب الأسماء والأدوات والأصوات ،
فيسلك بهن مسالكهن ، فتأويلها إذ كانت كذلك تأويل نظائرها التي قد تقدم بياننا لها قبل فيما مضى .
وكان بعض أهل العربية يقول : (ص) في معناها كقولك : وجب والله ، نزل والله ، وحق والله ،
وهي جواب لقوله (والقرآن) كما تقول : حقا والله ، نزل والله .
وقوله (والقرآن ذي الذكر) وهذا قسم أقسمه الله تبارك وتعالى بهذا القرآن فقال (والقرآن
ذي الذكر)

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (ذي الذكر) فقال بعضهم : معناه : ذي الشرف .
ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا أبو أحمد ، عن قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد (ص) والقرآن
ذي الذكر) قال : ذي الشرف .

حدثنا نصر بن علي وابن بشار ، قالا : ثنا أبو أحمد ، عن مسعر ، عن أبي حصين (ذي الذكر) :
ذي الشرف .

قال : ثنا أبو أحمد ، عن سفيان ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح أو غيره (ذي الذكر) : ذي الشرف
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (والقرآن
ذي الذكر) قال : ذي الشرف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن يحيى بن عمار ، عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس (ص) والقرآن ذي الذكر) ذي الشرف .

وقال بعضهم : بل معناه : ذي التذكير ، ذكركم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك (ذِي الذِّكْرِ) قال : فيه ذكركم ، قال : ونظيرتها (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذِي الذِّكْرِ) : أي ما ذكر فيه .
 وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : ذِي التذْكِيرِ لَكُمْ ، لأن الله أتبع ذلك قوله : (بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) فكان معلوماً بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكراً لعباده ذكركم به ، وأن الكفار من الإيمان به في عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ .
 واختلف في الذي وقع عليه اسم القسم ، فقال بعضهم : وقع القسم على قوله (بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ) قال : هاهنا وقع القسم .

وكان بعض أهل العربية يقول : « بل » دليل على تكذيبهم ، فاكتفى ببل من جواب القسم ، وكأنه قيل ص ، ما الأمر كما قلت ، بل أنتم في عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ وكان بعض نحوي الكوفة يقول : زعموا أن موضع القسم في قوله (إِنْ كُفِرُوا إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُولَ) . وقال بعض نحوي الكوفة : قد زعم قوم أن جواب (وَالْقُرْآنِ) قوله (إِنْ ذَلِكَ لَحَقَّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) قال : وذلك كلام قد تأخر عن قوله (وَالْقُرْآنِ) تأخراً شديداً ، وجرت بينهما قصص مختلفة ، فلا نجد ذلك مستقيماً في العربية ، والله أعلم .

قال : ويقال : إن قوله (وَالْقُرْآنِ) يمين اعترض كلام دون موقع جوابها ، فصار جوابها للمعترض ولليمين ، فكأنه أراد : وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ، لَكُمْ أَهْلَكُنَا ، فلما اعترض قوله (بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ) صارت كم جواباً للعِزَّةِ واليمين . قال : ومثله قوله : (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا) اعترض دون الجواب قوله (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا) فصارت قد أفلح تابعة لقوله : فَأَلْهَمَهَا ، وكفى من جواب القسم ، فكأنه قال : وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا لَقَدْ أَفْلَحَ .

والصواب من القول في ذلك عندي ، القول الذي قاله قتادة ، وأن قوله (بَلِّ) لما دللت على التكذيب وحللت محل الجواب استغنى بها من الجواب ، إذ عرف المعنى ، فعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) ما الأمر ، كما يقول هؤلاء الكافرون : بل هم في عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ .

وقوله (بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) يقول تعالى ذكره : بل الذين كفروا بالله من مشركي قريش في حمية ومشاقة ، وفراق لحمد وعداوة ، وما بهم أن لا يكونوا أهل علم ، بأنه ليس بساحر ولا كذاب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) قال : مُعَلِّزِينَ . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) : أي في حمية وفراق . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بَلِّغِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) قال : يعادون أمر الله ورسوله وكتابه ، ويشاقون ، ذلك عزة وشقاق ، فقلت له : الشقاق : الخلاف ، فقال : نعم .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَ دَاوُودُ أَتَى اللَّهُ فِي مَنَاصِ

يقول تعالى ذكره : كثيرا أهلكتنا من قبل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذبوا رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عندنا من الحق (مِنْ قَرْنٍ) يعني : من الأمم الذين كانوا قبلهم ، فسلكوا سبيلهم في تكذيب رسلهم فيما أتوهم به من عند الله (فَنَادَا) يقول : فعجوا إلى ربهم وضحجوا واستغاثوا بالتوبة إليه ، حين نزل بهم بأس الله وعابنوا به عذابه فرارا من عقابه ، وهربا من ألم عذابه (وَآتَى اللَّهُ مَنَاصِ) يقول : وليس ذلك حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة ، وقد حقت كلمة العذاب عليهم ، وتابوا حين لا تنفعهم التوبة ، واستقالوا في غير وقت الإقالة . وقوله (مَنَاصِ) مفعول من النَّوْصِ ، والنوص في كلام العرب : التأخر ، والمناص : المفراً ؛ ومنه قول امرئ القيس :

أَمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى إِذْ نَأَتْكَ تَنْوُصٌ فَتَقْصِرُ عَنْهَا خَطْوَةٌ وَتَبْوُصُ^١

يقول : أو تقدم يقال من ذلك : ناصني فلان : إذا ذهب عنك ، وباصني : إذا سبقك ، وناص في البلاد : إذا ذهب فيها ، بالضاد . وذكر الفراء أن العقيلي أنشده :

إِذَا عَاشَ إِسْحَاقُ وَشَيْخُهُ كَمْ أُبَلِّغُ^٢ فَفَقِيدًا وَلَمْ يَبْصُغْ عَلَيَّ مَنَاصُ^٢

وَلَوْ أَشْرَفْتَ مِنْ كُفَّةِ السُّرِّ عَاطِلًا^٢ لَقُلْتُ غَزَالٌ مَا عَلَيْهِ خُضَاصُ^٢

والخضاض : الحلي .

(١) البيت لامرئ القيس (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ١٢٧) قال : نأتك : بعدت عنك . وتنوص : تتأخر . فتقصر عنها : يقال : أقصر عنه خطوه : إذا كفه عنه . وتبوص : تتقدم يقول : أمن حقلك إذ نأت عنك سلمى ، وذكرتها واشتقت إليها أن تتأخر عنها . وتقصر خطابك دونها أم تتقدم نحوها ، جادا في أثرها . والبيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (٢٧٦) قال في تفسير قوله تعالى : « ولات حين مناص » يقول : ليس بحين فرار . والنوص : التأخر في كلام العرب . والبوص : التقدم ، وقال امرؤ القيس : « أمن ذكر . . . البيت » . فناص : مفعول ، مثل مقام . ومن العرب من يضيف « لات » ، فيخفف . أنشدوني : « لات ساعة مندم » . اهـ .

(٢) قال المؤلف إن الفراء ذكر أن العقيلي أنشده البيتين . ويفهم منه أن البيتين نقلهما الفراء في معاني القرآن عند تفسير قوله تعالى « ولات حين مناص » . فلعلهما في نسخة غير التي في أيدينا منه . وذكر صاحب البيان البيت الثاني في (حفض) وقال قبله : الخضاض =

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق عن التميمي ، عن ابن عباس في قوله (وَآلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس بحين نزو ، ولا حين فرار .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، قال : قلت لابن عباس : رأيت قول الله (وَآلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس بحين نزو ولا فرار ضبط القوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن التميمي ، قال : سألت ابن عباس ، قول الله (وَآلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس حين نزو ولا فرار .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَآلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس حين نزو ولا فرار .

حدثني علي ، قال : ثنا عبدالله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَآلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ) يقول : ليس حين مَنَاصٍ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَآلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ) قال : ليس هذا بحين فرار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَنادوا وآلات حِينَ مَنَاصٍ) قال : نادى القوم على غير حين نداء ، وأرادوا التوبة حين عاينوا عذاب الله فلم يقبل منهم ذلك .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وَآلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ) قال : حين نزل بهم العذاب لم يستطيعوا الرجوع إلى التوبة ، ولا فرارا من العذاب .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (فَنادوا وآلات حِينَ مَنَاصٍ) يقول : وليس حين فرار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَآلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ) وآلات حين منجى ينجون منه ، ونصب حين في قوله (وَآلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ) تشبيها للآلات بليس ، وأضمر فيها اسم الفاعل .

وحكى بعض نحويي أهل البصرة الرفع مع لات في حين زعم أن بعضهم رفع (وَآلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ) فجعله في قوله ليس ، كأنه قال : ليس وأضمر الحين ؛ قال : وفي الشعر :

= الشيء اليسير من الخلى . وأنشد القناني : « ولو أشرفت ... البيت » - قلت : ولعل لفظنا العقيل والقناني محرفة إحداهما عن الأخرى . ومحل الشاهد في البيت الأول في قوله « مناص » : أي ذهاب في الأرض ، فهو مصدر ميمي . وهو قريب في معناه من معنى مناص بالصاذ المهملة ، أي مفر . قال في (اللسان : نوض) : وناص فلان ينوض نوضا ذهب في البلاد . وناص نوضا ، كناصر ، عدل . اهـ .

طَلَبُوا صَلْحَنَا وَلَاتِ أَوَانَ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ ١
فجر « أوان » وأضمر الحين إلى أوان ، لأن لات لاتكون إلا مع الحين ؛ قال : ولا تكون لات إلا مع حين . وقال بعض نحوي الكوفة من العرب من يضيف لات فيخفف بها ، وذكر أنه أنشد :

« لات ساعة مندم ٢ »

بخفف الساعة ؛ قال : والكلام أن ينصب بها ، لأنها في معنى ليس ، وذكر أنه أنشد :

تَذَكَّرَ حُبَّ لَيْسَلَى لَاتِ حِينَا وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينَا ٣

قال : وأنشدني بعضهم :

طَلَبُوا صَلْحَنَا وَلَاتِ أَوَانَ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ ٤

بخفف « أوان » ؛ قال : وتكون لات مع الأوقات كلها .

واختلفوا في وجه الوقف على قراءة (لات حين) فقال بعض أهل العربية : الوقف عليه ولات بالتاء ،

(١) وهذا البيت لأبي زبيد المنذر بن حرملة الطائي النصراني وقد أدرك الإسلام . وكان عثمان رضي الله عنه يقربه ويدني مجلسه (فرائد القلائد ، في مختصر شرح الشواهد ، للعيني) قال : والشاهد في قوله : ولات أوان حيث وقع خبره (خبر لات) لفظة أوان كالحين أي ليس الأوان أوان صلح . ، فحذف المضاف إليه ، ثم بنى أوان ، كما بنى قبل وبعد . عند حذف المضاف إليه ، ولكنه بنى على الكسر ، يشبه بنزال في الوزن ، ثم نون للضرورة . وأن : تفسيرية . وليس للنون واسمه محذوف . وحين بقاء : خبره . أي ليس الحين حين بقاء الصلح . اه . قال الفراء بعد كلامه الذي نقلناه تحت الشاهد السابق : وأنشدني بعضهم : « طلبوا صلحنا . . . » فخفف أوان . اه . قلت : ولم يقل إنه بنى على الكسر .

(٢) هذا جزء من بيت . وهو بتمامه كما في « فرائد القلائد » ، في مختصر شرح الشواهد ، للعيني (ص ١٠٥ مستقلة عن الخزانة للبغدادى) .

نَدِمَ البُغَاةُ وَلَاتِ سَاعَةَ مَنْدَمٍ وَالبَغْيُ مَرْتَعٌ مُبْتَغِيهِ وَحِيمٌ

والرواية فيه عند العيني بنصب ساعة ، لا يجرها . وقال في شرحه وقائله محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي وقيل مهلهل بن مالك الكنانى . وقال الفراء : بعد أن أنشد البيت (٢٧٦) والكلام : أن ينصب بها في معنى ليس . اه . قلت : وفي خزانة الأدب للبغدادى (٢) : (١٤٤ - ١٤٧) نقاش كثير بين النحويين في إعراب « ساعة » في البيت : أبا لنصب ، وهى الرواية المشهورة وقد وافق عليها الفراء في آخر كلامه . وأما الجرفانه يحكيه عن أنشده هذا الجزء من البيت ، الذى قال إنه لا يحفظ صدره ، ولم يرض الفراء عن الجر بلات ، وإنما قرر أن وجه الكلام النصب بها ، لأنها في معنى ليس ، وأنشد عليه الشاهد الذى بعده ، مؤكدا كلامه ، في عملها النصب . وأما رواية البيت فقد ذكرنا روايته عند ابن عقيل وغيره من شرح الألفية . ونسبته إلى رجل من طيىء وفي خزانة الأدب (٢) : (١٤٧) أن ابن السكيت رواه في كتاب الأضداد ، وهو :

وَلَتَعْرِفَنَّ خَلَائِقًا مَشْمُولَةً وَلَتَتَنَدَمَنَّ وَلَاتِ سَاعَةَ مَنْدَمٍ

قال ابن الأعرابي في تفسير قوله « مشمولة » : يقال أخلاق مشمولة : أى مشومة ، وأخلاق سوء . قال : ويقال أيضا : رجل مشمول الخلاق : أى كريم الأخلاق .

(٣) البيت من شواهد الفراء (الورقة ٢٧٦) على أن لات تعمل النصب فيما بعدها . قال في معاني القرآن مبينا الوجه في عمل لیت : والكلام : أن ينصب بها في معنى ليس . أنشدني المفضل : « تذكر حب . . . البيت » . ثم قال : بعده : فهذا نصب ، ثم أنشد شاهدا آخر على الجر بها ، وهو قول الشاعر : « طلبوا صلحنا ولات أوان . . . البيت » . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢١٠ - ١) في أول سورة ص : « لات حين مناص » : وإنما هى : « ولا » . وبعض العرب يزيد فيها الهاء ، فيقول : « ولاه » فيزيد فيها هاء الوقف ، فإذا اتصلت صارت تاء . والمناص : مصدر ناص ينوص . وهو المنحى والفوت . قال عمرو بن شأس الأسدى : « تذكرت لیلی لات حین تذكر » . وقال الفراء في معاني القرآن (٢٧٦) : أقف على « لات » بالتاء . والكسائي يقف عليها بالهاء . اه .

(٤) تقدم الكلام على البيت قريبا ، فراجعته في موضعه .

ثم يبدأ حين مناص ، قالوا : وإنما هي « لا » التي بمعنى : « ما » ، وإن في الجحد وصلت بالتاء ، كما وصلت ثم بها ، فقبل : ثم ، وكما وصلت رب فقبل : رب .
وقال آخرون منهم : بل هي هاء زيدت في لا ، فالوقف عليها لاه ، لأنها هاء زيدت للوقف ، كما زيدت في قولهم :

العاطِفُونَ حِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ والمُطْعِمُونَ حِينَ أَيْنَ الْمُطْعِمِ^١

فإذا وصلت صارت تاء . وقال بعضهم : الوقف على « لا » ، والابتداء بعدها تحين ، وزعم أن حكم التاء أن تكون في ابتداء حين ، وأوان ، والآن ؛ ويستشهد لقيه ذلك بقول الشاعر :

تَوَلَّى قَبْلَ يَوْمِ سَبِيِّ جَمَانَا وَصَلِينَا كَمَا زَعَمْتَ تَلَانَا^٢

وأنه ليس ههنا « لا » فيوصل بها هاء أو تاء ؛ ويقول : إن قوله (لات حين) إنما هي : ليس حين ، ولم توجد لات في شيء من الكلام :

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن « لا » حرف جحد كما ، وإن وصلت بها تصير في الوصل تاء ، كما فعلت العرب ذلك بالأدوات ، ولم تستعمل ذلك كذلك مع « لا » المدة إلا للأوقات دون غيرها ، ولا وجه للعلة التي اعتل بها القائل : إنه لم يجد لات في شيء من كلام العرب ، فيجوز توجيه قوله (ولات حين) إلى ذلك ، لأنها تستعمل الكلمة في موضع ، ثم تستعملها في موضع آخر بخلاف ذلك ، وليس ذلك بأبعد في القياس من الصحة من قولهم : رأيت بالهمز ، ثم قالوا : فأنا أراه بترك الهمز لما جرى به استعمالهم ، وما أشبه ذلك من الحروف التي تأتي في موضع على صورة ، ثم تأتي بخلاف ذلك في موضع آخر لا يجاري من

(١) هذا الشاهد أيضا أنشده صاحب الخزانة (٢ : ١٤٧) ونقل كثيرا من أقوال النحويين في تخريجه . ومن أحسن تخريجاته قول ابن جني الذي نقله صاحب الخزانة عن « سر صناعة الإعراب » لابن جني ، قال : وسبقه ابن السيراني في شرح شواهد الغريب المصنف ، وأبو علي الفارسي ، في المسائل المنثورة . وهو أنها (التاء في العاطفونة) في الأصل هاء السكت ، لاحقة لقوله : « العاطفون » ، اضطر الشاعر إلى تحريكها ، فأبدلها تاء ، وفتحها ، قال ابن جني أراد أن يجريه في الأصل على حد ما يكون عليه في الوقف . وذلك أن يقال في الوقف : هؤلاء مسلمونه ، وضاربونه ، فتلحق الهاء لبيان حركة النون . فصار التقرير : العاطفونه . ثم إنه شبه هاء الوقف بهاء التأنيث ، فلما احتاج لإقامة الوزن ، إلى حركة الهاء ، قلبها بتاء ، كما تقول في الوقف : هذا طلحه فإذا وصلت صارت الهاء تاء ، فقلت : هذا طلحتنا . وعلى هذا قال : العاطفونة . قال : ويؤنس لصحة هذا قول الراجز :

من بعد ما وبعد ما وبعد مت صارت نفوس القوم عند الفلصمت

أراد : وبعد ما ، فأبدل الألف في التقدير هاء ، فصارت : بعده ، ثم إنه أبدل الهاء تاء ، لتوافق بقية القوافي التي تليها . وشجعه شبه الهاء المقدر في قوله : « بعده » بهاء التأنيث في طلحة وحمزة . . الخ . وذكر ابن مالك في التسهيل أن التاء بقية لات . فحذفت لا ، وبقيت التاء . وربما استغنى مع التقدير عن (لا) بالتاء . . . اه . والبيت من قصيدة لأبي وجزة السعدي ، مدح بها آل الزبير ابن العوام ، لكنه مركب من مصراعين بيتين . والمصراع الثاني منه « والمسبغون يدا إذا ما أنعموا » .

(٢) البيت لعمر بن أحرر الباهلي . كما في هامش رقم ١ من الجزء الأول من سر صناعة الإعراب ١٨٥ طبعة الحلبي ورور ايته في الأصل :
نولى قبل نأى دار جمانا وصلية كما زعمت تلانا
ورواه ابن الأنباري في كتاب « الإنصاف في مسائل الخلاف . طبعة ليدن سنة ١٩١٣ ص ٥١) :

نولى قبل يوم نأى جمانا وصلينا كما زعمت تلانا

نولى : من النوال ، وأصله العطاء . والمراد هنا ما يزود به المحب من قبلة . وجمانا : مرخم : جمانة ، وهو اسم امرأة ، والألف للإطلاق . والشاهد في قوله « تلانا » حيث زاد تاء قبل الآن ، كما زاد قبل حين . .

استعمال العرب ذلك بينها ، وأما ما استشهد به من قول الشاعر : « كما زعمت تلاتنا » ، فإن ذلك منه غلط في تأويل الكلمة « وإنما أراد الشاعر بقوله : « وصليينا كما زعمت تلاتنا » : وصليينا كما زعمت أنت الآن ، فأسقط الهمزة من أنت ، فلقبت التاء من زعمت النون من أنت وهي ساكنة ، فسقطت من اللفظ ، وبقيت التاء من أنت ، ثم حذفت الهمزة من الآن ، فصارت الكلمة في اللفظ كهيئة تلاتن ، والتاء الثانية على الحقيقة منفصلة من الآن ، لأنها تاء أنت . وأما زعمه أنه رأى في المصحف الذي يقال له الإمام التاء متصلة بحين ، فإن الذي جاءت به مصاحف المسلمين في أمصارها هو الحجة على أهل الإسلام ، والتاء في جميعها منفصلة عن حين ، فلذلك اخترنا أن يكون الوقف على الهاء في قوله (وولات حين) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سٰحِرٌ كٰذٰبٌ ﴿١٠﴾ أَجْعَلُ الْاِلٰهَةَ الْاِلٰهًا وَّاحِدًا اِنْ هٰذَا

لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : وعجب هؤلاء المشركون من قريش أن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله على كفرهم به من أنفسهم ، ولم يأتهم من ملك من السماء بذلك (وقال الكافرون هذنا ساحر كذاب) يقول : وقال المكرون وحدانية الله : هذا : يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ساحر كذاب .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ)

يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (فقال الكافرون هذنا ساحر كذاب) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (ساحر كذاب) يعنى محمدا

صلى الله عليه وسلم .

وقوله (أَجْعَلُ الْاِلٰهَةَ الْاِلٰهًا وَّاحِدًا) يقول : وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا : محمد ساحر

كذاب ، أجعل محمد المعبودات كلها واحدا ، يسمع دعاءنا جميعنا ، ويعلم عبادة كل عابد عبده منا (إن

هذنا لشيء عجاب) : أى إن هذا لشيء عجب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَجْعَلُ الْاِلٰهَةَ الْاِلٰهًا وَّاحِدًا اِنْ

هذنا لشيء عجاب) قال : عجب المشركون أن دعوا إلى الله وحده ، وقالوا : يسمع لحاجتنا جميعا إله

واحد ، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة .

وكان سبب قيل هؤلاء المشركين ما أخبر الله عنهم أنهم قالوه ، من ذلك ، أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال لهم : « أسألكم ان تجيبوني إلى واحدة لدين لكم بها العرب ، وتُعطيكم بها

الْحَرَاجَ الْعَجَمُ ، فقالوا : وما هي ؟ فقال : تقولون لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، فعند ذلك قالوا : (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلهَا وَآحِدًا) تعجبا منهم من ذلك .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كُرَيْبٍ وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا الأعمش ، قال : ثنا عباد ، عن سعيد بن جبَّير ، عن ابن عباس ، قال : « لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ، ويفعل ويفعل ، ويقول ويقول ، فلو بعثت إليه فبهيته ، فبعثت إليه ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت ، وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل ، قال : فخشى أبو جهل إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه ، فوثب فجالس في ذلك المجلس ، ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب عمه ، فجلس عند الباب ، فقال له أبو طالب : أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك ؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم ، وتقول وتقول ؛ قال : فأكثروا عليه القول ، وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عم إني أريدُهم على كلمةٍ واحدةٍ يقولوننها ، تدِينُ كُلمُ بها العَرَبُ ، وتؤدِّي إليهم بها العَجَمُ الجِزِيَّةَ ، ففرعوا لكلمته ولقواه ، فقال القوم كلمة واحدة ؟ نعم وأبيك عَشْرًا ، فقالوا : وما هي ؟ فقال أبو طالب : وأي كلمة هي يا ابن أخي ؟ قال : لا إلهَ إلاَّ اللهُ ؛ قال : فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلهَا وَآحِدًا) هَذَا لَشَيْءٍ عَجَابٌ) قال : ونزلت من هذا الموضع إلى قوله (لَمَّا يَبْدُوقُوا عَذَابَ) اللفظ لأبي كُرَيْبٍ » حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن يحيى بن عمار ، عن سعيد بن جبَّير عن ابن عباس ، قال : « مرض أبو طالب ، فأثاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده ، وهم حوله جلوس ، وعند رأسه مكان فارغ ، فقام أبو جهل فجلس فيه ، فقال أبو طالب : يا ابن أخي ما لقومك يشكونك ؟ قال : يا عم أريدُهم على كلمةٍ تدِينُ كُلمُ بها العَرَبُ ، وتؤدِّي إليهم بها العَجَمُ الجِزِيَّةَ قال : ما هي ؟ قال : لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، فقاموا وهم يقولون : (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ، إن هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) ونزل القرآن : (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) ذِي الشَّرَفِ (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) حتى قوله (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلهَا وَآحِدًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمار ، عن سعيد بن جبَّير ، عن ابن عباس ، قال : مرض أبو طالب ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه لم يقل ذِي الشَّرَفِ ، وقال : إلى قوله : (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمار ، عن سعيد بن جبَّير ، قال : « مرض أبو طالب ، قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يعوده ، فكان عند رأسه مقعدٌ رجل ، فقام أبو جهل ، فجلس فيه ، فشكوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب ، وقالوا : إنه يقع في آلهتنا ، فقال : يا ابن أخي ما تريد إلى هذا ؟ قال : يا عم إني أريدُهم على كلمةٍ تدِينُ »

لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ ، وَتُوَدَّى إِلَيْهِمُ الْعَجَمُ الْجَزِيَّةَ ؟ قَالَ : وما هي ؟ قال : لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، فقالوا :
(أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ) !

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنْطَلَقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَأَعْلَىٰ آهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿١٠٠﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ
إِنَّ هَذَا إِلَّا آخِنَالِقُ ﴿١٠١﴾

يقول تعالى ذكره : وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش ، القائلين : (أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلهًا وَاحِدًا) بَأَنْ أَمْشُوا فَاصْبِرُوا عَلَىٰ دِينِكُمْ وَعِبَادَةَ آلِهَتِكُمْ . فأن من قوله (أَنْ أَمْشُوا) في موضع نصب يتعلق انطلقوا بها ، كأنه قيل : انطلقوا مشيا ، ومضيا على دينكم . وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله : (وَأَنْطَلَقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ بِمَشُونِ أَنْ أَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ) . وذكر أن قائل ذلك كان عقبه ابن أبي معيط .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد :
(وَأَنْطَلَقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ) قال : عقبه بن أبي معيط .
وقوله (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ) : أى إن هذا القول الذى يقول محمد ، ويدعوننا إليه ، من قول لا إله إلا الله ، شىء يريد مننا محمد يطلب به الاستعلاء علينا ، وأن نكون له فيه أتباعا ولسنا مجيبيه إلى ذلك .
وقوله (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ما سمعنا بهذا الذى يدعوننا إليه محمد من البراءة من جميع الآلهة إلا من الله تعالى ذكره ، وبهذا الكتاب الذى جاء به فى الملة النصرانية ، قالوا : وهى الملة الآخرة :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) يقول : النصرانية .
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) يعنى النصرانية ، فقالوا : لو كان هذا القرآن حقا أخبرتنا به
النصارى :

حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن معين ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي ليبد ، عن القُرظي
في قوله (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) قال : ملة عيسى .
حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السديّ (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا
فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) النصرانية .

وقال آخرون : بل عَسَنُوا بذلك : ما سمعنا بهذا في ديننا دين قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (ما سمعنا بهذا في المِلَّةِ الْآخِرَةِ) قال : ملة قريش .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (في المِلَّةِ الْآخِرَةِ) قال : ملة قريش .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما سمعنا بهذا في المِلَّةِ الْآخِرَةِ) : أي في ديننا هذا ، ولا في زماننا قط .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : (ما سمعنا بهذا في المِلَّةِ الْآخِرَةِ) قال : الملة الآخرة : الدين الآخر . قال : والملة الدين .
وقيل : إن المِلَّةَ الذين انطلقوا نهر من مشيخة قريش ، منهم أبو جهل ، والعاص بن وائل ، والأسود ابن عبد يغوث .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي أن أناسا من قُرَيْشٍ اجتمعوا ، فيهم أبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث في نهر من مشيخة قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبي طالب ، فلنكلمه فيه ، فلينصفنا منه ، فيأمره فليكف عن شتم آلهتنا ، وندعه وإله الذي يتعبد ، فإننا نخاف أن يموت هذا الشيخ ، فيكون منا شيء ، فتعيرنا العرب فيقولون : تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه ، قال : فبعثوا رجلا منهم يدعى المطلب ، فاستأذن لهم على أبي طالب ، فقال : هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم يستأذنون عليك ، قال : أدخلهم ؛ فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا ، فأنصفنا من ابن أخيك ، ففره فليكف عن شتم آلهتنا ، وندعه وإلهه ؛ قال : فبعث إليه أبو طالب ؛ فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم ، وقد سألك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم ، وندعوك وإلهك ؛ قال : فقال : أي عمّ أؤادعوهم إلى ما هو خير لهم منها ؟ قال : وإلام تدعوهم ؟ قال : أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدبر لهم بها العرب ويملكون بها العجم ؛ قال : فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها ، قال : تقولون لا إله إلا الله ، قال : فنفروا وقالوا : سلنا غير هذه ، قال : لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غير ما ؛ قال : فغضبوا وقاموا من عنده غضابا وقالوا : والله لانشتمك والذي يأمرك بهذا (وأنطلق المِلَّةُ مِنْهُمْ أَنْ امشوا وأصبروا على آلهتكم ، إن هذ لشيء يراد) . . . إلى قوله (إلا اختلاق) وأقبل على عمه ، فقال له عمه : يا ابن أخي ما شططت عليهم ، فأقبل على عمه

فدعاه ، فقال : قل كَلِمَةً أَشْهَدُ بِكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تَقُولُ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، فقال : لولا أن تعيبكم بها العرب يقولون جزع من الموت لأعطينتكمها ، ولكن على ملّة الأسيّاح ؛ قال : فنزلت هذه الآية (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْسُرُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ) قال : نزلت حين انطلق أشراف قريش إلى أبي طالب فكلّموه في النبي صلى الله عليه وسلم .
وقوله (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين في القرآن : ما هذا القرآن إلا اختلاق : أي كذب اختلقه محمد وتخرّصه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) يقول : تخرّيص :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) قال : كذب .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) : يقول : كذب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) إلا شيء تخلّقه .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ) قالوا : إن هذا إلا كذب .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَهَايْدُ وَقُوا عَذَابَ ۞ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۞

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين من قريش : أنزل على محمد الذكر من بيننا فخص به ، وليس بأشرف منا حسبا . وقوله (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي) يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين أن لا يكونوا أهل علم بأن محمدا صادق ، ولكنهم في شك من وحينا إليه ، وفي هذا القرآن الذي أنزلناه إليه أنه من عندنا (بَلْ كَلَّمَا يَنْذُوقُوا عَذَابَ) يقول : بل لم ينزل بهم بأسنا ، فيذوقوا وبال تكذيبهم محمدا ، وشكهم في تنزيلنا هذا القرآن عليه ، ولو ذاقوا العذاب على ذلك علموا وأيقنوا حقيقة ما هم به

مكذبون ، حين لا ينفعهم علمهم (أمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ) يقول تعالى ذكره : أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحى الله إلى محمد خزائن رحمة ربك ، يعنى مفاتيح رحمة ربك يا محمد ، العزيز فى سلطانه ، الوهاب لمن يشاء من خلقه ، ما يشاء من ملك وسلطان ونبوة ، فيمنعوك يا محمد ، ما من الله به عليك من الكرامة ، وفضلك به من الرسالة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١١﴾ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : أم لهؤلاء المشركين الذين هم فى عزّة وشقاق (مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) فإنه لا يُعَاذُنِي وَيُشَاقِقُنِي من كان فى ملكى وسلطانى . وقوله (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) يقول : وإن كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما ، فليصعدوا فى أبواب السماء وطرقها ، فإن من كان له ملك شئ لم يتعذر عليه الإشراف عليه ، وتفقدته وتعهدته .

واختلف أهل التأويل فى معنى الأسباب التى ذكرها الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بها أبواب السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) قال : طرق السماء وأبوابها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) يقول : فى أبواب السماء .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (فى الأسباب) قال : أسباب السموات .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) قال : طرق السموات .

حدثت عن المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاک (أمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : إن كان (لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) ، فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) يقول : فليرتقوا إلى السماء السابعة .

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) يقول : فى السماء .

وذكر عن الربيع بن أنس في ذلك ما حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، قال : الأسباب : أدق من الشعر ، وأشد من الحديد ، وهو بكل مكان ، غير أنه لا يرى . وأصل السبب عند العرب : كل ما تسبب به إلى الوصول إلى المطلوب من حبل أو وسيلة ، أو رحم ، أو قرابة أو طريق ، أو محجة وغير ذلك .

وقوله (جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ) يقول تعالى ذكره : هم (جُنْدٌ) يعني الذين في عزة وشتاق هنالك ، يعني : بيدر مهزوم . وقوله (هُنَالِكَ) من صلة مهزوم وقوله (مِّنَ الْأَحْزَابِ) يعني من أحزاب إبليس وأتباعه الذين مضوا قبلهم ، فأهلكهم الله بذنوبهم . و«مِنَ» من قوله (مِّنَ الْأَحْزَابِ) من صله قوله جند ، ومعنى الكلام : هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك ، وما « في قوله (جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ) صلة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ) قال : قریش من الأحزاب ، قال : القرون الماضية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ) قال : وعده الله وهو بمكة يومئذ أنه سيهزم جندا من المشركين ، فجاء تأويلها يوم بدر . وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك (جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ) مغلوب عن أن يصعد إلى السماء .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَذَّبَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : كذبت قبل هؤلاء المشركين من قریش ، القائلين : أجعل الآلهة لها واحدا ، رسلها ، قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد .

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله قيل لفرعون ذو الأوتاد ، فقال بعضهم : قيل ذلك له لأنه كانت له ملاعب من أوتاد ، يلعب عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن علي بن المهيم ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبشير ، عن ابن عباس (وَفِرْعَوْنُ ذِي الْأَوْتَادِ) قال : كانت ملاعب يلعب له تحتها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ) قال : كان له أوتاد وأرسان ، وملاعب يلعب له عليها .

وقال آخرون : بل قيل ذلك له كذلك لتعذيبه الناس بالأوتاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (ذُو الأوتادِ) قال : كان يعذب الناس بالأوتاد ، يعذبهم بأربعة أوتاد ، ثم يرفع صخرة تتمدّ بالخبال ، ثم تُلقى عليه فتشدخه . حدثت عن علي بن الهيثم ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : كان يعذب الناس بالأوتاد .

وقال آخرون : معنى ذلك : ذوالبنيان ، قالوا : والبنيان : هو الأوتاد .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاک (ذُو الأوتادِ) قال : ذوالبنيان . وأشبه الأقوال في ذلك بالنصواب قول من قال : عُنِي بذلك الأوتاد ، إما لتعذيب الناس ، وإما للعب ، كان يُلعب بها ، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد ، وثمود وقوم لوط ، وقد ذكرنا أخبار كل هؤلاء فيما مضى قبل من كتابنا هذا (وأصحاب الأيكة) يعنى : وأصحاب الغيضة . وكان أبو عمرو بن العلاء فيما حدثت عن معمر بن المثنى ، عن أبي عمرو يقول : الأيكة : الحرجة من النبع والسدر ، وهو الملتف منه ، قال الشاعر :

أَفْسَمِينَ بُكَاءِ حَمَامَةٍ فِي أَيْكَةٍ
يَرْفَضُ دَمْعُكَ فَوْقَ ظَهْرِ الْمُحْمِلِ

يعنى : محمل السيف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأصحاب الأيكة) قال : كانوا أصحاب شجر ، قال : وكان عامّة شجرهم الدوم . حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (وأصحاب الأيكة) قال : أصحاب الغيضة .

وقوله (أَوْلَسِيكَ الأَحْزَابُ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الجماعات المجتمعة ، والأحزاب المتحزبة على معاصى الله والكفر به ، الذين منهم يا محمد مشركو قومك ، وهم مسلوك بهم سبيلهم (إِنَّ كُلَّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ) يقول : ما كل هؤلاء الأمم إلا كذب رسل الله ، وهى فى قراءة عبد الله كما ذكر لى ، (إِنَّ كُلَّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ) يقول : يقول : فوجب عليهم عقاب الله إياهم .

(١) البيت لعنرة العبي (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ٣٨٧) وهو الرابع من قصيدة يهجو بها قيس ابن زهير قائد تميم فى بعض حروبها مع عبيس . قال شارحه : الأيكة الشجر الكثير الملتف . وذرفت دموعك : سالت . والمحمل علاقة السيف . واستشهد به أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢١٣ - ١) وقال : الأيكة : الحرجة : من النبع والسدر . وهو الملتف قال رجل ، وهو يسند إلى عنرة : « أفن بكاء . . . » البيت . يعنى محمل السيف . وهو الجمالة والحماثل . وجماع المحمل : محامل . وبعضهم يقول : « ليكة » . لا يقطعون الألف ، ولم يعرفوا معناها . ٨١ .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إن كُـلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ) قال : هؤلاء كلهم قد كذبوا الرسل ، فحق عليهم العذاب .
القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَظَنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ) المشركون بالله من قريش (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) يعني بالصيحة الواحدة : النفخة الأولى في الصور (مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) يقول : ما لتلك الصيحة من فيقة ، يعني من فتور ولا انقطاع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) يعني : أمة محمد (مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي ، عن إسماعيل بن رافع ، عن يزيد بن زياد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لما فرغ من خلائق السموات والأرض خلقت الصور ، فأعطاه إسرافيل ، فهو وأضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر ، قال أبو هريرة : يا رسول الله وما الصور ؟ قال : قرن ، قال : كيف هو ؟ قال : قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات : نفخة الفزع الأولى ، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى ، فيقول : انفخ نفخة الفزع ، فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله ، ويأمره الله فيسديمها ويطوئها ، فلا يفتروا وهي التي يقول الله (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) » .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) فقال بعضهم : يعني بذلك : ما لتلك الصيحة من ارتداد ولا رجوع .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) يقول : من تردد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس (مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) يقول : ما لها من رجعة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ما لهما من فَوَاقٍ) قال : من رجوع . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما لهما من فَوَاقٍ) يعنى الساعة ما لها من رجوع ولا ارتداد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما لهؤلاء المشركين بعد ذلك إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (ما لهما من فَوَاقٍ) يقول : ليس لهم بعدها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا . وقال آخرون : الصيحة في هذا الموضع : العذاب . ومعنى الكلام : ما ينتظر هؤلاء المشركون إلا عذابا يهلكهم ، لا إفاقة لهم منه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (ما لهما من فَوَاقٍ) قال : ما ينتظرون إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ، يا لها من صيحة لا يفيقون فيها كما يفيق الذى يغشى عليه وكما يفيق المريض تهلكهم ، ليس لهم فيها إفاقة .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (من فَوَاقٍ) بفتح الفاء . وقرأته عامة أهل الكوفة (من فَوَاقٍ) بضم الفاء .

واختلف أهل العربية في معناها إذا قرئت بفتح الفاء وضمها ، فقال بعض البصريين منهم : معناها : إذا فتحت الفاء ما لها من راحة ، وإذا ضمت جعلها فَوَاقٍ ناقة ما بين الحلبتين . وكان بعض الكوفيين منهم يقول : معنى الفتح والضم فيها واحد ، وإنما هما لغتان مثل السَّوَّافِ والسَّوَّافِ ، وجَمَامِ المَكوكِ وجَمَامِهِ ، وقَصَاصِ الشعرِ وقُصَاصِهِ .

والصواب من القول في ذلك أنهما لغتان ، وذلك أنا لم نجد أحدا من المتقدمين على اختلافهم في قراءته يفرقون بين معنى الصم فيه والفتح ، ولو كان مختلف المعنى باختلاف الفتح فيه والضم ، لقد كانوا فرقوا بين ذلك في المعنى . فإذا كان ذلك كذلك ، فبأى القراءتين قرأ القارئ فصيحا ، وأصل ذلك من قولهم : أفأقت الناقة ، فهى تفيق إفاقة ، وذلك إذا رَدَّت ما بين الرضعتين ولدها إلى الرضعة الأخرى ، وذلك أن ترضع البهيمة أمها ، ثم تركها حتى ينزل شيء من اللبن ، فتلك الإفاقة ؛ يقال إذا اجتمع ذلك في الضرع فيقة ، كما قال الأعشى :

حتى إذا فيقته في ضرعها اجتمعت
جاءت ليرضع شيق النفس لو رضعها

(١) البيت في ديوان الأعشى. ميمون بن قيس ص ١٣ وهو الثالث والثلاثون من قصيدة يمدح بها هوزة بن على الحنق . والفيقة: اللبن الذى يجمع في الضرع بين الحلبتين . وشق الشيء : شطره ، والقطعة منه ، وشق النفس : ولدها ، لأنه قطعة منها . يقول : حتى إذا =

وقوله (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش ، يا ربنا عجل لنا كتبنا قبل يوم القيامة . والقِطَّ في كلام العرب : الصحيفة المكتوبة ؛ ومنه قول الأعشى :

وَلَا الْمَلِكُ النُّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيَّتُهُ
بِنِعْمَتِهِ يُعْطَى الْقُطُوطَ وَيَأْفِقُ^١

يعنى بالقُطُوط : جمع القِط ، وهى الكتب بالجوائز .

واختلف أهل التأويل في المعنى الذى أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهم تعجيل القِط لهم ، فقال بعضهم : إنما سألوهم ربهم تعجيل حظهم من العذاب الذى أعد لهم في الآخرة في الدنيا ، كما قال بعضهم (إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا) يقول : العذاب .

حدثني محمد بن سعيد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا يَوْمَ الْحِسَابِ) قال : سألوهم الله أن يعجل لهم العذاب قبل يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزرة ، عن مجاهد ، في قوله (عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا) قال : عذابنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا) قال : عذابنا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) : أى نصيبنا حظنا من العذاب قبل يوم القيامة ، قال : قد قال ذلك أبو جهل : اللهم إن كان ما يقول محمد حقا (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ) . . . الآية .

= اجتمع اللبن في ضرعها ، عادت ترضع ولدها ، لو أنه حتى يرضع . والضمير في ضرعها : راجع إلى راحلته المذكورة قبل . واستشهد المؤلف بالبيت على معنى قوله تعالى : « ما لها من فواق » . قال أبو عبيدة (٢١٣ - ١) من فتحها قال : ما لها من راحة . ومن ضمها قال فواق ، وجعلها من « فواق ناقة » : ما بين الحلبتين . وقوم قالوا : هما واحد . بمنزلة جمام المكوك وجمام المكوك ، وقصاص الشعر وقصاص الشعر (الأول بضم أوله ، والثاني بفتح فيهن) . اه . وقال الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٧٧) : « ما لها من فواق » : من راحة ولا إفاقة . وأصله من الإفاقة في الرضاع ، إذا ارتضعت البهيمة أمها ، ثم تركتها حتى تنزل شيئا من اللبن ، فتلك الإفاقة والفواق بغير همز . وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العيادة قدر فواق ناقة » . وقرأها الحسن ، وأهل المدينة ، وعاصم : فواق بالفتح ؛ وهى لغة جيدة عالية . وضم حمزة ، ويحيى ، والأعمش ، والكسائي . اه .

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ص ٣٣) من قصيدة يمدح بها الملق بن خنم بن شداد بن ربيعة . وفيه « بأمته » في مكان « بنعمته » . والقُطُوط : جمع قط بكسر القاف ، وهو الصك بالجائزة . ويأفق كيضرب يفضل بعض الناس في الجوائز على بعض . وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ، الورقة ٢١٣ - ١) قال في قوله تعالى : « ربنا عجل لنا قِطنا » القِط : الكتاب قال الأعشى : « ولا الملك . . . » البيت . القُطُوط : الكتب بالجوائز . يأفق : يفضل ويملو . يقال : ناقة أفقة ، وفرس آفق إذا فضله على غيره .

وقال آخرون : بل إنما سألوهم ربهم تعجيل أنصباهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمد صلى الله عليه وسلم فيؤمنوا حينئذ به ويصدقوه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (عَجَّلْ لَنَا قِطْنًا) قالوا : أرنا منازلنا في الجنة حتى نتابعك .

وقال آخرون : مسألهم نصيبهم من الجنة ، ولكنهم سألوهم تعجيله لهم في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ثابت الحدّاد ، قال : سمعت سعيد بن جبّير يقول في قوله (عَجَّلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) قال : نصيبنا من الجنة .

وقال آخرون : بل سألوهم ربهم تعجيل الرزق .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمر بن عليّ ، قال : ثنا أشعث السجستاني ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل بن أبي خالد في قوله (عَجَّلْ لَنَا قِطْنًا) قال : رزقنا

وقال آخرون : سألوهم أن يعجل لهم كتبهم التي قال الله (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يُسَمِّنُ) . (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ) في الدنيا ، لينظروا بأيمانهم يُعْطَوْنَها أم بشمائلهم ؟ ولينظروا من أهل الجنة هم ، أم من أهل النار قبل يوم القيامة استهزاء منهم بالقرآن وبوعد الله .

وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب أن يقال : إن القوم سألوهم ربهم تعجيل صيكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاء بوعد الله .

وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن القطّ هو ما وصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوهم تعجيل ذلك لهم ، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه (اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) فكان معلوماً بذلك أن مسألهم ما سألوهم النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه ، ولكن لنا كان ذلك استهزاء ، وكان فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أذى ، أمره الله بالصبر عليه منهم حتى يأتيه قضاؤه فيهم ، ولما لم يكن في قوله (عَجَّلْ لَنَا قِطْنًا) بيان أى القُطُوط إرادتهم ، لم يكن لما توجيه ذلك إلى أنه معنى به القُطُوط ببعض معاني الخير أو الشر ، فلذلك قلنا إن مسألهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر .

القول في تأويل قوله تعالى :

اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِي إِنَّهُ وَأَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ

وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالظِّيرِ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثِنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك لك مما تكره قيلهم لك ، فإننا ممتحنوك بالمكاره امتحاننا سائر رسلنا قبلك ، ثم جاعلو العلو والرفعة والظفر لك على من كذبك وشاقك سنتنا فى الرسل الذين أرسلناهم إلى عبادنا قبلك فمنهم عبدنا أيوب وداود بن إيشا ، فاذا كره ذا الأيد ، ويعنى بقوله (ذَا الْأَيْدِ) ذا القوّة والبطش الشديد فى ذات الله والصبر على طاعته .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) قال : ذا القوّة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنى أبو عاصم ، قال : ثنى عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ذَا الْأَيْدِ) قال : ذا القوّة فى طاعة الله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَذْكَرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) قال : أعطى قوّة فى العبادة ، وفقها فى الإسلام .

وتد ذكر لنا أن داود صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) ذا القوّة فى طاعة الله .

حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) قال : ذا القوّة فى عبادة الله ، الأيد : القوّة ، وقرأ (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) قال : بقوّة .
وقوله (إِنَّهُ أَوَّابٌ) يقول : إن داود رجّاع لما يكرهه الله إلى ما يرضيه أوّاب ، وهو من قولهم : أب الرجل إلى أهله : إذا رجع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : رجاع عن الذنوب .
حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : الرجاع عن الذنوب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّهُ أَوْابٌ) : أي كان مطيعاً لله كثير الصلاة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (إِنَّهُ أَوْابٌ) قال : المسبح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّهُ أَوْابٌ) قال : الأواب التواب الذي يثوب إلى طاعة الله ويرجع إليها ، ذلك الأواب ، قال : والأواب : المطيع .
وقوله (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) يقول تعالى ذكره : إنا سخّرنا الجبال يسبحن مع داود بالعشي ، وذلك من وقت العصر إلى الليل والإشراق ، وذلك بالغداة وقت الضحى .
ذكر أن داود كان إذا سبح سبحت معه الجبال .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) يسبحن مع داود إذا سبح بالعشي والإشراق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) قال : حين تشرق الشمس وتضحى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعر بن عبد الكريم ، عن موسى بن أبي كثير ، عن ابن عباس أنه بلغه « أن أم هاني ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، صلى الضحى ثمان ركعات ، فقال ابن عباس : قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة ، يقول الله (يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) »
حدثنا ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : ثنا صدقة ، قال : ثنا سعيد بن أبي عمرو ، عن أبي المتوكل ، عن أبي المتوكل ، عن أبيوب بن صفوان ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل « أن ابن عباس كان لا يصلّي الضحى ، قال : فأدخلته على أم هاني ، فقلت : أخبرني هذا بما أخبرتني به ، فقالت أم هاني : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح في بيتي ، فأمر بماء فصب في قصعة ، ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه ، فاغتسل ، ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات ، وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء ، قريب بعضهن من بعض ، فخرج ابن عباس ، وهو يقول : لقد قرأت ما بين اللوحين ، ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن (يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) وكنت أقول : أين صلاة الإشراق ، ثم قال : بعد هن صلاة الإشراق .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد بن أبي عمرو ، عن متوكل ، عن أيوب بن صفوان ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن الحارث ، « أن أم هاني ابنة أبي طالب ، حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دخل عليها ثم ذكر نحوه .

وعن ابن عباس في قوله (يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ) مثل ذلك .

وقوله (وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً) يقول تعالى ذكره : وسخّرنا الطير يسبحن معه محشورة بمعنى : مجموعة له ،

ذكر أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا سبح أجابته الجبال ، واجتمعت إليه الطير ، فسبحت معه واجتماعها إليه كان حشرها . وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل في معنى الحشر فيما مضى ، فكرهنا إعادته .
وكان قتادة يقول في ذلك في هذا الموضع ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (والطَّيْرَ مَحْشُورَةً) : مسخرّة .

وقوله (كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ) يقول : كل ذلك له مطيع رجّاع إلى طاعته وأمره . ويعنى بالكلّ : كلّ الطير .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ) : أي مطيع .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ) قال : كلّ له مطيع .
وقال آخرون : معنى ذلك : كل ذلك لله مسبّح .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ) يقول : مسبّح لله .
وقوله (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) اختلف أهل التأويل في المعنى الذي به شدّد ملكه ، فقال بعضهم : شدّد ذلك بالجنود والرجال ، فكان يحرسه كلّ يوم وليلة أربعة آلاف ، أربعة آلاف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) قال : كان يحرسه كلّ يوم وليلة أربعة آلاف ، أربعة آلاف .
وقال آخرون : كان الذي شدّد به ملكه ، أن أُعطي هبة من الناس له لقضية كان قضاها .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن حرب ، قال : ثنا موسى ، قال : ثنا داود ، عن علباء بن احمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رجلا من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم ، فاجتمعوا عند داود النبي صلى الله عليه وسلم فقال المستعدى : إن هذا اغتصبني بقرا لي ، فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده ، فسأل الآخر البيّنة ، فلم يكن له بيّنة ، فقال لهما داود : قوما حتى أنظر في أمركما ، فقاما من عنده ، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي استعدى عليه ، فقال : هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت ، فأوحى الله إلى داود في منامه مرّة أخرى أن يقتل الرجل ، وأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة من الله فأرسل داود إلى الرجل : إن الله قد أوحى إلى أن أقتلك ، فقال الرجل : تقتلني بغير بيّنة ولا تثبت ؟ فقال له

داود : نعم ، والله لأنفذن أمر الله فيك ؛ فلما عرف الرجل أنه قاتله ، قال : لاتعجل علىّ حتى أخبرك ، إني والله ما أخذت بهذا الذنب ، ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته ، فبذلك قُتلت ، فأمر به داود فقتل ، فاشتدت هيبة بنى إسرائيل عند ذلك لداود ، وشدد به ملكه ، فهو قول الله (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) .
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدّد ملك داود ، ولم يحضر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود .
 وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا ، وجائز أن يكون كان بجميعها ، ولا قول أولى في ذلك بالصحة من قول الله ، إذ لم يحصر ذلك على بعض معانى التشديد خبر يجب التسليم له .
 وقوله (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) اختلف أهل التأويل في معنى الحكمة في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بها النبوة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدى ، قوله (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) قال : النبوة .
 وقال آخرون : عنى بها أنه علم السنن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) : أى السنة .
 وقد بينا معنى الحكمة في غير هذا الموضع بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .
 وقوله (وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : عنى به أنه علم القضاء والفهم به .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) قال : أعطى الفهم .
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد (وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) قال : إصابة القضاء وفهمه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، في قوله (وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) قال : علم القضاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) قال : الحصومات التى يخاصم الناس إليه فصل ذلك الخطاب ، الكلام الفهم ، وإصابة القضاء والبيّنات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حُصَيْن ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن يقول : فصل الخطاب : القضاء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وفصل الخطاب ، بتكليف المدعى البينة ، واليمين على المدعى عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، قال : ثنا الشعبي أو غيره ، عن شريح أنه قال في قوله (وفصل الخطاب) قال : بيّنة المدعى ، أو يمين المدعى عليه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُمَيْيَّة ، عن داود بن أبي هند ، في قوله (وآتينا الحكمة وفصل الخطاب) قال : نُبِئت عن شريح أنه قال : شاهدان أو يمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر ، قال : سمعت داود قال : بلغني أن شريحا قال (فصل الخطاب) الشاهدان على المدعى ، واليمين على من أنكر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن طاوس ، أن شريحا قال لرجل : إن هذا يعيب على ما أُعطي داود ، الشهود والأيمان .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن شريح أنه قال في هذه الآية (وفصل الخطاب) قال : الشهود والأيمان .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا داود ، عن الشعبي ، في قوله (وآتينا الحكمة وفصل الخطاب) قال : يمين أو شاهد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وفصل الخطاب) البينة على الطالب ، واليمين على المطلوب ، هذا فصل الخطاب .

وقال آخرون : بل هو قولٌ : أما بعد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا إسماعيل ، عن الشعبي في قوله (وفصل الخطاب) قال : قول الرجل : أما بعد .

❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه آتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب ، والفصل : هو القطع ، والخطاب هو المخاطبة ، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه بصواب من الحكم ، ومن قطع مخاطبته أيضا

صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعى ، وإقامة البينة على دعواه وإن كان مدعى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه . ومن قطع الخطاب أيضا الذى هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء

في أخرى الفصل بينهما بأما بعد . فإذا كان ذلك كله محتملا ظاهر الخبر ولم تكن في هذه الآية دلالة على

أى ذلك المراد ، ولا ورد به خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثابت ، فالصواب أن يعم الخبر ، كما عمه الله ، فيقال : أوتى داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ (١١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ
بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۖ (١٢)

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : وهل أتاك يا محمد نبأ الخصم وقيل : إنه غنى بالخصم في هذا الموضع ملكان ، وخرج في لفظ الواحد ، لأنه مصدر مثل الزور والسفر ، لا يثنى ولا يجمع ؛ ومنه قول لبيد :

وَخَصِمٍ يَعْدُونَ الذُّحُونَ كَأَنَّهُمْ قُرُومٌ غِيَارَى كُلُّ أَزْهَرَ مُصْعَبٍ

وقوله (إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) يقول : دخلوا عليه من غير باب المحراب ، والمحراب مقدم كل مجلس وبيت وأشرفه . وقوله (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ) فكرر إذ مرتين وكان بعض أهل العربية يقول في ذلك : قد يكون معناهما كالواحد ، كقولك : ضربتك إذ دخلت على إذ اجترأت ، فيكون الدخول هو الاجتراء ، ويكون أن تجعل إحداهما على مذهب ليا ، فكأنه قال : إذ تسوَّروا المحراب لما دخلوا ، قال : وإن شئت جعلت لما في الأول ، فإذا كان لما أولا أو آخر ، فهي بعد صاحبها ، كما تقول : أعطيته لما سألتني ، فالسؤال قبل الإعطاء في تقدمه وتأخره .

وقوله (فَفَزِعَ مِنْهُمْ) يقول القائل : وما كان وجه فزعه منهما وهما خصمان ، فإن فزعه منهما كان لدخولهما عليه من غير الباب الذي كان المدخل عليه ، فزعه دخولهما كذلك عليه . وقيل : إن فزعه كان منهما ، لأنهما دخلا عليه ليلاً في غير وقت نظره بين الناس ، قالوا (لَا تَخَفْ) يقول تعالى ذكره : قال له الخصم : لا تخف يا داود ، وذلك لما رأياه قد ارتاع من دخولهما عليه من غير الباب . وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر من الكلام منه ، وهو مرافع خصمان ، وذلك نحن . وإنما جازت لك إظهار ذلك مع حاجة الخصمين إلى المرافع ، لأن قوله (خَصِمَانِ) فعل للمتكلم ، والعرب تضمير للمتكلم والمتكلم والمخاطب ما يرفع أفعالهما ، ولا يكادون أن يفعلوا ذلك بغيرهما ، فيقولون للرجل يخاطبونه : أمنطلق يا فلان ويقول المتكلم لصاحبه : أحسن إليك وتجميل ، وإنما يفعلون ذلك كذلك في المتكلم والمكلم ، لأنهما حاضران

(١) البيت للبيد (مجاز القرآن لأبي عبيدة ، الورقة ٢١٣ - ب) . قال : « نبأ الخصم » : يقع على الواحد والجمع . قال لبيد : « وخصم . . . » البيت . والدخول : جمع ذحل ، وهو الثأر . والقروم جمع قرم ، وهو الفحل العظيم من الإبل . وغيارى : جمع غيران . والأزهر : الأبيض والمصعب : الشديد القوى الذي يودع من الركوب والعمل ، للفحلة . (اللسان : صعب) . اه شبه الخصوم الأقوياء بالفحول من الإبل .

يعرف السامع مراد المتكلم إذا حذف الاسم ، وأكثر ما يجيء ذلك في الاستفهام ، وإن كان جائزا في غير الاستفهام ، فيقال : أجالس راكب ؟ فمن ذلك قوله خصمان ؛ ومنه قول الشاعر :

وَقُولَا إِذَا جَاوَزْتُمَا أَرْضَ عَامِرٍ
نَزِيرَانِ مِنْ جَرْمِ بْنِ رَبَّانٍ لَهُمْ

وَجَاوَزْتُمَا الْحَيَّيْنِ نَهْدًا وَخَشَعَمَا
أَبَوَا أَنْ يُمِيرُوا فِي الْمَزَاهِرِ مَجْمَعًا

وقول الآخر :

تَقُولُ ابْنَةُ الْكَعْبِيِّ يَوْمَ لَقِيَتْهَا
أَمْنُطَلِقُ فِي الْجَيْشِ أُمَّ مُتَشَاقِلُ^٢

ومنه قولهم : « مُحْسِنَةٌ فَهَيْلِي » . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « آثِبُونَ تَائِبُونَ » . وقوله : « جاءَ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ » كل ذلك بضمير رفعه . وقوله عز وجل

(بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ) يقول : تعدى أحدنا على صاحبه بغير حق (فاحكمم بيننا بالحق)

يقول : فاقض بيننا بالعدل (وَلَا تُشْطِطْ) : يقول : ولا تجر ، ولا تسرف في حكمك ، بالميل منك

مع أحدنا على صاحبه . وفيه لغتان : أَشْطَطَ ، وَشَطَطَ . ومن الإشطاط قول الأحوص :

أَلَا يَا لِقَوْمٍ قَدْ أَشْطَطَتْ عَوَازِلِي وَيَزْعُمْنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّي بَاطِلِي^٣

ومسموع من بعضهم : شَطَطَتْ عَلَى فِي السَّوْمِ . فأما في البعد فإن أكثر كلامهم : شَطَطَتْ الدار ، فهي

تَشِيطُ ، كما قال الشاعر :

تَشِيطُ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

وقوله (وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) يقول : وأرشدنا إلى قصد الطريق المستقيم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (وَلَا تُشْطِطْ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تُشْطِطْ) : أي لا تمل .

(١) البيتان : من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٧٨) على أن خصمان من قوله تعالى : « قالوا خصمان » : رفع بإضمار

نحن . قال : والعرب تضرر للمتكلم والمخاطب ما يرفع فعله ، ولا يكادون يفعلون ذلك بغير المخاطب أو المتكلم . من ذلك أن تقول للرجل :

أذهب ؟ أو أن يقول المتكلم : وأصلكم إن شاء الله ، ونحن إليكم . وذلك أن المتكلم والمكلم حاضران فتعرف معنى أسمائهما إذ

تركت . وأكثره في الاستفهام ، يقولون : أجاد ؟ منطلق وقد يكون في غير الاستفهام . فقوله « خصمان » من ذلك . وقال الشاعر :

« وقولا إذا . . . » البيتين . وقد جاء في آثار اللراجع من سفر : « تائبون آيبون ، لربنا حامدون » . . . الخ . قلت : والشاهد

في البيتين قوله « نزيعان » : أي نحن نزيعان . فهو مرفوع على تقدير مضر قبله ، وإن لم يكن معه استفهام .

(٢) وهذا البيت أيضا من شواهد الفراء في معاني القرآن ، على أنه قد يكون المبتدأ محذوفا ، ويكثر أن يكون ذلك مع وجود الاستفهام

في الكلام ، كقوله في البيت : أمنطلق في الجيش أم متشاقل ؟ أي أنت منطلق . . . الخ .

(٣) وهذا البيت للأحوص ، وهو كسابقه مروى في اللسان : « شطط » وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ، شاهدا على أن معنى أشطت ،

بالهمز في أوله : أبعدت . وأودى بحقه : ذهب به وأهلكه .

(٤) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢١٣) عند قوله تعالى : « ولا تشطط » أي : لا تسرف . وأنشده « تشط غدا

دار جيراننا . . . » البيت . ويقال : كلفتنى شططا : منه . وشطت الدار : بدت . هـ . وفي اللسان : (شطط) : وفي التنزيل

« ولا تشطط » . وقرئ : « ولا تشطط » بضم الطاء الأولى ، وفتح التاء ، ومعناها : لا تبعد عن الحق . هـ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَا تُشْطِطُ) يقول : لا تُحِف .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تُشْطِطُ) تخالف عن الحق ، وكالذي قلنا أيضا في قوله (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) قالوا .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) إلى عدله وخيره .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) إلى عدل القضاء .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) قال : إلى الحق الذي هو الحق : الطريق المستقيم (وَلَا تُشْطِطُ) تذهب إلى غيرها .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : (وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) : أي احملنا على الحق ، ولا تخالف بنا إلى غيره .
القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ كَفَّلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿١١﴾

وهذا مثل ضربه الخصم المتسورون على داود محرابه له ، وذلك أن داود كانت له فيما قيل : تسع وتسعون امرأة ، وكانت للرجل الذي أغراه حتى قتل امرأة واحدة ؛ فلما قُتل نكح (فيما) ذكر داود امرأته ، فقال له أحدهما : (إِنَّ هَذَا أَخِي) يقول : أخي على ديني .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : (إِنَّ هَذَا أَخِي) : أي على ديني (لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً) ، ولي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ . وذكر أن ذلك في قراءة عبدالله : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أَنْثَى) وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة ، كقولهم : هذا رجل ذكر ، ولا يكادون أن يفعلوا ذلك إلا في المؤنث والمذكر الذي تذكيره وتأنينه في نفسه كالمرأة والرجل والناقة ، ولا يكادون أن يقولوا هذه دار أنثى ، وملحفة أنثى ، لأن تأنينها في اسمها لاني معناها . وقيل : عنى بقوله : أنثى : أنها حسنة .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المحاربي ، عن جُوَيْر ، عن الضحاک (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أَنْثَى) يعني بتأنينها : حسنها .
وقوله (فَقَالَ كَفَّلْنِيهَا) يقول : فقال لي : انزل عنها لي وضمها إلى .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَكْفَلْنِيهَا) قال : أعطنيها ، طلقها لي ، أنكحها ، وخلّ سبيلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، فقال : (أَكْفَلْنِيهَا) أي احملي عليها .

وقوله (وَعَزَّيْنِي فِي الْحَطَابِ) يقول : وصار أعزّ مني في مخاطبته إياي ، لأنه إن تكلم فهو أئين مني ، وإن بطش كان أشدّ مني فقهرني .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله في قوله (وَعَزَّيْنِي فِي الْحَطَابِ) قال : مازاد داود على أن قال : انزل لي عنها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن المسعودي ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس قال : ما زاد على أن قال : انزل لي عنها .

وحدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : مازاد داود على أن قال (أَكْفَلْنِيهَا) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، (وَعَزَّيْنِي فِي الْحَطَابِ) قال : إن دعوت ودعا كان أكثر ، وإن بطشت وبطش كان أشدّ مني ، فذلك قوله (وَعَزَّيْنِي فِي الْحَطَابِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَعَزَّيْنِي فِي الْحَطَابِ) ؛ أي ظلمني وقهرني : حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَعَزَّيْنِي فِي الْحَطَابِ) قال : قهرني ، وذلك العزّ ؛ قال : والحطاب : الكلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه (وَعَزَّيْنِي فِي الْحَطَابِ) : أي قهرني في الحطاب ، وكان أقوى مني ، فحاز نعمتي إلى نعاجه ، وتركني لا شيء لي .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَعَزَّيْنِي فِي الْحَطَابِ) قال : إن تكلم كان أئين مني ، وإن بطش كان أشدّ مني ، وإن دعا كان أكثر مني .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ
وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَتْهُ فَاَسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : قال داود للخصم المتظلم من صاحبه : لقد ظلمك صاحبك بسؤاله نعجتك إلى نعاجه وهذا مما حذفت منه الهاء فأضيف بسقوط الهاء منه إلى المفعول به ، ومثله قوله عز وجل : (لا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) والمعنى : من دعائه بالخير ، فلما أُلْقِيَتْ الهاء من الدعاء أضيف إلى الخير ، وألتي من الخير الباء ، وإنما كنى بالنعجة هاهنا عن المرأة ، والعرب تفعل ذلك ؛ ومنه قول الأعشى :
 قَدَّ كُنْتُ رَائِدَهَا وَشَاةٍ مُحَاذِرٍ حَذْرًا يُقِيلُ بِعَيْنَيْهِ إِغْفَاةً
 يعني بالشاة : امرأة رجل يحذر الناس عليها ، وإنما يعني : لقد ظلمت بسؤال امرأتك الواحدة إلى التسع والتسعين من نسائه .

وقوله (وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) يقول : وإن كثيرا من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا) بالله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : وعملوا بطاعة الله ، وانتهوا إلى أمره ونهيه ، ولم يتجاوزوه (وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) وفي « ما » التي في قوله (وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) وجهان : أحدهما أن تكون صلة بمعنى : وقليل هم ، فيكون إثباتها وإخراجها من الكلام لا يفسد معنى الكلام : والآخر أن تكون اسما ، وهم صلة لها ، بمعنى : وقليل ما تجدهم ، كما يقال : قد كنت أحسبك أعقل مما أنت ، فتكون أنت صلة لما ، والمعنى : كنت أحسب عقلك أكثر مما هو ، فتكون « ما » والاسم مصدرا ، ولو لم ترد المصدر لكان الكلام بمن ، لأن من التي تكون للناس وأشباههم ، ومحكى عن العرب ، قد كنت أراك أعقل منك مثل ذلك ، وقد كنت أرى أنه غير ما هو ، بمعنى : كنت أراه على غير ما رأيت . وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني به علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) يقول : وقليل الذين هم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) قال : قليل من لا يبغى ، فعلى هذا التأويل الذي تأوله ابن عباس معنى الكلام : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل الذين هم كذلك ، بمعنى : الذين لا يبغى بعضهم على بعض ، و« ما » على هذا القول بمعنى : من .

وقوله (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) يقول : وعلم داود أنما ابتليناه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَظَنَّ دَاوُدُ) : علم داود .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسوية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن (وَظَنَّ دَاوُدَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) قال : ظن : أنما ابتلي بذلك .

(١) البيت في ديوان الأعشى ميمون بن قيس (طبعة القاهرة ص ٢٧) من لاميته التي مطلعها : « رحلت سمية غدوة أجمالها . . . » البيت وفيه : « بت » في مكان « كنت » . والضمير في راندها : راجع إلى الأرض التي تزينت بأنواع النبات في البيت السابق . والشاة من الحيوان : يكنى بها عن المرأة . ومحاذر : شديد المحاذرة عليها دائم المراقبة لها ، وهو زوجها . وقوله « شاة » بالجر : معطوف على قوله في بيت سابق : « رب غانية صرمت وصلها » . يقول : رب مصاب سحابة بت راندها ، ورب امرأة لها زوج يحذر عليها ويراقبها مراقبة شديدة ، حتى إذا غفل عنها آخر الليل ، دنوت منها . . . الخ .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) قال : ظنّ أنما ابتلى بذاك .
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) اختبرناه . والعرب توجه الظنّ إذا أدخلته على الإخبار كثيرا إلى العلم الذي هو من غير وجه العيان .

وقوله (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ) يقول : فسأل داود ربه غفران ذنبه (وَخَرَّ رَاكِعًا) يقول : وخرّ ساجدا لله (وَأَنَابَ) يقول : ورجع إلى رضا ربه ، وتاب من خطيئته .
واختلف في سبب البلاء الذي ابتلى به نبيّ الله داود صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس ، فتمنى مثله ، فقيل له : إنهم امتحنوا فصبروا ، فسأل أن يُبْتَلَى كَالَّذِي ابْتَلُوا ، ويعطى كالذي أعطوا إن هو صبر :
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى سمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) قال : إن داود قال : ياربّ قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله ، قال الله : إني ابتليتهم بما لم أتلك به ، فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به ، وأعطيتك كما أعطيتهم ، قال : نعم ، قال له : فاعمل حتى أرى بلاءك ، فكان ماشاء الله أن يكون ، وطال ذلك عليه ، فكاد أن ينساه ، فبينما هو في محرابه ، إذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها ، فطارت إلى كوة المحراب ، فذهب ليأخذها ، فطارت ، فاطلع من الكوة ، فرأى امرأة تغتسل ، فنزل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم من المحراب ، فأرسل إليها فيجاءته ، فسألها عن زوجها وعن شأنها ، فأخبرته أن زوجها غائب ، فكتب إلى أمير تلك السرية أن يؤمّره على السرايا ليهلك زوجها ، ففعل ، فكان يُصاب أصحابه وينجو ، وربما نُصروا ، وإن الله عزّ وجلّ لما رأى الذي وقع فيه داود ، أراد أن يستنقذه ، فبينما داود ذات يوم في محرابه ، إذ تسوّر عليه الخصمان من قبيل وجهه ؛ فلما رأهما وهو يقرأ فزع وسكت ، وقال : لقد استضعفت في ملكي حتى إن الناس يتسوّرون على محرابي ، قالوا له (لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغْيِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ) ولم يكن لنا بدّ من أن نأتيك ، فاسمع منا ؛ قال أحدهما : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِيجَةً) أنثى (وَلى نَعِيجَةً وَاحِدَةً) فقال أكفيلنيها) يريد أن يتمم بها مئة ، ويتركني ليس لي شيء (وَعَزَّيْنِي فِي الْحَطَابِ) قال : إن دعوت ودعا كان أكثر ، وإن بطشت وبتش كان أشدّ مني ، فذلك قوله (وَعَزَّيْنِي فِي الْحَطَابِ) قال له داود : أنت كنت أحوج إلى نعمتك منه (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ) . . . إلى قوله (وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) ونسى نفسه صلى الله عليه وسلم ، فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك ، فتبسّم أحدهما إلى الآخر ، فرآه داود وظنّ أنما فتن (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) أربعين ليلة ، حتى نبت الخضرة من دموع عينيه ، ثم شدد الله له ملكه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) قال : كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام : يوم يتقضي فيه بين الناس ، ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ، ويوم يخلو فيه لنسائه وكان له تسع وتسعون امرأة ، وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ؛ فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب قال : يا رب إن الخير كله قد ذهب به آباءى الذين كانوا قبلى ، فأعطينى مثل ما أعطيتهم ، وافعل بى مثل ما فعلت بهم ، قال : فأوحى الله إليه : إن آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ، ابتلى إبراهيم بذبح ابنه ، وابتلى إسحاق بذهاب بصره ، وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف ، وإنك لم تبتل من ذلك بشيء ، قال : يا رب ابتلى بمثل ما ابتليتهم به ، وأعطينى مثل ما أعطيتهم ؛ قال : فأوحى إليه : إنك مبتلى فاحترس ؛ قال : فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ، إذ جاءه الشيطان قد تمثل فى صورة حمامة من ذهب ، حتى وقع عند رجله وهو قائم يصلى ، فمد يده ليأخذه ، فتنحى فتبعه ، فتباعد حتى وقع فى كوة ، فذهب ليأخذه ، فطار من الكوة ، فنظر أين يقع ، فبيعت فى أثره . قال : فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها ، فرأى امرأة من أجمل الناس خلسقا ، فحانت منها التفاتة فأبصرته ، فألقت شعرها فاستترت به ، قال : فزاده ذلك فيها رغبة ، قال : فسأل عنها ، فأخبر أن لها زوجا ، وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا ؛ قال : فبيعت إلى صاحب المسلحة أن يبعث «أهريا ١» إلى عدو كذا وكذا ، قال : فبعثه ، ففتح له . قال : وكتب إليه بذلك ، قال : فكتب إليه أيضا : أن ابعته إلى عدو كذا وكذا ، أشد منهم بأسا ، قال : فبعثه ففتح له أيضا . قال : فكتب إلى داود بذلك ، قال : فكتب إليه أن ابعته إلى عدو كذا وكذا ، فبعثه فقتل المرأة الثالثة ، قال : وتزوج امرأته .

قال : فلما دخلت عليه ، قال : لم تلبث عنده إلا يسيرا حتى بعث الله مائة كين فى صورة إنسين ، فطلبوا أن يدخلوا عليه ، فوجداه فى يوم عبادته ، فثنعهما الحرس أن يدخلوا ، فمستورا عليه المحراب ، قال : فما شعر وهو يصلى إذ هو بهما بين يديه جالسين ، قال : ففزع منهما ، فقالا : (لا تخف) إنما نحن (خصمان بغي بعضنا على بعض ، فاحكمم بيننا بالحق ولا تشطط) يقول : لا تخف (وأهدنا إلى سواء الصراط) : إلى عدل القضاء . قال : فقال : قصا على قصتكما ، قال : فقال أحدهما : (إن هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْمَةً وَوَلَى نَعْمَةٌ وَاحِدَةٌ) فهو يريد أن يأخذ نعتي ، فيكمل بها نعاجه مئة . قال فقال للآخر : ما تقول ؟ فقال : إن لى تسعا وتسعين نعجة ، ولأخى هذا نعجة واحدة ، فأنا أريد أن آخذها منه ، فأكمل بها نعاजी مئة ، قال : وهو كاره ؟ قال : وهو كاره ، قال : وهو كاره ؟ ، قال : إذن لاندعك وذاك ، قال : ما أنت على ذلك بقادر ، قال : فإن ذهبت تروم ذلك أو تريد ، ضربنا منك هذا وهذا وهذا ، وفسر أسباط طرف الأنف ، وأصل الأنف والجبهة ؛ قال : يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وهذا ، حيث لك تسع وتسعون نعجة امرأة ، ولم يكن لأهريا إلا امرأة واحدة ، فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته ، وتزوجت امرأته . قال : فنظر فلم ير شيئا ، فعرف ما قد وقع فيه ، وما قد ابتلى به . قال : فخر ساجدا ، قال : فبكى . قال : شك يبكى ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا

(١) سياتى فى ١٤٩ أن اسمه «أوريا» .

لحاجة منها ، ثم يقع ساجدا يبكي ، ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه . قال : فأوحى الله إليه بعد أربعين يوما : يا داود ارفع رأسك ، فقد غفرت لك ، فقال : يا رب كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء ، إذا جاءك أهريا يوم القيامة آخذا رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دما في قبل عرشك يقول : يا رب سل هذا فيم قتلتني ؟ قال : فأوحى إليه : إذا كان ذلك دعوت أهريا ، فأستوهبك منه ، فيهبك لي ، فأثيبه بذلك الجنة ، قال : رب الآن علمت أنك قد غفرت لي ، قال : فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه حتى قبض صلى الله عليه وسلم .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : ثنى عطاء الخراساني ، قال : نقش داود خطئته في كفه لكيلا ينساها ، قال : فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت . وقال آخرون : بل كان ذلك لعارض كان عرض في نفسه من ظن أنه يطيق أن يتم يوما لا يصيب فيه حوبة ، فابتلى بالفتنة التي ابتلى بها في اليوم الذي طمع في نفسه بإتمامه بغير إصابة ذنب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن مظر ، عن الحسن : إن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء : يوما لنسائه ، ويوما لعبادته ، ويوما نقضاء بني إسرائيل ، ويوما لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ، ويبكيهم ويبكونه ؛ فلما كان يوم بني إسرائيل قال : ذكروا فقالوا : هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا ؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك : فلما كان يوم عبادته ، أغلق أبوابه ، وأمر أن لا يدخل عليه أحد ، وأكب على التوراة ، فبينما هو يقرؤها ، فإذا حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن ، قد وقعت بين يديه ، فأهوى إليها ليأخذها ، قال : فطارت ، فوقعت غير بعيد ، من غير أن تؤيسه من نفسها ، قال : فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل ، فأعجبه خلسقها وحسنها ؛ قال : فلما رأت ظله في الأرض ، جللت نفسها بشعرها ، فزاده ذلك أيضا إعجابا بها ، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه ، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا ، مكان إذا سار إليه لم يرجع ، قال : ففعل ، فأصيب فخطبها فتزوجها . قال : وقال قتادة : بلغنا أنها أم سليمان ، قال : فبينما هو في الحراب ، إذ تسور الملكان عليه ، وكان الحصان إذا أتوه يأتونه من باب الحراب ، ففرع منهم حين تسوروا الحراب ، فقالوا (لا تحف خصمان بعني بعضنا على بعض) . . . حتى بلغ (ولا تشطط) : أي لا تمل (وأهدنا إلى سواء الصراط) : أي أعدله وخيره (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة) ، وكان لداود تسع وتسعون امرة (ولى نعجة واحدة) قال : وإنما كان للرجل امرأة واحدة (فقال أكفلينيها وعزني في الخطاب) : أي ظمني وقهرني ، فقال : (لقد ظلمتكم بسؤال نعجتك إلى نعاجه) . . . إلى قوله (وقليل ما هم وظن داود) فعلم داود أنما صمد له : أي عني به ذلك (فخر راعيا وأتاب) قال : وكان في حديث مظر ، أنه سجد أربعين ليلة ، حتى أوحى الله إليه : إني قد غفرت لك ، قال : رب وكيف تغفر لي

وأنت حكم عدل ، لا تظلم أحدا ؟ قال : إني أقضيك له ، ثم أستوهبه دمك أو ذنبك ، ثم أثيبه حتى يرضى ، قال : الآن طابت نفسى ، وعلمت أنك قد غفرت لى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه اليماني ، قال : لما اجتمعت بنو إسرائيل ، على داود ، أنزل الله عليه الزبور ، وعلمه صنعة الحديد ، فألانه له ، وأمر الجبال والطيور أن يسبحن معه إذا سبح ولم يعط الله فيما يذكر من أحدا من خلقه مثل صوته ، كان إذا قرأ الزبور فيما يذكر ، تدنو له الوحوش حتى يأخذ بأعناقها ، وإنها لمصيخة تسمع لصوته ، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج ، إلا على أصناف صوته ، وكان شديد الاجتهاد دائب العبادة ، فأقام في بني إسرائيل يحكم فيهم بأمر الله نبيا مستخلفا ، وكان شديد الاجتهاد من الأنبياء ، كثير البكاء ، ثم عرض من فتنة تلك المرأة ما عرض له ، وكان له محراب يتوحد فيه لتلاوة الزبور ، ولصلاته إذا صلى ، وكان أسفل منه جنيئة لرجل من بني إسرائيل ، كان عند ذلك الرجل المرأة التي أصاب داود فيها ما أصابه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم ، قال : لا يدخلن عليّ محرابي اليوم أحد حتى الليل ، ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسى ودخل محرابه ، ونشر زبوره يقرؤه وفي المحراب كوة تطلعه على تلك الجنيئة ، فيبينا هو جالس يقرأ زبوره ، إذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت في الكوة ، فرفع رأسه فرآها ، فأعجبته ، ثم ذكر ما كان قال : لا يشغله شيء عما دخل له ، فنكس رأسه وأقبل على زبوره ، فتصوّبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوة ، فوقعت بين يديه ، فتناولها بيده ، فاستأخرت غير بعيد ، فاتبعها ، فهضت إلى الكوة ، فتناولها في الكوة ، فتصوّبت إلى الجنيئة ، فاتبعها بصره أين تقع ، فاذا المرأة جالسة تغتسل بهيئة الله أعلم بها في الجمال والحسن والخلق ، فيزعمون أنها لما رآته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه ، واختطف قلبه ، ورجع إلى زبوره ومجلسه ، وهى من شأنه لا يفارق قلبه ذكرها ، وتمادى به البلاء حتى أغزى زوجها ، ثم أمر صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدم زوجها للمهالك حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك ، ولداود تسع وتسعون امرأة ؛ فلما أصيب زوجها خطبها داود ، فنكحها ، فبعث الله إليه وهو في محرابه ملكين يختصمان إليه مثلا يضربه له ولصاحبه ، فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه ، فقال : ما أدخلكما عليّ ؟ قالا : لا تخف لم ندخل لبأس ولا لريبة (خصمان بغى بعضنا على بعض) فجتناك لتقضى بيننا (فاحكمم بيننا بالحق ولا تشططوا وأهدنا إلى سواء الصراط) : أى احملنا على الحق ، ولا تخالف بنا إلى غيره ، قال الملك الذى يتكلم عن أوريا بن حنانيا زوج المرأة (إن هذا أخى) أى على ديني (له تسع وتسعون نعجة) ولي نعجة واحدة فقال أكفلينيها) أى احملني عليها ، ثم عزني في الخطاب : أى قهرني في الخطاب ، وكان أقوى منى هو وأعز ، فعجاز نعجتي إلى نعاجه وتركني لاشيء لى ، فغضب داود ، فنظر إلى خصمه الذى لم يتكلم ، فقال : لئن كان صدقنى ما يقول : لأضربن بين عينيك بالفأس ، ثم ارعوى داود ، فعرف أنه هو الذى يراد بما صنع في امرأة أوريا ، فوقع

ساجدا تائباً منيباً باكياً ، فسجد أربعين صباحاً صائماً لا يأكل فيها ولا يشرب ، حتى أنبت دمه الخضر تحت وجهه ، وحتى أنذب السجود في لحم وجهه ، فتاب الله عليه وقبل منه .

ويزعمون أنه قال : أي ربّ هذا غفرت ما جنيت في شأن المرأة ، فكيف بدم القتل المظلوم ؟ قيل له : ياداود ، فيما زعم أهل الكتاب ، أما إن ربك لم يظلمه بدمه ، ولكنه سيسأله إياك فيعطيه ، فيضعه عنك ؛ فلما فرج عن داود ما كان فيه ، رسم خطيئته في كفه اليمنى بطن راحته ، فما رفع إلى فيه طعاماً ولا شرباً قطّ إلا بكى إذا رآها ، وما قام خطيباً في الناس قطّ إلا نشر راحته ، فاستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته في يده .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثاً يذكر عن مجاهد قال : « لما أصاب داود الخطيئة خرّ لله ساجداً أربعين يوماً حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطّى رأسه ، ثم نادى ربّ قرح الجبين ، وجمدت العين ، وداود لم يرجع إليه في خطيئته شيء ، فنودي : أجاج فتطم ، أم مريض فتشفي ، أم مظلوم فينتصر لك ؟ قال : فنجب نجبة هاج كل شيء كان نبت ، فعند ذلك غفر له وكانت خطيئته مكتوبة بكفه يقرؤها ، وكان يؤتى بالإناء ليشرّب فلا يشرب إلا ثلثه أو نصفه ، وكان يذكر خطيئته ، فينحسب النّحسبة تكاد مفاصله تزول بعضها من بعض ، ثم ما يتم شربه حتى يملاؤه من دموعه ، وكان يقال : إن دمعة داود ، تعدل دمعة الخلائق ، ودمعة آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق ، قال : فهو يجيء يوم القيامة خطيئته مكتوبة بكفه ، فيقول : ربّ ذنبى ذنبى قدّمنى ، قال : فيقدم فلا يأمن فيقول : ربّ أخرنى فيؤخر فلا يأمن . »

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن لهيعة ، عن أبي صخر ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك سمعه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن داود النّبيّ صلى الله عليه وسلم حين نظرت إلى المرأة فأهّم ، قطع على بنى إسرائيل ، فأوصى صاحب البعث ، فقال : إذا حضر العدو ، فقرب فلانا بين يدي التّابوت ، وكان التّابوت في ذلك الزّمان يستنصر به ، من قدّم بين يدي التّابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيوش ، فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصّبان عليه قصته ، ففطن داود فسجد ، فكث أربعين ليلةً ساجداً حتى نبت الزّرع من دموعه على رأسه ، وأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده ، فلم أحص من الرقاشي إلا هؤلاء الكلمات : ربّ زلّ داود زلّةً أبعد ما بين المشرق والمغرب ، إن لم ترّحم ضعف داود وتغفر ذنبه ، جعلت ذنبه حديدًا في الخلوّف من بعده ، فجاءه جبرائيل صلى الله عليه وسلم من بعد الأربعين ليلةً ، فقال : ياداود إن الله قد غفر لك الهمّ الذي هممت به ، فقال داود : علمت أن الربّ قادر على أن يغفر لي الهمّ الذي هممت به ، وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال ياربّ دمي الذي عند داود ، فقال جبرائيل صلى الله عليه وسلم : ما سألت ربك عن ذلك ، ولكن شئت لأفعلن ، فقال : نعم ، فعرج جبريل وسجد داود ، فكث ما شاء الله ، ثم نزل فقال : قد سألت ربك عز وجل

يَا دَاوُدُ عَنِ الَّذِي أُرْسَلْتَنِي فِيهِ ، فَقَالَ : قُلْ لِدَاوُدَ : إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ : هَبْ لِي دَمَكَ الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ ، فَيَقُولُ : هُوَ لَكَ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : فَإِنَّكَ فِي الْجَنَّةِ مَا شِئْتَ وَمَا اشْتَهَيْتَ عِوَضًا .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا ابن جابر ، عن عطاء الخراساني : « أن كتاب صاحب الأبعث جاء ينعي من قتل : فلما قرأ داود نعي وجل منهم رجف ، فلما انتهى إلى اسم الرجل قال : كتب الله على كل نفس الموت ، قال : فلما انقضت عديتها خطبها . »

القول في تأويل قوله تعالى :

فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿١٥﴾ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

يعني تعالى ذكره بقوله (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) فعفونا عنه ، وصفحنا له عن أن نؤاخذه بخطيئته وذنبه ذلك (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ) يقول : وإن له عندنا لملقربة منا يوم القيامة . وبنحو الذي قلنا في قوله (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) الذنب . وقوله (وَحُسْنَ مَآبٍ) يقول : مرجع ومنقلب ينقلب إليه يوم القيامة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَحُسْنَ مَآبٍ) : أي حسن مصير . حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وَحُسْنَ مَآبٍ) قال : حسن المنقلب .

وقوله (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : وقلنا لداود : يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً) ملكه في الأرض (فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) يعني : بالعدل والإنصاف (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ) يقول : ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه ، فتجور عن الحق (فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)

يقول : فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه ، فتكون من الهالكين بضالك عن سبيل الله .
 وقوله (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)
 يقول تعالى ذكره : إن الذين يميلون عن سبيل الله ، وذلك الحق الذي شرعه لعباده ، وأمرهم بالعمل به ، فيجورون عنه في الدنيا ، لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضالاهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله ، يقول : بما تركوا القضاء بالعدل ، والعمل بطاعة الله (يَوْمَ الْحِسَابِ) من صلة العذاب الشديد .
 وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام ، عن عكرمة ، في قوله (عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) قال : هذا من التقديم والتأخير ، يقول : لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) قال : نسوا : تركوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿١٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿١٨﴾ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) عبثا وهوا ، ما خلقناهما ليعمل فيهما بطاعتنا ، وينتهي إلى أمرنا ونهينا ، (ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول : أي ظن أنا خلقنا ذلك باطلا ولعبا ، ظن الذين كفروا بالله فلم يوحدوه ، ولم يعرفوا عظمته ، وأنه لا ينبغي أن يعجببت ، فتيقنوا بذلك أنه لا يخلق شيئا باطلا (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) يعني : من نار جهنم . وقوله (أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ) يقول : أنجعل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله به ، وانتهوا عما نهاهم عنه (كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ) يقول : كالذين يشركون بالله ويعصونه ويخالفون أمره ونهيه (أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ) يقول : الذين اتقوا الله بطاعته وراقبوه ، فحذروا معاصيه (كَالْفُجَّارِ) يعني : كالكفار المنتهكين حرمة الله . وقوله (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يقول تعالى ذكره

لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وهذا القرآن (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يا محمد (مُبَارَكٌ لِيَدِّ بَرِّوَا آيَاتِهِ) يقول : ليتدبروا حُجَجَ اللَّهِ الَّتِي فِيهِ ، وما شرع فيه من شرائعه ، فيتعظوا ويعملوا به .
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة القراء (لِيَدِّ بَرِّوَا) بالياء ، يعني : ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد . وقرأه أبو جعفر وعاصم (لِيَدِّ بَرِّوَا آيَاتِهِ) بالتاء ، بمعنى : لتدبره أنت يا محمد وأتباعك .

وأولى القراءتين عندنا بالصواب في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب (وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) يقول : وليعتبر أولو العقول والحجما ما في هذا الكتاب من الآيات ، فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة ، وينتهوا إلى ما دهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب .
وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (أُولُو الْأَلْبَابِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أُولُو الْأَلْبَابِ) قال : أولو العقول من الناس . وقد بينا ذلك فيما مضى قبل بشواهد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣١﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّافِيَتِ الْجِيَادُ ﴿٣٢﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٣﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى ذكره (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ) ابنه ولدا (نِعْمَ الْعَبْدُ) يقول : نعم العبد سليمان (إِنَّهُ أَوَّابٌ) يقول : إنه رجاع إلى طاعة الله تَوَّابٌ إليه مما يكرهه منه . وقيل : إنه عُنِيَ به أنه كثير الذكر لله والطاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : الأواب : المسبِّح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : كان مطيعا لله كثير الصلاة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) قال : المسبِّح ، والمسبِّح قد يكون في الصلاة والذكر . وقد بينا معنى الأواب ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته ها هنا .

وقوله (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) يقول تعالى ذكره: إنه تَوَّابٌ إلى الله من خطيئته التي أخطأها، إذ عرض عليه بالعشي الصافنات، فإذا من صلة أوَّاب، والصفاننات: جمع الصافن من الخيل، والأثني: صافنة، والصفانن منها عند بعض العرب: الذي يجمع بين يديه، ويثنى طرف سننك إحدى رجله، وعند آخرين: الذي يجمع يديه. وزعم الفراء أن الصافن: هو القائم، يقال منه: صَفَنَتِ الخيلُ تَصْفِنُ صُفُونًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) قال: صُفُونُ الفرس: رَفَعُ إحدى يديه حتى يكون على طرف الحافر. حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: صَفَنَ الفرسُ: رفع إحدى يديه حتى يكون على طرف الحافر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) يعني: الخيل، و صُفُونُها: قيامها وبَسَطُها قوائمها.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: الصافنات: الخيل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) قال: الخيل أخرجها الشيطان لسليمان، من مَرَجٍ من مروج البحر. قال: الخيل والبغال والحمير تَصْفِنُ، والصفن أن تقوم على ثلاث، وترفع رجلا واحدة حتى يكون طرف الحافر على الأرض.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الصافنات: الخيل، وكانت لها أجنحة. وأما الجياد: فإنها السراع، واحدها: جواد.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: الجياد: السراع. وذكر أنها كانت عشرين فرسا ذوات أجنحة.

ذكر الخبر بذلك

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن أبيه، عن إبراهيم التيمي، في قوله: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) قال: كانت عشرين فرسا ذات أجنحة.

وقوله (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره، فلهي عن الصلاة حتى قاتته، فقال: إني أحببت حب الخير. ويعني بقوله: (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ) : أي أحببت حبا للخير، ثم أضيف الحب إلى الخير، وعنى بالخير في هذا الموضع الخيل، والعرب فيما بلغني تسمى الخيل الخير، والمال أيضا يسمونه الخير.

(١) لم نجد «الصفن» بسكون الفاء مصدرا لصفنت الخيل، وإنما مصدره الصفون مثل جلس يجلس جلوسا، وهو القياس، لأن الفعل

لازم، والصفن: مصدر للمتعدى.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ) :
أى المال والخيل ، أو الخير من المال .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السديّ (قَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ)
قال : الخيل .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قوله (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ)
قال : المال .

وقوله (عَن ذِكْرِ رَبِّي) يقول : إني أحببت حبّ الخير حتى سهوت عن ذكر ربّي وأداء فريضته .
وقيل : إن ذلك كان صلاة العصر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (عَن ذِكْرِ رَبِّي) عن صلاة العصر .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (عَن ذِكْرِ رَبِّي) قال : صلاة العصر .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو زرعة ، قال : ثنا حيوة بن شريح ، قال : ثنا
أبو صخر ، أنه سمع أبا معاوية البجليّ من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصهباء البكرى يقول : سألت علىّ
ابن أبى طالب ، عن الصلاة الوسطى ، فقال : هى العصر ، وهى التى فتن بها سليمان بن داود .

وقوله (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) يقول : حتى توارت الشمس بالحجاب ، يعنى : تغيبت فى مغيبها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ميكائيل ، عن داود بن أبى هند ، قال : قال ابن
مسعود ، فى قوله (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) قال : توارت
الشمس من وراء ياقوتة خضراء ، فخضرة السماء منها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) حتى دأبكت

براح . قال قتادة : فوالله ما نازعته بنو إسرائيل ولا كابروه ، ولكن ولوه من ذلك ، ما ولاه الله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (حَتَّى تَوَارَتْ
بالحجاب) حتى غابت .

وقوله (رُدُّوْهَا عَلَيَّ) يقول : ردّوا علىّ الخيل التى عرضت علىّ ، فشغلتنى عن الصلاة فكروها علىّ .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (رُدُّوْهَا
عَلَيَّ) قال : الخيل .

وقوله (فَطَطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) يقول : فجعل يمسح منها السوق ، وهي جمع الساق والأعناق .

واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها ، فقال بعضهم : معنى ذلك : أنه عقرها وضرب أعناقها ، من قولهم : مَسَحَ علاوته : إذا ضرب عنقه . ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَطَطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) قال : قال الحسن : قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك ، قال قوهما فيه ، يعني قتادة والحسن قال : فكسف عراقبيها ، وضرب أعناقها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَطَطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) ف ضرب سوقها وأعناقها .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : أمر بها فعمُرت .

وقال آخرون : بل جعل يمسح أعرافها وعراقبيها بيده حبباً لها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (فَطَطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) يقول : جعل يمسح أعراف الخيل وعراقبيها : حبباً لها . وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية ، لأن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرقبة ، ويهلك مالا من ماله بغير سبب ، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَتَّبِعُنِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسية جسداً شيطاناً ممثلاً بإنسان ، ذكروا أن اسمه صخر . وقيل : إن اسمه آصف . وقيل : إن اسمه آصر . وقيل : إن اسمه حقيق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَلْقَيْنَا) على كرسية جسدًا (جسدًا) قال : هو صخر الجنى تمثل على كرسية جسدًا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ) قال : الجسد : الشيطان الذي كان دفع إليه سليمان خاتمه ، فقفذه في البحر ، وكان ملك سليمان في خاتمه ، وكان اسم الجنى صحرا . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً) قال : شيطانا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً) قال : شيطانا . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً) قال : شيطانا يقال له آصر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً) قال : شيطانا يقال له آصف ، فقال له سليمان : كيف تفتنون الناس ؟ قال : أرني خاتمك أخبرك ، فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر ، فساح سليمان وذهب ملكه ، وقعد آصف على كرسيه ، ومنعه الله نساء سليمان ، فلم يقربهن ، وأنكرنه ؛ قال : فكان سليمان يستظعم فيقول : أتعرفوني أضعموني أنا سليمان ، فيكذبونه ، حتى أعطته امرأة يوماحوتا يطيب بطنه ، فوجد خاتمه في بطنه ، فرجع إليه ملكه ، وفر آصف فدخل البحر فاراً . حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ، غير أنه قال في حديثه ، فيقول : لو تعرفوني أطعمتموني .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ) قال : حدثنا قتادة أن سليمان أمر ببناء بيت المقدس ، فقيل له : ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، قال : فطلب ذلك فلم يقدر عليه ، فقيل له : إن شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد ، قال : فطلبه ، وكانت عين في البحر يردها في كل سبعة أيام مرة ، فنزح ماؤها وجعل فيها خمر ، فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمر ، فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تصبين الحليم ، وتزيدين الجاهل جهلا ، قال : ثم رجعت حتى عطش عطشا شديدا ، ثم أتتها فقال : إنك لشراب طيب ، إلا أنك تصبين الحليم ، وتزيدين الجاهل جهلا ؛ قال : ثم شربها حتى غلبت على عقله ، قال : فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه ، فذل ، قال : فكان ملكه في خاتمه ، فأتى به سليمان ، فقال : إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت . وقيل لنا : لا يسمع فيه صوت حديد ، قال : فأتى بيض المهدد ، فجعل عليه زجاجة ، فجاء المهدد ، فدار حولها ، فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه ، فذهب فجاء بالماس ، فوضعه عليه ، فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه ، فأخذ الماس ، فجعلوا يقطعون به الحجارة ، فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخلها بخاتمه ؛ فانطلق يوما إلى الحمام ، وذلك الشيطان صخر معه ، وذلك عند مقارفة ذنب قارف

فيه بعض نساته ، قال : فدخل الحمام ، وأعطى الشيطان خاتمه ، فألقاه في البحر ، فالتقمته سمكة ، ونزع مُلك سليمان منه ، وألقى على الشيطان شبه سليمان ؛ قال : فجاء فقعد على كرسيه وسريره ، وسلط على مُلك سليمان كله غير نساته ؛ قال : فجعل يقضى بينهم ، وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا : لقد فُتِنَ نبيّ الله ، وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطّاب في القوة ، فقال : والله لأجربنه ؛ قال : فقال له : يا نبيّ الله ، وهو لا يرى إلا أنه نبيّ الله ، أهدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة ، فیدع الغُسل عمدا حتى تطلع الشمس ، أترى عليه بأسا ؟ قال : لا ، قال : فينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبيّ الله خاتمه في بطن سمكة ، فأقبل فجعل لا يستقبله جنّي ولا طير إلا سجد له ، حتى انتهى إليهم (وألقينا على كُرسِيه جسدًا) قال : هو الشيطان صخر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) قال : لقد ابتلينا (وألقينا على كُرسِيه جسدًا) قال : الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوما ؛ قال : كان لسليمان مئة امرأة ، وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة ، وهي آثر نساته عنده ، وآمنه عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ، ولم يأت من عليه أحدا من الناس غيرها ، فجاءته يوما من الأيام ، فقالت : إن أخى بينه وبين فلان خصومة ، وأنا أحب أن تقضى له إذا جاءك ، فقال لها : نعم ، ولم يفعل ، فابتلى وأعطاها خاتمه ، ودخل المخرج ، فخرج الشيطان في صورته ، فقال لها : هاتي الخاتم ، فأعطته ، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد ، فسألها أن تعطيه خاتمه ، فقالت ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا ، وخرج مكانه تأها ؛ قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما . قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قرآء بني إسرائيل وعلمائهم ، فجاءوا حتى دخلوا على نساته ، فقالوا إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله ، وأنكرنا أحكامه . قال : فبكى النساء عند ذلك ، قال : فأقبلوا يمشون حتى أتوه ، فأحدقوا به ، ثم نشروا التوراة ، فقرءوا ؛ قال : فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب إلى البحر ، فوقع الخاتم منه في البحر ، فابتلعه حوت من حيتان البحر . قال : وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع ، وقد اشتد جوعه ، فاستطعمهم من صيدهم ، قال : إني أنا سليمان ، فقام إليه بعضهم فضربه بعضا فشجّه ، فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه ، فقالوا : بثس ما صنعت حيث ضربته ، قال : إنه زعم أنه سليمان ، قال : فأعطوه سمكتين مما قد مَدِرَ عندهم ، ولم يشغله ما كان به من الضرر ، حتى قام إلى شطّ البحر ، فشق بطونهما ، فجعل يغسل ٧ ، فوجد خاتمه في بطن إحداهما ، فأخذه فلبسه ، فردّ الله عليه بهاءه ومُلكه ، وجاءت الطير حتى حامت عليه ، فعرف القوم أنه سليمان ، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا ، فقال : ما أحمدكم على عذرکم ، ولا ألومكم على ما كان منكم ، كان هذا الأمر لا بد منه ، قال : فجاء حتى أتى مُلكه ، فأرسل إلى الشيطان فجىء به ، وسخر له الريح والشياطين يومئذ ، ولم تكن سخرت له قبل ذلك ، وهو قوله (وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ، إِنَّكَ

أَنْتَ الْوَهَّابُ) قال : وبعث إلى الشيطان ، فأتى به ، فأمر به فجعل في صندوق من حديد ، ثم أطبق عليه فأقفل عليه بقل ، وختم عليه بخاتمه ، ثم أمر به ، فألقى في البحر ، فهو فيه حتى تقوم الساعة ، وكان اسمه حقيق .

وقوله (ثُمَّ أَنَابَ) سليمان ، فرجع إلى ملكه من بعد ما زال عنه ملكه فذهب .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المحاربى ، عن عبد الرحمن ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاك ، فى قوله (ثُمَّ أَنَابَ) قال : دخل سليمان على امرأة تبيع السمك ، فاشترى منها سمكة ، فشق بطنها ، فوجد خاتمه ، فجعل لايمر على شجر ولا حجر ولا شىء إلا سجد له ، حتى أتى ملكه وأهله ، فذلك قوله (ثُمَّ أَنَابَ) يقول : ثم رجع .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ أَنَابَ) وأقبل ، يعنى سليمان .
قوله (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) يقول تعالى ذكره : قال سليمان راغبا إلى ربه : رب استر على ذنبى الذى أذنبت بينى وبينك ، فلا تعاقبنى به (وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) لا يسلبنيه أحد كما سلبنيه قبل هذه الشيطان .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) يقول : ملكا لا أسلبه كما سلبته .
وكان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله (لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) إلى أن لا يكون لأحد من بعدى ، كما قال ابن أحرر :

مَا أُمُّ غُفْرِ عَلَى دَعَجَاءِ ذَى عِلْقَى
فِي رَأْسِ حَلْقَاءِ مِّنْ عِنْقَاءِ مُشْرِفَةٍ
يَسْنَى الْقَرَامِيدَ عَنْهَا الْأَعْصَمُ الْوَقِيلُ
لَا يَنْبَغِي دُونَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ^١

بمعنى : لا يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها .

(١) البيتان لابن أحرر الباهلى . أنشد أولهما صاحب اللسان فى (دمج ، علق) وأنشد الثانى فى (علق) ، وقال : دعجاء : هضبة عن أبي عبيدة . والنفر ، بضم أوله وفتح : ولد الأروية ، والأنثى بالهاء والقراميد فى البيت : أولاد الوعل . والقرمود : ذكر الوعل : والقراميد فى غير هذا : الصخور وطوايق الدار والحمامات . وبناء مقرم : مبنى بالآجر أو الحجارة . والأعصم : الوعل الذى فى ذراعيه أو أحدهما بياض . والوعل بكسر العين وضها : الذى يسرع فى الصعود فى الجبل . وهضبة حلقاء : مصمتة لمساء ، لأنبات فيها . ويقال : هضبة معنقة وعنقاء : إذا كانت مرتفعة طويلة فى السماء . ولا ينبغى : أى لا يكون مثلها فى سهل أو جبل . وهذا محل الشاهد فى البيتين ، وهو مثل قوله تعالى : « هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى » . قال أبو عبيدة وأنشد البيتين (الورقة ٢١٤) لا ينبغى أن يكون فوقها سهل ولا جبل أعز منها أو أحصن منها . ورواية البيت الثانى فى (اللسان : علق) : لا يبيتنى تحريف . وقد مر هذا البيت فى شواهد المؤلف مرتين فى الجزء (١٦ : ٨٤ ، ١٣١) . اهـ .

وقوله (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) يقول : إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء بيدك خزائن كل شيء تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾

❖ يقول تعالى ذكره : فاستجبنا له دعاءه ، فأعطيناه مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده . (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ) مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة (تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) يعني : رِخْوَةً لينة ، وهي من الرخاوة .

كما حدثنا محمد بن عبدالله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، أن نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه الخيل ، فشغله النظر إليها عن صلاة العصر (حتى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) فغضب لله ، فأمر بها فعمُرت ، فأبدله الله مكانها أسرع منها ، سخر الريح تجرى بأمره رُخَاءً حيث شاء ، فكان يغدو من إيلياء ، ويقيل بقزوين ، ثم يروح من قزوين ويبيت بكابل .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) فإنه دعا يوم دعا ولم يكن في ملكه الريح ، وكل بناء وغواص من الشياطين ، فدعا ربه عند توبته واستغفاره ، فوهب الله له ما سأل ، فم ملكه . واختلف أهل التأويل في معنى الرخاء ، فقال فيه بعضهم : نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) قال : طيِّبَةً .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً

حَيْثُ أَصَابَ) قال : سريعة طيبة ، قال : ليست بعاصفة ولا بطيئة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (رُخَاءً) قال : الرخاء اللينة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قررة ، عن الحسن ، في قوله (رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ)

قال : ليست بعاصفة ، ولا الهيسنة بين ذلك رُخَاءً .

وقال آخرون : معنى ذلك : مطيعة لسليمان .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (رُخَاءٌ) يقول : مطيعة له .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ؛ عن أبيه ، عن ابن عباس (تجرّى بأمره رُخَاءٌ) قال : يعني بالرُخَاءِ : المطيعة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكيم بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (تجرّى بأمره رُخَاءٌ) قال : مطيعة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (رُخَاءٌ) يقول : مطيعة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قوله (رُخَاءٌ) قال طوعا وقوله (حَيْثُ أَصَابَ) يقول : حيث أراد ، من قولهم : أصاب الله بك خيرا : أي أراد الله بك خيرا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ عن ابن عباس ، قوله (حَيْثُ أَصَابَ) يقول : حيث أراد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حَيْثُ أَصَابَ) يقول : حيث أراد ، انتهى عليها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حَيْثُ أَصَابَ) قال : حيث شاء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكيم بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (حَيْثُ أَصَابَ) قال : حيث أراد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَيْثُ أَصَابَ) قال : إلى حيث أراد . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله (حَيْثُ أَصَابَ) قال : حيث أراد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (حَيْثُ أَصَابَ) : أي حيث أراد .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (حَيْثُ أَصَابَ) قال : حيث أراد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (حَيْثُ أَصَابَ) قال : حيث أراد .

وقوله (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ) يقول تعالى ذكره : وسخرنا له الشياطين فسلطناه عليها مكان ما ابتليناه بالذي ألقينا على كرسيه منها يستعملها فيما شاء من أعماله من ببناء وغواص ، فالبناء منها يصنعون محاريب وتماثيل والغاصه يستخرجون له الحلي من البحار وآخرون ينحتون له جفانا وقدورا ، والمرادة في الأغلال مقترنون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ) قال : يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ، وغواص يستخرجون الحلي من البحر (وآخرين مقترنين في الأصفاد) قال : مرده الشياطين في الأغلال .

حدثت عن المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ) قال : لم يكن هذا في ملك داود ، أعطاه الله ملك داود وزاده الريح (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخِرِينَ مُقْتَرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) يقول : في السلاسل .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (الْأَصْفَادِ) قال : تجمع اليدين إلى عنقه ، والأصفاد : جمع صفد وهي الأغلال .

وقوله (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .
اختلف أهل التأويل في المشار إليه بقوله (هَذَا) من العطاء ، وأي عطاء أريد بقوله : عطاؤنا ، فقال بعضهم : عنى به الملك الذي أعطاه الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) قال : قال الحسن : الملك الذي أعطيناك فأعط ما شئت وامنع ما شئت .
حدثت عن المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (هَذَا عَطَاؤُنَا) : هذا ملكنا .
وقال آخرون : بل عني بذلك تسخير له الشياطين ، وقالوا : ومعنى الكلام هذا الذي أعطيناك من كل بناء وغواص من الشياطين وغيرهم عطاؤنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) قال : هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم في وثاقتك وفي عذابك أو سرح من شئت منهم تتخذ عنده يداً ، اصنع ما شئت .
وقال آخرون : بل ذلك ما كان أوتي من القوة على الجماع .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن أبي يوسف ، عن سعيد بن طريف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان

في ظهره ماء مِثَّة رجل، وكان له ثلاث مئة امرأة وتسع مِثَّة سُرِّيَّة (هَذَا عَطَاؤُنَا فَمَا مُنُّنٌ أَوْ أَمْسِكُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن والضحاك من أنه عنى بالعطاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره ، وذلك أنه جل ثناؤه ذكر ذلك عمقيب خبره عن مسألة نبيه سليمان صلوات الله وسلامه عليه إياه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، فأخبر أنه سخر له ما لم يُسَخَّر لأحد من بني آدم ، وذلك تسخير له الريح والشياطين على ما وصفت ، ثم قال له عز ذكره : هذا الذي أعطيناك من الملك ، وتسخيرنا ما سخرنا لك عطاؤنا ، ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه لك من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك (فَا مُنُّنٌ أَوْ أَمْسِكُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (فَا مُنُّنٌ أَوْ أَمْسِكُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) فقال بعضهم : عَنِّي ذلك : فأعط من شئت ما شئت من الملك الذي آتيناك ، وامنع من شئت منه ما شئت ، لا حساب عليك في ذلك . ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الحسن (فَا مُنُّنٌ أَوْ أَمْسِكُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) الملك الذي أعطيناك ، فأعط ما شئت وامنع ما شئت ، فليس عليك تبعية ولا حساب . حدثت عن المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَا مُنُّنٌ أَوْ أَمْسِكُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) سألت ملكا هنيئا لا يحاسب به يوم القيامة ، فقال : ما أعطيت ، وما أمسكت ، فلا حرج عليك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (فَا مُنُّنٌ أَوْ أَمْسِكُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) قال : أعط أو أمسك ، فلا حساب عليك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَا مُنُّنٌ) قال : أعط أو أمسك بغير حساب . وقال آخرون : بل معنى ذلك : أعتق من هؤلاء الشياطين الذين سخرناهم لك من الخدمة ، أو من الوثاق ممن كان منهم مقدرنا في الأصفاد ممن شئت واحبس ممن شئت فلا حرج عليك في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَا مُنُّنٌ أَوْ أَمْسِكُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقول : هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم في وثاقك وفي عذابك ، وسرح من شئت منهم تتخذ عنده يداً ، اصنع ما شئت لا حساب عليك في ذلك .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَا مُنُّنٌ أَوْ أَمْسِكُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقول : أعتق من الجن من شئت ، وأمسك من شئت .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (فَا مُنُّنٌ أَوْ أَمْسِكُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) قال : تمنن على من تشاء منهم فتعتقه ، وتمسك من شئت فتستخدمه ليس عليك في ذلك حساب .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : هذا الذى أعطيناك من القوة على الجماع عطاؤنا ، فجامع من شئت من نساتك وجواريك ما شئت بغير حساب ، واترك جماع من شئت منهن .

وقال آخرون : بل ذلك من المقدم والمؤخر . ومعنى الكلام : هذا عطاؤنا بغير حساب ، فامتن أو أمسك . وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (هذا فامتن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب) ، وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول فى قوله (بغير حساب) وجهان : أحدهما : بغير جزاء ولا ثواب ، والآخر : مينة ولا قيلة .

والصواب من القول فى ذلك ما ذكرته عن أهل التأويل من أن معناه : لا يحاسب على ما أعطى من ذلك الملك والسلطان .

وإنما قلنا ذلك هو الصواب لإجماع الحمجة من أهل التأويل عليه .

وقوله (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ) يقول : وإن لسليمان عندنا لقربة بإنابته إلينا وتوبته وطاعته لنا ، وحسن مآب : يقول : وحسن مرجع ومصير فى الآخرة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ) : أى مصير .

إن قال لنا قائل : وما وجه رغبة سليمان إلى ربه فى الملك ، وهو نبي من الأنبياء ، وإنما يرغب فى انكأ أهل الدنيا المؤثرون لها على الآخرة ؟ أم ما وجه مسئلته إياه ، إذ سأله ذلك ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وما كان يضره أن يكون كل من بعده يؤتى مثل الذى أوتى من ذلك ؟ أكان به بخل بذلك ، فلم يكن من ملكه ، يعطى ذلك من يعطاه ، أم حسد للناس ، كما ذكر عن الحجاج بن يوسف ، فإنه ذكر أنه قرأ قوله (وَهَبْ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) فقال : إن كان لحسودا ، فإن ذلك ليس من أخلاق الأنبياء ؟ قيل : أما رغبته إلى ربه فيما يرغب إليه من الملك ، فلم تكن إن شاء الله به رغبة فى الدنيا ، ولكن إرادة منه أن يعلم منزلته من الله فى إجابته فيما رغب إليه فيه ، وقبوله توبته ، وإجابته دعاءه .

وأما مسئلته ربه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، فإننا قد ذكرنا فيما مضى قبل قول من قال : إن معنى ذلك : هب لى ملكا لا أسلبه كما سلبته قبل . وإنما معناه عند هؤلاء : هب لى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى أن يسلبنيه . وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى : لا ينبغي لأحد سواى من أهل زمانى ، فيكون حجة وعلمالى على نبوتى وأنى رسولك إليهم مبعوث ، إذ كانت الرسل لا بد لها من أعلام تفارق بها سائر الناس سواهم ويتجه أيضا لأن يكون معناه : وهب لى ملكا تحصىنى به ، لاتعطيه أحدا غيرى تشريفا منك لى بذلك ، وتكرمة ، لتبين منزلتى منك به من منازل من سواى ، وليس فى وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج فى معنى ذلك شىء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَأَنَّى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضُ بِرَجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ
بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (وَأَذْكُرْ) أيضا يا محمد (عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ) مستغيثا به فيما نزل به من البلاء : يا رب (إِنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ) فاختلفت القراء في قراءة قوله (بِنُصْبٍ) فقراءته عامة قرآء الأمصار خلا أبي جعفر القاري (بِنُصْبٍ) بضم النون وسكون الصاد ، يقرأ ذلك أبو جعفر : بضم الون والصاد كليهما . وقد حكى عنه بفتح النون والصاد ، والنُّصْبُ والنَّصَبُ بمنزلة الحُزْنِ والحَزْنِ ، والعُدْمُ والعَدَمُ ، والرُّشْدُ والرَّشْدُ ، والصلْبُ والصلَبُ . وكان الفراء يقول : إذا ضمَّ أوله لم يثقل ، لأنهم جعلوهما على سمتين : إذا فتحوا أوله ثقلوا ، وإذا ضموا أوله خففوا . قال : وأنشدني بعض العرب :

لَئِنْ بَعَثَتْ أُمَّ الْحَمِيدَيْنِ مَائِرًا لَقَدَّ غَنِيَّتٍ فِي غَيْرِ بُؤْسٍ وَلَا جُحْدٍ ١

من قولهم : جحد عيشه : إذا ضاق واشتد ؛ قال : فلما قال جحد خفف . وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين : النَّصْبُ من العذاب . وقال العرب : تقول : أنصبتني : عذبتني وبرحت بي . قال : وبعضهم يقول : نصبتني ، واستشهد لقيه ذلك بقول بشر بن أبي خازم :

تَعَنَّأكَ نَصْبٌ مِنْ أُمِّمَيْمَةَ مُنْصَبٌ كَذِي الشَّجْوِ أَمَا يَسْأَلُهُ وَسَيْدُهُ هَبُ ٢

وقال : يعنى بالنَّصْبُ : البلاء والشر ؛ ومنه قول نابغة بني ذبيان :

كَلَيْبِنِي لِهَمٍّ يَا أُمِّمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ ٣

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٠) . قال : وقوله « بنصب وعذاب » : اجتمعت القراء على ضم النون من نصب وتخفيفها (أي الكلمة بتسكين وسطها) ، وذكروا أن أبا جعفر المدني قرأ : « بنصب وعذاب » بنصب النون والصاد . وكلاهما في التفسير واحد . وذكروا أنه المرض ، وما أصابه من العناء فيه . والنصب بمنزلة الحزن والحزن ، والعدم والعدم ، والرشد والرشد ، والصلب والصلب : إذا خفف ضم أوله ، ولم يثقل ، لأنهم جعلوها على سمتين . إذا فتحوا أوله ، ثقلوا ، وإذا ضموا أوله خففوا . قال : وأنشدني بعض العرب : « لئن بعثت أم الحميدين . . . البيت » . قال : والعرب تقول : جحد عيشهم جحدا : إذا ضاق واشتد . فلما قال جحد ، وضم أوله خفف . فابن على هذا ما رأيت من هاتين اللغتين . اهـ . قلت : والمائر الذي يجلب الميرة .

(٢) البيت لبشر بن أبي خازم « مجاز القرآن لأبي عبيدة » (الورقة ٢١٥) قال : بنصب وعذاب » : قال بشر بن أبي خازم « . . . البيت » . وقال نابغة : « كليبني لهم يا أميمة ناصب . . . البيت » ثم قال بعد البيتين : تقول العرب : أنصبتني : أي عذبتني وبرحت بي . وبعضهم يقول نصبتني . والنصب : إذا فتحت وحركت حروفها ، كانت من الإعياء . والنصب إذا فتح أولها وأسكن ثانيها : واحد أنصاب الحرم ، وكل شيء نصبته وجعلته علما . يقال : لأنصبتك نصب العود .

(٣) البيت للنابغة الذبياني (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ١٥٩) قال شارحه : كليبني : دعيتني . وأميمة بالفتح (والأحسن بالضم) : منادى . قال الخليل : من عادة العرب أن تنادي المُنُونُ بالترخيم ، فلما لم يرخم هنا (بسبب الوزن) : أجراها على لفظها مرخمة ، وأتى بها بالفتح . وناصب : متعب . وبطيء الكواكب : أي لاتغور كواكبه ، وهو كناية عن الطول ، لأن الشاعر كان قلقا . اهـ . وقد تقدم ذكر البيت في شرح الشاهد الذي قبله ، عن أبي عبيدة لأن موضع الشاهد فيهما مشترك .

قال : والنَّصَبُ إذا فُتِحَتْ وحُرِّكَتْ حروفها كانت من الإعياء . والنَّصَبُ إذا فُتِحَ أوله وسكن ثانيه : واحد أنصاب الحرم ، وكل ما نصب علما ؛ وكأن معنى النَّصَبُ في هذا الموضع : العلة التي نالته في جسده والعناء الذي لاقى فيه ، والعذاب في ذهاب ماله .
والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرآء الأمصار ، وذلك الضم في النون والسكون في الصاد .
وأما التأويل فبنحو الذي قلنا فيه قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَذْكَرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ) حتى بلغ (يَنْصُبُ وَعَذَابٌ) : ذهاب المال والأهل ، والضر الذي أصابه في جسده ، قال : ابتلى سبع سنين وأشهرًا ملقَى على كُنَاسَةِ لَبْنِي إِسْرَائِيلَ تَخْتَلِفُ الدَّوَابُّ فِي جَسَدِهِ ، ففَرَّجَ اللهُ عَنْهُ ، وعَظَّمَ لَهُ الأَجْرَ ، وأَحْسَنَ عَلَيْهِ الثَّنَاءَ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (مَسَّنِي الشَّيْطَانُ يَنْصُبُ وَعَذَابٌ) قال : نصب في جسدي ، وعذاب في مالي .

حدثت عن المحاربي ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاک (أَنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَانُ يَنْصُبُ) يعني : البلاء في الجسد (وَعَذَابٌ) قوله : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) .

وقوله (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) ومعنى الكلام : إذ نادى ربه مستغيثًا به ، أني مسني الشيطان ببلاء في جسدي ، وعذاب بذهاب مالي وولدي ، فاستجبنا له ، وقلنا له : ارْكُضْ بِرِجْلِكَ الأَرْضَ : أي حرَّكها وادفعها برجلك ، والركض : حركة الرجل ، يقال منه : ركضت الدابة ، ولا تركض ثوبك برجلك .
وقيل : إن الأرض التي أمر أيوب أن يركضها برجله : الجابية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ . . .) الآية ، قال : ضرب برجله الأرض : أرضا يقال لها الجابية .

وقوله (هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) ذكر أنه نبعث له حين ضرب برجله الأرض عينان ، فشرب من إحداهما ، واغتسل من الأخرى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ضرب برجله الأرض ، فإذا عينان تبعان ، فشرب من إحداهما ، واغتسل من الأخرى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) قال : فركض برجله ، فأنفجرت له عين ، فدخل فيها واغتسل ، فأذهب الله عنه كل ما كان من البلاء .

حدثني بشر بن آدم ، قال : ثنا أبو قتبية ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : سمعت الحسن ، في قول الله (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) فركض برجله ، فنبعت عين فاغتسل منها ، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً ، ثم ركض برجله ، فنبعت عين ، فشرب منها ، فذلك قوله (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) وعنى بقوله (مُغْتَسَلٌ) : ما يُغْتَسَلُ به من الماء ، يقال منه : هذا مُغْتَسَلٌ ، وغَسُولٌ للذي يُغْتَسَلُ به من الماء . وقوله (وَشَرَابٌ) يعني : ويشرب منه ، والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلاً .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

اختلف أهل التأويل في معنى قوله (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك ، والصواب من القول عندنا فيه في سورة الأنبياء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . فتأويل الكلام : فاغتسل وشرب ، ففرجنا عنه ما كان فيه من البلاء ، ووهبنا له أهله ، من زوجة وولد (وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا) له ورافة (وَذِكْرَى) يقول : وتذكيراً لأولى العقول ، ليعتبروا بها فيتعظوا .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني نافع بن يزيد ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبِثَ بِهِ بَلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ ، إِلَّا رَجُلَانِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَحْصَى إِخْوَانِهِ بِهِ ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : تَعَلَّمْ وَاللَّهِ لَقَدِ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرَحْمَهُ اللَّهُ فَيَكْشِفَ مَا بِهِ ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ أَيُّوبُ : لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّي كُنْتُ أَمْرٌ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَبْدُكُرَانِ اللَّهَ ، فَأَرْجِعْ إِلَى بَيْتِي فَأُكْفِّرْ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يَبْدُكُرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقِّ ، قَالَ : وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ ، فَإِذَا قَضَاهَا أَمْسَكَتْ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا ، وَأَوْحَى إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ : (أَنْ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) ، فَاسْتَبْطَأَتْهُ ، فَتَلَقَّتْهُ تَنْظُرٌ ، فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَهُوَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ ؛ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ : أَيُّ بَارِكِ اللَّهُ فِيكَ ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَى ، فَوَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا ؟ قَالَ : فَإِنِّي أَنَا هُوَ ؛ قَالَ : وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ : أَنْدَرٌ لِلْقَمْحِ ، وَأَنْدَرٌ لِلشَّعِيرِ ، فَبَعَثَ اللَّهُ تَحَابَتَيْنِ ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ ، أْفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ ، وَأْفْرَغَتْ الْأُخْرَى فِي أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) قال : قال الحسن وقتادة : فأحياهم الله بأعيانهم ، وزادهم مثلهم .

حدثني محمد بن عوف ، قال : ثنا أبوالمغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن جبيرة ، قال : لما ابتلي نبي الله أيوب صلى الله عليه وسلم بماله وولده وجسده ، وطرح في مزرقة ، جعلت امرأته تخرج تكسب عليه ما تطعمه ، فحسده الشيطان على ذلك ، وكان يأتي أصحاب الخبز والشوى الذين كانوا يتصدقون عليها ، فيقول : اطرّدوا هذه المرأة التي تغشاكم ، فإنها تعالج صاحبها وتلمسه بيدها ، فالناس يتقدرون طعامكم من أجل أنها تأتيكم وتغشاكم على ذلك ، وكان يلقاها إذا خرجت كالمخزون لما لقي أيوب ، فيقول : لَجَّ صاحبك ، فأبى إلا ما أتى ، فوالله لو تكلم بكلمة واحدة لكشف عنه كل ضرّ ، ولرجع إليه ماله وولده ، فتجىء ، فتخبر أيوب ، فيقول لها : لقيك عدو الله فلقتك هذا الكلام ، ويلك ، إنما مثلك كمثل المرأة الزانية إذا جاء صديقها بشيء قبلته وأدخلته ، وإن لم يأتها بشيء طردته ، وأغلقت بابها عنه ، لما أعطانا الله المال والولد آمننا به ، وإذا قبض الذي له منا نكفر به ، ونبدل غيره ، إن أقامني الله من مرضى هذا لأجل ذلك مئة ، قال : فلذلك قال الله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ) .

وقوله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) يقول : وقلنا لأيوب : خذ بيدك ضغثا ، وهو ما يجمع من شيء مثل حزمة الرطبة ، وكملء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق ؛ ومنه قول عوف بن الحرّ :

وَأَسْفَلَ مِثْنِي نَهْدَةٌ قَدْ رَبَطْتُهَا وَأَلْقَيْتُ ضِغْثًا مِنْ خَلَاٍ مَتَطَيَّبًا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية عن عليّ عن ابن عباس ، قوله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) يقول : حزمة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ) قال : أمر أن يأخذ ضغثا من رطبة بقدر ما حلف عليه فيضرب به .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن ابن جرير ، عن عطاء ، في قوله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) قال : عيدانا رطبة .

(١) البيت لعوف بن الحرّ (مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ٢١٥ - ب) ويؤيده أنه في معجم الشعراء : عوف بن عطية بن الحرّ ، وكذا في التاج . قال أبو عبيدة عند تفسير قوله تعالى : « وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا » : وهو ملاء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ وما أشبه ذلك ، قال عوف بن الحرّ : « وأسفل مني . . . البيت » . وفي اللسان : وفرس نهدي جسم مشرف وقيل النهدي الضخم القوي والأنثى نهدة . والحلا : الرطب من الحشيش (مثل البرسيم ، أو هو البرسيم) .

حدثنا أبو هشام الرِّفَاعِيُّ ، قال : ثنا يحيى ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) قال : هو الأَثَل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) . . . الآية ، قال : كانت امرأته قد عرَّضت له بأمر ، وأرادها إبليس على شيء ، فقال : لو تكلمت بكذا وكذا ، وإنما حملها عليها الجزع ، فحلف نبي الله : لئن الله ليجلدها مئة جلدة ؛ قال : فأمر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيباً ، والأصل تكلمة المئمة ، فضربها ضربة واحدة ، فأبر نبي الله ، وخفف الله عن أمته ، والله رحيم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) يعني : ضِغْثًا من الشجر الرُّطْب ، كان حلف على يمين ، فأخذ من الشجر عدد ما حلف عليه ، فضرب به ضربة واحدة ، فبرت يمينه ، وهو اليوم في الناس يمين أيوب ، من أخذ بها فهو حسن حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) فاضرب به ولا تحنث) قال : ضِغْثًا واحداً من الكلال فيه أكثر من مئة عود ، فضرب به ضربة واحدة ، فذلك مئة ضربة .

حدثني محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا عبد الرحمن بن جبيرة (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ) يقول : فاضرب زوجتك بالضغث ، لتبر في يمينك التي حلفت بها عليها أن تضربها (وَلَا تَحْنَثْ) يقول : ولا تحنث في يمينك .

وقوله (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ) يقول : إنا وجدنا أيوب صابراً على البلاء ، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله ، والدخول في معصيته (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) يقول : إنه إلى طاعة الله مقبل ، وإلى رضاه رجاع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (عِبَادَنَا) فقرأته عامة قراء الأمصار (وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا) على الجماع غير ابن كثير ، فإنه ذكر عنه أنه قرأه (وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا) على التوحيد ، كأنه يوجه الكلام إلى أن إسحاق ويعقوب من ذرية إبراهيم ، وأنهما ذكرا من بعده .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، سمع ابن عباس يقرأ (وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ) قال : إنما ذكر إبراهيم ، ثم ذكر ولد له بعده .

والصواب عندنا من القراءة في ذلك ، قراءة من قرأه على الجماع ، على أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب بيان عن العباد ، وترجمة عنه ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله (أولى الأيدي والأبصار) ويعنى بالأيدي : القوة ، يقول : أهل القوة على عبادة الله وطاعته .
 ويعنى بالأبصار : أنهم أهل أبصار القلوب ، يعنى به : أولى العقول للحق .
 وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم في ذلك نحواً مما قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أولى الأيدي) يقول : أولى القوة والعبادة والأبصار يقول : الفقه في الدين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أولى الأيدي والأبصار) قال : فضّلوا بالقوة والعبادة .

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور أنه قال في هذه الآية (أولى الأيدي) قال : القوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بنزّة ، عن مجاهد ، في قوله (أولى الأيدي) قال : القوة في أمر الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (أولى الأيدي) قال : الأيدي : القوة في أمر الله ، (والأبصار) : العقول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أولى الأيدي والأبصار) قال : القوة في طاعة الله ، (والأبصار) : قال : البصر في الحق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أولى الأيدي والأبصار) يقول : أعطوا قوة في العبادة ، وبصراً في الدين .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (أولى الأيدي والأبصار) قال : الأيدي : القوة في طاعة الله ، والأبصار : البصر بعقولهم في دينهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (أولى الأيدي والأبصار) قال : الأيدي : القوة ، والأبصار : العقول .

فإن قال لنا قائل : وما الأيدي من القوة ، والأيدي إنما هي جمع يد ، واليد جارحة ، وما العقول من الأبصار ، وإنما الأبصار جمع بصر؟ قيل : إن ذلك مثل ، وذلك أن باليد البطش ، وبالبطش تُعرف قوة القوى ، فلذلك قيل للقوى : ذوبيد ؛ وأما البصر ، فإنه عنى به بصر القلب ، وبه تنال معرفة الأشياء ، فلذلك قيل للرجل العالم بالشئ : بصير به . وقد يُمكن أن يكون عنى بقوله (أولى الأيدي) : أولى الأيدي عند الله بالأعمال الصالحة ، فجعل الله أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا أيدياً لهم عند الله تمثيلاً لها باليد ، تكون عند الرجل الآخر .

(١) لعل العبارة قد سقط منها كلمة « والأبصار » . كما يفهم مما قبله ، وما يجي .

وقد ذكر عن عبد الله أنه كان يقرؤه : (أُولَى الْأَيْدِي) بغير ياء ، وقد يُحتمل أن يكون ذلك من التأيد ، وأن يكون بمعنى الأيدي ، ولكنه أسقط منه الياء ، كما قيل (يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ) بحذف الياء ، وقوله عز وجل (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ) يقول تعالى ذكره : إنا خصصناهم بخالصة : ذكرى الدار . واختلفت القراء في قراءة قوله (بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) فقرأته عامة قراء المدينة (بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) بإضافة خالصة إلى ذكرى الدار ، بمعنى : أنهم أخلصوا بخالصة الذكرى ، والذكرى إذا قرئ كذلك غير الخالصة ، كما المتكبر إذا قرئ « على كل قلب متكبر » بإضافة القلب إلى المتكبر ، هو الذي له القلب وليس بالقلب . وقرأ ذلك عامة قراء العراق (بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) بتنوين قوله (خَالِصَةٍ) ورد ذكرى عليها ، على أن الدار هي الخالصة ، فردوا الذكر وهي معرفة على خالصة ، وهي نكرة ، كما قيل : لشر مآب : جهنم ، فرد جهنم وهي معرفة على المآب وهي نكرة .

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

وقد اختلف أهل التأويل ، في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار : أي أنهم كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة ، ويدعونهم إلى طاعة الله ، والعمل للدار الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : بهذه أخلصهم الله ، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله . وقال آخرون : معنى ذلك أنه أخلصهم بعملهم للآخرة وذكرهم لها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : بذكر الآخرة فليس لهم هم غيرها . حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : بذكرهم الدار الآخرة ، وعملهم للآخرة . وقال آخرون : معنى ذلك : إنا أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة ، وهذا التأويل على قراءة من قرأه بالإضافة . وأما القولان الأولان فعلى تأويل قراءة من قرأه بالتنوين .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : بأفضل ما في الآخرة أخلصناهم به ، وأعطيناهم إياه ؛ قال : والدار : الجنة ، وقرأ (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ) قال : الجنة ، وقرأ (وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) قال : هذا كله الجنة ، وقال : أخلصناهم بخير الآخرة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : خالصة عُقْبَى الدار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبيرة (بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ) قال : عُقْبَى الدار .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بخالصة أهل الدار .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن ابن أبي زائدة ، عن ابن جرير ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، أنه سمع مجاهدا يقول : (بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ) هم أهل الدار ، وذو الدار ، كقولك : ذو الكلاع ، وذو يزن .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يتأول ذلك على القراءة بالتنوين (بِخَالِصَةِ) عمل

في ذكرى الآخرة .

❦ وأولى الأقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأه بالتنوين أن يقال : معناه : إنا أخلصناهم بخالصة

هي ذكرى الدار الآخرة ، فعملوا لها في الدنيا ، فأطاعوا الله وراقبوه ، وقد يدخل في وصفهم بذلك أن

يكون من صفتهم أيضا الدعاء إلى الله وإلى الدار الآخرة ، لأن ذلك من طاعة الله ، والعمل للدار الآخرة ،

غير أن معنى الكلمة ما ذكرت وأما على قراءة من قرأه بالإضافة ، فإن يقال : معناه : إنا أخلصناهم بخالصة

ما ذكر في الدار الآخرة ؛ فلما لم تُذكر « في » أضيفت الذكرى إلى الدار كما قد بينا قبل في معنى قوله

(لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) ، وقوله (بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ) ، وقوله (وَإِنَّهُمْ

عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ) يقول : وإن هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى

الآخرة الأخيار ، الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا إلى خلقنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿١٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿١٩﴾

❦ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكروا محمد إسماعيل واليسع وذا الكفل ، وما

أبلوا في طاعة الله ، فتأس بهم ، واسلك منهاجهم في الصبر على ما نالك في الله ، والنفاذ لبلاغ رسالته .

وقد بينا قبل من أخبار إسماعيل واليسع وذا الكفل فيما مضى من كتابنا هذا ما أغنى عن إعادته في هذا الموضع

والكفيل في كلام العرب : الحظ والجهد .

وقوله (هَذَا ذِكْرٌ) يقول تعالى ذكره : هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد ذكرك ولقومك ،

ذكرك وإياهم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (هَذَا ذِكْرٌ)
قال : القرآن .

وقوله (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ) يقول : وإن للمتقين الذين اتقوا الله فخافوه بأداء فرائضه ،
واجتناب معاصيه ، لحسن مَرَجِعٍ يرجعون إليه فى الآخرة ، ومَصِيرٍ يصيرون إليه ، ثم أخبر تعالى ذكره
عن ذلك الذى وعدهم من حُسْنِ المَآبِ ما هو ؟ فقال : (جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِّنْ مَّفْتَحَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ) .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
لَحُسْنَ مَآبٍ) قال : لحسن منقلب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٢٨١﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَلَاحٍ كَثِيرٍ وَشَرَابٍ ﴿٢٨٢﴾

وقوله تعالى ذكره (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) : بيان عن حسن المآب ، وترجمة عنه ، ومعناه : بساتين إقامة .
وقد بيننا معنى ذلك بشواهد ، وذكرنا ما فيه من الاختلاف فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .
وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) قال : سأل
عمر كعبا ما عدن ؟ قال : يا أمير المؤمنين قصور فى الجنة من ذهب يسكنها النبيون والصدّيقون والشهداء
وأئمة العدل .

وقوله (مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ) يعنى : مفتحة لهم أبوابها ، وأدخلت الألف واللام فى الأبواب
بدلا من الإضافة ، كما قيل (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) بمعنى : هى مأواه ؛ وكما قال الشاعر :

ما وَلَدْتُكُمْ حَيَّةً ابْنَةً مَّا لَكَ سِفَاحًا وَمَا كَانَتْ أَحَادِيثَ كَاذِبٍ
وَلَكِنَّ نَرَى أَقْدَامَنَا فِي نِعَالِكُمْ وَأَنْفُنَا بَيْنَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ

بمعنى : بين لحاكم وحواجبكم ، ولو كانت الأبواب جاءت بالنصب لم يكن لحنا ، وكان نصبه على توجيه
المفتحة فى اللفظ إلى جنات ، وإن كان فى المعنى للأبواب ، وكان كقول الشاعر :

(١) البيتان من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨١) على أن قوله تعالى « مفتحة لهم الأبواب » برفع الأبواب ، لأن المعنى
مفتحة لهم أبوابها . والعرب تجعل الألف واللام خلفا من الإضافة ومنه قوله : « فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى » فالمعنى والله أعلم : مأواه .
ومثله قول الشاعر : « ما ولدتكم حية ربيعة . . . البيتين » . فعناه : ونرى أنفسنا بين لحاكم وحواجبكم فى الشبه . اه . وحية
ابنة مالك : قبيلة . وسفاحا : زنا . واللحى : جمع لحية .

وَمَا قَوْمِي بِشَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وَلَا بِنَفْزَارَةَ الشُّعْرَى الرَّقَابَا

ثم نوت مفتحة ، ونصبت الأبواب .

فإن قال لنا قائل : وما في قوله (مُفْتَتِحَةٌ لَكُمْ الْأَبْوَابُ) من فائدة خبر حتى ذكر ذلك ؟ قيل : فإن الفائدة في ذلك إخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها إياها ، بمعاناة يدي ولا جارحة ، ولكن بالأمر فيما ذكر .

كما حدثنا أحمد بن الوليد الرملي ، قال : ثنا ابن نفيل ، قال : ثنا ابن دعيح ، عن الحسن ، في قوله (مُفْتَتِحَةٌ لَكُمْ الْأَبْوَابُ) قال : أبواب تكلم ، فتكلم : انفتحي ، انغلقى .
وقوله (مُتَكَيِّنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ) يقول : متكئين في جنات عدن ، على سرر يدعون فيها بفاكهة ، يعنى بثمار من ثمار الجنة كثيرة ، وشراب من شرابها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٢٦٤﴾ هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ ﴿٢٦٥﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ

﴿٢٦٤﴾

يقول تعالى ذكره : عند هؤلاء المتقين الذين أكرمهم الله بما وصف في هذه الآية من إسكانهم جنات عدن (قاصرات الطرف) يعنى : نساء قصرت أطرافهن على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم ، ولا يمددن أعينهن إلى سواهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) قال : قصرن طرفهن على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (قاصرات الطرف) قال : قصرن أبصارهن وقلوبهن وأسماعهن على أزواجهن ، فلا يردن غيرهم .
وقوله (أَتْرَابٌ) يعنى : أسنان واحدة .

(١) البيت للحارث بن ظالم المرى من قصيدة من الوافر قالها لما هرب من النعمان بن المنذر ، فلحق بقريش . (انظر فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد للعيني ص ٢٦٤) والرواية فيه « الشعر بدون ألف بعد الراء . قال : والشاهد في الشعر الرقابا » فإنه مثل « الحسن الوجه بنسب الوجه » على أنه شبيه بالمفعول به (لأن الشعر جمع أشعر ، كثير شعر الجسد ، صفة مشبهة . وأنشد الفراء البيت في معاني القرآن (الورقة ٢٨١) مع الشاهد السابق ، وقال في قوله تعالى « مفتحة لهم الأبواب » : وقال : ولو قال « مفتحة لهم الأبواب » (بنصب الأبواب) على أن تجعل المفتحة في اللفظ للجنان ، وفي المعنى للأبواب ، فيكون مثل قول الشاعر :

ما قومي بشعلبة بن سعد ولا بنفزارة الشعري رقابا

ولم يأت الفراء في كلامه بنجواب لو . . . أى لكان وجهها . والخلاصة أن في لفظة « الأبواب » من قوله تعالى « مفتحة لهم الأبواب » وجهان من الإعراب : الرفع على أن نائب فاعل ، أى مفتحة لهم أبوابها . والنصب على أن نائب الفاعل ضمير راجع إلى الجنات ، وتنصب الأبواب على أنه شبيه بالمفعول به . وكذلك في قوله : « الشعر الرقابا » النصب فيه على أنه شبيه بالمفعول به لأنه فعله « شعر » لازم لا ينصب المفعول به وعلى رواية « الشعري رقاباً » : تنصب رقابه على أنه تمييز . وانظر معمول اسم المفعول ومعمول الصفة المشبهة في التصريح والأشعري .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بين أهل التأويل .
ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قاصِرَاتُ الطَّرْفِ أُنْرَابٌ) قال : أمثال .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أُنْرَابٌ) سن واحدة .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (أُنْرَابٌ) قال : مستويات . قال :
وقال بعضهم : متواخيات لا يتباغضن ، ولا يتعادين ، ولا يتغايرن ، ولا يتحاسدن .
وقوله (هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ) يقول تعالى ذكره : هذا الذى يعدكم الله فى الدنيا أيها
المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم فى الآخرة .
كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ
الْحِسَابِ) قال : هو فى الدنيا ليوم القيامة .

وقوله (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) يقول تعالى ذكره : إن هذا الذى أعطينا هؤلاء المتقين
فى جنّات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب ، والقاصرات الطرف ، ومكنّاهم فيها من الوصول إلى اللذات
وما اشبهته فيها أنفسهم لرزقنا ، رزقناهم فيها كرامة منا لهم (ما لَهُ مِنْ نَفَادٍ) يقول : ليس له عنهم انقطاع
ولا له فناء ، وذلك أنهم كما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها ، فأكلوها ، عادت مكانها أخرى
مثلها ، فذلك لهم دائم أبدا ، لا ينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا أوتوه فى الدنيا ، فانقطع بالفناء ، ونفد الإنفاد .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا
مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) قال : رزق الجنة ، كلما أخذ منه شيء عاد مثله مكانه ، ورزق الدنيا له نفاد .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما لَهُ مِنْ نَفَادٍ) : أى ماله انقطاع .
القول فى تأويل قوله تعالى :

هَذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِيْنَ لَشَرَّ مَنَابٍ ﴿٥٦﴾ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَ بِهَا فَيُنْسِ الْمَهَادُ ﴿٥٧﴾ هَذَا فليذوقوه حميمٌ وَّعَسَاقٌ ﴿٥٨﴾
وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٩﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ ﴿٦٠﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَرْجَبٌ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٦١﴾ قَالُوا بَلْ
أَنْتُمْ لَمَرْجَبًا يَكْفُرُونَ ﴿٦٢﴾ أَنْتُمْ قَدْ تَمَمْتُمْوه لَنْ تَنْفَيْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٣﴾

﴿٥٦﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله (هَذَا) : الذى وصفت هؤلاء المتقين . ثم استأنف جل وعزّ الخبر عن
الكافرين به الذين طغوا عليه وبغوا ، فقال : (وَإِنَّ لِلطَّٰغِيْنَ) وهم الذين تمرّدوا على ربهم ، فعصوا أمره

مع إحسانه إليهم (لَشَرَّ مَابٍ) يقول : لشر مرجع ومصير يصيرون إليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَابٍ) قال : لشر منقلب . ثم بين تعالى ذكره ، ما ذلك الذي إليه ينقلبون ويصيرون في الآخرة ، فقال (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) فترجم عن جهنم بقوله (لَشَرَّ مَابٍ) ومعنى الكلام : إن للكافرين لشر مصير يصيرون إليه يوم القيامة ، لأن مصيرهم إلى جهنم ، وإليها منقلبهم بعد وفاتهم (فَبِئْسَ الْمِهَادُ) يقول تعالى ذكره : فبئس الفراش الذي افترشوه لأنفسهم جهنم .

وقوله (هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) يقول تعالى ذكره : هذا حميم ، وهو الذي قد أغلى حتى انتهى حره ، وغساق فليذوقوه ، فالحميم مرفوع بهذا ، وقوله (فَلْيَذُوقُوهُ) معناه التأخير ، لأن معنى الكلام ما ذكرت ، وهو : هذا حميم وغساق فليذوقوه . وقد يتجه إلى أن يكون هذا مكتفيا بقوله فليذوقوه ثم يُبْتَدَأُ فيقال : حميمٌ وغساقٌ ، بمعنى : منه حميم ومنه غساقٌ ؛ كما قال الشاعر :

حتى إذا ما أضاء الصُّبْحُ في غَمَلَسٍ
وَعُودِرَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ وَمَحْصُودٌ
وإذا وُجِّهَ إلى هذا المعنى جاز في هذا النصب والرفع . النصب : على أن يُضْمَرَ قبلها لها ناصب ، كما قال الشاعر :

زِيَادَتَنَا نَعْمَانُ لَا تَحْرِمُنَا
تَقَى اللّٰهَ فِينَا وَالكِتَابَ الَّذِي تَتَلَوْنَ

والرفع بالهاء في قوله (فَلْيَذُوقُوهُ) كما يقال : الليل فبادروه ، والليل فبادروه . حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) قال : الحميم : الذي قد انتهى حره .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الحميم دموع أعينهم ، تجمع في حياض النار فيسقونه .

وقوله (وَغَسَّاقٌ) اختلفت القراء في قراءته ، فقراءته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين والشام بالتخفيف (وَغَسَّاقٌ) وقالوا : هو اسم موضوع . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (وَغَسَّاقٌ) مشددة ، ووجهه إلى أنه صفة من قولهم : غَسَّقَ يَغْسِقُ غَسُوقًا : إذا سال ، وقالوا : إنما معناه : أنهم يُسْقَوْنَ الحميم ، وما يسيل من صديدهم .

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨١) قال في قوله تعالى : « هذا فليذوقوه حميم وغساق » : رفعت الحميم والغساق بهذا ، مقدما ومؤخرا . والمعنى : هذا حميم وغساق فليذوقوه . وإن شئت جعلته (حميم وغساق) : مستأنفا ، وجعلت الكلام قبله مكتفيا ، كأنك قلت : « هذا فليذوقوه » ثم قلت : منه غساق . كقول الشاعر : « حتى إذا . . . البيت » . هـ .
(٢) هذا البيت لعبد الله بن همام السلولى (اللسان : وفى) يخاطب النعمان بن بشير الأنصارى ، وكان قد ولى الكوفة لمعاوية ، وكان معاوية قد زاد أناسا في أعطيائهم عشرة ، فأنفذ النعمان ، وترك بعضهم لأنهم جاؤا بكتب بعد ما فرغ من الحملة ، وكان ابن همام من تخلف ، فكلمه فأبى عليه : فقال ابن همام قصيدة يرققه عليه ، ويتشفع بالأنصار ، ويمدح معاوية . وقوله « زيادتنا » منصوب بفعل محذوف يفسره الفعل المؤكد بالنون . لأنه يعمل فيما قبله ، كما قال الرضى : والفعل المؤكد يروى : لا تنسبها ، ويروى لا تنحرمنا (انظر شرح شواهد الشاقية للرضى ص ٤٩٧) .

والصواب من القول في ذلك عندى أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فأبتهما قرأ القارى فصيبي ، وإن كان التشديد في السنين أتم عندنا في ذلك ، لأن المعروف ذلك في الكلام ، وإن كان الآخر غير مدفوعة صحته .

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : هو ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم .
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (هَذَا فَلْيَسِدْ وَقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ)
قال : كنا نحدث أن الغساق : ما يسيل من بين جلده ولحمه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : الغساق : الذي يسيل من أعينهم من دموعهم ، يُسْقُونَهُ مَعَ الْحَمِيمِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : الغساق : ما يسيل من سرمهم ، وما يسقط من جلودهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (الغساق) : الصديد الذي يجمع من جلودهم مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه .

حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا ابن كهيعة ، قال : ثنا أبو قبيل أنه سمع أبا هبيرة الزبدي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : أي شيء الغساق ؟ قالوا : الله أعلم ، فقال عبد الله بن عمرو : هو القسيح الغليظ ، لو أن قطرة منه تُهَرَّاقَ في المغرب لأنتنت أهل المشرق ، ولو تُهَرَّاقَ في المشرق لأنتنت أهل المغرب .

قال : يحيى بن عثمان ، قال أبي : ثنا ابن كهيعة مرة أخرى ، فقال : ثنا أبو قبيل ، عن عبد الله بن هبيرة ، ولم يذكر لنا أبا هبيرة .

حدثنا ابن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا أبو يحيى عطية الكلاعي ، أن كعبا كان يقول : هل تدرّون ما غساق ؟ قالوا : لا والله ، قال : عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غيرها ، فيستنقع فيؤتى بالآدمي ، فيغمس فيها نغمة واحدة ، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام . حتى يتعلّق جلده في كعبيه وعقبه ، وينجر لحمه كجر الرجل ثوبه .
وقال آخرون : هو البارد الذي لا يُسْتَطَاعُ مِنْ بَرْدِهِ .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن يحيى بن أبي زائدة ، عن ابن جرير ، عن مجاهد (وغساق) قال : بارد لا يُسْتَطَاعُ ، أو قال : برد لا يُسْتَطَاعُ .

حدثني علي بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (هَذَا فَلْيَسِدْ وَقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) قال : يقال : الغساق : أبرد البرد ، ويقول : آخرون : لا ؛ بل هو أنتن النستن .

وقال آخرون : بل هو المنّين .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب ، عن إبراهيم النكري ، عن صالح بن حيان ، عن أبيه ، عن عبد الله بن برّيدة ، قال : الغساق : المنّين ، وهو بالطخارية ١ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى عمرو بن الحارث ، عن درّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِّنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا » .

❖ وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هو مايسيل من صديدهم ، لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق ، وإن كان للآخر وجه صحيح .

وقوله (وَآخِرُ مَنِ اشْكَلِهِ أَزْوَاجٌ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة (وَآخِرُ مَنِ اشْكَلِهِ أَزْوَاجٌ) على التوحيد ، بمعنى : هذا حميم وغساق فليذوقوه ، وعذاب آخر من نحو الحميم ألوان وأنواع ، كما يقال : لك عذاب من فلان : ضرّوب وأنواع ، وقد يحتمل أن يكون مراداً بالأزواج الخبر عن الحميم والغساق ، وآخر من شكله ، وذلك ثلاثة ، فقبل أزواج ، يراد أن ينعت بالأزواج تلك الأشياء الثلاثة . وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين (وَآخِرُ) على الجماع ، وكأن من قرأ ذلك كذلك كان عنده لا يصلح أن يكون الأزواج وهي جمع نعنا لواحد ، فلذلك جمع آخر ، لتكون الأزواج نعنا لها ، والعرب لا تمنع أن ينعت الاسم إذا كان فعلاً بالكثير والقليل والاثنين كما بينا ، فتقول : عذاب فلان أنواع ، ونوعان مختلفان .

وأعجب القراءتين إلى أن أقرأ بها (وَآخِرُ) على التوحيد ، وإن كانت الأخرى صحيحة لاستفاضة القراءة بها في قراء الأمصار ، وإنما اخترنا التوحيد لأنه أصح مخرجاً في العربية ، وأنه في التفسير بمعنى التوحيد . وقيل إنه الزمهرير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله (وَآخِرُ مَنِ اشْكَلِهِ أَزْوَاجٌ) قال الزمهرير .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معاوية ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أخبره عن عبد الله بمثله ، إلا

أنه قال : عذاب الزمهرير .

حدثنا محمد قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن مرة الهمداني ، عن عبد الله

ابن مسعود ، قال : هو الزمهرير .

حدثت عن يحيى بن أبي زائدة ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : ذكر الله العذاب ، فذكر

السلاسل والأغلال ، وما يكون في الدنيا ، ثم قال (وَآخِرُ مَنِ اشْكَلِهِ أَزْوَاجٌ) قال : وآخر لم ير في الدنيا .

(١) لعله يريد بالطخارية : المنسوبة إلى طخارستان ، بضم أوله ، وهو إقليم من بلاد المعجم ، شرق جرجان . يريد أن لفظه

« غساق » ليست عربية الأصل .

وأما قوله (مِنْ شَكْلِهِ) فإن معناه: من ضربه ، ونحوه يقول الرجل للرجل : ما أنت من شكلي ، بمعنى : ما أنت من ضربى بفتح الشين. وأما الشكّل فإنه من المرأة ماعلقت مما تتحسن به، وهو الدّل أيضا منها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) يقول : من نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) من نحوه . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) قال : من كل شكّل ذلك العذاب الذى سُمى الله ، أزواج لم يسمها الله ، قال : والشكّل : الشبيه . وقوله (أَزْوَاجٌ) يعنى : ألوان وأنواع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) قال : ألوان من العذاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَزْوَاجٌ) زوج زوج من العذاب . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَزْوَاجٌ) قال : أزواج من العذاب فى النار .

وقوله (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ) يعنى تعالى ذكره بقوله (هَذَا فَوْجٌ) هذا فرقة وجماعة مقتحمة معكم أيها الطاغون النار ، وذلك دخول أمة من الأمم الكافرة بعد أمة ، لامرحبا بهم ، وهذا خبر من الله عن قيل الطاغين الذين كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحم للفوج المقتحم فيها عليهم ، لامرحبا بهم ، ولكن الكلام اتصل فصار كأنه قول واحد ، كما قيل : (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) فاتصل قول فرعون بقول ملائه ، وهذا كما قال تعالى ذكره مخبرا عن أهل النار (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتٌ أُخْتَتَهَا) .

ويعنى بقولهم (لامرّحبا بهم) لا اتسعت بهم مداخلهم ، كما قال أبو الأسود :

* لامرّحبا وأديك غير مضيق ١ *

(١) هذا شطر بيت لأبي الأسود الدؤلى ، ذكره أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة ٢١٢ من مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٥٩) قال

عند قوله تعالى : « لامرحبا بهم » : تقول العرب للرجل : « لامرحبا بك » أى لارحبت عليك ، أى لا اتسعت . قال أبو الأسود : « لامرحب وأديك غير مضيق » . ولم أجده فى ترجمته فى الأغاني ، ولا فى معجم ياقوت .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حاشنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مِّمَّكُمْ) في النار (لَامْرَحِبًا بِهِمْ لَأَنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ . قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَامْرَحِبًا بِكُمْ) . . . حتى بلغ : (فَبَيْئَسَ الْقَرَارُ) قال : هؤلاء التباع يقولون للرءوس .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مِّمَّكُمْ لَامْرَحِبًا بِهِمْ) قال : الفوج : القوم الذين يدخلون فوجا بعد فوج ، وقرأ : (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا) التي كانت قبلها . وقوله (لَأَنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ) يقول : إنهم واردوا النار وداخلوها (قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَامْرَحِبًا بِكُمْ) يقول : قال الفوج الواردون جهنم على الطاغين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم لهم : بل أنتم أيها القوم لامر حبا بكم : أي لا اتسعت بكم أما كنكم ، (أَنْتُمْ قَدْ مَسَّمُوهُ لَنَا) يعنون : أنتم قدمتم لنا سكنى هذا المكان ، وصلى النار بإضلالكم إيانا ، ودعائكم لنا إلى الكفر بالله ، وتكذيب رُسله ، حتى ضللنا باتباعكم ، فاستوجبنا سكنى جهنم اليوم ، فذلك تقديمهم لهم ما قدموا في الدنيا من عذاب الله لهم في الآخرة (فَبَيْئَسَ الْقَرَارُ) يقول : فبئس المكان يُسْتَقَرُّ فيه جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فِرْدَهُ عَدَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾

وهذا أيضا قول الفوج المقتحم على الطاغين ، وهم كانوا أتباع الطاغين في الدنيا ، يقول جل ثناؤه : وقال الأتباع : (رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا) يعنون : من قدم لهم في الدنيا بدعائهم إلى العمل الذي يوجب لهم النار التي وردوها ، وسكنى المنزل الذي سكنوه منها . ويعنون بقولهم (هَذَا) : العذاب الذي وردناه (فِرْدَهُ عَدَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ) يقولون : فأضعف له العذاب في النار على العذاب الذي هو فيه فيها ، وهذا أيضا من دعاء الأتباع للمتبعين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا مَا لَنَا لَانرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذَتْهُمُ سِحْرِيَاءُ أُمَّ زَاعَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ

ذَلِكَ لِحَقٌّ مُّخَاصِمٌ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾

يقول تعالى ذكره : قال الطاغون الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه الآيات ، وهم فيما ذكر أبو جهل والوليد بن المغيرة وذو وهما (مَا لَنَا لَانرَى رِجَالًا) يقول : ما بالنا لانرى معنا في النار رجالا (كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ) يقول : كنا نعدُّهم في الدنيا من أشرارنا ، وعنوا بذلك فيما ذكر صهيبتنا وخبابا وبيلالا وسلمان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله : (ما لنا لانرى رجالاً كنا نعدُّهم من الأشرار) قال : ذاك أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة ، وذكر أناساً صهبياً وعمّاراً وخباباً ، كنا نعدُّهم من الأشرار فى الدنيا .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثاً يذكر عن مجاهد فى قوله (وقالوا ما لنا لانرى رجالاً كنا نعدُّهم من الأشرار) قال : قالوا : أين سَلَمَانُ ؟ أين خَبَّابُ ؟ أين بِلَالُ ؟ . وقوله (أَتَّخَذْنَاَهُمْ سَخْرِيًّا) اختلفت القراء فى قراءته ، فقرأته عامة قراء المدينة والشام وبعض قراء الكوفة (أَتَّخَذْنَاَهُمْ) بفتح الألف من اتَّخَذْنَاَهُمْ ، وقطعها على وجه الاستفهام وقراءته عامة قراء الكوفة والبصرة ، وبعض قراء مكة بوصل الألف من الأشرار (أَتَّخَذْنَاَهُمْ) . وقد بيننا فيما مضى قبل ، أن كل استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ ، فإن العرب تستفهم فيه أحياناً ، وتخرجه على وجه الخبر أحياناً .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالوصل على غير وجه الاستفهام ، لتقدم الاستفهام قبل ذلك فى قوله (ما لنا لانرى رجالاً كنا) فيصير قوله (أَتَّخَذْنَاَهُمْ) بالخبر أولى وإن كان للاستفهام وجه مفهوم لما وصفت قبل من أنه بمعنى التعجب .

وإذ كان الصواب من القراءة فى ذلك ما اخترنا لما وصفنا ، فعنى الكلام : وقال الطاغون : ما لنا لانرى سَلَمَانَ وِبِلَالَ وَخَبَّاباً الَّذِينَ كُنَّا نَعُدُّهُمْ فِي الدُّنْيَا أَشْرَاراً ، اتَّخَذْنَاَهُمْ فِيهَا سَخْرِيًّا نَهْزَأُ بِهِمْ فِيهَا مَعَنَا الْيَوْمَ فِي النَّارِ . وكان بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة يقول : من كسر السين من السَّخْرِيِّ ، فإنه يريد به الهُزء يريد يسخر به ، ومن ضمها فإنه يجعله من السَّخْرَةِ ، يستسخرونهم : يستدلُّونهم ، أزاعت عنهم أبصارنا وهم معنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (أَتَّخَذْنَاَهُمْ سَخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ) يقول : أهم فى النار لانعرف مكانهم ؟

وحدثت عن المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (وقالوا ما لنا لانرى رجالاً كنا نعدُّهم من الأشرار) قال : هم قوم كانوا يسخرون من محمد وأصحابه ، فانطلق به وبأصحابه إلى الجنة ، وذُهبَ بهم إلى النار (وقالوا ما لنا لانرى رجالاً كنا نعدُّهم من الأشرار) اتَّخَذْنَاَهُمْ سَخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ) يقولون : أزاعت أبصارنا عنهم فلا ندرى أين هم ؟

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَلْتَتَّخِذُوا لَهُمْ سَخِرِيًّا) قال : أخطأناهم (أم زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ) ولا نراهم ؟

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالُوا مَا لَنَا لَانرَى رَجَالًا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ) قال : فقدوا أهل الجنة (أَلْتَتَّخِذُوا لَهُمْ سَخِرِيًّا) في الدنيا (أم زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ) وهم معنا في النار .

وقوله (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ) يقول تعالى ذكره : إن هذا الذي أخبرتكم أيها الناس من الخبر عن تراجع أهل النار ، ولعن بعضهم بعضا ، ودعاء بعضهم على بعض في النار لحق يقين ، فلا تشكوا في ذلك ، ولكن استيقنوه تخاصم أهل النار . وقوله (تَخَاصُمُ) رد على قوله (لَحَقٌّ) . ومعنى الكلام : إن تخاصم أهل النار الذي أخبرتكم به لحق .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله (أم زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ) إلى : بل زَاغَتْ عَنْهُمْ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) فقرأ (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَافِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ، وقرأ (يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) . . . حتى بلغ (إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ) قال : إن كنتم تعبدوننا كما تقولون إن كنا عن عبادتكم لغافلين ، ما كنا نسمع ولا نبصر ، قال : وهذه الأصنام ، قال : هذه خصومة أهل النار ، وقرأ (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) قال : وضل عنهم يوم القيامة ما كانوا يفترون في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿١٧﴾

﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يا محمد لمشركي قومك : (إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ) لكم يامعشر قريش بين يدي عذاب شديد ، أنذركم عذاب الله وسخطه أن يحل بكم على كفركم به ، فاحذروه وبادروا حلوه بكم بالتوبة (وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) يقول : وما من معبود تصلح له العبادة ، وتنبغي له الربوبية ، إلا الله الذي يدين له كل شيء ، ويعبده كل خلق ، الواحد الذي لا ينبغي أن يكون له في ملكه شريك ، ولا ينبغي أن تكون له صاحبة ، القهار لكل ما دونه بقدرته ، رب السموات والأرض ، يقول : مالك السموات والأرض وما بينهما من الخلق : يقول : فهذا الذي هذه صفته ، هو الإله الذي لا إله سواه ، لا الذي لا يملك شيئا ، ولا يضر ، ولا ينفع . وقوله (الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ)

يقول : العزيز في نعمته من أهل الكفر به ، المدّعين معه إلها غيره ، الغفّار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه ، فأتاب إلى الإيمان به ، والطاعة له بالانتهاء إلى أمره ونهيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٧٧﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ أَنْ يُخْتَصِمُونَ ﴿٧٨﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يا محمد لقومك المكذّبيك فيما جئتهم به من عند الله من هذا القرآن ، القائلين لك فيه : إن هذا إلا اختلاق (هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ) يقول : هذا القرآن خبر عظيم . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل الأسدى ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل بن عباد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله : (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) قال : القرآن .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن شريح ، أن رجلا قال له : أتقضى علىّ بالنبأ ؟ قال : فقال له شريح : أو ليس القرآن نبأ ؟ قال : وتلا هذه الآية : (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ) قال : وقضى عليه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) قال : القرآن . وقوله (أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) يقول : أنتم عنه منصرفون لاتعملون به ، ولا تصدقون بما فيه من حجج الله وآياته .

وقوله (مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركى قومك (مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ) إذ يَخْتَصِمُونَ) فى شأن آدم من قبل أن يوحى إلى ربى فيعلمنى ذلك ، يقول : فى إخبارى لكم عن ذلك دليل واضح على أن هذا القرآن وحى من الله وتنزيل من عنده ، لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندى قبل نزول هذا القرآن ، ولا هو مما شاهدته فعابته ، ولكنى علمت ذلك بإخبار الله إياى به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله (مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ) قال : الملائكة حين شوورا فى خلق آدم ، فاختصموا فيه ، وقالوا : لاتجعل فى الأرض خليفة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ) هو (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَا كَانَ لِي مِّنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى) قال : هم الملائكة ، كانت خصومتهم في شأن آدم حين قال ربك للملائكة : (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ) . . . حتى بلغ (ساجدين) ، وحين قال : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) . . . حتى بلغ (وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) ، ففي هذا اختصم الملاء الأعلى .

وقوله (إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قريش : ما يوحى الله إلى علم ما لا علم لي به ، من نحو العلم بالملاء الأعلى واختصامهم في أمر آدم إذ أراد خلقه ، إلا لأني إنما أنا نذير مبين « فإنما » على هذا التأويل في موضع خفض على قول من كان يرى أن مثل هذا الحرف الذي ذكرنا لا بد له من حرف خافض ، فسواء إسقاط خافضه منه وإثباته . وأما على قول من رأى أن مثل هذا ينصب إذا أسقط منه الخافض ، فإنه على مذهبه نصب ، وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر ، وهو أن يكون معناه : ما يوحى الله إلا إنذاركم . وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى ، كانت أنما في موضع رفع ، لأن الكلام يصير حينئذ بمعنى : ما يوحى إلى إلا الإنذار قوله (إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) يقول : إلا أني نذير لكم مبين لكم إنذاره إياكم . وقيل : إلا أنما أنا ، ولم يقل : إلا أنما أنك ، والخبر من محمد عن الله ، لأن الوحي قول ، فصار في معنى الحكاية ، كما يقال في الكلام : أخبروني أني مسيء ، وأخبروني أنك مسيء بمعنى واحد ، كما قال الشاعر :

رَجُلَانِ مِّنْ ضَبَّةٍ أَخْبَرَانَا أَنَّا رَأَيْنَا رَجُلًا عُرْيَانًا

بمعنى : أخبرانا أنهما رأيا ، وفجاز ذلك لأن الخبر أصله حكاية .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِنَّا سَوَّيْنَاهُ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِي فَفَعُوهُ لَهُ وَسَجَدُوا لَهُنَّ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٢) قال : وقوله « إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ » : إن شئت جعلت « أنما » في موضع رفع (نائب فاعل بيوحى) كأنك قلت : ما يوحى إلى إلا الإنذار ، وإن شئت جعلت المعنى : ما يوحى إلى لأني نبى ونذير . فإذا ألقى اللام كان موضع « إنما » نصبا ، ويكون في هذا الموضع ما يوحى إلى إلا أنك نذير مبين ، لأن المعنى حكاية ، كما تقول في الكلام : أخبروني أني مسيء ، وأخبروني أنك مسيء . وهو كقوله : « رجلاً من ضبة . . . البيت » . والمعنى : أخبرانا أنهما رأيا ، فجاز ذلك لأن أصله الحكاية اهـ .

وقوله (إِذْ قَالَ رَبُّكَ) من صلة قوله (إِذْ يَخْتَصِمُونَ) ، وتأويل الكلام : ما كان لي من علم بالملائكة الأعلیٰ إذ يختصمون حين قال ربك : يا محمد (لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ) يعنى بذلك خلق آدم .

وقوله (فَإِذَا سَوَّيْتُهُُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) يقول تعالى ذكره : فإذا سويت خلقه ، وعدلت صورته ، ونفخت فيه من روحي ، قيل : عنى بذلك : ونفخت فيه من قدرتي .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاک (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) قال : من قدرتي .

(فَفَعَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) يقول : فاسجدوا له وخيروا له سجدا . وقوله (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره : فلما سوى الله خلق ذلك البشر ، وهو آدم ، ونفخ فيه من روحه ، سجد له الملائكة كلهم أجمعون ، يعنى بذلك : الملائكة الذين هم في السموات والأرض (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ) يقول : غير إبليس ، فإنه لم يسجد ، استكبر عن السجود له تعظما وتكبرا (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) يقول : وكان بتعظمه ذلك ، وتكبره على ربه ومعصيته أمره ، ممن كفر في علم الله السابق ، فجحده ربوبيته ، وأنكر ما عليه الإقرار له به من الإذعان له بالطاعة .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : قال أبو بكر في (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) قال قال ابن عباس : كان في علم الله من الكافرين .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي ۗ اسْتَكْبَرْتَ ۗ أََمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : (قَالَ) الله لإبليس ، إذ لم يسجد لآدم ، وخالف أمره : (يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ) يقول : أى شىء منعك من السجود (لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي) يقول : لخلق يدي ، يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه .

كما حدثنا ابن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عبيد المكتيب ، قال : سمعت مجاهدا يحدث عن ابن عمر ، قال : خلق الله أربعة بيده : العرش ، وعدن ، والقلم ، وآدم ، ثم قال لكل شىء كن فكان .

وقوله (اسْتَكْبَرْتَ) يقول لإبليس : تعظمت عن السجود لآدم ، فتركت السجود له استكبارا عليه ، ولم تكن من المتكبرين العالين قبل ذلك (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) يقول : أم كنت كذلك من قبل

ذا علو وتكبر على ربك (قال أنا خير منه خلقتني من نار) يقول جل ثناؤه : قال إبليس لربه : فعلت ذلك فلم أسجد للذي أمرتني بالسجود له لأني خير منه وكنت خيراً لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين والنار تأكل الطين وتحرقه ، فالنار خير منه ، يقول : لم أفعل ذلك استكباراً عليك ، ولا لأني كنت من العالين ولكني فعلته من أجل أني أشرف منه ، وهذا تقرير من الله للمشركين الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأبوا الانقياد له ، واتباع ما جاءهم به من عند الله استكباراً عن أن يكونوا تبعاً لرجل منهم حين قالوا (أأنزل علينا الذكركم من بيننا ، وهمل هذا إلا بشراً مثلكم) فقص عليهم تعالى ذكره قصة إبليس وإهلاكه باستكباره عن السجود لآدم بدعواه أنه خير منه ، من أجل أنه خلق من نار ، وخلق آدم من طين ، حتى صار شيطاناً رجياً ، وحققت عليه من الله لعنته ، محذراًهم بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد ، وتكذيبهم إياه فيما جاءهم به من عند الله حسداً ، وتعظماً من اللعن والسخط ما استحقه إبليس بتكبره عن السجود لآدم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ فَاحْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾

﴿٧٩﴾

❖ يقول تعالى ذكره لإبليس : (فاحرج منها) يعني من الجنة (فإنك رجيم) يقول : فإنك مرجوم بالقوم ، مشتوم ملعون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاحرج منها فإنك رجيم) قال : والرجيم : اللعين .

حدثت عن المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك بمثله .

وقوله (وإن عليك لعنتي) يقول : وإن لك طردى من الجنة (إلى يوم الدين) يعني : إلى يوم مجازاة العباد ومحاسبتهم (قال : رب فأنظرنى إلى يوم يُبعثون) يقول تعالى ذكره : قال إبليس لربه : رب فإذ لعنتى ، وأخرجتنى من جنتك (فأنظرنى) يقول : فأخرنى فى الأجل ، ولا تهلكنى (إلى يوم يُبعثون) يقول : إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

❖ يقول تعالى ذكره : قال الله لإبليس : فإنك ممن أنظرته إلى يوم الوقت المعلوم ، وذلك الوقت الذى

جعل الله أجلا لهلاكه . وقد بيّنت وقت ذلك فيما مضى على اختلاف أهل العلم فيه ، وقال (فَبِعِزَّتِكَ
لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) يقول تعالى ذكره : قال إبليس : فبعزتك : أى بقدرتك وسلطانك وقهرك مادونك
من خلقك (لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : لَأُضِلَّنَّ بنى آدم أجمعين (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)
يقول : إلا من أخلصته منهم لعبادتك ، وعصمته من إضلالى ، فلم تجعل لى عليه سبيلا ، فإنى لا أقدر على
إضلاله وإغوائه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)
قال : علم عدو الله أنه ليست له عزّة .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴿٨٥﴾ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا
أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾

اختلفت القراء فى قراءة قوله (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ) فقرأه بعض أهل الحجاز وعامة الكوفيين
برفع الحقّ الأوّل ، ونصب الثانى . وفى رفع الحقّ الأوّل إذا قرئ كذلك وجهان : أحدهما رفعه بضمير
لله الحقّ ، أو أنا الحقّ وأقول الحقّ . والثانى : أن يكون مرفوعا بتأويل قوله (لَأَمْلَأَنَّ) فىكون
معنى الكلام حينئذ : فالحقّ أن أملأ جهنم منك ، كما يقول : عزيمة صادقة لآتينك ، فرفع عزيمة بتأويل
لآتينك ، لأن تأويله أن آتيك ، كما قال : (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُنًا)
فلا بدّ لقوله (بَدَأَ لَهُمْ) من مرفوع ، وهو مضمّر فى المعنى . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض
المكيين والكوفيين بنصب الحقّ الأوّل والثانى كليهما ، بمعنى : حقا لأملأن جهنم والحقّ أقول ، ثم أدخلت
الألف واللام عليه ، وهو منصوب ، لأن دخولهما إذا كان كذلك معنى الكلام وخروجها منه سواء ، كما
سواء قولهم : حمدا لله ، والحمد لله عندهم إذا نصب . وقد يحتمل أن يكون نصبه على وجه الإغراء بمعنى :
الزموا الحقّ ، واتبعوا الحقّ ، والأوّل أشبه لأنه خطاب من الله لإبليس بما هو فاعل به وبتبأعه .
وقرأ القارىء فصيب ، لصحة معنيهما .

وأما الحقّ الثانى ، فلا اختلاف فى نصبه بين قراء الأمصار كلهم ، بمعنى : وأقول الحقّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، فى قوله (فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ)
يقول الله : أنا الحقّ ، والحقّ أقول .

وحدثت عن ابن أبي زائدة ، عن ابن جرير ، عن مجاهد (فالحقُّ والحقُّ أقولُ) يقول الله :
الحقُّ مني ، وأقول الحق .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حمجاج ، عن هارون ، قال : ثنا أبان بن تغلب ،
عن طلحة الياحي ، عن مجاهد ، أنه قرأها (فالحقُّ) بالرفع (والحقُّ أقولُ) نصبا وقال : يقول الله : أنا
الحقُّ ، والحقُّ أقول .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (الحقُّ والحقُّ أقولُ)
قال : قسم أقسم الله به .

وقوله (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ) يقول لإبليس : لأملأن جهنم منك ومن تبعك من بني آدم
أجمعين . وقوله (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
قل يا محمد لمشركي قومك ، القائلين لك (أَأَنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا) ما أسألكم على هذا الذكر
وهو القرآن الذي أتيتكم به من عند الله أجراً ، يعني ثواباً وجزاء (وما أنا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) يقول : وما أنا
من يتكلف تحريضه وافتراءه ، فتقولون : (إِنَّ هَذَا إِلَّا فُكٌّ افْتَرَاهُ) و (إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) .
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) قال : لا أسألكم على القرآن أجراً تعطوني شيئاً ، وما أنا من المتكلفين
أتحرض وأتكلف ما لم يأمرني الله به .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين من قومك : (إِنَّ هُوَ) يعني :
ما هذا القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) يقول : إلا تذكير من الله (لِلْعَالَمِينَ) من الجن والإنس ، ذكركم ربهم لإرادة
استنقاذ من آمن به منهم من الهلكة . وقوله (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) يقول : ولتعلمن أيها المشركون
بالله من قرئش نبأه ، يعني : نبأ هذا القرآن ، وهو خبره ، يعني حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد بعد حين .
وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ) قال :
صدق هذا الحديث نبأ ما كذبوا به . وقيل : نبأ حقيقة أمر محمد صلى الله عليه وسلم أنه نبي .

ثم اختلفوا في مدة الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع : ماهي ، وما نهايتها ؟ فقال بعضهم : نهايتها

الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَكَتَعَلَّمُنْ نَبَأَهُ بِعَدِّ حِينٍ) :
أى بعد الموت ، وقال الحسن : يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين .
وقال بعضهم : كانت نهايتها إلى يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَكَتَعَلَّمُنْ نَبَأَهُ بِعَدِّ حِينٍ) قال : يوم بدر .
وقال بعضهم : يوم القيامة . وقال بعضهم : نهايتها القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكَتَعَلَّمُنْ نَبَأَهُ بِعَدِّ حِينٍ) قال : يوم القيامة يعلمون نبأ ما كذبوا به بعد حين من الدنيا وهو يوم القيامة . وقرأ (لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) قال : وهذا أيضا الآخرة يستقر فيها الحق ، ويبطل الباطل .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أعلم المشركين المنكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حد منه لذلك الحين بحد ، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته ، ووضوح صحته في الدنيا ، ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر ، وقبل ذلك ، ولاحداً عند العرب للحين ، لا يُجاوز ولا يقصر عنه . فإذا كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصح من أن يطلق كما أطلقه الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، قال : قال عكرمة : سئلت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين ، فقلت : إن من الحين حيناً لا يدرك ، ومن الحين حيناً يدرك فالحين الذي لا يدرك قوله (وَكَتَعَلَّمُنْ نَبَأَهُ بِعَدِّ حِينٍ) ، والحين الذي يدرك قوله (تُوْتِي أُمَّكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) وذلك من حين تُصْرَم النخلة إلى حين تُطْلِع ، وذلك ستة أشهر .

آخر تفسير سورة ص

(٣٩) سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا خَمْسُونَ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ فَاَعْبُدُوا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا
لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾

يقول تعالى ذكره : (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) الذي نزلناه عليك يا محمد (مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ) في انتقامه من أعدائه (الْحَكِيمِ) في تدبيره خلقه ، لامن غيره ، فلا تكونن في شك من ذلك ، ورفع قوله (تَنْزِيلُ) بقوله (مِنْ اللَّهِ) . وتأويل الكلام : من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب . وجائز رفعه بإضمار هذا ، كما قيل (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا) غير أن الرفع في قوله (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) بما بعده ، أحسن من رفع سورة بما بعدها ، لأن تنزيل ، وإن كان فعلا ، فإنه إلى المعرفة أقرب ، إذ كان مضافا إلى معرفة ، فحسن رفعه بما بعده ، وليس ذلك بالحسن في « سُورَةٌ » ، لأنه نكرة .

وقوله (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنا أنزلنا إليك يا محمد الكتاب ، يعني بالكتاب : القرآن بالحق ، يعني بالعدل ، لأن الدين له للأوثان التي يأمر بالحق والعدل ، ومن ذلك الحق والعدل أن تعبد الله مخلصا له الدين ، لأن الدين له للأوثان التي لا تملك ضرا ولا نفعا .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (الْكِتَابِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ)

يعني : القرآن .

وقوله (فَاَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يقول تعالى ذكره : فاخشع لله يا محمد بالطاعة ، وأخلص

له الألوهة ، وأفرده بالعبادة ، ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكا ، كما فعلت عبدة الأوثان .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شمر ، قال : « يوثى بالرجل يوم القيامة للحساب

وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات ، فيقول رب العزة جل وعز : صليت يوم كذا وكذا ، ليقال :

صَلَّى فَلَانَ أَنَا اللَّهُ لِإِلَهِ إِلَّا أَنَا ، لِي الدِّينِ الْخَالِصِ : صَمَتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، لِيَقَالَ : صَامَ فَلَانٌ أَنَا اللَّهُ لِإِلَهِ إِلَّا أَنَا لِي الدِّينِ الْخَالِصِ ، تَصَدَّقْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، لِيَقَالَ : تَصَدَّقَ فَلَانٌ أَنَا اللَّهُ لِإِلَهِ إِلَّا أَنَا لِي الدِّينِ الْخَالِصِ ، فَمَا يَزَالُ يَمْجُو شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ حَتَّى تَبْقَى صَحِيفَتُهُ مَا فِيهَا شَيْءٌ ، فَيَقُولُ : مَلِكَاهُ يَا فَلَانُ ، أَلْغَيْرِ اللَّهِ كُنْتَ تَعْمَلُ ؟ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، أما قوله (مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) فالتوحيد ، والدِّينُ منصوبٌ بوقوعٍ مخلصا عليه .
وقوله (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) يقول تعالى ذكره : أَلَا لِلَّهِ الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ وَحْدَهُ لِشَرِيكَ لَهُ ، خَالِصَةً لِشَرِكٍ لِأَحَدٍ مَعَهُ فِيهَا ، فَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ لِأَحَدٍ ، لِأَنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ مَلِكُهُ ، وَعَلَى الْمَمْلُوكِ طَاعَةُ مَالِكِهِ لِأَنَّ لِي مَلِكٌ مِنْهُ شَيْئًا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) شهادة أن لا إله إلا الله .

وقوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) يقول تعالى ذكره : وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ يَتَوَكَّلُونَهُمْ ، وَيَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، يَقُولُونَ لَهُمْ : مَا نَعْبُدُكُمْ أَيُّهَا آلَهِ إِلَّا لِنُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، قَرْبَةً وَمَنْزِلَةً ، وَتَشْفَعُوا لَنَا عِنْدَهُ فِي حَاجَاتِنَا ، وَهِيَ فِيهَا ذِكْرٌ فِي قِرَاءَةِ أَبِي (مَا نَعْبُدُكُمْ) ، وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ (قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ) وَإِنَّمَا حَسُنَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْحِكَايَةَ إِذَا كَانَتْ بِالْقَوْلِ مَضْمُرًا كَانَ أَوْ ظَاهِرًا ، جَعَلَ الْغَائِبَ أَحْيَانًا كَالْمُخَاطَبِ ، وَيَتْرَكَ أُخْرَى كَالْغَائِبِ ، وَقَدْ بَيَّنَّتْ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ فِيمَا مَضَى .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : هي في قراءة عبد الله (قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) قال : قَرِيشٌ تَقُولُهُ لِلْأَوْثَانِ ، وَمَنْ قَبْلَهُمْ يَقُولُهُ لِلْمَلَائِكَةِ وَلِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَلِعَزْرِيْرَ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) قالوا : مَا نَعْبُدُهُمْ هَؤُلَاءِ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا ، إِلَّا لِيَشْفَعُوا لَنَا عِنْدَ اللَّهِ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) قال : هي منزلة .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) ٧ .

وقوله (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا) يقول سبحانه : لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) قالوا هم شفاعونا عند الله ، وهم الذين يقربونا إلى الله زلنى يوم القيامة للأوثان ، والزلنى : القرب .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يقول تعالى ذكره : إن الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا في الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة ، فيما هم فيه يختلفون في الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها ، بأن يُصَلِّيَهُمْ جميعاً جهنم ، إلا من أخلص الدين لله ، فوحده ، ولم يشرك به شيئاً .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٧﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي) إلى الحق ودينه الإسلام ، والإقرار بوحدانيته ، فيوفقه له (مَنْ هُوَ كَاذِبٌ) مفتر على الله ، يتقول عليه الباطل ، ويضيف إليه ما ليس من صفته ، ويزعم أن له ولداً افتراء عليه ، كفار لنعمه ، جحود لربوبيته . وقوله (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) يقول تعالى ذكره : لو شاء الله اتخاذاً ولداً ، ولا ينبغي له ذلك ، لاصطنى مما يخلق ما يشاء ، يقول : لا اختار من خلقه ما يشاء . وقوله (سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) يقول : تنزيهاً لله عن أن يكون له ولد ، وعماً أضاف إليه المشركون به من شركهم (هُوَ اللَّهُ) يقول : هو الذي يعبده كل شيء ، ولو كان له ولد لم يكن له عبداً ، يقول : فالأشياء كلها له ملك ، فأنى يكون له ولد ، وهو الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه ، والقهار لخلقته بقدرته ، فكل شيء له متدلل ، ومن سطوته خاشع .

القول في تأويل قوله تعالى :

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٨﴾

يقول تعالى ذكره واصفاً نفسه بصفاتها (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)

يعنى آدم ، ثم خلق منها زوجها حواء ، خلقها من ضلع من أضلاعه .

❖ فإن قال قائل : وكيف قيل : خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ؟ وإنما خلق ولد آدم من آدم وزوجته ولا شك أن الوالدين قبل الولد ، فإن في ذلك أقوالا : أحدها أن يقال : قيل ذلك لأنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ ، فَأَخْرَجَ كُلَّ نَسَمَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ أَسْكَنَهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْجَنَّةَ ، وَخَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ حَوَاءَ مِنْ ضِلْعٍ مِنْ أَضْلَاعِهِ » فهذا قول . والآخر : أن العرب ربما أخبر الرجل منهم عن رجل بفعلين ، فإرد الأول منهما في المعنى بـم ، إذا كان من خبر المتكلم ، كما يقال : قد بلغني ما كان منك اليوم ، ثم ما كان منك أمس أعجب ، فذلك نسق من خبر المتكلم . والوجه الآخر : أن يكون خلقه الزوج مردودا على واحدتها ، كأنه قيل : خلقكم من نفس واحدتها ثم جعل منها زوجها ، فيكون في واحدة معنى : خلقها وحدها ، كما قال الراجز :

* أَعْدَدْتَهُ لِلْخَصْمِ ذِي التَّعَدَى *

* كَوَّحْتَهُ مِنْكَ بِدُونِ الْجَهْدِ *

بمعنى : الذى إذا تعدى كوحته ، ومعنى : كوحته : غلبته .

والقول الذى يقوله أهل العلم أولى بالصواب ، وهو القول الأول الذى ذكرت أنه يقال : إن الله أخرج ذرية آدم من ضلعه قبل أن يخلق حواء ، وبذلك جاءت الرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقولان الآخران على مذاهب أهل العربية .

وقوله (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) يقول تعالى ذكره : وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الإبل زوجين ، ومن البقر زوجين ، ومن الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين ، كما قال جل ثناؤه (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ) .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) قال : من الإبل والبقر والضأن والمعز .

(١) البيتان من الرجز أنشدهما صاحب اللسان في « كوح » شاهدا على أن كوحه بمعنى رده . وقال الأزهري : التكويح التغليب ، وأنشد أبو عمرو : « أعددته للخصم . . . البيت » . وهو أيضا من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٣) . قال : في تفسير قوله تعالى : « خلقكم من نفس واحدة ، ثم جعل منها زوجها » . يقول القائل : كيف قال : « خلقكم » لبني آدم ثم قال : « ثم جعل منها زوجها » ، والزوج مخلوق قبل الولد ؟ ففى ذلك وجهان من العربية . أحدهما أن العرب إذا خبرت عن رجل بفعلين ودوا الآخر بـم إذا كان هو الآخر فى المعنى . وربما جعلوا « ثم » فيما معناه التقديم ، ويحملون « ثم » من خبر المتكلم . من ذلك أن تقول : قد باننى ما صنعت يومك هذا ، ثم ما صنعت أمس أعجب ، فهذا نسق من خبر المتكلم . وتقول : قد أعطيتك اليوم شيئا ، ثم الذى أعطيتك أمس أكثر . فهذا من ذلك . والوجه الآخر أن تجعل خلقه الزوج مردودا على واحدة ، كأنه قال خلقكم من نفس واحدتها ، ثم جعل منها زوجها ، ففى « واحدة » معنى خلقها واحد . قال : أنشدنى بعض العرب : أعددته للخصم . . . البيت . ومعناه : الذى إذا تعدى كوحته . وكوحته : غلبته . هـ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) من الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين ، ومن الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين ، من كل واحد زوج .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) يعنى من المعز اثنين ، ومن الضأن اثنين ، ومن البقر اثنين ، ومن الإبل اثنين .

وقوله (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) يقول تعالى ذكره : يبتدىء خلقكم أيها الناس في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق ، وذلك أنه يحدث فيها نطفة ، ثم يجعلها علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاما ، ثم يكسو العظام لحما ، ثم ينشئه خلقا آخر ، تبارك الله وتعالى ، فذلك خلقه إياه خلقا بعد خلق .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : نطفة ، ثم ما يتبعها حتى تم خلقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاما ، ثم لحما ، ثم أنبت الشعر ، أطوار الخلق .
حدثنا هناد بن السرى ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة في قوله (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : يعنى بخلق بعد الخلق ، علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاما .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، في قوله (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : يكونون نطفة ، ثم يكونون علقا ، ثم يكونون مضغا ، ثم يكونون عظاما ، ثم ينفخ فيهم الروح .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) خلق نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : يخلقكم في بطون أمهاتكم من بعد خلقه إياكم في ظهر آدم ، قالوا : فذلك هو الخلق من بعد الخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ) قال : خلقا في البطن من بعد الخلق الأول الذى خلقهم في ظهر آدم .

﴿ وَأُولَى الْقَوْلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ ، الْقَوْلَ الَّذِي قَالَه عِكْرَمَةُ وَمَجَاهِدٌ ، وَمَنْ قَالَ فِي ذَلِكَ مِثْلَ قَوْلِهِمَا ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَخْلُقُنَا خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِنَا فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ، وَلَمْ يَخْبُرْ أَنَّهُ يَخْلُقُنَا فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِنَا مِنْ بَعْدِ خَلْقِنَا فِي ظَهْرِ آدَمَ ، وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ (وَكَتَبْنَا نُحُوتَ الْإِنْسَانِ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً) . . . الآية .

وقوله (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) يَعْنِي : فِي ظُلْمَةِ الْبَطْنِ ، وَظُلْمَةِ الرَّحِمِ ، وَظُلْمَةِ الْمَشِيمَةِ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) قال :
الظلمات الثلاث : البطن ، والرحم ، والمشيمة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) قال : البطن ، والمشيمة ، والرحم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) قال : يعنى بالظلمات الثلاث : بطن أمه ، والرحم ، والمشيمة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) قال : البطن ، والرحم ، والمشيمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) المشيمة ، والرحم ، والبطن .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) قال : ظلمة المشيمة ، وظلمة الرحم ، وظلمة البطن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) قال : المشيمة في الرحم ، والرحم في البطن .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) : الرحم ، والمشيمة ، والبطن ، والمشيمة التي تكون على الولد إذا خرج ، وهي من الدواب السلي .

وقوله (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ) يقول تعالى ذكره : هذا الذي فعل هذه الأفعال أيها الناس هو ربكم ، لا من لا يجلب لنفسه نفعا ، ولا يدفع عنها ضررا ، ولا يسوق إليكم خيرا ، ولا يدفع عنكم سوءا من أوثانكم وآلهتكم .

وقوله (لَهُ الْمُلْكُ) يقول جلَّ وَعَزَّ : لربكم أيها الناس الذي صفته ما وصف لكم ، وقدرته ما بين

لكم الملك، ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما لا غيره؛ فأما ملوك الدنيا فإنما يملك أحدهم شيئاً دون شيء، فإنما له خاص من الملك. وأما الملك التام الذي هو الملك بالإطلاق فله الواحد القهار. وقوله (لا إله إلا هو فأني تُصْرَفُونَ) يقول تعالى ذكره: لا ينبغي أن يكون معبود سواه، ولا تصلح العبادة إلا له (فأني تُصْرَفُونَ) يقول تعالى ذكره: فأني تصرفون أيها الناس فتذهبون عن عبادة ربكم، الذي هذه الصفة صفته، إلى عبادة من لا ضرر عنده لكم ولا نفع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فأني تُصْرَفُونَ) قال: كقوله: (تُؤْفَكُونَ).

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (فأني تُصْرَفُونَ) قال للمشركين: أي تصرف عقولكم عن هذا؟

القول في تأويل قوله تعالى:

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠٠﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ)، ولا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) فقال بعضهم: ذلك لخاص من الناس، ومعناه: إن تكفروا أيها المشركون بالله، فإن الله غني عنكم، ولا يرضىٰ لعباده المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته الكفر.

ذكر من قال ذلك

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ)، ولا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) يعني الكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، فيقولوا: لا إله إلا الله، ثم قال: (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) وهم عبادة المخلصون الذين قال فيهم: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله وحببها إليهم.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) قال: لا يرضىٰ لعباده المؤمنين أن يكفروا.

وقال آخرون: بل ذلك عام لجميع الناس، ومعناه: أيها الناس إن تكفروا، فإن الله غني عنكم، ولا يرضىٰ لكم أن تكفروا به.

والصواب من القول في ذلك ما قال الله جلّ وعزّ : إن تكفروا بالله أيها الكفار به ، فإن الله غنيّ عن إيمانكم وعبادتكم إياه ، ولا يرضى لعباده الكفر ، بمعنى : ولا يرضى لعباده أن يكفروا به ، كما يقال : لست أحبّ الظلم ، وإن أحببت أن يظلم فلان فلانا فيعاقب .

وقوله (وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) يقول : وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرض شكريكم له ، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه ، فكفى عن الشكر ولم يذكر ، وإنما ذكر الفعل الدالّ عليه ، وذلك نظير قوله : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ فَاسْتَخَشَبَهُمْ فَرَادَهُمْ إِيْمَانًا) بمعنى : فرادهم قول الناس لهم ذلك إيماناً .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) قال :

إن تطيعوا يرضه لكم .

وقوله (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) يقول : لا تأثم آثمة إثم آثمة أخرى غيرها ، ولا تواخذ إلا

بإثم نفسها ، يُعلم عزّ وجلّ عباده أن على كلّ نفس ما جنت ، وأنها لا تواخذ بذنب غيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) قال :

لا يؤخذ أحد بذنب أحد .

وقوله (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره : ثم

بعد اجتراحكم في الدنيا ما اجترحتم من صالح وسيئ ، وإيمان وكفر أيها الناس ، إلى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم ، فينبئكم : يقول : فيخبركم بما كنتم في الدنيا تعملونه من خير وشرّ ، فيجازيكم على كلّ ذلك جزاءكم ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بما يستحقه ، يقول عزّ وجلّ لعباده : فاتقوا أن تلقوا ربكم وقد عملتم في الدنيا بما لا يرضاه منكم فهلكوا ، فإنه لا يخفى عليه عمل عامل منكم .

وقوله (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) يقول تعالى ذكره : إن الله لا يخفى عليه ما أضمرته صدوركم أيها

الناس مما لا تدركه أعينكم ، فكيف بما أدركته العيون ورأته الأبصار . وإنما يعنى جلّ وعزّ بذلك الخبر عن أنه لا يخفى عليه شيء ، وأنه محص على عباده أعمالهم ، ليجازيهم بها كي يتقوه في سرّ أمورهم وعلائقها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَتْ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِنْ

قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا مسّ الإنسان بلاء في جسده من مرض ، أو عاهة ، أو شدة في معيشته ، وجهد وضيق (دَعَا رَبَّهُ) يقول : استغاث بربه الذي خلقه من شدة ذلك ، ورغب إليه في كشف ما نزل به من شدة ذلك . وقوله (مُنِيْبًا إِلَيْهِ) يقول : تائبًا إليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به ، وإشراك الآلهة والأوثان به في عبادته ، راجعًا إلى طاعته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ) قال : الوجع والبلاء والشدة (دَعَا رَبَّهُ مُنِيْبًا إِلَيْهِ) قال : مستغيثًا به .
وقوله (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ) يقول تعالى ذكره : ثم إذا منحه ربه نعمة منه ، يعني عافية ، فكشف عنه ضره ، وأبدله بالسقم صحة ، وبالشدة رخاء . والعرب تقول لكل من أعطى غيره من مال أو غيره : قد خوّله ؛ ومنه قول أبي النجم العجيلي :

أَعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبْخَلْ كَوْمَ الذُّرَا مِنْ خَوْلِ الْمُخَوَّلِ ١

وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه قال : سمعت أبا عمرو يقول في بيت زهير :

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْوَلُوا الْمَالَ يُخْوَلُوا وَإِنْ يُسْتَسْلُوا يُعْطَوُا وَإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلَوُا ٢

قال معمر : قال يونس : إنما سمعناه :

* هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْوَلُوا الْمَالَ يُخْبَلُوا ٣ *

قال : وهي بمعناها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ) :

إذا أصابته عافية أو خير .

(١) البيت لأبي النجم العجلي الراجز المشهور (اللسان : خول) . وهو يمدح إنسانا أنه أعطى من سأله النوق السينة العالية السنام والذرا : جمع ذروة ، وهو أعلى الشيء . وهي مما خوله الله ومنحه ، وكان عطاؤه كثيرا ، فلم يبخل به ، ولم ينسبه أحد إلى البخل . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢١٦) ، عند قوله تعالى : « ثم إذا خوله نعمة منه » : كل مال لك ، وكل شيء أعطيته فقد خولته ؛ قال أبو النجم : « أعطى فلم يبخل . . . البيت » .

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى المزني (مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفي السقا ص ٢٣٩) والرواية فيه « يستخبوا » في موضع يستخولوا قال في اللسان : والاستخوال أيضا مثل الاستخبال ، من أخبلته المال : إذا أعرته ناقة لينتفع بألبانها وأوبارها ، أو فرسا يغزو عليه . ومنه قول زهير : « هنالك إن يستخولوا المال . . . البيت » . ومعنى ييسروا : يقامروا . ويغلووا : يختاروا سمان الإبل بالتمن الغالي ، ويقامروا عليها . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (٢١٦ ب) قال : وسمعت أبا عمرو يقول في بيت زهير « هنالك . . . الخ » : قال يونس : إنما سمعناه : « هنالك إن يستخبوا المال » . أي يخجلوا ، وهو بمعناها .

(٣) تقدم الكلام على رواية هذا الشطر من بيت زهير بن أبي سلمى في الشاهد الذي قبله .

وقوله (نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ) يقول : ترك دعاءه الذي كان يدعو إلى الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضرر (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا) يعني : شركاء .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (نَسِيَ) يقول : ترك ، هذا في الكافر خاصة .

و « ما » التي في قوله (نَسِيَ مَا كَانَ) وجهان : أحدهما : أن يكون بمعنى الذي ، ويكون معنى الكلام حينئذ : ترك الذي كان يدعو في حال الضر الذي كان به ، يعني به الله تعالى ذكره ، فتكون « ما » موضوعة عند ذلك موضع « مَنْ » كما قيل : (وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) يعني به الله ، وكما قيل : (فَانكحوا ما طاب لكم من النساء) . والثاني : أن يكون بمعنى المصدر على ما ذكرت . وإذا كانت بمعنى المصدر ، كان في الهاء التي في قوله (إِلَيْهِ) وجهان : أحدهما : أن يكون من ذكر ما . والآخر : من ذكر الرب .

وقوله (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا) يقول : وجعل لله أمثالا وأشباها .

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي جعلوها فيه : له أندادا ، قال بعضهم : جعلوها له أندادا في طاعتهم إياه في معاصي الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا) قال : الأنداد من الرجال : يطيعونهم في معاصي الله .

وقال آخرون : عني بذلك أنه عبد الأوثان ، فجعلها لله أندادا في عبادتهم إياها .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عَنِّي بِهِ أَنَّهُ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، فجعل له الأوثان أندادا ، لأن ذلك في سياق عتاب الله إياهم له على عبادتها .

وقوله (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول : ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده ، والإقرار به ، والدخول في الإسلام . وقوله (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لفاعل ذلك : تمتع بكفرك بالله قليلا إلى أن تستوفي أجلك ، فتأتيك منيتك (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) : أي إنك من أهل النار الماكثين فيها .
وقوله (تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ) : وعيد من الله وتهديد .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمَّنْ هُوَ قَلِيلٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧٧﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله (أَمَّنْ) فقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وعامة الكوفيين (أَمَّنْ) بتخفيف الميم ، ولقراءتهم ذلك كذلك وجهان : أحدهما أن يكون الألف في « أَمَّنْ » بمعنى الدعاء ، يراد بها : يا من هو قانت آناء الليل ، والعرب تنادى بالألف كما تنادى بيا ، فتقول : أزيد أقبل ، ويازيد أقبل ، ومنه قول أوس بن حجر :

أَبْنِي لُبَيْتِي لَسْتُمْ بِيَدِي إِلَّا يَدٌ لَيْسَتْ لَهَا عَضُدٌ

وإذا وجهت الألف إلى النداء كان معنى الكلام : قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلا ، إنك من أصحاب النار ، ويا من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما إنك من أهل الجنة ، ويكون في النار عمى للفريق الكافر عند الله من الجزاء في الآخرة ، الكفاية عن بيان ما للفريق المؤمن ، إذ كان معلوما اختلاف أحوالهما في الدنيا ، ومعقولا أن أحدهما إذا كان من أصحاب النار لكفره بربه أن الآخر من أصحاب الجنة ، فحذف الخبر عما له ، اكتفاء بفهم السامع المراد منه من ذكره ، إذ كان قد دل على المحذوف بالمدكور . والثاني : أن تكون الألف التي في قوله (أَمَّنْ) ألف استفهام ، فيكون معنى الكلام : أهذا كالذى جعل الله أندادا ليضل عن سبيله ، ثم اكنى بما قد سبق من خبر الله عن فريق الكفر به من أعدائه ، إذ كان مفهوما المراد بالكلام ، كما قال الشاعر :

فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلَمْ كُنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا

فحذف لدفعناه وهو مراد في الكلام إذ كان مفهوما عند السامع مراده ، وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة : (أَمَّنْ) بتشديد الميم ، بمعنى : أم من هو ؟ ويقولون : إنما هي (أَمَّنْ) استفهام اعترض في الكلام بعد كلام قد مضى ، فجاء بأم ، فعلى هذا التأويل يجب أن يكون جواب الاستفهام متروكا من أجل أنه قد جرى الخبر عن فريق الكفر ، وما أعد له في الآخرة ، ثم أتبع الخبر عن فريق الإيمان ، فعلم بذلك المراد ، فاستغنى بمعرفة السامع بمعناه من ذكره ، إذ كان معقولا أن معناه هذا أفضل أم هذا ؟

(١) تقدم الاستشهاد بالبيت في الجزء (١٤ : ١١٠) وشرحناه شرحا مفصلا ، فراجعه ثمة . والبيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٤) وموضع الاستشهاد به في هذا الموضع أن العرب تنادى بالهمزة ، كما تنادى بيا . قال القراء : عند قوله تعالى « أم من هو قانت آناء الليل » قرأها يحيى بن وثاب بالتخفيف . وذكر ذلك عن نافع وحمة ، وفسروها : يريد : يا من هو قانت ، وهو وجه حسن . العرب تدعو بألف كما يدعون بيا ، فيقولون : يا زيد أقبل ، وأزيد أقبل ؛ قال الشاعر : « أبني لبيني . . . البيت » وقال آخر : « أضمر بن ضمرة . . . البيت » . وهو كثير في الشعر ، فيكون المعنى مردودا بالدعاء ، كالمسوق ، لأنه ذكر الناسي الكافر ، ثم قص قصة الصالح بالنداء ، كما تقول في الكلام : فلان لا يصلى ولا يصوم ، فيأمن يصلى ويصوم أبشر . فهذا هو معناه . وقد تكون الألف استفهاما ، بتأويل أم ، لأن العرب قد تضع « أم » في موضع الألف ، إذا سبقها كلام ، وقد وصفت من ذلك ما يكتفى به ، فيكون المعنى أم من هو قانت ؟ كالأول الذي ذكر بالنسيان والكفر . ومن قرأها بالتشديد ، فإنه يريد معنى الألف وهو الوجه : أن تجعل « أم » إذا كانت مردودة على معنى قد سبق ، قلها بأم . وقد قرأها الحسن وعاصم وأبو جعفر المدني ، يريدون : « أم من هو » فقد تبين في الكلام أنه مضمرة قد جرى معناه في أول الكلمة ، إذ ذكر الضال ، ثم ذكر المهتدى بالاستفهام فهو دليل على أنه يريد : أهذا مثل هذا ؟ أو أهذا أفضل ؟ ومن لم يعرف مذاهب العرب ، ويتبين له المعنى في هذا وشبهه ، لم يكتف ولم يشف . اهـ .

(٢) تقدم الاستشهاد بالبيت وشرحناه مفصلا في الجزء (١٢ : ١٨) فراجعه ثمة . وقد أورده الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٤) بعقب كلامه الذي نقلناه عنه في الشاهد السابق على هذا ، قال : ألا ترى قول الشاعر « فأقسم لو شئنا أنا رسول الله » . البيت « أن معناه : لو أتانا رسول غيرك لدفعناه ، فعلم المعنى ولم يظهر . وجرى قوله « أفن شرح الله صدره للإسلام » على مثل هذا .

والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان قرأ بكل واحدة علماء من القراء مع صحة كل واحدة منهما في التأويل والإعراب ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .
وقد ذكرنا اختلاف المختلفين ، والصواب من القول عندنا فيما مضى قبل في معنى القانت ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، غير أنا نذكر بعض أقوال أهل التأويل في ذلك في هذا الموضع ، ليعلم الناظر في الكتاب اتفاق معنى ذلك في هذا الموضع وغيره ، فكان بعضهم يقول : هو في هذا الموضع قراءة القارئ قائماً في الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى ، عن عبيد الله ، أنه قال : أخبرني نافع ، عن ابن عمر ، أنه كان إذا سئل عن القنوت ، قال : لأعلم القنوت إلا قراءة القرآن وطول القيام ، وقرأ (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا) .
وقال آخرون : هو الطاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ) يعني بالقنوت : الطاعة ، وذلك أنه قال : (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةَ مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) . . . إلى (كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ) قال : مطيعون .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا) قال : القانت : المطيع .
وقوله (آنَاءَ اللَّيْلِ) يعني : ساعات الليل .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ) أوله ، وأوسطه ، وآخره .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (آنَاءَ اللَّيْلِ) قال : ساعات الليل . وقد مضى بياننا عن معنى الآناء بشوا هذه ، وحكاية أقوال أهل التأويل فيها بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (سَاجِدًا وَقَائِمًا) يقول : يقنت ساجداً أحياناً ، وأحياناً قائماً ، يعني : يطيع ، والقنوت عندنا الطاعة ، ولذلك نصب قوله (سَاجِدًا وَقَائِمًا) لأن معناه : أَمَّنْ هُوَ يقنت آناء الليل ساجداً طورا ، وقائماً طورا ، فهما حال من قانت .

وقوله (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) يقول : يحذر عذاب الآخرة . كما حدثنا علي بن الحسن الأزدي . قال : ثنا يحيى بن العيمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جببير ، عن ابن عباس ، في قوله (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) قال : يحذر عقاب الآخرة ، ويرجو رحمة ربه يقول : ويرجو أن يرحمه الله فيدخله الجنة .

وقوله (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لقومك : هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب ، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات ، والذين لا يعلمون ذلك ، فهم ينجطون في عشواء ، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرا ، ولا يخافون بسيتها شرا ، يقول : ما هذان بمتساويين .

وقد روى عن أبي جعفر محمد بن علي في ذلك ما حدثني محمد بن خلف ، قال : ثنا نصر بن مزاحم ، قال : ثنا سفيان الحريري ، عن سعيد بن أبي مجاهد ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، رضوان الله عليه (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) قال : نحن الذين يعلمون ، وعدونا الذين لا يعلمون . وقوله (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) يقول تعالى ذكره : إنما يعتبر حجج الله ، فيتعظ ، ويتفكر فيها ، ويتدبرها أهل العقول والحجج ، لأهل الجهل والنقص في العقول .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ يٰعِبَادِ اللَّهِ ءَامِنُوا أَتَقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ
إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يا محمد لعبادي الذين آمنوا : (يا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ، وصدقوا رسوله (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) بطاعته واجتناب معاصيه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً) .

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : للذين أطاعوا الله حسنة في هذه الدنيا ، وقال « في » من صلة حسنة ، وجعل معنى الحسنة : الصحة والعافية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً) قال : العافية والصحة .

وقال آخرون « في » من صلة أحسنوا ، ومعنى الحسنة : الجنة .

وقوله (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) يقول تعالى ذكره : وأرض الله فسيحة واسعة ، فهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) فهاجروا واعتزلوا الأوثان .

وقوله (إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقول تعالى ذكره : إنما يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم في الآخرة بغير حساب : يقول : ثوابهم بغير حساب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ

حِسَابٍ) لا والله ما هناك مكيال ولا ميزان .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ

بِغَيْرِ حِسَابٍ) قال : في الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ

رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركى قومك : إن الله أمرنى أن أعبده مفردا له الطاعة ، دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد (وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) : يقول : وأمرنى ربى جل ثناؤه بذلك ، لأن أكون بفعل ذلك أول من أسلم منكم ، فخضع له بالتوحيد ، وأخلص له العبادة ، وبرئ من كل ما دونه من الآلهة . وقوله تعالى (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) : يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهم إنى أخاف إن عصيت ربى فيما أمرنى به من عبادته ، مخلصا له الطاعة ، ومفرده بالربوبية . (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) : يعنى عذاب يوم القيامة ، ذلك هو اليوم الذى يعظم هولاه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لِلَّهِ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركى قومك : الله أعبد مخلصا ، مفردا له طاعى وعبادى ، لا أجعل له فى ذلك شريكا ، ولكنى أفرده بالآلوهة ، وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة ، فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام ، وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه ، فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم .

وقوله (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهم : إن

المالكين الذين غلبتوا أنفسهم ، وهاكت بعذاب الله أهلهم مع أنفسهم ، فلم يكن لهم إذ دخلوا النار فيها أهل ، وقد كان لهم فى الدنيا أهلون .

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ)
 إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : هم الكفار الذين خلقهم الله
 للنار ، وخلق النار لهم ، فزالت عنهم الدنيا ، وحرمت عليهم الجنة ، قال الله (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ) .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قُلْ) إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : هؤلاء أهل النار ، خسروا أنفسهم في الدنيا ،
 وخسروا الأهلين ، فلم يجدوا في النار أهلا ، وقد كان لهم في الدنيا أهل .
 حدثت عن ابن أبي زائدة ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، قال : غبنوا أنفسهم وأهليهم ، قال :
 يخسرون أهليهم ، فلا يكون لهم أهل يرجعون إليهم ، ويخسرون أنفسهم ، فيهلكون في النار ، فيموتون
 وهم أحياء فيخسرونهما .
 وقوله (أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) يقول تعالى ذكره : ألا إن خسرا هؤلاء المشركين أنفسهم
 وأهليهم يوم القيامة ، وذلك هلاكها هو الخسران المبين ، يقول تعالى ذكره : هو الهلاك الذي يبين لمن عاينه
 وعلمه أنه الخسران .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ
 أَجْنَابٌ وَالطَّاغُوتُ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَا بُرُؤُا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ۗ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
 أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ

يقول تعالى ذكره هؤلاء الخاسرين يوم القيامة في جهنم (مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ) وذلك
 كهيئة الظل المبنية من النار (وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) يقول : ومن تحتهم من النار ما يعلوهم ، حتى يصير
 ما يعلوهم منها من تحتهم ظللا ، وذلك نظير قوله جل ثناؤه لَهُمْ (مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ
 غَوَاشٍ) يغشاهم مما تحتهم فيها من المهاد .

وقوله (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ، يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ) يقول تعالى ذكره : هذا الذي أخبرتكم
 أيها الناس به ، مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب ، تخويف من ربكم لكم ، يخوفكم به لتحذروه ،
 فتجتنبوا معاصيه ، وتنبوا من كفركم إلى الإيمان به ، وتصديق رسوله ، واتباع أمره ونهيه ، فتنجوا من
 عذابه في الآخرة (فَاتَّقُونِ) يقول : فاتقون بأداء فرائض عليكم ، واجتناب معاصي ، لتنجوا من
 عذابي وسخطي .

وقوله (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ) : أى اجتنبوا عبادة كل ما عبُد من دون الله من شىء . وقد بيّنا معنى الطاغوت فيما مضى قبل بشواهد ذلك ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وذكرنا أنه فى هذا الموضع : الشيطان ، وهو فى هذا الموضع وغيره بمعنى واحد عندنا .

ذكر من قال ما ذكرنا فى هذا الموضع

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ)

قال : الشيطان .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ

يَعْبُدُوهَا) قال : الشيطان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا) قال : الشيطان هو ها هنا واحد وهى جماعة ، والطاغوت على قول ابن زيد هذا واحد مؤنث ، ولذلك قيل : أن يعبدوها . وقيل : إنما أُنثت لأنها فى معنى جماعة .

وقوله (وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ) يقول : وتابوا إلى الله ورجعوا إلى الإقرار بتوحيده ، والعمل بطاعته ، والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ) : وأقبلوا إلى الله . حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ) قال :

أجابوا إليه .

وقوله (لَهُمُ الْبُشْرَى) يقول : لهم البشرى فى الدنيا بالجنة فى الآخرة (فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ) يقول جل ثناؤه لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : فبشر يا محمد عبادى الذين يستمعون القول من القائلين ، فيتبعون أرشده وأهداه ، وأدله على توحيد الله ، والعمل بطاعته ، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذى لا يدل على رشاد ، ولا يهدى إلى سداد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) وأحسنه طاعة الله . حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)

قال : أحسن ما يؤمرون به فيعملون به .

وقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ) يقول تعالى ذكره : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

الذين هداهم الله ، يقول : وفقهم الله للرشاد وإصابة الصواب ، لا الذين يُعَرِّضُونَ عن سماع الحق ، ويعبدون ما لا يضر ، ولا ينفع . وقوله (أُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) يعني : أولو العقول والحجج . وذكر أن هذه الآية نزلت في رهط معروفين وحدوا الله ، وبرئوا من عبادة كل ما دون الله قبل أن يُبعث نبي الله ، فأنزل الله هذه الآية على نبيه يمدحهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا . . .) الآيتين ، حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون : لا إله إلا الله : زيد بن عمرو ، وأبي ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، نزل فيهم (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا) في جاهليتهم (وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ) ، لَهُمُ الْبُشْرَى ، فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) لا إله إلا الله ، أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولانبي (وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١١﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴿١٢﴾

❦ يعني تعالى ذكره بقوله (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) : أفمن وجبت عليه كلمة العذاب في سابق علم ربك يا محمد بكفره به . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) بكفره .

وقوله (أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أفأنت تنقذ يا محمد من هو في النار من حق عليه كلمة العذاب ، فأنت تنقذه ، فاستغنى بقوله (تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) عن هذا . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : هذا مما يراد به استفهام واحد ، فيسبق الاستفهام إلى غير موضعه ، فيرد الاستفهام إلى موضعه الذي هو له . وإنما المعنى والله أعلم : أفأنت تنقذ من في النار من حقت عليه كلمة العذاب . قال : ومثله من غير الاستفهام (أَيْبَعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرِجُونَ) فردد أنكم مرتين . والمعنى والله أعلم : أبعدكم أنكم مخرجون إذا متم ، ومثله قوله (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ) . وكان بعضهم يستخطى القول الذي حكيناه عن البصريين ، ويقول لا تكون في قوله (أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) كناية عن تقدم ، لا يقال : القوم ضربت من قام ، يقول

المعنى : التجرئة أفانت تُنقذ من في النار منهم . وإنما معنى الكلمة : أفانت تهدي يا محمد من قد سبق له في علم الله أنه من أهل النار إلى الإيمان ، فتنقذه من النار بالإيمان ، لست على ذلك بقادر .
 وقوله (لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ) يقول تعالى ذكره :
 لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه ، لهم في الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علالي بعضها فوق بعض (تَجْرِي مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يقول تعالى ذكره : تجري من تحت أشجار جناتها الأنهار .
 وقوله (وَعَدَّ اللَّهُ) يقول جل ثناؤه : وعدنا هذه الغرف التي من فوقها غرف مبنية في الجنة ، هؤلاء المتقين (لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ) يقول جل ثناؤه : والله لا يخلفهم وعده ، ولكنه يوفى بوعدده .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا
 أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (أَلَمْ تَرَ) يا محمد (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) وهو المطر (فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ) يقول : فأجراه عيوناً في الأرض ، واحداً ينبوع ، وهو ما جاش من الأرض .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، في قوله (فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ) قال : كل ندى وماء في الأرض من السماء نزل .

قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الحسن بن مسلم بن بيان ، قال : ثم أنبت بذلك الماء الذي أنزله من السماء فجعله في الأرض عيوناً زرعاً (مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) يعني : أنواعاً مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز ، ونحو ذلك من الأنواع المختلفة (ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَهُ مُصْفَرًّا) يقول : ثم يببس ذلك الزرع من بعد خضرته ، يقال للأرض إذا يبس ما فيها من الخضر وذوى : هاجت الأرض ، وهاج الزرع .
 وقوله (فَتْرَهُ مُصْفَرًّا) يقول : فتراه من بعد خضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر ، وكذلك الزرع إذا يبس اصفر (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) والحطام : فئات التبن والحشيش ، يقول : ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار يابساً فتاتاً متكسراً .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ) يقول تعالى ذكره : إن في فعل الله ذلك كالذي وصف لذكري وموعظة لأهل العقول والحججا يتذكرون به ، فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعدّر عليه لإحداثه ما شاء من الأشياء ، وإنشاء ما أراد من الأجسام والأعراض ، وإحياء من هلك من خلقه من بعد مماته وإعادته

من بعد فنائه ، كهيئته قبل فنائه ، كالذي فُعِلَ بالأرض التي أنزل عليها من بعد موتها الماء ، فأثبت بها الزرعَ المختلفَ الألوان بقدرته .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره : أشن فسَّحَ اللهُ قلبه لمعرفة ، والإقرار بوحدانيته ، والإذعان لربوبيته ، والخضوع لطاعته (فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ) يقول : فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين ، بتنوير الحق في قلبه ، فهو لذلك لأمر الله متبع ، وعمانهاه عنه منته فيما يرضيه ، كمن أقسى الله قلبه ، وأخلاه من ذكره ، وضيقه عن استماع الحق ، واتباع الهدى ، والعمل بالصواب ، وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه ، وجواب الاستفهام اجزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام ، إذ ذكر أحد الصنفين ، وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه بقوله : (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ) .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ) يعني : كتاب الله هو المؤمن ، به يأخذ ، وإليه ينتهي .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) قال : وسع صدره للإسلام ، والنور : الهدى .
حدثت عن ابن أبي زائدة عن ابن جرير ، عن مجاهد (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) قال : ليس المنشرح صدره مثل القاسي قلبه .

قوله (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : فويل للذين جفمت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت ، يعني عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره ، مذكراً به عباده ، فلم يؤمن به ، ولم يصدق بما فيه . وقيل (مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ) والمعنى : عن ذكر الله ، فوضعت من مكان عن ، كما يقال في الكلام : أتخمت من طعام أكلته ، وعن طعام أكلته بمعنى واحد .

وقوله (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء القاسية قلوبهم من ذكر الله في ضلال مبين ، لمن تأمله وتدبره بفهم أنه في ضلال عن الحق جائر .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ

جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ

مِنْ هَادٍ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : (الله نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا) يعنى به القرآن (مُتَشَابِهًا) يقول : يشبه بعضه بعضا ، لا اختلاف فيه ، ولا تضاد .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الله نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا) . . . الآية تشبه الآية ، والحرف يشبه الحرف .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (كِتَابًا مُتَشَابِهًا) قال : المتشابه : يشبه بعضه بعضا :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جببر ، في قوله (كِتَابًا مُتَشَابِهًا) قال : يشبه بعضه بعضا ، ويصدق بعضه بعضا ، ويدل بعضه على بعض .
وقوله (مَثَانِي) يقول : تُشَنَّى فِيهِ الْأَنْبَاءُ وَالْأَخْبَارُ وَالْقَضَاءُ وَالْأَحْكَامُ وَالْحُجَجُ .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (الله نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي) قال : ثنى الله فيه القضاء ، تكون السورة فيها الآية فى سورة أخرى آية تشبهها ، وسُئِلَ عَنْهَا عِكْرَمَةُ ١ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي) قال : فى القرآن كله .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَثَانِي) قال : ثنى الله فيه الفرائض ، والقضاء ، والحدود .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَثَانِي) قال : كتاب الله مثنى ، ثنى فيه الأمر مرارا ،
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (مَثَانِي) قال : مثنى الله مثنى فيه الأمر مرارا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (مَثَانِي) ثنى فى غير مكان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (مَثَانِي) مردد ردد موسى

فى القرآن وصالح وهود والأنبياء فى أمكنة كثيرة .

(١) الذى فى الدر : وسئل عنها عكرمة ، فقال : ثنى الله فيه القضاء .

وقوله (تَقَشَّعِرَ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يقول تعالى ذكره : تقشعروا من سماعه إذا تلى عليهم جلود الذين يخافون ربهم (ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودُهُمْ وَقَلُّوا بِهِمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) يعني إلى العمل بما في كتاب الله ، والتصديق به :

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن أصحابه سألوه الحديث .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا حكيم بن سلم ، عن أيوب بن موسى ، عن عمرو المكي عن ابن عباس ، قالوا : « يا رسول الله لو حدثتنا ؟ قال : فنزلت (الله نزل أحسن الحديث) » .
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكيم ، عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس ، قال : قالوا : يا نبي الله ، فذكر مثله :

(ذلك هدى الله يهدي به من يشاء) يقول تعالى ذكره : هذا الذي يصيب هؤلاء القوم الذين وصفت صفتهم عند سماعهم القرآن من اقشعار جلودهم ، ثم لينها ولين قلوبهم إلى ذكر الله من بعد ذلك ، (هدى الله) يعني : توفيق الله إياهم وفقهم له (يهدي به من يشاء) يقول : يهدي تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده .

وقد يتوجه معنى قوله (ذلك هدى) إلى أن يكون ذلك من ذكر القرآن ، فيكون معنى الكلام : هذا القرآن بيان الله يهدي به من يشاء ، يوفق للإيمان به من يشاء .

وقوله (وَمَنْ يَضَلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) يقول تعالى ذكره : ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن والتصديق بما فيه ، فيضله عنه ، فما له من هادٍ : يقول : فما له من موثق له ، ومسدد يسدده في اتباعه :
القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَبَلِ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْتُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾

اختلف أهل التأويل في صفة اتقاء هذا الضال بوجهه سوء العذاب ، فقال بعضهم : هو أن يرعى به في جهنم مكبوبا على وجهه ، فذلك اتقاؤه إياه :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (أَفَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ) قال : ينجر على وجهه في النار ، يقول : هو مثل (أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَبِيرٌ ، أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ؟

وقال آخرون : هو أن ينطلق به إلى النار مكتوفا ، ثم يرمى به فيها ، فأول ما تمس النار وجهه ، وهذا قول يُذكر عن ابن عباس من وجه كرهت أن أذكره لضعف سنده ، وهذا أيضا مما ترك جوابه استغناء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه عنه . ومعنى الكلام : أفن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خير ، أم من ينعم في الجنان ؟

وقوله (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) يقول : ويقال يومئذ للظالمين أنفسهم يكسبهم إياها سخط الله ، ذوقوا اليوم أيها القوم وبال ما كنتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله .
وقوله (كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) يقول تعالى ذكره : كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم الذين مضوا في الدهور الخالية رسلمهم (فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : فجاءهم عذاب الله من الموضع الذي لا يشعرون : أي لا يعلمون بمجيئه منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِذَا قَامَهُمُ اللَّهُ الْحِزْبُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذبوا رسلمهم الهوان في الدنيا ، والعذاب قبل الآخرة ، ولم ينظرهم إذ عتوا عن أمر ربهم (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ) يقول : ولعذاب الله إياهم في الآخرة إذا أدخلهم النار ، فعذبهم بها ، أكبر من العذاب الذي عذبهم به في الدنيا ، لو كانوا يعلمون : يقول : لو علم هؤلاء المشركون من قريش ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد مثلنا لهؤلاء المشركين بالله من كل مثل من أمثال القرون للأمم الخالية ، تخويفا مناهم وتحذيرا (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : ليتذكروا فينزعجوا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله .
وقوله (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) يقول تعالى ذكره : لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل قرآنا عربيا (غير ذى عوج) يعنى : ذى لبس .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) : غير ذى لبس . ونصب قوله (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) على الحال من قوله : هذا القرآن ، لأن القرآن معرفة ، وقوله (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) نكرة .

وقوله (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يقول : جعلنا قرآنا عربيا إذ كانوا عربا ، ليفهموا ما فيه من المواعظ ، حتى يتقوا ما حذرهم الله فيه من بأسه وسطوته ، فينبوا إلى عبادته وإفراد الألوهة له ، ويتبرءوا من الأنداد والآلهة :

القول في تاويل قوله تعالى :

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَحَدٌ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : مثل الله مثلا للكافر بالله الذي يعبد آلهة شتى ، ويطيع جماعة من الشياطين ، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد ، يقول تعالى ذكره : ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء . يقول : هو بين جماعة مالكين متشاكسين ، يعني مختلفين متنازعين ، سيئة أخلاقهم ، من قولهم : رجل شكيس : إذا كان سيئ الخلق وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه ومملكه فيه ، ورجلا سلما لرجل ، يقول : ورجلا خلوصا لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله ، لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية . واختافت القراء في قراءة قوله (وَرَجُلًا سَلَمًا) فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة (وَرَجُلًا سَالِمًا) وتأولوه بمعنى : رجلا خالصا لرجل . وقد روى ذلك أيضا عن ابن عباس .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن جرير بن حازم ، عن حميد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قرأها (سَالِمًا لِرَجُلٍ) يعني بالألف ، وقال : ليس فيه لأحد شيء . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ) بمعنى : صلحا .
والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، وذلك أن السلم مصدر من قول القائل : سلم فلان لله سلما ، بمعنى : خلص له خلوصا ، تقول العرب : ربح فلان في تجارته ربحا وربحا ، وسلم سلما وسلما ، وسلامة ، وأن السالم من صفة الرجل ، وسلم مصدر من ذلك . وأما الذي توهمه من رغب عن قراءة ذلك ، سلما من أن معناه صلحا ، فلا وجه للصلح في هذا الموضع ، لأن الذي تقدم من صفة الآخر ، إنما تقدم

(١) قائل هذا : هو أبو عبيدة في مجاز القرآن (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٩٠ الورقة ١٥٩) .

(٢) لم أجد في اللسان (سلم لله سلما) بالتحريك ، بالمعنى الذي أورده المؤلف هنا .

(٣) في (اللسان : ربح) : الربح (بالكسر) ، والربح (بالتحريك) ، والرباح (بفتح الراء) : التمازج في التجار له . قلت : وعلى هذا فهما مصدران كما قال المؤلف . وقال : قال ابن الأعرابي : الربح والربح ، مثل البدل والبدل . وقال الجوهري : مثل شبه وشبه : هو اسم ما ربحه .

(٤) ضبط الثاني في اللسان ضبط قلم ، بفتح السين وسكون اللام ، عن أبي إسحاق الزجاج ، على أنه قراءة ، ولعله خطأ من النسخ .

بالخبر عن اشتراك جماعة فيه دون الخبر عن حربه بشيء من الأشياء فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفته
بمخلوصه لو احد لا شريك له ، ولا موضع للخبر عن الحرب والصلح في هذا الموضع .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَرَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ
وَرَجُلًا سَالِمًا لِرَجُلٍ) قال : هذا مثل إله الباطل وإله الحق .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ
شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) قال : هذا المشرك تتنازعه الشياطين ، لا يقربه بعضهم لبعض (وَرَجُلًا سَالِمًا
لِرَجُلٍ) قال : هو المؤمن أخلص الدعوة والعبادة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،
قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) . . . إلى قوله (بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ) قال : الشركاء المتشاكسون : الرجل الذي يعبد آلهة شتى كل قوم يعبدون إلهها يرضونه
ويكفرون بما سواه من الآلهة ، فضرب الله هذا المثل لهم ، وضرب لنفسه مثلا ، يقول : رجلا سليم لرجل
يقول : يعبدون إلهها واحدا لا يختلفون فيه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا
فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) قال : مثل لأوثانهم التي كانوا يعبدون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا
فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَالِمًا لِرَجُلٍ) قال : رأيت الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون
كلهم سبي الخلق ، ليس منهم واحد إلا تلقاه آخذًا بطرف من مال لاستخدامه أسوأؤهم ، والذي لا يملكه
إلا واحد ، وإنما هذا مثل ضربه الله لهؤلاء الذين يعبدون الآلهة ، وجعلوا لها في أعناقهم حقوقا ، فضربه الله
مثلا لهم ، وللذي يعبده وحده (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .
وفي قوله (وَرَجُلًا سَالِمًا لِرَجُلٍ) يقول : ليس معه شرك .

وقوله (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) يقول تعالى ذكره : هل يستوي مثل هذا الذي يخدم جماعة شركاء
سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاءه فيه والذي يخدم واحدا لا ينازعه فيه منازع إذا أطاعه
عرف له موضع طاعته وأكرمه ، وإذا أخطأ صفح له عن خطئه ، يقول : فأى هذين أحسن حالا وأروح
جسما وأقلّ تعبًا ونصبا .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس

(هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : من اختلف فيه خير ، أم من لم يختلف فيه ؟

وقوله (الحمد لله) يقول : الشكر الكامل ، والحمد التام لله وحده دون كل معبود سواه .
وقوله (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول جل ثناؤه : وما يستوى هذا المشترك فيه ، والذي هو منفرد ملكه لواحد ، بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان ، فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله . وقيل : (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) ولم يقل : مثلين لأنهما كلاهما ضربا مثلا واحدا ، فجرى المثل بالتوحيد ، كما قال جل ثناؤه : (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) إذ كان معناهما واحدا في الآية .

والله أعلم .

ثم الجزء الثالث والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ،

ويليه الجزء الرابع والعشرون

أوله : القول في تأويل قوله تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢١٠ هـ

الجزء الرابع والعشرون

دار الفكر

نيلك اولى


حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

تتمتعون بغير قيود

تتمتعون بغير قيود

بجميع الحقوق

المكاتب، البناية المركزية - هاتف، ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب.، ٧٠٦١ / ١١
المطابع والمعمل، حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف، ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
بَيرُوت } لَبْنَان 
بَرقياً، فِكْسي - تَلِكْسي ٤١٣٩٢ فِكْري FIKR 41392 LE

فہارس الجزء الرابع والعشرون

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة

الفهرس الثاني : مواضع الآيات المفسرة

الفهرس الثالث : للقوافي

الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٢	أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق . . .	١٣	سورة الزمّر		
٥٣	قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم . . .	١٣	٣٠	إنك ميت وإنهم ميتون .	١
٥٤	وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له . . .	١٧	٣١	ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون .	١
٥٥	واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم . . .	١٧	٣٢	فن أظلم ممن كذب على الله . . .	١
٥٦	أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت . . .	١٨	٣٣	والذي جاء بالصدق وصدق به . . .	٣
٥٧	أو تقول لو أن الله هداني . . .	٢٠	٣٤	لهم ما يشاءون عند ربهم . . .	٣
٥٨	أو تقول حين ترى العذاب . . .	٢٠	٣٥	ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا . . .	٥
٥٩	بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها . . .	٢١	٣٦	أليس الله بكاف عبده . . .	٥
٦٠	ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله . . .	٢١	٣٧	ومن يهد الله فما له من مضل . . .	٥
٦١	وينجي الله الذين اتقوا بمغازتهم . . .	٢٢	٣٨	ولئن سألتهم من خلق السموات . . .	٦
٦٢	الله خالق كل شيء . . .	٢٢	٣٩	قل يا قوم اعملوا على مكانتكم . . .	٧
٦٣	له مقاليد السموات والأرض . . .	٢٣	٤٠	من يأتيه عذاب يخزيه . . .	٧
٦٤	قل أغير الله تأمروني أعبد . . .	٢٤	٤١	إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق . . .	٨
٦٥	ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك . . .	٢٤	٤٢	الله يتوفى الأنفس حين موتها . . .	٨
٦٦	بل الله فاعبد وكن من الشاكرين .	٢٤	٤٣	أم اتخذوا من دون الله شفعاء . . .	٩
٦٧	وما قدروا الله حق قدره . . .	٢٤	٤٤	قل لله الشفاعة جميعا . . .	٩
٦٨	ونفخ في الصور فصعق . . .	٢٩	٤٥	وإذا ذكر الله وحده اشمأزت . . .	١٠
٦٩	وأشرق الأرض بنور ربها . . .	٣٢	٤٦	قل اللهم فاطر السموات والأرض . . .	١١
٧٠	ووفيت كل نفس ما عملت . . .	٣٣	٤٧	ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض . . .	١١
٧١	وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً . . .	٣٣	٤٨	وبدا لهم سيئات ما كسبوا . . .	١١
٧٢	قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها .	٣٤	٤٩	فإذا مس الإنسان ضرر دعانا . . .	١٢
٧٣	وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً .	٣٤	٥٠	قد قالها الذين من قبلهم . . .	١٢
٧٤	وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده . . .	٣٤	٥١	فأصابهم سيئات ما كسبوا . . .	١٢
٧٥	وترى الملائكة جافين من حول . . .	٣٧			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٧	وقال موسى إني عدت بربي . . .	٥٧	١	حم	٣٩
٢٨	وقال رجل مؤمن من آل فرعون . . .	٥٧	٢	تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . . .	٣٩
٢٩	يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين . . .	٥٩	٣	غافر الذنب وقابل التوب . . .	٣٩
٣٠	وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف . . .	٥٩	٤	ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا . . .	٤٢
٣١	مثل دأب قوم نوح . . .	٥٩	٥	كذبت قبلهم قوم نوح . . .	٤٢
٣٢	ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد . . .	٦٠	٦	وكذلك حقّت كلمة ربك . . .	٤٣
٣٣	يوم تولون مدبرين . . .	٦٠	٧	الذين يحملون العرش ومن حوله . . .	٤٣
٣٤	ولقد جاءكم يوسف من قبل . . .	٦٣	٨	ربنا وأدخلهم جنات عدن . . .	٤٥
٣٥	الذين يجادلون في آيات الله . . .	٦٣	٩	وقههم السيئات ، ومن تق السيئات . . .	٤٥
٣٦	وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا . . .	٦٤	١٠	إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر . . .	٤٦
٣٧	أسباب السموات ، فأطلع إلى إله . . .	٦٤	١١	قالوا ربنا أمتنا اثنتين . . .	٤٦
٣٨	وقال الذي آمن يا قوم اتبعون . . .	٦٧	١٢	ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده . . .	٤٨
٣٩	يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع . . .	٦٧	١٣	هو الذي يريكم آياته ، وينزل لكم . . .	٤٩
٤٠	من عمل سيئة فلا يُجزي إلا مثلها . . .	٦٧	١٤	فادعو الله مخلصين له الدين . . .	٤٩
٤١	ويا قوم مالي أَدْعُوكُم إلى النجاة . . .	٦٨	١٥	رفيع الدرجات ذو العرش . . .	٤٩
٤٢	تدعونني لأكفر بالله وأشرك به . . .	٦٨	١٦	يوم هم بارزون لا يخفى على الله . . .	٤٩
٤٣	لاجرم أنما تدعونني إليه . . .	٦٨	١٧	اليوم تُجْزَى كل نفس بما كسبت . . .	٥١
٤٤	فستذكرون ما أقول لكم . . .	٧٠	١٨	وأنذرهم يوم الآزفة . . .	٥٢
٤٥	فوقاه الله سيئات ما مكروا . . .	٧٠	١٩	يعلم خائفة الأعين وما تخفي الصدور . . .	٥٢
٤٦	النار يعرضون عليها غدواً وعشياً . . .	٧١	٢٠	والله يقضى بالحق . . .	٥٢
٤٧	وإذ يتحاجون في النار . . .	٧٣	٢١	أولم يسيروا في الأرض . . .	٥٤
٤٨	قال الذين استكبروا إنا كل فيها . . .	٧٣	٢٢	ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم . . .	٥٥
٤٩	وقال الذين في النار لخزنة جهنم . . .	٧٣	٢٣	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا . . .	٥٥
٥٠	قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات . . .	٧٣	٢٤	إلى فرعون وهامان وقارون . . .	٥٥
٥١	إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا . . .	٧٤	٢٥	فلما جاءهم بالحق من عندنا . . .	٥٦
٥٢	يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم . . .	٧٤	٢٦	وقال فرعون ذروني أقتل موسى . . .	٥٦
٥٣	ولقد آتينا موسى الهدى . . .	٧٦			
٥٤	هدى وذكرى لأولى الألباب . . .	٧٦			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٥	فاصبر إن وعد الله حق	٧٦	٨٣	فلما جاءتهم رسلهم بالبينات	٨٨
٥٦	إن الذين يجادلون في آيات الله	٧٦	٨٤	فلما رأوا بأسنا قالوا	٨٩
٥٧	نخلق السموات والأرض أكبر	٧٧	٨٥	فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا	٨٩
٥٨	وما يستوى الأعمى والبصير	٧٧	سورة فصلت		
٥٩	إن الساعة لآتية لا ريب فيها	٧٨	١	حم	٩٠
٦٠	وقال ربكم ادعوني أستجب لكم	٧٨	٢	تنزيل من الرحمن الرحيم	٩٠
٦١	الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه	٧٩	٣	كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا	٩٠
٦٢	ذلكم الله ربكم خالق كل شيء	٨٠	٤	بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم	٩٠
٦٣	كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله	٨٠	٥	وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه	٩١
٦٤	الله الذي جعل لكم الأرض قرارا	٨٠	٦	قل إنما أنا بشر مثلنكم يوحى إلى	٩٢
٦٥	هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين	٨٠	٧	الذين لا يؤتون الزكاة	٩٢
٦٦	قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون	٨١	٨	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٩٣
٦٧	هو الذي خلقكم من تراب	٨٢	٩	قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق	٩٣
٦٨	هو الذي يبجي ويُميت	٨٢	١٠	وجعل فيها رواسي من فوقها	٩٥
٦٩	ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله	٨٢	١١	ثم استوى إلى السماء وهي دخان	٩٥
٧٠	الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا	٨٣	١٢	فقضاهن سبع سموات في يومين	٩٩
٧١	إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل	٨٣	١٣	فإن أعرضوا فقل أنذرتكم	١٠٠
٧٢	في الحميم ثم في النار يسجرون	٨٣	١٤	إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم	١٠٠
٧٣	ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون	٨٣	١٥	فأما عاد فاستكبروا في الأرض	١٠١
٧٤	من دون الله قالوا ضلوا عنا	٨٣	١٦	فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا	١٠١
٧٥	ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض	٨٥	١٧	وأما ثمود فهديناهم	١٠٤
٧٦	ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها	٨٥	١٨	ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون	١٠٤
٧٧	فاصبر إن وعد الله حق	٨٦	١٩	ويوم يحشر أعداء الله إلى النار	١٠٦
٧٨	ولقد أرسلنا رسلا من قبلك	٨٦	٢٠	حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم	١٠٦
٧٩	الله الذي جعل لكم الأنعام	٨٧	٢١	وقالوا بل لو دهم لم شهدتم علينا	١٠٦
٨٠	ولكم فيها منافع	٨٧	٢٢	وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم	١٠٦
٨١	ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون	٨٧	٢٣	وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم	١٠٩
٨٢	أفلم يسيروا في الأرض فينظروا	٨٨			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٤	فإن يصبروا فالنار مثوى لهم . . .	١١٠	٣٥	وما يلقاها إلا الذين صبروا . . .	١٢٠
٢٥	وقيضنا لهم قمرنا . . .	١١١	٣٦	ولما ينزغناك من الشيطان نزع . . .	١٢٠
٢٦	وقال الذين كفروا لا تسمعوا . . .	١١٢	٣٧	ومن آياته الليل والنهار . . .	١٢١
٢٧	فلنذيقن الذين كفروا عذابا . . .	١١٢	٣٨	فإن استكبروا . . .	١٢١
٢٨	ذلك جزاء أعداء الله النار .	١١٣	٣٩	ومن آياته أنك ترى الأرض . . .	١٢٢
٢٩	وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا	١١٣	٤٠	إن الذين يلحدون في آياتنا . . .	١٢٣
٣٠	إن الذين قالوا ربنا الله . . .	١١٤	٤١	إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم . . .	١٢٤
٣١	نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا . . .	١١٧	٤٢	لا يأتيه الباطل من بين يديه . . .	١٢٤
٣٢	نزلنا من غفور رحيم . . .	١١٧	٤٣	ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل . . .	١٢٥
٣٣	ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله . . .	١١٧	٤٤	ولو جعلناه قرآنا أعجميا . . .	١٢٦
٣٤	ولا تستوى الحسنة ولا السيئة . . .	١١٧	٤٥	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	١٢٩
			٤٦	من عمل صالحا فلنفسه . . .	١٣٠

الصفحة	الموضوعات	الصفحة
١٠١	الريبع المرسله على عاد ، والأيام النحسات .	٧٤
١٠٦	تأويل قوله « ويوم يحشر أعداء الله » . . .	تأويل قوله « إنا لننصر رسلنا » . . . الآية ومعنى نصر الرسل في الدنيا بجملة وجوه .
	الآية ، والخلاف في معنى الجلود التي تشهد .	٧٦
١٠٦	تأويل قوله « وقالوا لجلودهم » . . . الآية .	٧٨
	وأول ما يشهد على المرء .	الدعاء يُطلق على العبادة .
١٠٩	عمل الإنسان على حسب علمه بربه .	٨١
١١٣	تأويل قوله « وقال الذين كفروا » . . .	الدليل على أنه يُطلب من قائل « لا إله إلا الله » أن يضم إليها الحمد .
	الآية . وبيان الفريق المضل من الإنس والجن .	٨٣
١١٤	تأويل قوله « إن الذين قالوا ربنا الله » . . .	تأويل قوله « الذين كذبوا بالكتاب » . . . الآية . وكيفية عذابهم يوم القيامة .
١٢٦	تأويل قوله « ولو جعلناه قرآنا أعجميا » . وكون القرآن شفاء .	٩٠
		تفسير سورة فصلت
		٩٢
		تأويل قوله « قل إنما أنا بشر مثلكم » . والخلاف في معنى الزكاة هنا ، وذكر الصواب في ذلك .
		٩٤
		الأيام التي خلقت فيها السموات والأرض . وذكر بعض خواص الأيام .

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٣٦	بِحَيْبَالٍ	٤٤	مَعْنَدُودُ		
٣٦	نَهْشَلَا	٣٦	الشَّرْدَا	٤٠	ب ومُعْرِبُ
١٠٩	لم يَبْرِمِ	٤٠	الجُزْرِ	١٨	الحوَاطِبِ
٢٠	يَمَّمُوا	٤٠	الأُزْرِ		
٤١	دُوْنَهُمْ	١٠٤	نَحْسُ	٦٥	دُولَاتِهَا
٣٩	التَّقْدَمِ	١٠٤	نَحْسَا	٦٥	لَمَّاتِهَا
٨٤	الأَرْقَمَا	٢٢	مُضَاعَا	٦٥	زَفَرَاتِهَا
		١٩	أَسَلِ		
١٠٢	بِالْمُسْتَفَهِ	٩٩	الْأَجَلِ	١٠٢	ح ذُبَاحَا

٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
٣١	قال يهودي بسوق المدينة: ...	٢٧	أتى رسول الله ﷺ حبر من اليهود قال: ...
	قرأ رسول الله ﷺ هونفخ في الصور	٢٧	أتى النبي ﷺ رجل من أهل الكتاب...
٢٩	فصعق ﴿ الآية ...	٣١	أتاني ملك فقال: يا محمد اختر نبياً ...
٣١	كأني انفض رأسي من التراب أول خارج ...	٩٥	أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: ...
٢٦	كنا عند رسول الله (ص) حين جاءه حبر...	١٢٠	أن أبا بكر شتمه رجل ونبي الله ...
	لما نزلت هذه الآية ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ثم	٣٢	أن معاذ بن جبل سأل نبي الله ...
١	انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴿ ...	١٠٧	إن أول عظم تكلم من الإنسان يوم يختم ...
	ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية	٧٩	إن الدعاء هو العبادة وقال ربكم: ...
	﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم	٧٩	إن عبادتي دعائي ...
١٦	لا تقنطوا من رحمة الله ﴿.	٢٧	إن الله يقبض الأرض يوم القيامة بيده ويطوي ...
٣٢، ٣١	ما بين النفختين أربعون ...	١٠٧	تجيئون يوم القيامة على أفواهكم ...
١٠٧	مالي أمسك بحجزكم من النار؟ ...	٢٦	جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال ...
٢٦	مر يهودي بالنبي ﷺ وهو جالس فقال: ...	٩٤	خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين ...
١٠٧	ها هنا، إلى ها هنا تحشرون ركبانا ...	٧٩، ٧٨	الدعاء هو العبادة ...
٢٧	يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيديه ...	٧٨	الدعاء هو العبادة وقال ربكم ادعوني ...
٢٦	يأخذ السماوات والأرضين السبع ...		سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿ والأرض جميعاً
٦١	يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: ...		قبضته يوم القيامة ﴿ فأين الناس؟
٢٨	يطوي الله السماوات فيأخذهن بيمينه ويطوي ...	٢٨	قال: على الصراط
٢٧	يقبض الله عز وجل الأرض يوم القيامة ...	٨٣	سيهلك من أمتي أهل الكتاب وأهل اللين ...
٣٠	ينفخ في الصور ثلاث نفخات الأولى نفخة الفرع ...	١٠٧	ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم حتى بدت ...
٦٢	يوم يولون هاربين في الأرض حذار عذاب الله ...	١٠٧	عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول: ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٢١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ

﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إنك يا محمد ميت عن قليل ، وإن هؤلاء المكذبيك من قومك والمؤمنين منهم ميتون (ثُمَّ إِنَّكُمْ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) يقول : ثم إن جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم ، ويفصل بين جميعكم بالحق .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : عني به اختصام المؤمنين والكافرين ، واختصام المظلوم والظالم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) يقول : يخاصم الصادق الكاذب ، والمظلوم الظالم ، والمهتدي الضال ، والضعيف المستكبر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) قال : أهل الإسلام وأهل الكفر .

حدثني ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا ابن الدراوردي ، قال : ثني محمد بن عمرو عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب ، عن عبدالله بن الزبير ، قال : « لما نزلت هذه الآية (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ، ثُمَّ إِنَّكُمْ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ » قال الزبير : يا رسول الله أينكر

علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نَعَمْ حتى يُؤدّي إلى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ» .

وقال آخرون: بل عنى بذلك اختصاص أهل الإسلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عمر ، قال : نزلت علينا هذه الآية وما ندرى ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة ، فقلنا : هذا الذي وعدنا ربنا أن نختصم فيه (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا ابن عون ، عن إبراهيم ، قال : لما نزلت (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ) . . . الآية ، قالوا : ما خصومتنا بيننا ونحن إخوان ، قال : فلما قُتل عثمان بن عفان ، قالوا : هذه خصومتنا بيننا .

حدثت عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) قال : هم أهل القبلة .

❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : عنى بذلك : إنك يا محمد ستموت ، وإنكم أيها الناس ستموتون ، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم ، مؤمنكم وكافركم ، ومحقوقكم ومبطلوكم ، وظالموكم ومظلوموكم ، حتى يؤخذ لكل منكم من لصاحبه قبله حق حقه .

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأن الله عم بقوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) خطاب جميع عباده ، فلم يخص بذلك منهم بعضا دون بعض ، فذلك على عمومته على ماعمه الله به ، وقد تنزل الآية في معنى ، ثم يكون داخلا في حكمها كل ما كان في معنى ما نزلت به .

وقوله (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ، وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) يقول تعالى ذكره : فَمَنْ مِّنْ خَلْقِ اللَّهِ أَظْلَمُ فِرْيَةً مِّنْ كَذِبِ عَلَى اللَّهِ ، فادّعى أن له ولدا وصاحبة ، أو أنه حرّم ما لم يحرمه من المطاعم (وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) يقول : وكذب بكتاب الله إذ أنزله على محمد ، وابتغى الله به رسولا ، وأنكر قول لا إله إلا الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) : أي بالقرآن

وقوله (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَشْجُورٌ لِّلْكَافِرِينَ) يقول تبارك وتعالى : أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله ، وامتنع من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم ، واتباعه على ما يدعو إليه مما أتاه به من عند الله من التوحيد ، وحكم القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾

اختلف أهل التأويل في الذي جاء بالصدق وصدق به ، وما ذلك ؛ فقال بعضهم : الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : والصدق الذي جاء به : لا إله إلا الله ، والذي صدق به أيضا ، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله : (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) يقول : من جاء بلا إله إلا الله (وَصَدَّقَ بِهِ) يعني : رسوله .
وقال آخرون : : الذي جاء بالصدق : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي صدق به : أبو بكر رضي الله عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن منصور ، قال : ثنا أحمد بن مصعب المروزي ، قال : ثنا عمر بن إبراهيم بن خالد ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أسيد بن صفوان ، عن عليّ رضي الله عنه ، في قوله (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدق به ، قال أبو بكر رضي الله عنه .
وقال آخرون : الذي جاء بالصدق : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصدق : القرآن ، والمصدقون به : المؤمنون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) قال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن ، وصدق به المؤمنون .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدق به المسلمون .
وقال آخرون : الذي جاء بالصدق جبريل ، والصدق : القرآن الذي جاء به من عند الله ، وصدق به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) محمد صلى الله عليه وسلم .
وقال آخرون الذي جاء بالصدق : المؤمنون ، والصدق : القرآن ، وهم المصدقون به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد قوله (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) قال : الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة ، فيقولون : هذا الذي أعطيتمونا فاتبعنا ما فيه .
قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) قال : هم أهل القرآن يجيئون به يوم القيامة يقولون : هذا الذي أعطيتمونا ، فاتبعنا ما فيه .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره عنى بقوله (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) كل من دعا إلى توحيد الله ، وتصديق رسله ، والعمل بما ابتهت به رسوله صلى الله عليه وسلم من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به ، وأن يقال الصدق : هو القرآن ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، والمصدق به : المؤمنون بالقرآن ، من جميع خلق الله كائنا من كان من نبي الله وأتباعه .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن قوله تعالى ذكره : (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) عقيب قوله (فَذَنُّوا أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ ، وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) ، وذلك ذم من الله للذميرين عليه ، المكذبين بتزويله ووحيه ، الجاحدين وحدانيته ، فالواجب أن يكون عقيب ذلك مدح من كان بخلاف صفة هؤلاء المذمومين ، وهم الذين دعواهم إلى توحيد الله ، ووصفه بالصفة التي هو بها ، وتصديقهم بتزويل الله ووحيه ، والذين هم كانوا كذلك يوم نزلت هذه الآية ، رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم ، القائمون في كل عصر وزمان بالدعاء إلى توحيد الله ، وحكم كتابه ، لأن الله تعالى ذكره لم يخص وصفه بهذه الصفة التي في هذه الآية على أشخاص بأعيانهم ، ولا على أهل زمان دون غيرهم ، وإنما وصفهم بصفة ، ثم مدحهم بها ، وهي المحيىء بالصدق والتصديق به ، فكل من كان كذلك وصفه فهو داخل في جملة هذه الآية إذا كان من بنى آدم .

ومن الدليل على صحة ما قلنا أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود (وَالَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ) فقد بين ذلك من قراءته أن الذي من قوله (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) لم يعن بها واحد بعينه ، وأنه مراد بها جماع ذلك صفتهم ، ولكنها أخرجت بانفرد الواحد ، إذ لم تكن موقوفة . وقد زعم بعض أهل العربية من البصريين ، أن الذي في هذا الموضع جعل في معنى جماعة بمنزلة من وما يؤيد ما قلنا أيضا قوله (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) فجعل الخبر عن الذي جماعا ، لأنها في معنى جماع ، وأما الذين قالوا عنى بقوله : (وَصَدَّقَ بِهِ) : غير الذي جاء بالصدق ، فقول بعيد من المفهوم ، لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان التنزيل والذي جاء بالصدق ، والذي صدق به أولئك هم المتقون ، فكانت تكون الذي مكررة مع التصديق ، ليكون المصدق غير المصدق ؛ فأما إذا لم يكرر ، فإن المفهوم من الكلام ، أن التصديق من صفة الذي جاء بالصدق ، لا وجه للكلام غير ذلك . وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت الذي في معنى الجماع بما قد بيننا ، كان الصواب من القول في تأويله ما بيننا .

وقوله (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) يقول جل ثناؤه : هؤلاء الذين هذه صفتهم ، هم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد ، وأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، فخافوا عقابه .
كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) يقول : اتقوا الشرك .
وقوله (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) يقول تعالى ذكره : لهم عند ربهم يوم القيامة ، ما تشبهه أنفسهم ، وتلذّاه أعينهم (ذلك جزاء المحسنين) يقول تعالى ذكره : هذا الذي لهم عند ربهم ، جزاء من أحسن في الدنيا فأطاع الله فيها ، وأتمر لأمره ، وانتهى عما نهاه فيها عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : وجزى هؤلاء المحسنين ربهم بإحسانهم ، كي يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال ، فيما بينهم وبين ربهم ، بما كان منهم فيها من توبة وإنابة مما اجترحوا من السيئات فيها (ويجزئهم أجرهم) يقول : ويشيهم ثوابهم (بأحسن الذي كانوا) في الدنيا (يعملون) مما يرضى الله عنهم دون أسوأها .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : (وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) : أي ا ولهم ذنوب ، أي رب نعم (لَهُمْ) فيها (ما يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ذلك جزاء المحسنين ليُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، وقرأ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) . . . إلى أن بلغ (وَمَغْفِرَةٌ) لثلاثين من لهم الذنوب أن لا يكونوا منهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) ، وقرأ (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) . . . إلى آخر الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٢٧﴾

اختلفت القراء في قراءة (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) على الجماع ، بمعنى : أليس الله بكاف محمداً وأنبياءه من قبله ما خوفهم أمهم من أن تنالهم آلتهم بسوء ، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة بالبصرة ، وبعض قراء الكوفة (بِكَافٍ عَبْدَهُ) على التوحيد ، بمعنى : أليس الله بكاف عبده محمداً .

(١) في الأصل : ألم ذنوب ، وهو استفهام لامعني له في هذا المقام ، وقد أصلحناه على هذا النحو ، ليتفق مع ما تضمنه الحديث .

والصواب من القول في ذلك أنهما قرأتان مشهورتان في قراءة الأمصار . فبأيتهما قرأ القارئ فصيب
لصحة معنيتينهما واستفاضة القراءة بهما في قراءة الأمصار .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) يقول :
محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)
قال : بلى ، والله ليكفينه الله ويعزه وينصره كما وعده .
وقوله (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم :
ويخوفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء ، ببراءتك منها ،
وعيبك لها ، والله كافيك ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)
الآلهة ، قال : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى شعب بسقام ليكسر العزى ، فقال
سادنها ، وهو قيمها : يا خالد أنا أخذت ركبها ، إن لها شدة لا يقوم إليها شيء ، فشى إليها خالد بالفأس
فهشم أنفها » .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)
يقول بألتهم التي كانوا يعبدون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ
مِنْ دُونِهِ) قال : يخوفونك بألتهم التي من دونه .

وقوله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) يقول تعالى ذكره : ومن يخذله الله فيضله عن طريق
الحق وسبيل الرشده ، فما له سواه من مرشد ومسدد إلى طريق الحق ، وموفق للإيمان بالله ، وتصديق
رسوله ، والعمل بطاعته (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ) يقول : ومن يوفقه الله للإيمان به ، والعمل
بكتابه ، فما له من مضل ، يقول : فما له من مزيع يزيعه عن الحق الذي هو عليه إلى الارتداد إلى الكفر
(أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ) يقول جل ثناؤه : أليس الله يا محمد بعزيز في انتقامه من كفره خلقه ،
ذو انتقام من أعدائه الجاحدين وحدانيته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

(١) سقام كغراب : واد بالحجاز ، حته قریش للعزى ، يضاهئون به حرم الكعبة . اه من معجم ياقوت .

اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام من خلق السموات والأرض ليقولن الذي خاقهن الله ، فإذا قالوا ذلك ، فقل : أفرايتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة (إن أرادني الله بضرٍ) يقول : بشدة في معيشتي هل هن كاشفات عنى ما يصيبني به ربي من الضر (أو أرادني برحمة) يقول : إن أرادني ربي أن يصيبني سعة في معيشتي ، وكثرة مالى ، ورخاء وعافية في بدني ، هل هن ممسكات عنى ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة ؟ وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك ، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه . والمعنى : فإنهم سيقولون لا ، فقل حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها ، إياه أعبد ، وإليه أفزع في أموري دون كل شيء سواه ، فإنه الكافي ، ويبيده الضر والنفع ، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تنفع ولا تنفع ، (عليه يتوكل المتوكلون) يقول : على الله يتوكل من هو متوكل ، وبه فليثق لا بغيره .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ولكن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) حتى بلغ (كاشفات ضره) يعنى : الأصنام (أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمة) .

واختلفت القراء في قراءة (كاشفات ضره) و (ممسكات رحمة) ، فقرأه بعضهم بالإضافة وخفض الضر والرحمة ، وقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء البصرة بالتنوين ، ونصب الضر والرحمة . والصواب من القول في ذلك عندنا ، أنهما قراءتان مشهورتان ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارى فصيبي ، وهو نظير قوله (كيد الكافرين) في حال الإضافة والتنوين .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ يَتَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركى قومك ، الذين اتخذوا الأوثان والأصنام آلهة يعبدونها من دون الله ، اعملوا أيها القوم على تمكنكم من العمل الذى تعملون ومنازلكم . كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (على مكانتكم) قال : على

ناحيتمكم (إني عامِلٌ) كذلك على تودة على عمل من سلف من أنبياء الله قبلي (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) إذا جاءكم بأسٌ الله ، من المحقّ منا من المبطل ، والرشيد من الغوى .
 وقوله (مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ) يقول تعالى ذكره : من يأتيه عذاب يخزيه ، ما أتاه من ذلك العذاب ،
 يعنى بذله ويهينه (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) يقول : وينزل عليه عذاب دائم لا يفارقه .
 القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
 وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : إنا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب تبيانا للناس بالحقّ
 (فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ) يقول : فمن عمل بما فى الكتاب الذى أنزلناه إليك واتبعه فلنفسه : يقول :
 فإنما عمل بذلك لنفسه ، وإياها بغى الخير لا غيرها ، لأنه أكسبها رضا الله والفوز بالجنة . والنجاة من النار
 (وَمَنْ ضَلَّ) يقول : ومن جار عن الكتاب الذى أنزلناه إليك ، والبيان الذى بيّناه لك ، فضل عن قصد
 المحجة ، وزال عن سواء السبيل ، فإنما يجور على نفسه ، وإليها يسرق العطب والهلاك ، لأنه يكسبها سخط
 الله ، وأليم عقابه ، والحزى الدائم (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) يقول تعالى ذكره : وما أنت يا محمد
 على من أرسلتك إليه من الناس برفيق ترقب أعمالهم ، وتحفظ عليهم أفعالهم ، إنما أنت رسول ، وإنما عليك
 البلاغ ، وعلينا الحساب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)
 أى بحفيظ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)
 قال : بحفيظ .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكِ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ
 الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : ومن الدلالة على أن الألوهة لله الواحد القهار خالصة دون كل ما سواه ، أنه يميت
 ويحيى ، ويفعل ما يشاء ، ولا يقدر على ذلك شىء سواه ، فجعل ذلك خبرا نبههم به على عظيم قدرته ،
 فقال : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) فيقبضها عند فناء أجلها ، وانقضاء مدة حياتها ، ويتوفى
 أيضا التى لم تمت فى منامها ، كما التى ماتت عند مماتها (فِيْمِمْسِكِ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ) ذكر أن

أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام ، فيتعارف ما شاء الله منها ، فاذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها ، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجل مسمى وذلك إلى انقضاء مدة حياتها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جببير ، في قوله (اللهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) . . . الآية . قال : يجمع بين أرواح الأحياء ، وأرواح الأموات ، فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجسادها .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (اللهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) قال : تقبض الأرواح عند نيام النائم ، فتقبض روحه في منامه ، فتلقى الأرواح بعضها بعضاً أرواح الموتى وأرواح النيام ، فتلتقي فتساءل ، قال : فيخلى عن أرواح الأحياء ، فترجع إلى أجسادها ، وتريد الأخرى أن ترجع ، فيحبس التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، قال : إلى بقية آجالها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال ، قال ابن زيد ، في قوله (اللهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) قال : فالنوم وفاة (فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى) التي لم يقبضها (إلى أجلٍ مسمى) .

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في قبض الله نفس النائم والميت وإرساله بعد نفس هذا ترجع إلى جسمها ، وحبسه لغيرها عن جسمها لعلها وعظة لمن تفكر وتدبر ، وبيانا له أن الله يحيي من يشاء من خلقه إذا شاء ، ويميت من شاء إذا شاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله في حاجاتهم . وقوله (قُلْ أَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهم : أتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا ، ولا يعقلون شيئا ، قل لهم : إن تكونوا تعبدونها لذلك ، وتشفع لكم عند الله ، فأخلصوا عبادتكم لله ، وأفردوه بالألوهة ، فإن الشفاعة جميعا له ، لا يشفع عنده إلا من أذن له ، ورضى له

قولا ، وأنتم متى أخلصتم له العبادة ، فدعوتموه ، وشفعكم (له ملكُ السمواتِ والأرضِ) ، يقول : له سلطان السموات والأرض ومملكها ، وما تعبدون أيها المشركون من دونه ملك له : يقول : فاعبدوا الملك لا المملوك الذي لا يملك شيئا (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : ثم إلى الله مصيركم ، وهو معاقبكم على إشراككم به ، إن متم على شرككم .

ومعنى الكلام : لله الشفاعة جميعا ، له ملك السموات والأرض ، فاعبدوا المالك الذي له ملك السموات والأرض ، الذي يقدر على نفعكم في الدنيا ، وعلى ضرركم فيها ، وعند مرجعكم إليه بعد مماتكم ، فإنكم إليه ترجعون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ) الآلهة (قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا) الشفاعة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) قال : لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا أفرد الله جل ثناؤه بالذكر ، فدعى وحده ، وقيل لآله إلا الله ، اشْمَأَزَّتْ قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات . وعنى بقوله (اشْمَأَزَّتْ) : نفرت من توحيد الله ، (وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) يقول : وإذا ذُكِرَ الآلهة التي يدعونها من دون الله مع الله ، فقيل : تلك الغرائيق العلى ، وإن شفاعتها لترجيحى ، إذ الذين لا يؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) : أى نفرت قلوبهم واستكبرت (وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) الآلهة (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اشْمَأَزَّتْ) قال : انقبضت ، قال : وذلك يوم قرأ عليهم النجم عند باب الكعبة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى قوله (اشْمَأَزَّتْ) قال : نفرت (وإذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ) أو ثأبهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد ، الله خالق السموات والأرض (عالم الغيب والشهادة) الذى لا تراه الأبصار ، ولا تحسه العيون ، والشهادة الذى تشهده أبصار خلقه ، وتراه أعينهم (أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ) فتفصل بينهم بالحق يوم تجمعهم لفصل القضاء بينهم (فيما كانوا فيه) فى الدنيا (يَخْتَلِفُونَ) من القول فىك ، وفى عظمتك وسلطانك ، وغير ذلك من اختلافهم بينهم ، فتقضى يومئذ بيننا وبين هؤلاء المشركين الذين إذا ذكرت وحدك اشْمَأَزَّتْ قلوبهم ، وإذا ذُكِرَ مِنْ دُونِكَ استبشروا بالحق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فاطر : قال خالق . وفى قوله (عَلِيمَ الْغَيْبِ) قال : ما غاب عن العباد فهو يعلمه ، (وَالشَّهَادَةِ) : ما عرف العباد وشهدوا ، فهو يعلمه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَّلَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى ذكره : ولو أن لهؤلاء المشركين بالله يوم القيامة ، وهم الذين ظلموا أنفسهم (ما فى الأرض جميعا) فى الدنيا من أموالها وزينتها (وَمِثْلَهُ مَعَهُ) مضاعفا ، فقبل ذلك منهم عوضا من أنفسهم ، لفتدوا بذلك كله أنفسهم عوضا منها ، لينجوا من سوء عذاب الله ، الذى هو معدبهم به يومئذ (وَبَدَّلَهُم مِّنَ اللَّهِ) يقول : وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه ، الذى كان أعداه لهم ، ما لم يكونوا قبل ذلك يحتسبون أنه أعداه لهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَبَدَّلَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى ذكره : وظهر لهؤلاء المشركين يوم القيامة (سَبَبَاتٌ مَا كَسَبُوا) من الأعمال في الدنيا ، إذ أعطوا كتبهم بشمائلهم (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) ووجب عليهم حينئذ ، فلزمهم عذاب الله الذي كان نبي الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا يعدهم على كفرهم بربهم ، فكانوا به يسخرون ، إنكاراً أن يصيبهم ذلك ، أو ينالهم تكديبا منهم به ، وأحاط ذلك بهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره : فإذا أصاب الإنسان بؤس وشدة دعانا مستغيثاً بنا من جهة ما أصابه من الضر ، (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا) يقول : ثم إذا أعطيناه فرجا مما كان فيه من الضر ، بأن أبدلناه بالضر رخاء وسعة ، وبالسقم صحة وعافية ، فقال : إنما أعطيت الذي أعطيت من الرخاء والسعة في المعيشة ، والصحة في البدن والعافية ، على علم عندي ، يعني على علم من الله بأنني له أهل لشرني ورضاه بعملي عندي ، يعني فيما عندي ، كما يقال : أنت محسن في هذا الأمر عندي : أي فيما أظن وأحسب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا) حتى بلغ (عَلَىٰ عِلْمٍ) عندي ١ : أي على خير عندي .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا) قال : أعطيناه . وقوله (أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) : أي على شرف أعطانيه .

وقوله (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) يقول تعالى ذكره : بل عطيتنا إياهم تلك النعمة من بعد الضر الذي كانوا فيه فتنة لهم : يعني بلاء ابتليناهم به ، واختباراً اختبرناهم به (وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُهُمْ) لجهلهم ، وسوء رأيهم (لَا يَعْلَمُونَ) لأي سبب أعطوا ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ) : أي بلاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَدْ قَالهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤٢﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ

(١) قوله (عندي) : أضافه المؤلف إلى معنى الآية ، لمجيئه في حديث قتادة بمدّه بقليل . وليس في الآية في هذا الموضع لفظة « عندي » ، وإنما هي في آية القصص ، إذ جاء على لسان قارون : (قال إنما أوتيته على علم عندي) .

مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : قد قال هذه المقالة ، يعنى قولهم : لنعمة الله التى خولهم وهم مشركون : أوتيناها على علم عندنا (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يعنى : الذين من قبل مشركى قريش من الأمم الخالية لرسالتها ، تكديبا منهم لهم ، واستهزاء بهم . وقوله (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : فلم يغن عنهم حين أتاهم بأس الله على تكذيبهم رسل الله واستهزأهم بهم ما كانوا يكسبون من الأعمال ، وذلك عبادتهم الأوثان يقول : لم تنفعهم خدمتهم إياها ، ولم تشفع آلتهم لهم عند الله حينئذ ، ولكنها أسلمتهم وتبرأت منهم . وقوله (فَأَصَابَ بِهِمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) يقول : فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية ، وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال ، فعوجلوا بالخزى فى دار الدنيا ، وذلك كقارون الذى قال حين وعظ : (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ وَبَدَّأَ بِهِ الْأَرْضَ ، فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) يقول الله جل ثناؤه : (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ) يقول لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : والذين كفروا بالله يا محمد من قومك ، وظلموا أنفسهم وقالوا هذه المثانة سيصيبهم أيضا وبال (سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) كما أصاب الذين من قبلهم بقيلهموها (وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) يقول : وما يفوتون ربهم ولا يسبقونه هربا فى الأرض من عذابه إذا نزل بهم ، ولكنه يصيبهم (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ، وَلَكِنْ كَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) ففعل ذلك بهم ، فأحل بهم خزيه فى عاجل الدنيا فقتلهم بالسيف يوم بدر . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (قَدْ قَالَهُمَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) الأمم الماضية (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا) من هؤلاء ، قال : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . القول فى تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره : أو لم يعلم يا محمد هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرهم ، فقالوا : إنما أوتيناها على علم منا أن الشدة والرخص والسعة والضيق والبلاء بيد الله ، دون كل من سواه يبسط الرزق لمن يشاء ، فيوسعه عليه ، ويقدر ذلك على من يشاء من عباده ، فيضيقه ، وأن ذلك من حجج الله على عباده ، ليعتبروا به ويتذكروا ، ويعلموا أن الرغبة إليه والرهبة دون الآلهة والأنداد (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) يقول : إن فى بسط الله الرزق لمن يشاء ، وتقديره على من أراد آيات : يعنى دلالات وعلامات (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يعنى : يصدقون بالحق ، فيقرّون به إذا تبينوه وعلموا حقيقته أن الذى يفعل ذلك هو الله دون كل ما سواه

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَانتَقنطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٠﴾

اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بهذه الآية ، فقال بعضهم : عنى بها قوم من أهل الشرك ، قالوا لما
دعوا إلى الإيمان بالله : كيف نؤمن وقد أشركنا وزيننا ، وقتلنا النفس التي حرم الله ، والله يعد فاعل ذلك
النار ، فما ينفعنا مع ما قد سلف منا الإيمان ، فنزلت هذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :
(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَانتَقنطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) وذلك أن أهل مكة قالوا :
يزعم محمد أنه من عبد الأوثان ، ودعا مع الله إلها آخر ، وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له ، فكيف
نهاجر ونسلم ، وقد عبدنا الآلهة ، وقتلنا النفس التي حرم الله ونحن أهل الشرك ، فأنزل الله : (يا عِبَادِيَ
الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَانتَقنطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) يقول : لا تيأسوا من رحمتي ، إن الله يغفر
الذنوب جميعا وقال (وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ) وإنما يعاتب الله أولى الألباب وإنما الحلال والحرام
لأهل الإيمان ، فإياهم عاتب ، وإياهم أمر إن أسرف أحدهم على نفسه ، أن لا يقنط من رحمة الله ، وأن ينيب
ولا يبطئ بالتوبة من ذلك الإسراف ، والذنب الذي عمل ، وقد ذكر الله في سورة آل عمران المؤمنين حين
سألوا الله المغفرة ، فقالوا : (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) فينبغي أن
يعلم أنهم قد كانوا يصيبون الإسراف ، فأمرهم بالتوبة من إسرافهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ)
قال : قتل النفس في الجاهلية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ،
قال : نزلت هذه الآيات الثلاث بالمدينة في وحشي^(١) وأصحابه (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ)
إلى قوله (مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، قال : قال زيد بن أسلم ، في قوله
(يا عِبَادِيَ الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَانتَقنطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) قال : إنما هي للمشركين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ
أَنفُسِهِمْ) حتى بلغ (الذُّنُوبَ جَمِيعًا) قال : ذكر لنا أن ناسا أصابوا ذنوبا عظاما في الجاهلية ، فلما جاء
الإسلام أشفقوا أن لا يتاب عليهم ، فدعاهم الله بهذه الآية (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) .

(١) هو وحشي بن حرب الحبشي مولى جبير بن مطعم ، وهو قاتل حمزة بن عبد المطلب في غزوة أحد ، وكان فاتكا يشرب الخمر
ثم أسلم بعد . (انظر خلاصة الخزرجي) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله : (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) قال : هؤلاء المشركون من أهل مكة ، قالوا : كيف نجيبك وأنت تزعم أنه من زنى ، أو قتل ، أو أشرك بالرحمن كان هالكا من أهل النار ، فكل هذه الأعمال قد عملناها ، فأنزلت فيهم هذه الآية (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) . . . الآية قال : كان قوم مسخوطين في أهل الجاهلية ، فلما بعث الله نبيه قالوا : لو أتينا محمدا صلى الله عليه وسلم فأمننا به واتبعناه ، فقال بعضهم لبعض : كيف يقبلكم الله ورسوله في دينه ؟ فقالوا : ألا نبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ؟ فلما بعثوا ، نزل القرآن : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) فقرأ حتى بلغ : (فأكون من المحسنين) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الشعبي ، قال : تجالس شتير بن شكل ومسروق فقال شتير : إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدقك ، وإما أن أحدث فتصدقني ، فقال مسروق لا بل حدث فأصدقك ، فقال : سمعت ابن مسعود يقول : إن أكبر آية فرجا في القرآن (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) فقال مسروق : صدقت .

وقال آخرون : بل عنى بذلك أهل الإسلام ، وقالوا : تأويل الكلام : إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ، قالوا : وهي كذلك في مصحف عبد الله ، وقالوا : إنما نزلت هذه الآية في قوم صدّهم المشركون عن الهجرة وفتنهم ، فأشفقوا أن لا يكون لهم توبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : ثنا يحيى بن سعيد الأموي ، عن ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال يعني عمر : كنا نقول : ما لمن افتتن من توبة ، وكانوا يقولون : ما الله بقابل منا شيئا تركنا الإسلام ببلاء أصابنا بعد معرفته ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله فيهم : (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) . . . الآية ، قال عمر : فكتبها بيدي ، ثم بعثت بها إلى هشام بن العاص ، قال هشام : فلما جاءني جعلت أقرأها ولا أفهمها ، فوقع في نفسي أنها أنزلت فينا لما كنا نقول ، فجلست على بعيري ، ثم لحقت بالمدينة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : إنما أنزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد ، ونفر من المسلمين ، كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذبوا ، فافتنوا ، كنا نقول : لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا ، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوه ، فنزلت هؤلاء الآيات ، وكان عمر بن الخطاب كاتباً ، قال : فكتبها بيده ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد ، إلى أولئك نفر ، فأسلموا وهاجروا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : ثنا يونس ، عن ابن سيرين ، قال : قال علي رضي الله عنه : أي آية في القرآن أوسع ؟ فجعلوا يذكرون آيات من القرآن : (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا ، أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) ونحوها ، فقال علي : ما في القرآن آية أوسع من : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سعيد الأزدي ، عن أبي الكنود ، قال : دخل عبد الله المسجد ، فإذا قاصد يذكر النار والأغلال ، قال : فجاء حتى قام على رأسه ، فقال : ما يذكر أتقنط الناس (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن القرظي أنه قال في هذه الآية : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) قال : هي للناس أجمعين .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا ابن ذبيبة ، عن أبي قنبل ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن المزني يقول : ثنا أبو عبد الرحمن الجلائي ، أنه سمع ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) . . . الآية ، فقال رجل : يا رسول الله ، ومن أشرك ؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ألا ومن أشرك ، ألا ومن أشرك ، ثلاث مرات . »

وقال آخرون : نزل ذلك في قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار ، فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : ثنا أبو معاذ الخراساني ، عن مقاتل بن حيان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول : إنه ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة ، حتى نزلت هذه الآية (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) فلما نزلت هذه الآية قلنا : ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟ فقلنا : الكبائر والفواحش ، قال : فكنا إذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا : قد هلك ، حتى نزلت هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) فلما نزلت هذه الآية كففتنا عن القول في ذلك ، فكنا إذا رأينا أحداً أصاب منها شيئا خفنا عليه ، وإن لم يصب منها شيئا رجونا له .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عنى تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الشرك والإيمان والشرك ، لأن الله عم بقوله (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) جميع المسرفين ، فلم يخص به مسرفاً دون مسرف .

﴿ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَيَغْفِرُ اللَّهُ الشَّرْكَ ؟ قِيلَ : نَعَمْ إِذَا تَابَ مِنْهُ الْمُشْرِكُ . وَإِنَّمَا عَنِيَ بِقَوْلِهِ (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ أَجْمِيعًا) لِمَنْ يَشَاءُ ، كَمَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلَ ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقْرَأُ : وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ اسْتَثْنَى مِنْهُ الشَّرْكَ إِذَا لَمْ يَتَّبِعْ مِنْهُ صَاحِبَهُ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الشَّرْكَ إِلَّا بَعْدَ تَوْبَةٍ بِقَوْلِهِ (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) فَأَمَّا مَا عَدَاهُ فَإِنْ صَاحِبَهُ فِي مَشِيئَةِ رَبِّهِ ، إِنْ شَاءَ تَفَضَّلَ عَلَيْهِ ، فَعَفَا لَهُ عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَدَلَ عَلَيْهِ فَجَازَاهُ بِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ (لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) فَلِإِنَّهُ يَعْنِي : لَا تَيْأَسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ . كَذَلِكَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ : ثَنَى أَبِي ، قَالَ : ثَنَى عَمِّي ، قَالَ : ثَنَى أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الرِّوَايَاتِ قَبْلَ فِيمَا مَضَى وَبَيْنَنَا مَعْنَاهُ .

وَقَوْلُهُ (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ أَجْمِيعًا) يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يَسْتُرُ عَلَى الذُّنُوبِ كُلِّهَا يَغْفُوهُ عَنْ أَهْلِهَا وَتَرَكَهُ عَقُوبَتَهُمْ عَلَيْهَا ذَاتَابُوا مِنْهَا (إِنَّهُ هُوَ السَّغْفُورُ الرَّحِيمُ) بِهِمْ ، أَنْ يِعَاقِبَهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

﴿

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَأَقْبَلُوا أَيُّهَا النَّاسُ إِلَى رَبِّكُمْ بِالتَّوْبَةِ ، وَارْجِعُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ لَهُ ، وَاسْتَجِيبُوا لَهُ إِلَى مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ ، وَإِفْرَادِ الْأُلُوهَةِ لَهُ ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ) : أَيُّ أَقْبَلُوا إِلَى رَبِّكُمْ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، قَالَ : ثَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ السُّدِّيِّ (وَأَنِيبُوا) قَالَ : أَجِيبُوا .

حَدَّثَنِي يُونُسٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ، فِي قَوْلِهِ (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ) قَالَ : الْإِنَابَةُ : الرَّجُوعُ إِلَى الطَّاعَةِ ، وَالزُّوْعُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ : (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ) وَقَوْلُهُ (وَأَسْلِمُوا لَهُ) يَقُولُ : وَانْخَضِعُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْإِقْرَارِ بِالذِّينِ الْحَنِيفِيِّ (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ) مِنْ عِنْدِهِ عَلَى كُفْرِكُمْ بِهِ (ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ) يَقُولُ : ثُمَّ لَا يَنْصِرُكُمْ نَاصِرٌ ، فَيَنْقِذُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ النَّازِلِ بِكُمْ .

وَقَوْلُهُ (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَاتَّبِعُوا أَيُّهَا النَّاسُ مَا أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ فِي تَنْزِيلِهِ ، وَاجْتَنِبُوا مَا نَهَاكُمْ فِيهِ عَنْهُ ، وَذَلِكَ هُوَ أَحْسَنُ مَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا .

﴿ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَمَنْ الْقُرْآنُ شَيْءٌ هُوَ أَحْسَنُ مِنْ شَيْءٍ ، قِيلَ لَهُ الْقُرْآنُ كُلُّهُ حَسَنٌ ، وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ

ما توهمت ، وإنما معناه ، واتبعوا مما أنزل إليكم ربكم من الأمر والنهي والخبر ، والمثل ، والقصص ، والجدل ، والوعد ، والوعيد أحسنه ، وأحسنه أن تأتمروا لأمره ، وتنهوا عما نهى عنه ، لأن النهي مما أنزل في الكتاب ، فلو عملوا بما نهوا عنه كانوا عاملين بأقبحه ، فذلك وجهه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك
 حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (واتبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول : ما أمرتم به في الكتاب (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ) .
 وقوله (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً) يقول : من قبل أن يأتيكم عذاب الله فجأة (وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) يقول : وأنتم لا تعلمون به حتى يغشاكم فجأة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ مِنَ السَّاخِرِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وأنيبوا إلى ربكم ، وأسلموا له (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ) بمعنى : لئلا تقول نفس : (يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) ، وهو نظير قوله : (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) بمعنى : أن لا تميد بكم ، فإن إذ كان ذلك معناه في موضع نصب .
 وقوله (يَا حَسْرَتَا) يعني أن تقول : يا ندما .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (يَا حَسْرَتَا) قال : الندامة ، والألف في قوله (يَا حَسْرَتَا) هي كناية المتكلم ، وإنما أريد : يا حسرتي ولكن العرب تحوّل الياء في كناية اسم المتكلم في الاستغاثة ألفا ، فتقول : يا ويلتا ، وياندا ، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء ، وربما قيل : يا حسرة على العباد ، كما قيل : يا لهف ، ويالهفا عليه ؛ وذكر الفراء أن أبا ثروان أنشده :

تَزُورُوتَهَا وَلَا أَزُورُ نِسَاءَكُمْ أَهْلَفَ لِأَوْلَادِ الْإِمَاءِ الْحَوَاطِبِ
 حفضا كما يخفض في النداء إذا أضافه المتكلم إلى نفسه ، وربما أدخلوا الهاء بعد هذه الألف ، فيخفضونها

(١) البيت لأبي ثروان المكي . وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٥) قال : وقوله « يا حسرتا ، يا ويلتا » مضاف إلى المتكلم : يحول العرب الياء إلى الألف في كل كلام كان معناه الاستغاثة ، يخرج على لفظ الدعاء . وربما قالوا : يا حسرة ، كما قالوا : يا لهف على فلان ، ويالهفا عليه . قال : أنشدني أبو ثروان المكي : « تزورونها ولا أزور . . . البيت » . اهـ . فخفض كما يخفض المنادى إذا أضافه المتكلم إلى نفسه . والإماء : الجوارى من الرقيق يتخذن للخدمة والعمل عند ساداتهن واحدها أمة . والحواطب : جمع حاطبة ، وهي التي ترسل في جمع الحطب للوقود . والاهف بسكون الهاء وفتحها : الأسف والحزن والغيظ .

أحيانا ، ويرفعونها أحيانا ؛ وذكر الفراء أن بعض بني أسد أنشد :
يا رَبَّ يَا رَبَّاهِ إِيَّاكَ أَسَّـلُ عَقْرَاءَ يَا رَبَّاهُ مِنْ قَبْلِ الأَجَلِ ١
خفضا ، قال : والخفض أكثر في كلامهم ، إلا في قولهم : ياهنأه ، وياهنأه ، فإن الرفع فيهما أكثر من
الخفض ، لأنه كثير في الكلام ، حتى صار كأنه حرف واحد :
وقوله (على ما فَرَطْتُ فِي جَنَّبِ اللَّهِ) يقول : على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به ، وقصرت
في الدنيا في طاعة الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزرة ،
عن مجاهد ، فى قوله (يا حَسْرَتَا على ما فَرَطْتُ فِي جَنَّبِ اللَّهِ) يقول : فى أمر الله .
حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (على ما فَرَطْتُ فِي جَنَّبِ اللَّهِ) قال :
فى أمر الله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (على ما فَرَطْتُ فِي جَنَّبِ اللَّهِ)
قال : تركت من أمر الله .

وقوله (وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاحِرِينَ) يقول : وإن كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله
والمؤمنين به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا
على ما فَرَطْتُ فِي جَنَّبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاحِرِينَ) قال : فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى
جعل يسخر بأهل طاعة الله ، قال : هذا قول صنف منهم .

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨٦) قال بعد كلامه الذى نقلناه فى الشاهد السابق فى إعراب المضاف إلى ياء
المتكلم بعد حذف الياء ، أو قلبها ألفا : وربما أدخلت العرب الهاء (التى للسكت) بعد الألف التى فى « حسرتا » فيخفضونها مرة ،
ويرفعونها . قال : أنشدنى أبو فقعس لبعض بني أسد : « يارب يارباه إياك أسل . . . البيتين » . فخفض . قال : وأنشدنى أبو فقعس :
يا مَرَّحِبَاهُ بِجِمَارِ نَاهِيهِ إِذَا آتَى قَرَبَتُهُهُ لِّلسَّانِيهِ

والخفض أكثر فى كلام العرب إلا فى قولهم : ياهنأه ، وياهنأه ، والرفع فى هذا أكثر من الخفض ، لأنه كثر فى الكلام ، فكأنه حرف
واحد مدعو (أى كأن اللفظ كله صار كلمة واحدة فى النداء) . وفى خزائن الأدب الكبرى للبغدادى (٣ : ٢٦٣) : وهذا من
رجز أورده أبو محمد الأسود الأعرابى فى ضالة الأديب ، ولم ينسبه إلى أحد . وفيها أيضا : وقال الزنجشبرى فى المفصل : وحق هاء السكت
أن تكون ساكنة ، وتحريكها لحن ، نحو ما فى إصلاح المنطق لابن السكيت ، من قوله : * يامرحباه بجمار ناجيه ، مما لا معرج عليه
للقياس ، واستعمال الفصحاء . ومعذرة من قال ذلك : أنه أجرى الوصل مجرى الوقف ، مع تشبيه هاء الوقف بهاء الضمير . اهـ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنْ كُنْتُمْ لَمِنَ السَّآخِرِينَ) يقول : من المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالكتاب ، وبما جاء به .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ

مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : وأنيبوا إلى ربكم أيها الناس ، وأسلموا له ، أن لا تقول نفس يوم القيامة : يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ، في أمر الله ، وأن لا تقول نفس أخرى : لو أن الله هداني للحق ، فوفقتي للرشاد لكنت ممن اتقاه بظاعته واتباع رضاه ، أو أن لا تقول أخرى حين ترى عذاب الله فتعابنه (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً) تقول : لو أن لي رجعة إلى الدنيا (فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) الذين أحسنوا في طاعة ربهم ، والعمل بما أمرتهم به الرسل .

وبتحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . . .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) . . . الآية ، قال : هذا قول صنف منهم (أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي) . . . الآية ، قال : هذا قول صنف آخر : (أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ) . . . الآية ، يعني بقوله (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا ، قال : هذا صنف آخر .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (أن تَقُولُ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) قال : أخبر الله ما العباد قائلوه قبل أن يقولوه ، وعملهم قبل أن يعملوه ، قال : (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) (أن تَقُولُ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ . أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي) . . . إلى قوله (فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) يقول : من المهتدين ، فأخبر الله سبحانه أنهم لوردوا ولم يقدروا على الهدى ، وقال : (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وقال : (وَتَقَلَّبُ أَفْسِدَتُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ) كما لم يؤمنوا به أول مرة ، قال : ولوردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى ، كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا . وفي نصب قوله (فَأَكُونَ) وجهان : أحدهما : أن يكون نصبه على أنه جواب لو . والثاني : على الرد

على موضع الكرة ، وتوجيه الكرة في المعنى إلى : لو أن لي أن أكر ، كما قال الشاعر :

فَمَا لَكَ مِثْلَهَا غَيْرُ ذِكْرِي وَحَسْرَةٍ
وَتَسْأَلُ عَن رُكْبَانِهَا أَيْنَ يَمْمُوا؟ ١

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٦ من مخطوطة الجامعة) والشاهد في قوله « وتَسْأَلُ » إذ يجوز فيه النصب بتقدير « أن » لعطف الفعل على اسم صريح ، مثل قول ميسون بنت بحدل الكلبية زوج معاوية : « ولبس عباءة وتقر عيني » أي وأن تقر عيني . ويجوز فيه أن يرفع ، لأنه لم يظهر قبله « أن » . قال الفراء : قوله « لو أن لي كرة فأكون من المحسنين » : النصب في قوله

فنصب تسأل عطفًا بها على موضع الذكري ، لأن معنى الكلام : فمالك ! يرسل على موضع الوحي في قوله (إِلَّا وَحْيًا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَآئِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالى ذكره مكذبا للقائل : (لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) ، وللقائل : (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) : ما القول كما تقولون (بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَآئِي) أيها المتمنى على الله الرد إلى الدنيا لتكون فيها من المحسنين (آيَاتِي) يقول : قد جاءتك حججتي من بين رسول أرسلته إليك ، وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير (فَكَذَّبْتَ) بآياتي (وَاسْتَكْبَرْتَ) عن قبولها واتباعها (وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) يقول : وكنت ممن يعمل عمل الكافرين ، ويستن بسنتهم ، ويتبع منهاجهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة يقول الله رداً لقولهم ، وتكذبا لهم ، يعني لقول القائلين : (لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي) ، والصنف الآخر : (بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَآئِي) . . . الآية ، وبفتح الكاف والتاء من قوله (قَدْ جَاءَ نَكَآئِي فَكَذَّبْتَ) على وجه المخاطبة للذكور ، قرأه القراء في جميع أمصار الإسلام . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ذلك بكسر جميعه على وجه الخطاب للنفس ، كأنه قال : أن تقول نفس : يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ، بلى قد جاءتك أيها النفس آياتي ، فكذبت بها ، أجرى الكلام كله على النفس ، إذ كان ابتداء الكلام بها جرى ، والقراءة التي لا أستجيز خلافها ، ما جاءت به قراء الأمصار مجمعة عليه ، نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الفتح في جميع ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾

= « فأكون » : جواب للو . وإن شئت مردودا على تأويل « أن » تضمرها في الكثرة ، كما يقولون : أو أن لي أن أكر فأكون . ومثله بما نصب على إضمار أن قوله « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ، أو يرسل » المعنى - والله أعلم - ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا . ولو رفع « فيوحي » إذ لم يظهر أن قبله ولا معه ، كان صوابا . وقد قرأ به بعض القراء . وأنشدني بعض القراء : « فالك منها غير ذكري وحسرة » البيت . وقال الكسائي : سمعت من العرب : « ما هي إلا ضربة من الأسد ، فيحطم ظهره أي برفع الفعل ونصبه » . ٥١ .

(١) في الكلام سقط من النسخ ، ولعل الأصل : فالك غير أن تذكر وتسأل : ونظيره (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا

أو من وراء حجاب أو يرسل) فمطف يرسل . . . الخ .

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى) يا محمد هؤلاء (الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ) من قومك فزعموا أن له ولدا ، وأن له شريكا ، وعبدوا آلهة من دونه (وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ) ، والوجوه وإن كانت مرفوعة بمسودة ، فإن فيها معنى نصب ، لأنها مع خبرها تمام ترى ، ولو تقدم قوله مسودة قبل الوجوه ، كان نصبا ، ولو نصب الوجوه المسودة ناصب في الكلام لاني القرآن ، إذا كانت المسودة مؤخره كان جائزا ، كما قال الشاعر :

ذَرَيْبِي إِنْ أَمْرَكَ لَنْ يُطَاعَا وَمَا أَلْفَيْتَنِي حِلْمِي مُضَاعَا
فنصب الحلم والمضاع على تكرير ألفيتني ، وكذلك تفعل العرب في كل ما احتاج إلى اسم وخبر ، مثل ظن
وأخواتها ، وفي مسودة للعرب لغتان : مسودة ، ومسودة ، وهي في أهل الحجاز يقولون فيما ذكر عنهم
قد اسواد وجهه ، واحمار ، واشهب . وذكر بعض نحوي البصرة عن بعضهم أنه قال : لا يكون افعال إلا
في ذى اللون الواحد نحو الأشهب ، قال : ولا يكون في نحو الأحمر ، لأن الأشهب لون يحدث ، والأحمر
لا يحدث :

وقوله (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَشُورَى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) يقول : أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر
على الله ، فامتنع من توحيده ، والانتهاى إلى طاعته فيما أمره ونهاه عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿١١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

﴿ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : وينجى الله من جهنم وعذابها ، الذين اتقوه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه
في الدنيا ، بمفازتهم : يعنى بفوزهم ، وهى مفعلة منه .
وينحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ، وإن خالفت ألفاظ بعضهم اللفظة التى قلناها فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ

اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ) قال : بفضائلهم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا

(١) البيت لعدى بن زيد ، كما قال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨٦ من مخطوطة الجامعة) . وهو من أبيات الكتاب لسيبويه

١ : ٨٧ . ومن شواهد (خزائن الأدب الكبرى للبغدادى ٢ : ٣٦٨) . وموضع الشاهد فيه : أن قوله « حلمى » بدل اشتمال من الياء

فى « ألفيتنى » . قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « إنما يجوز البدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب ، إذا كان بدل البعض أو بدل

الاشتمال ، نحو قولك : عجت منك عقلك ، وضربتك رأسك . اه . وقال فى الخزانة : والبيت نسبة سيبويه لرجل من ششم أو بجيلة ،

وتبعه ابن السراج فى أصوله . وعزاه الفراء والزجاج ، إلى عدى بن زيد العبدي . وهو الصحيح ، وكذلك قال صاحب الحماسة البصرية

وأورد من القصيدة بعده أبياتا . اه .

بِمَفَازِهِمْ) قال : بأعمالهم ، قال : والآخرون يحملون أوزارهم يوم القيامة (وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ
يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلَسَاءَ مَا يَنزُرُونَ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة ، وبعض قراء مكة والبصرة (بِمَفَازِهِمْ)
على التوحيد . وقراءته عامة قراء الكوفة (بِمَفَازَاتِهِمْ) على الجماع .

والصواب عندي من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء
فبأبهما قرأ القارئ فصيب ، لاتفاق معنيهما ، والعرب توحد مثل ذلك أحيانا وتجمع بمعنى واحد ، فيقول
أحداهم : سمعت صوت القوم ، وسمعت أصواتهم ، كما قال جل ثناؤه : (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ
الْحَمِيرِ) ، ولم يقل : أصوات الحمير ، ولو جاء ذلك كذلك كان صوابا .

وقوله (لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) يقول تعالى ذكره : لا يمس المتقين من أذى جهنم
شئ ، وهو السوء الذى أخبر جل ثناؤه أنه لن يمسهم ، ولا هم يحزنون : يقول : ولا هم يحزنون على
ما فاتهم من آراب الدنيا ، إذ صاروا إلى كرامة الله ونعيم الجنان .

وقوله (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) يقول تعالى ذكره : الله الذى له
الألوهة من كل خلقه الذى لاتصلح العبادة إلا له ، خالق كل شئ ، لاما لا يقدر على خلق شئ ، وهو على
كل شئ وكيل : يقول : وهو على كل شئ قيم بالحفظ والكلاءة .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : له مفاتيح خزائن السموات والأرض ، يفتح منها على من يشاء ، ويمسكها عن
أحب من خلقه ، واحدها : مقلد . وأما الإقليد : فواحد الأقاليد .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (مَقَالِيدُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مفاتيحها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)
أى مفاتيح السموات والأرض .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ) قال : خزائن السموات والأرض .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)
قال : المقاليد : المفاتيح ، قال : له مفاتيح خزائن السموات والأرض .

وقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) يقول تعالى ذكره : والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها ، أولئك هم المغبونون حظوظهم من خير السموات التي بيده مفاتيحها ، لأنهم حرموا ذلك كله في الآخرة بخلودهم في النار ، وفي الدنيا بخذلانهم عن الإيمان بالله عز وجل .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لمشركي قومك ، الداعيك إلى عبادة الأوثان (أَفَغَيْرَ اللَّهِ) أيها الجاهلون بالله (تَأْمُرُونِي) أن (أَعْبُدُ) ولا تصلح العبادة لشيء سواه .

واختلف أهل العربية في العامل ، في قوله (أَفَغَيْرَ) النصب ، فقال بعض نحوي البصرة : قل أفغير الله تأمروني ، يقول : أفغير الله أعبد تأمروني ، كأنه أراد الإلغاء ، والله أعلم ، كما تقول : ذهب فلان أي يدرى جعله على معنى : فما يدرى . وقال بعض نحوي الكوفة : غير منتزعة بأعبد ، وأن تحذف وتدخل ، لأنها علم للاستقبال كما تقول : أريد أن أضرب ، وأريد أضرب ، وعسى أن أضرب ، وعسى أضرب ، فكانت في طلبها الاستقبال ، كقولك : زيدا سوف أضرب ، فلذلك حذفت وعمل ما بعدها فيما قبلها ، ولا حاجة بنا إلى اللغو .

وقوله (وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ) يقول تعالى ذكره : ولقد أوحى إليك يا محمد ربك ، وإلى الذين من قبلك من الرسل (لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) يقول : لئن أشركت بالله شيئاً يا محمد ، ليبطلن عملك ، ولاتنبأ به ثواباً ، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله ، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم . ومعنى الكلام : ولقد أوحى إليك لئن أشركت ليعبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين ، وإلى الذين من قبلك ، بمعنى : وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك ، مثل الذي أوحى إليك منه ، فاحذر أن تشرك بالله شيئاً فهلك .

ومعنى قوله (وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ولتكونن من الهالكين بالإشراك بالله إن أشركت به شيئاً

القول في تأويل قوله تعالى :

بَلِ اللَّهِ فَاَعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٤٨﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لاتعبد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته ، بل الله فاعبد دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان والأنداد (وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) لله على

(١) كذا في الأصل ، وهو غير واضح . وقد وضع الشوكاني في فتح القدير (٤ : ٤٦١) عامل النصب في « غير » توضيحاً شافياً فراجع ، ولعل أصل العبارة : « ذهب فلا أن يدرى » . . . الخ .

نعمته عليك بما أنعم من الهداية لعبادته ، والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان . ونصب اسم الله بقوله (فاعبُدْ) وهو بعده ، لأنه رد كلام ، ولو نصب بمضمر قبله ، إذ كانت العرب تقول : زيد فليقم ، وزيدا فليقم رفعا ونصبا ، الرفع على فلينظر زيد ، فليقم ، والنصب على انظروا زيدا فليقم كان صحيحا جائزا . وقوله (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) يقول تعالى ذكره : وما عظم الله حقَّ عظمته ، هؤلاء المشركون بالله ، الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) قال : هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدره الله عليهم ، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير ، فقد قدر الله حقَّ قدره ، ومن لم يؤمن بذلك ، فلم يقدر الله حقَّ قدره . حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) : ما عظموا الله حقَّ عظمته .

وقوله (وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول تعالى ذكره : والأرض كلها قبضته في يوم القيامة (وَالسَّمَوَاتُ) كلها (مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) فالخبر عن الأرض متناه عند قوله : يوم القيامة ، والأرض مرفوعة بقوله (قَبْضَتُهُ) ، ثم استأنف الخبر عن السموات ، فقال : « وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ » وهي مرفوعة بمطويات .

وروي عن ابن عباس وجماعة غيره أنهم كانوا يقولون : الأرض والسموات جميعا في يمينه يوم القيامة .

ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول : قد قبض الأرض والسموات جميعا بيمينه ، ألم تسمع أنه قال : (مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) يعني : الأرض والسموات جميعا ، قال ابن عباس : وإنما يستعين بشماله المشغولة بيمينه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبي عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : ما السموات السبع ، والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم .

قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبي ، عن قتادة ، قال : ثنا النضر بن أنس ، عن ربيعة الجُرُسيّ ، قال : (وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) قال : ويده الأخرى خلوا ليس فيها شيء .

حدثني عليّ بن الحسن الأزديّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن عمار بن عمرو ، عن الحسن ، في قوله (وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قال : كأنها جوزة بقضها وقضضها

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله :
(وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول : السموات والأرض مطويات بيمينه جميعا .
وكان ابن عباس يقول : إنما يستعين بشماله المشغولة بيمينه ، وإنما الأرض والسموات كلها بيمينه ،
وليس في شماله شيء .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرني أسامة بن زيد ، عن أبي حازم ، عن عبد الله بن
عمر ، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على المنبر يخطب الناس ، فمر بهذه الآية (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ كُلُّهَا قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا خُدُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فَيَجْعَلُهَا فِي كَفِّهِ ، ثُمَّ يَقُولُ بِهِمَا كَمَا يَقُولُ الْغُلَامُ بِالْكُرَّةِ :
أَنَا اللَّهُ الْوَاحِدُ ، أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْنَا الْمُنْبِرَ وَإِنَّهُ لَيَكَادُ أَنْ يَسْقُطَ بِهِ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، قال : ثنا منصور وسليمان ، عن إبراهيم ، عن عبيدة
السلماني ، عن عبد الله ، قال : « جاء يهودى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله يمسك
السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والحلائق على أصبع ، ثم يقول : أنا
الملك ، قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة
عن عبد الله ، قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، عن منصور ،
عن خيثمة بن عبد الرحمن ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، حين جاءه خبر من أحبار اليهود ، فجلس إليه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : حدثنا ،
قال : إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ، جعل السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ،
والجبال على أصبع ، والماء والشجر على أصبع ، وجميع الحلائق على أصبع ، ثم يهزهن ثم يقول : أنا
الملك ، قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لما قال ، ثم قرأ هذه الآية
(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) . . . الآية » .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، نحو ذلك .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، وعباس بن أبي طالب ، قالا : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة
عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ، قال : « مرّ يهودى بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو
جالس ، فقال : يَا يَهُودِيَّ حَدِّثْنَا ، فقال : كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السماء على ذه ،
والأرض على ذه ، والجبال على ذه ، وسائر الخلق على ذه ، فأنزل الله (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)
. . . الآية » .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ،

قال : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب ، فقال : يا أبا القاسم أبلغك أن الله يحمل الخلائق على أصبع ، والسموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع ؟ قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم . حتى بدت نواجذه ، فأنزل الله (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ) . . . إلى آخر الآية » .

وقال آخرون : بل السموات فى يمينه ، والأرضون فى شماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا على بن داود ، قال : ثنا ابن أبى مریم ، قال : أخبرنا ابن أبى حازم ، قال : ثنا أبو حازم ، عن عبيد الله بن مقسم ، أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : « يَا خُذُ الْجَبَّارُ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدَيْهِ ، وَقَبْضُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ ، وَجَعَلَ يَقْبِضُهُمَا وَيَبْسِطُهُمَا ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الرَّحْمَنُ أَنَا الْمَلِكُ ، أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ ، أَيُّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ » .

وتمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه ، وعن شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إنى لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم » .

حدثنى أبو علقمة الفروى عبد الله بن محمد ، قال : ثنا عبد الله بن نافع ، عن عبد العزيز بن أبى حازم ، عن أبيه ، عن عبيد بن عمير ، عن عبد الله بن عمر ، أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَا خُذُ الْجَبَّارُ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدَيْهِ ، وَقَبْضُ يَدِهِ فَيَجْعَلُ يَقْبِضُهَا وَيَبْسِطُهَا ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْجَبَّارُ ، أَنَا الْمَلِكُ ، أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ ، أَيُّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ » قال : ويميل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إنى لأقول : أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » .

حدثنى الحسن بن على بن عياش الحمصى ، قال : ثنا بشر بن شعيب ، قال : أخبرنى أبى ، قال : ثنا محمد بن مسلم بن شهاب ، قال : أخبرنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَقْبِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَيُّنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ ؟ » .

حدثت عن حرمله بن يحيى ، قال : ثنا إدريس بن يحيى القائد ، قال : أخبرنا حيوة ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى نافع مولى ابن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَدَيْهِ ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ وَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ » .

حدثنى محمد بن عون ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا ابن أبى مریم ، قال : ثنا سعيد بن ثوبان الكلاعى عن أبى أيوب الأنصارى ، قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حبر من اليهود ، قال : رأيت إذ يقول الله فى كتابه (وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) فأين الخلق عند ذلك ؟ قال : هم فيها كرقم الكتاب » .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا عمرو بن حمزة ، قال : ثنا سالم ، عن أبيه ، أنه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ فَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ وَيَطْوِي الأَرْضَ فَيَأْخُذُهَا بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ » . وقيل : إن هذه الآية نزلت من أجل يهودى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة الرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن محمد ، عن سعيد ، قال : « أتى رهط من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هذا الله خلق الخلق ، فمن خلقه ؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتفخ لونه ، ثم ساورهم غضبا لربه ، فجاءه جبريل فسكنه ، وقال : اخفض عليك جناحك يا محمد ، وجاءه من الله جواب ما سأله عنه ، قال : يقول الله تبارك وتعالى (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) فلما تلاها عليهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : صف لنا ربك ؟ كيف خلقه ، وكيف عضده ، وكيف ذراعه ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول ، ثم ساورهم ، فأتاه جبريل فقال مثل مقالته ، وأتاه بجواب ما سأله عنه (وَمَا قَدَرُوا اللهُ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : « تكلمت اليهود في صفة الرب ، فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (وَمَا قَدَرُوا اللهُ حَقَّ قَدْرِهِ) ثم بين للناس عظمته فقال : (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) ، فجعل صفتهم التي وصفوا الله بها شركا .

وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) يقول في قدرته نحو قوله (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) : أى وما كانت لكم عليه قدرة وليس الملك لليمين دون سائر الجسد ، قال : وقوله (قَبْضَتُهُ) نحو قولك للرجل هذا في يدك وفي قبضتك والأخبار التي ذكرناها عن رسول الله وعن أصحابه وغيرهم ، تشهد على بطول هذا القول .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن عائشة ، قالت : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قوله (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فأين الناس يومئذ ؟ قال : على الصراط .

وقوله سبحانه وتعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره تزيها وتبرئة لله ، وعلوا وارتفاعا عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد ، القائلون لك : اعبد الأوثان من دون الله ، واسجد لآلهتنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : ونفخ لإسرافيل في القرن ، وقد بينا معنى الصور فيما مضى بشواهد ، وذكرنا اختلاف أهل العلم فيه ، والصواب من القول فيه بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .
وقوله (فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) يقول : مات ، وذلك في النفخة الأولى .
كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) قال : مات .
وقوله (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بالاستثناء في هذه الآية ، فقال بعضهم عنى به جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) قال جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت .
حدثني هارون بن إدريس الأصم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا الفضل بن عيسى ، عن عمه يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) فقيل : من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله ؟ قال : جبرائيل وميكائيل ، وملك الموت ، فإذا قبضت أرواح الجلائق قال : يا مملك الموت من بقى ؟ وهو أعلم ؛ قال : يقول : سُبْحَانَكَ تَبَارَكَتَ رَبِّي ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، بقى جبريل وميكائيل وملك الموت ؛ قال : يقول : يا مملك الموت خذ نفس ميكائيل ؛ قال : فيسقم كالطود العظيم ، قال : ثم يقول : يا مملك الموت من بقى ؟ فيقول : سُبْحَانَكَ رَبِّي يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، بقى جبريل وملك الموت ، قال : فيقول : يا مملك الموت مت ، قال : فيسموت ؛ قال : ثم يقول : يا جبريل من بقى ؟ قال : فيقول جبريل : سُبْحَانَكَ رَبِّي يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، بقى جبريل ، وهو من الله بالمكان الذي هو به ؛ قال : فيقول يا جبريل لا بد من موته ؛ قال : فيسقم ساجداً يخفق بحناحيه يقول : سُبْحَانَكَ رَبِّي تَبَارَكَتَ وَتَعَالَيْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، أنت الباقي وجبريل الميت الفاني ، قال : ويأخذ روحه في الحلقة التي خلق منها ، قال : فيسقم على ميكائيل أن فضل خلقه على خلق ميكائيل كفضل الطود العظيم على الظرب من الظرب » .

(١) في اللسان : الظرب : الجبل المنبسط . وقيل : هو الجبل الصغير ، وقيل : الروابي الصغار . والجمع : ظراب .

وقال آخرون : عنى بذلك الشهداء . .

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنى وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة عن عمارة ، عن ذى حجر
اليحمدي ، عن سعيد بن جبير ، في قوله : (فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ
اللَّهُ) قال : الشهداء ثنية الله حول العرش ، متقلدين السيوف .

وقال آخرون : عنى بالاستثناء في الفزع : الشهداء ، وفي الصعق : جبريل ، وملك الموت ، وحملة العرش
ذكر من قال ذلك ، والخبر الذي جاء فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي عبد الرحمن بن محمد ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد ،
عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة أنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ : الْأُولَى : نَفْخَةُ الْفَزَعِ ،
وَالثَّانِيَّةُ : نَفْخَةُ الصَّعَقِ ، وَالثَّلَاثَةُ : نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ؛ يَا مُرُ
اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَزَعِ ، فَتَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ
وَأَهْلُ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَنْ اسْتثنَى حِينَ يَقُولُ : (فَفَزَعُ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) قَالَ : أَوْلِيكَ الشُّهَدَاءُ ، وَإِنَّمَا يَصِلُ الْفَزَعُ
إِلَى الْأَحْيَاءِ ، أَوْلِيكَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، وَقَاهُمْ اللَّهُ فَزَعَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَمَنَّهُمْ ،
ثُمَّ يَا مُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بِنَفْخَةِ الصَّعَقِ ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْخَةَ الصَّعَقِ ، فَيَصَّعِقُ أَهْلُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ، ثُمَّ يَا أَيُّ مَلَكِ الْمَوْتِ إِلَى الْجِبَارِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى فَيَقُولُ : يَا رَبِّ قَدْ مَاتَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شِئْتَ ، فَيَقُولُ لَهُ وَهُوَ
أَعْلَمُ : فَمَنْ بَقِيَ ؟ فَيَقُولُ : بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ،
وَبَقِيَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : اسْكُتْ لِي كَتَبْتُ الْمَوْتَ عَلَى مَنْ كَانَ تَحْتَ
عَرْشِي ؛ ثُمَّ يَا أَيُّ مَلَكِ الْمَوْتِ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ قَدْ مَاتَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ وَهُوَ
أَعْلَمُ : فَمَنْ بَقِيَ ؟ فَيَقُولُ : بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ، وَبَقِيَتْ أَنَا ،
فَيَقُولُ اللَّهُ : فَلْيَسِمْتُ حَمَلَةَ الْعَرْشِ ، فَيَسْمُوتُونَ ؛ وَيَا مُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْعَرْشِ فَيَسْقُبُضُ الصُّورَ ،
فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ قَدْ مَاتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ ؛ فَيَقُولُ : مَنْ بَقِيَ ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ ، فَيَقُولُ :
بَقِيَتْ أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَبَقِيَتْ أَنَا ، قَالَ : فَيَقُولُ اللَّهُ : أَنْتَ مِنْ خَلْقِي خَلَقْتُكَ
لَمَّا رَأَيْتَ ، فَتُ لَا تَحْيَ ، فَيَسْمُوتُ . »

وهذا القول الذي روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالصحة ، لأن الصعقة في هذا
الموضع : الموت . والشهداء وإن كانوا عند الله أحياء كما أخبر الله تعالى ذكره فإنهم قد ذاقوا الموت قبل ذلك .
وإنما عنى جل ثناؤه بالاستثناء في هذا الموضع ، الاستثناء من الذين صعقوا عند نفخة الصعق ، لامن
الذين قد ماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل ، وذلك أنه لو جاز أن يكون المراد بذلك من قد هلك ، وذاق

الموت قبل وقت نفخه الصعق ، وجب أن يكون المراد بذلك من قد هلك ، فذاق الموت من قبل ذلك ، لأنه ممن لا يصعق في ذلك الوقت إذا كان الميت لا يجد له موت آخر في تلك الحال .

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) قال الحسن : يستثنى الله وما يدع أحدا من أهل السموات ولا أهل الأرض إلا أذاقه الموت ؟ قال قتادة : قد استثنى الله ، والله أعلم إلى ما صارت ثنيته ، قال : ذكر لنا أن نبي الله قال : « أتاني مَلَكٌ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ اخْبِرْ نَبِيًّا مَلِكًا ، أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا ، فَأَوْمَأَ إِلَى أَنْ تَوَاضَعَ قَالَ : نَبِيًّا عَبْدًا ، قَالَ : فَأَعْطَيْتُ خَصَلَتَيْنِ : أَنْ جُعِلْتُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلَ شَافِعٍ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَجِدُ مُوسَى آخِذًا بِالْعَرْشِ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَصَعِقَ بَعْدَ الصَّعِقَةِ الْأُولَى أَمْ لَا ؟ » .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : « قال يهودى بسوق المدينة : والذي اصطفى موسى على البشر ، قال : فرفع رجل من الأنصار يده ، فصك بها وجهه ، فقال : تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، فَأَكُونُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلِي ، أَوْ كَانَ يَمُنُّ اسْتثنى الله . » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن الحسن ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كَأَنِّي أَنْفُضُ رَأْسِي مِنَ التُّرَابِ أَوَّلَ خَارِجٍ ، فَأَلْتَقَيْتُ فَلَا أَرَى أَحَدًا إِلَّا مُوسَى مُتَعَلِّقًا بِالْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَمَّنْ اسْتثنى الله أن لا تُصِيبَهُ النَّفْخَةُ أَوْ بُعِثَ قَبْلِي . » .

وقوله (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) يقول تعالى ذكره : ثم نفخ في الصور نفخة أخرى ، والهاء التي في « فيه » من ذكر الصور .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى) قال : في الصور ، وهي نفخة البعث .

وذكر أن بين النفختين أربعين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ ، قَالُوا : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا ؟ قَالَ : أْبَيْتُ ، قَالُوا : أَرْبَعُونَ شَهْرًا ؟ قَالَ : أْبَيْتُ ، قَالُوا : أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : أْبَيْتُ ، ثُمَّ يُنَزَّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَتَّبِعُونَ كَمَا يَتَّبِعُ الْبَقْلُ ، قَالَ : وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَسْبُلِي ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا ، وَهُوَ عَجَبُ الدَّنْبِ ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . » .

حدثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا البلخي بن إياس ، قال : سمعت عكرمة يقول في قوله (فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) . . . الآية ، قال : الأولى من الدنيا ، والأخيرة من الآخرة .
حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) قال نبي الله : « بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ » - قال : قال أصحابه : فما سألناه عن ذلك ، ولا زادنا على ذلك غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة .
وذكرنا لنا أنه يبعث في تلك الأربعين مطر يقال له مطر الحياة ، حتى تطيب الأرض وتهتز ، وتنبت أجساد الناس نبات البقل ، ثم ينفخ فيه الثانية (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) قال : ذكرنا « أن معاذ بن جبل ، سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم : كيف يبعث المؤمنون يوم القيامة ؟ قال ؟ يُبْعَثُونَ جُرُودًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ بَنِي ثَلَاثِينَ سَنَةً »
وقوله (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) يقول : فإذا من صعق عند النفخة التي قبلها وغيرهم من جميع خلق الله الذين كانوا أمواتا قبل ذلك قيام من قبورهم وأماكنهم من الأرض أحياء كهيئتهم قبل مماتهم ينظرون أمر الله فيهم .
كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط عن السدي (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) قال : حين يبعثون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : فأضاءت الأرض بنور ربها ، يقال : أشرقت الشمس : إذا صفت وأضاءت ، وأشرقت : إذا طلعت ، وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) قال : فما يتضارون في نوره إلا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) قال : أضاءت .

وقوله (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) يعني : كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) قال : كتاب أعمالهم

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَوَضِعَ الْكِتَابُ) قال : الحساب . وقوله (وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) يقول : وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أمهم ، وردت عليهم في الدنيا ، حين أتتهم رسالة الله ؛ والشهداء ، يعني بالشهداء : أمة محمد صلى الله عليه وسلم يستشهدهم ربهم على الرسل ، فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التي أرسلهم بها ربهم إلى أممها ، إذ جحدت أمهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله . والشهداء : جمع شهيد ، وهذا نظير قول الله (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ، لَتَسْكُوتُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) وقيل : عنى بقوله (الشُّهَدَاءِ) : الذين قتلوا في سبيل الله ، وليس لما قالوا من ذلك في هذا الموضع كبير معنى ، لأن عقيب قوله (وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ، وَقَضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ) ، وفي ذلك دليل واضح على صحة ما قلنا من أنه إنما دعي بالنبيين والشهداء للقضاء بين الأنبياء وأممها ، وأن الشهداء إنما هي جمع شهيد ، الذين يشهدون للأنبياء على أمهم كما ذكرنا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) فإنهم ليشهدون للرسل بتبليغ الرسالة ، وبتكذيب الأمم إياهم .

ذكر من قال ما حكينا قوله من القول الآخر

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) : الذين استشهدوا في طاعة الله .

وقوله (وَقَضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ) يقول تعالى ذكره : وقضى بين النبيين وأممها بالحق ، وقضاؤه بينهم بالحق ، أن لا يحمل على أحد ذنب غيره ، ولا يعاقب نفسا إلا بما كسبت .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَٰنَ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾

يقول تعالى ذكره : ووفى الله حينئذ كل نفس جزاء عملها من خير وشر ، وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية ، ولا يعزب عنه علم شيء من ذلك ، وهو مجازيهم عليه يوم القيامة ، فثيب المحسن بإحسانه ، والمسيء بما أساء .

وقوله (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ) يقول : وحُشِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ إِلَىٰ نَارِهِ الَّتِي أُعِدَّتْ لَهَا

لهم يوم القيامة جماعات ، جماعة جماعة ، وحزبا حزبا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة في قوله (زُمَرًا) قال : جماعات .

وقوله (حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتَتِ أَبْوَابُهَا) السبعة (وَقَالَ لَهُمْ خُزِنَتْهَا) قوامها : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) يعني : كتاب الله المنزل على رسوله وحججه التي بعث بها رسوله إلى أمهم (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) يقول : وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا ، وقد يحتمل أن يكون معناه : وينذرونكم مصيركم إلى هذا اليوم ، قالوا : بلى : يقول : قال الذين كفروا مجيبين لحزنة جهنم : بلى قد أتتنا الرسل منا ، فأنذرتنا لقاءنا هذا اليوم (وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) يقول : قالوا : ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به علينا بكفرنا به .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ

الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) بأعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : فتمول خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ : (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ) السبعة على قدر منازلهم فيها (خَالِدِينَ فِيهَا) يقول ما كثين فيها لا ينقلون عنها إلى غيرها . (فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) يقول : فبئس مسكن المتكبرين على الله في الدنيا ، أن يوحدوه ويفردوا له الألوهة ، جهنم يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفِي حَتِّ أَبْوَابِهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزِنَتْهَا وَسَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٧﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره : وحُشِرَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بِأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه في الدنيا ، وأخلصوا له فيها الألوهة ، وأفردوا له العبادة ، فلم يشركوا في عبادتهم إياه شيئا (إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا) يعني جماعات ، فكان سوق هؤلاء إلى منازلهم من الجنة وفدا على ما قد بينا قبل في سورة مريم على نجائب من نجائب الجنة ، وسوق الآخرين إلى النار دعاء ووردا ، كما قال الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، وقد ذكرنا ذلك في أماكن من هذا الكتاب .
وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَسَيَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا) ، وفي قوله (وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا) قال : كان سوق أولئك عنفا وتعبا ودفعا ، وقرأ (يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً) قال : يدفعون دفعا وقرأ (فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ) قال : يدفعه ، وقرأ (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا - و- نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ وَفْدًا) ثم قال : فهؤلاء وفد الله .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا شريك بن عبد الله ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن ضميرة ، عن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه قوله (وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا) حتى إذا انتهوا إلى بابها ، إذا هم بشجرة يخرج من أصلها عيان ، فعمدوا إلى إحداهما ، فشربوا منها كأنما أمروا بها ، فخرج ما في بطونهم من قدر أو أذى أو قذى ، ثم عمدوا إلى الأخرى ، فتوضئوا منها كأنما أمروا به ، فجرت عليهم نضرة النعيم ، فلن تشعت رءوسهم بعدها أبدا ولن تبلى ثيابهم بعدها ، ثم دخلوا الجنة ، فتلقهم الولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون ، فيقولون : أبشر ، أعد الله لك كذا ، وأعد لك كذا وكذا ، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه جندل اللؤلؤ الأحمر والأصفر والأخضر ، يتلأأ كأنه البرق ، فلولا أن الله قضى أن لا يذهب بصره لذهب ، ثم يأتي بعضهم إلى بعض أزواجه ، فيقول : أبشرى قد قدم فلان ابن فلان ، فيسميه باسمه واسم أبيه ، فتقول : أنت رأيت ، أنت رأيت ، أنت رأيت ، فيستخفها الفرح حتى تقوم ، فتجلس على أسكفة بابها ، فيدخل فيتكى على سريرته ، ويقرأ هذه الآية : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) . . . الآية .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ذكر أبو إسحاق عن الحارث ، عن علي رضى الله عنه قال : يساقون إلى الجنة ، فينهبون إليها ، فيجدون عند بابها شجرة في أصل ساقها عيان تجريان ، فيعمدون إلى إحداهما ، فيغتسلون منها ، فتجري عليهم نضرة النعيم ، فلن تشعت رءوسهم بعدها أبدا ، ولن تغبر جلودهم بعدها أبدا ، كأنما دهنوا بالدهان ، ويعمدون إلى الأخرى ، فيشربون منها ، فيذهب ما في بطونهم من قذى أو أذى ، ثم يأتون باب الجنة فيستفتحون ، فيفتح لهم ، فتلقاهم خزنة الجنة فيقولون (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) قال : وتلقاهم الولدان المخلدون ، يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم إذا جاء من الغيبة ، يقولون : أبشر أعد الله لك كذا ، وأعد لك كذا ، فينطلق أحدهم إلى زوجته ، فيبشرها به ، فيقول : قدم فلان باسمه الذي كان يسمى به في الدنيا ، وقال : فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها ، وتقول : أنت رأيت ، أنت رأيت ؟ قال : فيقول : نعم ، قال : فيجىء حتى يأتي منزله ، فإذا أصوله من جندل اللؤلؤ من بين أصفر وأحمر وأخضر ، قال : فيدخل فإذا الأكواب موضوعة ، والنمارق مصفوفة ، والزراية مبنوثة قال : ثم يدخل إلى زوجته من الحور العين ، فلولا أن الله أعد لها لالتع بصره من نورها وحسنها ؛ قال : فاتكأ عند ذلك ويقول :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) قال: فتناديهم الملائكة: (أَنْ تَلِكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، قال : ذكر السدي نحوه أيضا ، غير أنه قال : هو أهدى إلى منزله في الجنة منه إلى منزله في الدنيا ، ثم قرأ السدي (وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ) .
واختلف أهل العربية في موضع جواب « إذا » التي في قوله (حتى إذا جاءوها) فقال بعض نحوي البصرة : يقال إن قوله (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا) في معنى : قال لهم ، كأنه يلغى الواو ، وقد جاء في الشعر شيء يشبه أن تكون الواو زائدة ، كما قال الشاعر :

فَإِذَا وَذَلِكَ يَا كُبَيْشَةَ كَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوَهُمَ حَالِمٍ بِحَيَالِ

فيشبه أن يكون يريد : فإذا ذلك لم يكن . قال : وقال بعضهم : فأضمر الخبر ، وإضمار الخبر أيضا أحسن في الآية ، وإضمار الخبر في الكلام كثير . وقال آخر منهم : هو مكفوف عن خبره ، قال : والعرب تفعل مثل هذا ، قال عبد مناف بن ربيع في آخر قصيدة :

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ شَلَا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا

وقال الأخطل في آخر قصيدة :

خَلَا أَنْ حَيًّا مِنْ قُرَيْشٍ تَفْضَلُوا عَلَى النَّاسِ أَوْ أَنْ الْأَكَارِمِ نَهَشَلَا

وقال بعض نحوي الكوفة: أدخلت في حتى إذا وفي فلما ، الواو في جوابها وأخرجت ، فأما من أخرجها فلا شيء فيه ، ومن أدخلها شبه الأوائل بالتعجب ، فجعل الثاني نسقا على الأول ، وإن كان الثاني جوابا كأنه قال : أتعجب لهذا وهذا .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : الجواب متروك ، وإن كان القول الآخر غير مدفوع ، وذلك أن قوله (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) يدل على أن في الكلام متروكا ، إذ كان عقيب (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ) ، وإذا كان ذلك كذلك ، فعنى الكلام : حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها : سلام عليكم طبتم فادخلوها

(١) هذا البيت لم نقف على قائله . استشهد به المؤلف عند قوله تعالى « حتى إذا جاءوها وفتحت » على أن الواو زائدة في قوله تعالى « وفتحت أبوابها » كزيادتها في قول الشاعر : « فإذا ذلك » لأن الشاعر يريد : « فإذا ذلك » بدون واو .
(٢) البيت لعبد مناف بن ربيع الهذلي (اللسان : جمل) . و (خزنة الأدب الكبرى للبندادي ٣ : ١٧٠) شاهد على أن جواب إذ عند الرضي شارح كافية ابن الحاجب محذوف لتفخيم الأمر . (وقد تقدم الاستشهاد به على هذا وغيره في الجزء ١٤ : ٩) فراجعه ثمة .
وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة (الورقة ٢١٧) قال : وقوله « حتى إذا جاءوها » وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين : مكفوف من خبره (أي محذوف خبره) والعرب تفعل مثل هذا . قال عبد مناف : « حتى إذا أسلكوهم . . . البيت » . وفي خزنة الأدب للبندادي (٣ : ١٧١) : وقال في الصحاح : إذا : زائدة . أو يكون قد كف عن خبره ، لعلم السامع . اهـ . ورد قوله بأن إذا اسم ، والاسم لا يكون لغوا . اهـ .

(٣) البيت للأخطل ، قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ٢١٧) وذكر البيت بعقب البيت الذي قبله ، ولم يبين موضع الشاهد فيه وهو قوله « أو أن المكارم نهشلا . . . » فلم يذكر خبر أن الثانية ، كما لم يذكر جواب « إذا » في بيت عبد مناف قبله . والعرب تفعل ذلك إذا كان مفهوما من السياق . وتقدير المحذوف في هذا البيت : أو أن الأكارم نهشلا تفضلوا على الناس .

خالدين ، دخلوها وقالوا : الحمد لله الذي صدقنا وعده . وعنى بقوله (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) : أمنة من الله لكم أن ينالكم بعدُ مكروه أو أذى . وقوله (طِبِّتُمْ) يقول : طابت أعمالكم في الدنيا ، فطاب اليوم مثواكم .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الجارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (طِبِّتُمْ) قال : كنتم طبيين في طاعة الله .

وقوله (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ) يقول : وقال الذين سيقوا زمرا ودخلوها ، الشكر خالص لله الذي صدقنا وعده ، الذي كان وعدهنا في الدنيا على طاعته ، فحققه بإنجازه لنا اليوم ، (وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ) يقول : وجعل أرض الجنة التي كانت لأهل النار لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا ، فدخلوها ، ميراثا لنا عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ) قال : أرض الجنة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ) أرض الجنة . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ) قال : أرض الجنة ، وقرأ (أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) . وقوله (نَتَّبِعُوا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) يقول : نتخذ من الجنة بيتا ، ونسكن منها حيث نحب ونشتهي .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط عن السدي (نَتَّبِعُوا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) نزل منها حيث نشاء .

وقوله (فَسَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) يقول : فنعم ثواب المطيعين لله ، العاملين له في الدنيا الجنة لمن أعطاه الله إياها في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

يقول تعالى ذكره : وترى يا محمد الملائكة محققين من حول عرش الرحمن ، ويعنى بالعرش : السرير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) محققين .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) قال : محدقين حول العرش ، قال : العرش : السرير .
واختلف أهل العربية في وجه دخول « مِنْ » في قوله : (حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) والمعنى : حافين حول العرش .

وفي قوله (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ) فقال بعض نحوي البصرة : أدخلت « مِنْ » في هذين الموضعين توكيدا والله أعلم ، كقولك : ما جاءني من أحد ، وقال غيره : قبل وحول وما أشبههما ظروف تدخل فيها « مِنْ » وتخرج ، نحو : أتيتك قبل زيد ، ومن قبل زيد ، وظفنا حولك ومن حولك ، وليس ذلك من نوع : ما جاءني من أحد ، لأن موضع « مِنْ » في قولهم : ما جاءني من أحد رفع ، وهو اسم .

والصواب من القول في ذلك عندي أن « مِنْ » في هذه الأماكن ، أعني في قوله (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) ومن قبلك ، وما أشبه ذلك ، وإن كانت دخلت على الظروف فإنها بمعنى التوكيد .
وقوله (يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول : يصلون حول عرش الله شكرا له ، والعرب تدخل الباء أحيانا في التسبيح ، وتحذفها أحيانا ، فنقول : سبح بحمد الله ، وسبح حمد الله ، كما قال جل ثناؤه (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) ، وقال في موضع آخر : (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) .
وقوله (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ) يقول : وقضى الله بين النبيين الذين جيء بهم ، والشهداء وأممها بالعدل ، فأسكن أهل الإيمان بالله ، وبما جاءت به رسلة الجنة . وأهل الكفر به ، وبما جاءت به رسلة النار (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : وختمت خاتمة القضاء بينهم بالشكر للذي ابتداء خلقهم الذي له الألوهية ، ومُلك جميع ما في السموات والأرض من الخلق من ملك وجن وإنس ، وغير ذلك من أصناف الخلق .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) . . . الآية ، كلها قال : فتح أول الخلق بالحمد لله ، فقال : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وختم بالحمد فقال : (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

آخر تفسير سورة الزمر

(٤) سُورَةُ غَافِرٍ كِتَابًا
وَأَيُّهَا خَيْرٌ وَثَابِتٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

حَمْزٌ نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي

الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ

اختلف أهل التأويل في معنى قوله (حم) فقال بعضهم : هو حروف مقطعة من اسم الله الذي هو الرحمن الرحيم ، وهو الحاء والميم منه :

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الله بن أحمد بن شيبويه المرؤزي ، قال : ثنا علي بن الحسن ، قال : ثنا أبي ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : الرّ ، وحمّ ، ونّ ، حروف الرحمن مقطعة .
وقال آخرون : هو قسم أقسمه الله ، وهو اسم من أسماء الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : (حم) : قسم أقسمه الله ، وهو اسم من أسماء الله .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (حم) : من حروف أسماء الله .

وقال آخرون : بل هو اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حم) قال : اسم من أسماء القرآن .
وقال آخرون : هو حروف هجاء .

وقال آخرون : بل هو اسم ، واحتجوا لقولهم ذلك بقول شريح بن أوفى العبسي :
يُذَكِّرُنِي حَامِيمَ وَالرَّمْحُ شَاجِرٌ فَهَلَّا تَمَلَّحَ حَمَّ قَبْلَ التَّقَدَّمَ

(١) البيت لشريح بن أوفى العبسي ، كما قال أبو عبيد في مجاز القرآن (٢١٧ ب) وكما في (اللسان : حم) وقال : وأنشده غير أبي عبيد للأشتر النخعي . وقال : قال ابن مسعود : « آل حاميم » : ديباج القرآن . قال الفراء : هو كقولك آل فلان وآل فلان .
وقال الجوهري : أما قول العامة « الحواميم » فليس من كلام العرب . قال أبو عبيد : « الحواميم » : سور في القرآن ، على غير قياس ، وأنشد :

وَبِالطَّوَّاسِينَ الَّتِي قَدَّ ثُلُثَتْ وَبِالْحَوَامِيمِ الَّتِي قَدَّ سُبِعَتْ

قال : والأولى أن تجمع « بذوات حاميم » . وأنشد أبو عبيد في « حاميم » لشريح بن أوفى العبسي : « يذكرني حاميم . . . البيت »
قال : وأنشده غيره للأشتر النخعي . والضمير في « يذكرني » : هو لمحمد بن طلحة ، وقتله الأشتر أو شريح . (أي في يوم الحمل) اهـ .

وبقول الكُسميت :

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً تَأْوَلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبٌ ۱

وحُدثت عن معمر بن المثنى أنه قال : قال يونس : يعنى الجرمى ، ومن قال هذا القول فهو منكّر عليه ، لأن السورة (حم) ساكنة الحروف ، فخرجت مخرج التهجى ، وهذه أسماء سور خرجت متحركات وإذا سميت سورة بشئ من هذه الأحرف المجزومة دخله الإعراب .

والقول فى ذلك عندى نظير القول فى أخواتها ، وقد بيّنا ذلك ، فى قوله (الم) ، فى ذلك كفاية عن إعادته فى هذا الموضع ، إذ كان القول فى حم ، وجميع ما جاء فى القرآن على هذا الوجه ، أعنى حروف التهجى قولاً واحداً :

وقوله (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) يقول الله تعالى ذكره : من الله العزيز فى انتقامه من أعدائه ، العليم بما يعملون من الأعمال وغيرها تنزيل هذا الكتاب ، فالتنزيل مرفوع بقوله (من الله) وفى قوله (غَافِرِ الذَّنْبِ) وجهان : أحدهما : أن يكون بمعنى يغفر ذنوب العباد ، وإذا أريد هذا المعنى ، كان خفض غافر وقابل من وجهين ، أحدهما : من نية تكرير « من » ، فيكون معنى الكلام حينئذ : تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، من غافر الذنب ، وقابل التوب ، لأن غافر الذنب نكرة ، وليس بالأفصح أن يكون نعناً للمعرفة ، وهو نكرة ، والآخر أن يكون أجرى فى إعرابه ، وهو نكرة على إعراب الأول كالنعت له ، لوقوعه بينه وبين قوله (ذِي الطَّوْلِ) وهو معرفة . . وقد يجوز أن يكون أتبع إعرابه وهو نكرة إعراب الأول ، إذ كان مدحاً ، وكان المدح يتبع إعرابه ما قبله أحياناً ، ويعدل به عن إعراب الأول أحياناً بالنصب والرفع كما قال الشاعر :

لا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هَمُّهُمُ سَمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةٌ الْجُزُرِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأُزُرِ ۲

(١) البيت للكيت بن زيد الأسدى (مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٨ - ١) وديوانه طبعة الموسوعات بالقاهرة ١٨ . وآل حَامِيمٍ وذوات حَامِيمٍ : السور التى أولها « حم » نص الحريرى فى درة النواص ، على أنه يقال : آل حَامِيمٍ ، وذوات حَامِيمٍ ، وآل طَمٍ ، ولا يقال : حواميم ولا طواسيم اه . والآية هى قوله تعالى فى سورة الشورى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » . وفى سورة الأحزاب من غير آل حَامِيمٍ : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » . والتقى : الساكت عن التفضيل ، والمرب : الناطق به ، ورواية البيت فى مجاز القرآن . :

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَمِّ آيَةً ۱ وَفِي غَمِيرِهَا آيٌ ۲ ، وَأَيُّ يُعْرَبُ ۳

ثم قال : قال يونس : من قال بهذا القول ، فهو منكّر عليه ، لأن السورة « حم » ساكنة الحروف ، فخرجت مخرج حروف التهجى وهذه أسماء سور خرجت متحركات ؛ وإذا سميت سورة بشئ من هذه الأحرف المجزومة (كذا) ، دخلها الإعراب . اه . وقول المؤلف : يعنى الجرمى : نهنا عليه فيما مضى ، لأن الجرمى اسمه صالح بن إسحاق أبو عمر .

(٢) البيتان لخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبمى ، وابنها علقمة بن بشر وجماعة من قومها قتلوا فى معركة (خزاية الأدب الكبرى للبغدادى ٢ : ٣٠٦) ومحل الشاهد فى البيتين أنه يجوز قطع نعت المعرفة بالواو ، فقولها : والطيبون نعت مقطوع بالواو من قومي ، للمدح والتعظيم ، يجعله خبر مبتدأ محذوف ، أى هم الطيبون . وقوله « النازلين » : مقطوع بالنصب ، مع أنه نعت لقومي المرفوع . وإنما نصب بفعل مقدر أى أمدح أو أعنى ، أو نحوها ، واستشهد بهما المؤلف (الطبرى) على أن قوله تعالى : « غافر الذنب » نعت للفظ « الله » المجرور بمن ، ويجوز فى هذا النعت الجر على الإتيان ، كما يجوز فيه القطع بالنصب ، بتقدير فعل : أى أخص عافر الذنب ، أو بالرفع ، بتقدير مبتدأ : أى هو غافر الذنب .

وكما قال جل ثناؤه (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ . ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ . فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) فرفع فعَّال وهو نكرة محضة ، وأتبع إعراب الغفور الودود ، والآخر : أن يكون معناه : أن ذلك من صفته تعالى ، إذ كان لم يزل لذنوب العباد غفورا من قبل نزول هذه الآية وفي حال نزولها ، ومن بعد ذلك ، فيكون عند ذلك معرفة صحيحة ونعتا على الصحة . وقال (غَافِرِ الذَّنْبِ) ولم يقل الذنوب ، لأنه أريد به الفعل . وأما قوله (وَقَابِلِ التَّوْبِ) فإن التوب قد يكون جمع توبة ، كما يجمع الدَّوْمَةُ دَوَمَا والعَوْمَةُ عَوَمَا من عومة السفينة ، كما قال الشاعر :

* عَوْمَ السَّفِينِ فَلَمَّا حَالَ دُونَهُمْ *^١

وقد يكون مصدر تاب يتوب توبا .

وقد حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق ، قال : جاء رجل إلى عمر ، فقال : إني قتلت فهل لي من توبة ؟ قال : نعم ، اعمل ولا تيأس ، ثم قرأ (حم . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، غَافِرِ الذَّنْبِ ، وَقَابِلِ التَّوْبِ) .

وقوله (شَدِيدِ الْعِقَابِ) يقول تعالى ذكره : شديد عقابه لمن عاقبه من أهل العصيان له ، فلا تتكلموا على سعة رحمته ، ولكن كونوا منه على حذر ، باجتناب معاصيه ، وأداء فرائضه ، فإنه كما أنه لا يؤيس أهل الإجمام والآثام من عفوه ، وقبول توبة من تاب منهم من جرمه ، كذلك لا يؤمنهم من عقابه وانتقامه منهم بما استحلوا من محارمه ، وركبوا من معاصيه .

وقوله (ذِي الطَّوْلِ) يقول : ذى الفضل والنعم المبسوطة على من شاء من خلقه ، يقال منه : إن فلانا لذو طول على أصحابه إذا كان ذا فضل عليهم .
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله : (ذِي الطَّوْلِ) يقول : ذى السعة والغنى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (ذِي الطَّوْلِ) الغنى .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذِي الطَّوْلِ) : أى ذى النعم .
وقال بعضهم : الطَّوْلُ : القدرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذِي الطَّوْلِ) قال : الطول القدرة ، ذاك الطول .

(١) هذا صدر بيت لم نعرف قائله ، ولا عجزه . استشهد به المؤلف على أن التوب فى قوله تعالى : « قابل التوب » : قد يكون جمع توبة كما يجمع الدومة دوما ، والعومة عوما ، من عوم السفينة .

وقوله (لا إلهَ إلاَّ هوَ لِيسِهَ الْمَصِيرُ) يقول : لا معبود تصلح له العبادة إلا الله العزيز العليم ، الذي صفته ما وصف جل ثناؤه ، فلا تعبدوا شيئاً سواه (لِيسِهَ الْمَصِيرُ) يقول تعالى ذكره : إلى الله مصيركم ومرجعكم أيها الناس ، فإياه فاعبدوا ، فإنه لا ينفعكم شيء عبدتموه عند ذلك سواه .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَ لُوًّا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : ما يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإنكار لها ، إلا الذين جحدوا توحيدَه وقوله (فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) يقول جل ثناؤه : فلا يخذعك يا محمد تصرفهم في البلاد وبقاؤهم ومكثهم فيها ، مع كفرهم بربهم ، فتحسب أنهم إنما أمهلوا وتقلبوا ، فتصرفوا في البلاد مع كفرهم بالله ، ولم يعاجلوا بالنقمة والعذاب على كفرهم لأنهم على شيء من الحق فإنما لم نمهلهم لذلك ، ولكن ليبلغ الكتاب أجله ، ولتحقق عليهم كلمة العذاب ، عذاب ربك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) أسفارهم فيها ، ومجيئهم وذهابهم ، ثم قصص على رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص الأمم المكذبة رسلها ، وأخبره أنهم كانوا من جدالهم لرسوله على مثل الذي عليه قومه الذين أرسل إليهم ، وأنه أحل بهم من نعمته عند بلوغهم أمدهم بعد إعدار رسوله إليهم ، وإنذارهم بأسه ما قد ذكر في كتابه إعلاماً منه بذلك نبيه ، أن سنته في قومه الذين سلكوا سبيل أولئك في تكذيبه وجداله سنته من إحلال نعمته بهم ، وسطوته بهم ، فقال تعالى ذكره : كذبت قبل قومك المكذبين لرسالتك إليهم رسولا ، المجادلين بالباطل قوم نوح والأحزاب من بعدهم ، وهم الأمم الذين تحزبوا وتجمعتوا على رسلهم بالتكذيب لها ، كعاد وثمود ، وقوم لوط ، وأصحاب مدائن وأشباههم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال : الكفار .

وقوله (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) يقول تعالى ذكره : وهمت كل أمة من هذه

الأمم المكذبة رسلها ، المتحزبة على أنبيائها ، برسولهم الذي أرسل إليهم ليأخذوه فيقتلوه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ)

لِيَأْخُذُوهُ) : أى ليقتلوه ، وقيل برسولهم ، وقد قيل : كلّ أمة ، فوجّهت الهاء والميم إلى الرجل دون لفظ الأمة ، وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله برسولها ، يعنى برسول الأمة .
 وقوله (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) يقول : وخاصموا رسولهم بالباطل من الخصومة ليبطلوا بجدالهم إياه وخصومتهم له الحقّ الذى جاءهم به من عند الله ، من الدخول فى طاعته ، والإقرار بتوحيده ، والبراءة من عبادة ما سواه ، كما يخاصمك كفار قومك يا محمد بالباطل /
 وقوله (فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) يقول تعالى ذكره : فأخذت الذين هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب من عندى ، فكيف كان عقابي إياهم ، ألم أهلكهم فأجعلهم للخلق عبرة ، ولمن بعدهم عظة ؟ وأجعل ديارهم ومساكنهم منهم خلاء ، وللوحوش ثواء .
 وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) قال : شديد والله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ

يقول تعالى ذكره : وكما حقّ على الأنم التى كذبت رسلها التى قصصت عليك يا محمد قصصها عذابي ، وحلّ بها عقابي بتكذيبهم رسلهم ، وجدالهم إياهم بالباطل ، ليدحضوا به الحقّ ، كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك ، الذين يجادلون فى آيات الله .
 وقوله (أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) اختلف أهل العربية فى موضع قوله (أَنَّهُمْ) ، فقال بعض نحويّ البصرة : معنى ذلك : حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار : أى لأنهم ، أو بأنهم ، وليس أنهم فى موضع مفعول ليس مثل قولك : أحققت أنهم لو كان كذلك كان أيضا أحققت ، لأنهم . وكان غيره يقول : « أنهم » بدل من الكلمة ، كأنه أحقت الكلمة حقا أنهم أصحاب النار .
 والصواب من القول فى ذلك ، أن قوله « أنهم » ترجمة عن الكلمة ، بمعنى : وكذلك حقّ عليهم عذاب النار ، الذى وعد الله أهل الكفر به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
 لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ

يقول تعالى ذكره : الذين يحملون عرش الله من ملائكته ، ومن حول عرشه ، ممن يحفّ به من الملائكة

(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) يقول: يصلون لربهم بحمده وشكره (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) يقول: ويقرّون بالله أنه لا إله لهم سواه، ويشهدون بذلك، لا يستكبرون عن عبادته (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) يقول: ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقرّوا بمثل إقرارهم من توحيد الله، والبراءة من كل معبود سواه ذنوبهم، فيغفوها عنهم.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) لأهل لا إله إلا الله.

وقوله (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) ، وفي هذا الكلام محذوف، وهو يقولون: ومعنى الكلام: ويستغفرون للذين آمنوا يقولون: يا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما. ويعنى بقوله: (وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) : وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خالقك، فعلمت كل شيء، فلم يخف عليك شيء، ورحمت خالقك، ووسعتهم برحمتك.

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب الرحمة والعلم، فقال بعض نحوي البصرة: انتصاب ذلك كانتصاب لك مثله عبدا، لأنك قد جعلت وسعت كل شيء، وهو مفعول له، والفاعل التاء، وجاء بالرحمة والعلم تفسيرا، وقد شغلت عنهما الفعل كما شغلت المثل بالهاء، فلذلك نصبته تشبيها بالمفعول بعد الفاعل، وقال غيره: هو من المنقول، وهو مفسر، وسعت رحمته وعلمه، ووسع هو كل شيء رحمة، كما تقول: طابت به نفسى، وطبت به نفسا، وقال: أمالك مثله عبدا، فإن المقادير لا تكون إلا معلومة مثل عندى رطل زيتا، والمثل غير معلوم، ولكن لفظه المعرفة والعبد نكرة، فلذلك نصب العبد، وله أن يرفع، واستشهد لقيه ذلك بقول الشاعر:

ما فى مَعَدِّ الْقَبَائِلِ كُلِّهَا قَحْطَانٌ مِثْلُكَ وَاحِدٌ مَعْدُودٌ

وقال ردّ الواحد على مثل لأنه نكرة، قال: ولوقلت: ما مثلك رجل، ومثلك رجل، ومثلك رجلا، جاز، لأن مثل يكون نكرة، وإن كان لفظها معرفة.

وقوله (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) يقول: فاصفح عن جرم من تاب من الشرك بك من عبادك، فرجع إلى توحيدك، واتبع أمرك ونهيك.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا) من الشرك.

وقوله (وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) يقول: وسلکوا الطريق الذى أمرتهم أن يسلكوه، ولزموا المنهاج الذى أمرتهم بلزومه، وذلك الدخول فى الإسلام.

(١) لم أقف على قائله. واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى: «رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا» وقد اختلف أهل العربية في نصب رحمة... الخ. والشاهد في البيت قوله «مثلك واحد»؛ فيجوز في «واحد» أن يرد على «مثلك» بطريق البدل منه. ويجوز أيضا أن يكون تفسيرا: أى تمييزا لمثل، لأنه وإن كان معرفة في لفظه، فهو نكرة في معناه، فاحتاج من أجل ذلك إلى التفسير (التمييز) مثل قولك: لك مثله أرضا، وعندى فدان أرضا، ورطل زيتا. لأن المقادير لا تكون إلا معلومة، وقوله «مثلك» فى معنى الفاظ المقادير. وأما نصب رحمة فى الآية، فقد بينه المؤلف.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) : أي طاعتك .
وقوله (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) يقول : واصرف عن الذين تابوا من الشرك ، واتبعوا سبيلك
عذاب النار يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن دعاء ملائكتك لأهل الإيمان به من عباده ، تقول : يا ربنا وأدخلهم جنات
عدن (يعني : بساتين إقامة (التي وَعَدْتَهُمْ) يعني التي وعدت أهل الإنابة إلى طاعتك أن تدخلهموها
(وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) يقول : وأدخل مع هؤلاء الذين تابوا (وَأَتَّبَعُوا
سَبِيلَكَ) جنات عدن من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، فعمل بما يرضيك عنه من الأعمال
الصالحة في الدنيا ، وذكر أنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة ، وإن لم يكونوا عملوا عمله بفضل
رحمة الله إياه .

كما حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن يمان العجلي ، قال : ثنا شريك ، عن سعيد ، قال : يدخل
الرجل الجنة ، فيقول : أين أبي ، أين أمي ، أين ولدي ، أين زوجتي ، فيقال : لم يعملوا مثل عملك ،
فيقول : كنت أعمل لي ولهم ، فيقال : أدخلوهم الجنة ، ثم قرأ (جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ، وَمَنْ
صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) فمن إذن إذ كان ذلك معناه في موضع نصب عطفاً على
الهاء والميم في قوله (وَأَدْخِلْهُمْ) وجائز أن يكون نصبا على العطف على الهاء والميم في وعدتهم (إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يقول : إنك أنت يا ربنا العزيز في انتقامه من أعدائه ، الحكيم في تدبيره خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره بقوله مخبراً عن قيل ملائكتك : وقِهِم : اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا
أتوها قبل توبتهم وإنابتهم ، يقولون : لا تؤاخذهم بذلك ، فتعذبهم به (وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَحِمْتَهُ) يقول : ومن تصرف عنه سوء عاقبة سيئاته بذلك يوم القيامة ، فقد رحمته ، فنجيته من
عذابك (وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) لأنه من نجا من النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وذلك لاشك هو
الفوز العظيم .

وبنحو الذي قلنا في معنى السيئات قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) : أى العذاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معمر بن بشير ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة ، عن

مطرف ، قال : وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة ، وأغشّ العباد للعباد الشياطين ، وتلا (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال مطرف : وجدنا أغشّ عباد

الله لعباد الله الشياطين ، ووجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقَّتْ لِيَ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ۚ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا أَتْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَتْنَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين كفروا بالله ينادون في النار يوم القيامة إذا دخلوها ، فمقتوا بدخولهموها أنفسهم حين عاينوا ما أعدّ الله لهم فيها من أنواع العذاب ، فيقال لهم : لمقت الله إياكم أيها القوم في الدنيا ، إذ تدعون فيها للإيمان بالله ، فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم لما حلّ بكم من سخط الله عليكم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَمَقَّتْ لِيَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) قال : مقتوا أنفسهم

حين رأوا أعمالهم ، ومقت الله إياهم في الدنيا ، إذ يدعون إلى الإيمان ، فيكفرون أكبر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ

لَمَقَّتْ لِيَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون) يقول : لمقت الله

أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا ، فتركوه ، وأبوا أن يتبلوا أكبر مما مقتوا أنفسهم ، حين

عاينوا عذاب الله يوم القيامة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ

لَمَقَّتْ لِيَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) في النار (إذ تدعون إلى الإيمان) في الدنيا (فتكفرون)

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يُنَادُونَ لَمَقَّتْ لِيَ اللَّهُ) . . .

الآية ، قال : لما دخلوا النار مقتوا أنفسهم في معاصي الله التي ركبوها ، فنُودوا : إن مقت الله إياكم حين دعاكم إلى الإسلام أشدّ من مقتكم أنفسكم اليوم حين دخلتم النار .
واختلف أهل العربية في وجه دخول هذه اللام في قوله (كَلِمَاتُ اللَّهِ أَكْبَرُ) فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة : هي لام الابتداء ، كأن ينادون يقال لهم ، لأن في النداء قول . قال : ومثله في الإعراب يقال : لزيد أفضل من عمرو . وقال بعض نحوي الكوفة : المعنى فيه : ينادون إن مقت الله إياكم ، ولكن اللام تكفي من أن تقول في الكلام : ناديت أن زيدا قائم ، قال : ومثله قوله (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَرَأً وَأُ الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّى حِينِ) اللام بمنزلة إن في كل كلام ضارع القول مثل ينادون ويخبرون ، وأشبه ذلك .

وقال آخر غيره منهم : هذه لام اليمين ، تدخل مع الحكاية ، وما ضارع الحكاية لتدلّ على أن مابعدا ائتلاف . قال : ولا يجوز في جوابات الأيمان أن تقوم مقام اليمين ، لأن اللام كانت معها النون أو لم تكن ، فاكتفى بها من اليمين ، لأنها لا تقع إلا معها .

❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : دخلت لتؤذن أن مابعدا ائتلاف وأنها لام اليمين .
وقوله (رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قد أتينا عليه في سورة البقرة ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع ، ولكننا نذكر بعض ما قال بعضهم فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم ، فأحياهم الله في الدنيا ، ثم أماتهم الموتة التي لا بدّ منها ، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حياتان وموتتان .

وحدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) هو قول الله (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : هو كقوله (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا) . . . الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، في قوله (أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : هي كالتى في البقرة (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) .

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك في هذه الآية (أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : خلقتنا ولم تكن شيئا ثم أمتنا ، ثم أحيينا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، في قوله (أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قالوا : كانوا أمواتا فأحياهم الله ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم .
وقال آخرون فيه ما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : أميتوا في الدنيا ، ثم أحيوا في قبورهم ، فسئلوا أو خوطبوا ، ثم أميتوا في قبورهم ، ثم أحيوا في الآخرة .
وقال آخرون في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله : (رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) قال : خاقهم من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق ، وقرأ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِمَّنْ ظَهَرِ لَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) ، فقرأ حتى بلغ (الْمُبْطِلُونَ) قال : فسأهم الفعل ، وأخذ عليهم الميثاق ، قال : وانزع ضلعاً من أضلاع آدم القصرى ، فخلق منه حواء ، ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : وذلك قول الله : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) .
قال : بثّ منهما بعد ذلك في الأرحام خلقاً كثيراً ، وقرأ (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ) قال : خلقاً بعد ذلك ، قال : فلما أخذ عليهم الميثاق ، أماتهم ثم خلقهم في الأرحام ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة ، فذلك قول الله (رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ، فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا) ، وقرأ قول الله (وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) قال يومئذ ، وقرأ قول الله (وَإِذْ كَرُّوا زِعْمَةَ اللَّهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) .
وقوله (فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا) يقول : فأقررنا بما عملنا من الذنوب في الدنيا (فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ) يقول : فهل إلى خروج من النار لنا سبيل ، لنرجع إلى الدنيا ، فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ) : فهل إلى كرامة إلى الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَاَلْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ

(١٢)

وفي هذا الكلام متروك استغنى بدلالة الظاهر من ذكره عليه ، وهو فأجيئوا أن لاسبيل إلى ذلك هذا الذي لكم من العذاب أيها الكافرون (بأنه إذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ) ، فأنكرتم أن تكون الألوهة له خالصة ، وقلتم (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ لَهَا وَاحِدًا) .
(وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا) يقول : وإن يجعل لله شريك تصدقوا من جعل ذلك له (فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ) يقول : فالقضاء لله العلي على كل شيء ، الكبير الذي كل شيء دونه متصاغرا له اليوم .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٤﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : الذي يريكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته (وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) يقول ينزل لكم من أرزاقكم من السماء بإدراك الغيث الذي يخرج به أقواتكم من الأرض ، وغذاء أنعامكم عليكم (وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) يقول وما يتذكر حجج الله التي جعلها أدلة على وحدانيته ، فيعتبر بها ويتعظ ، ويعلم حقيقة ما تدل عليه ، إلا من ينيب : يقول : إلا من يرجع إلى توحيده ، ويقبل على طاعته .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) قال : من يقبل إلى طاعة الله .

وقوله (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به ، فاعبدوا الله أيها المؤمنون له ، مخلصين له الطاعة غير مشركين به شيئاً مما دونه (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) يقول : ولو كره عبادتكم إياه مخلصين له الطاعة الكافرون المشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأنداد .

القول في تأويل قوله تعالى

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّلَّذِينَ الْمَلَائِكَةُ الْوَاحِدُونَ ﴿١٦﴾ الْقَهَّارِ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : هو رفيع الدرجات ، ورفع قوله (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) على الابتداء ، ولو جاء نصباً على الرد على قوله : فادعوا الله ، كان صواباً (ذُو الْعَرْشِ) يقول : ذو السرير المحيط بما دونه . وقوله (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) يقول : ينزل الوحي من أمره على من يشاء من عباده .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الروح في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى به الوحي . ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ) قال : الوحي من أمره . وقال آخرون : عنى به القرآن والكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني هارون بن إدريس الأصم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك

في قوله (يُلْسِقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) قال : يعنى بالروح : الكتاب ينزله على من يشاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يُلْسِقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) ، وقرأ (وكذلك أوحينا إليك رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا) قال : هذا القرآن هو الروح ، أوحاه الله إلى جبريل ، وجبريل روح نزل به على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقرأ (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) قال : فالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه هي الروح ، لِيُنذِرَ بِهَا مَا قَالَ اللَّهُ يَوْمَ التَّلَاقِ ، (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا) ، قال : الروح : القرآن ، كان أبي يقوله ، قال ابن زيد : يقومون له صفا بين السماء والأرض حين ينزل جل جلاله .
وقال آخرون : عنى به النبوة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قول الله (يُلْسِقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) قال : النبوة على من يشاء ، وهذه الأقوال متقاربات المعاني ، وإن اختلفت ألفاظ أصحابها بها .

وقوله (لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ) يقول : لينذر من يلقي الروح عليه من عباده من أمر الله بانذاره من خلقه عذاب يوم تلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض ، وهو يوم التلاق ، وذلك يوم القيامة .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ التَّلَاقِ) من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله ، وحذره عباده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ التَّلَاقِ) : يوم تلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض ، والخالق والخلق .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (يَوْمَ التَّلَاقِ) تلتقى أهل السماء وأهل الأرض .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (يَوْمَ التَّلَاقِ) قال يوم القيامة . قال : يوم تلاقى العباد .

وقوله (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) يعنى بقوله (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ) يعنى المنذرين الذين أرسل الله إليهم رسله لينذروهم وهم ظاهرون يعنى للناظرين لا يحول بينهم وبينهم جبل ولا شجر ، ولا يستر بعضهم عن بعض سائر ، ولكنهم بقاع صنف لأمم فيه ولا عوج وهم من من قوله (يَوْمَ هُمْ) في موضع رفع بما بعده ، كقول القائل : فعلت ذلك يوم الحجاج أمير .

واختلف أهل العربية في العلة التي من أجلها لم تخفض هم بيوم وقد أضيف إليه ؟ فقال بعض نحويي البصرة : أضاف يوم إلى هم في المعنى ، فلذلك لا ينون اليوم ، كما قال (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) وقال : (هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ) ومعناه : هذا يوم فتنهم ، ولكن لما ابتدأ بالاسم ، وبني عليه لم يقدر على جرّه ، وكانت الإضافة في المعنى إلى الفتنة ، وهذا إنما يكون إذا كان اليوم في معنى إذ ، وإلا فهو قبيح ؛ ألا ترى أنك تقول : لبتك زمن زيد أمير : أي إذ زيد أمير ، ولو قلت : ألك زمن زيد أمير لم يحسن ، وقال غيره : معنى ذلك : أن الأوقات جعلت بمعنى إذ وإذا ، فلذلك بقيت على نصبها في الرفع والخفض والنصب ، فقال (وَمِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ) فنصبوا ، والموضع خفض ، وذلك دليل على أنه جعل موضع الأداة ، ويجوز أن يعرب بوجوه الإعراب ، لأنه ظهر ظهور الأسماء ، ألا ترى أنه لا يعود عليه العائد كما يعود على الأسماء ، فإن عاد العائد نون وأعراب ولم يضاف ، فقليل : أعجبنى يوم فيه تقول لما أن خرج من معنى الأداة ، وعاد عليه الذكر صار اسما صحيحا . قال : وجائز في إذ أن تقول : أتيتك إذ تقوم ، كما تقول : أتيتك يوم يجلس القاضي ، فيكون زمنا معلوما ، فأما أتيتك يوم تقوم فلا مؤنة فيه ، وهو جائز عند جميعهم ، وقال : وهذه التي تسمى إضافة غير محضة .

والصواب من القول عندي في ذلك ، أن نصب يوم وسائر الأزمنة في مثل هذا الموضع نظير نصب الأدوات لوقوعها مواقعها ، وإذا أعربت بوجوه الإعراب ، فلأنها ظهرت ظهور الأسماء ، فعولت معاملتها وقوله (لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) أي ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا (شَيْءٌ) .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ) ولكنهم برزوا له يوم القيامة ، فلا يسترون بجبل ولا مدر . وقوله (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟) يعني بذلك : يقول الرب : لمن الملك اليوم ، وترك ذكر يقول استغناء بدلالة الكلام عليه ، وقوله (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) وقد ذكرنا الرواية الواردة بذلك فيما مضى قبل ومعنى الكلام : يقول الرب : لمن السلطان اليوم ؟ وذلك يوم القيامة ، فيجيب نفسه فيقول : (لِلَّهِ الْوَاحِدِ) الذي لا مثل له ولا شبيهه (الْقَهَّارِ) لكل شيء سواه بقدرته ، الغالب بعزته .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبله يوم القيامة حين يبعث خلقه من قبورهم لموقف الحساب (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) يقول : اليوم يثاب كل عامل بعمله ، فيوفي أجر عمله ، فعامل الخير يجزي الخير ، وعامل الشر يجزي جزاءه .

وقوله (لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ) يقول : لا ينحس على أحد فيما استوجبه من أجر عمله في الدنيا ، فينقص منه إن كان محسنا ، ولا تحمّل على مسيء وإثم ذنب لم يعمله فيعاقب عليه (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يقول : إن الله

ذو سرعة في محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ذكر أن ذلك اليوم لا ينتصف حتى يقبل أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، وقد فرغ من حسابهم ، والقضاء بينهم .
القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۝ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه : وأندري يا محمد مشركي قومك يوم الآزفة ، يعني يوم القيامة أن يوافقوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة ، فيستحقوا من الله عقابه الأليم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (يَوْمَ الْآزِفَةِ) قال : يوم القيامة .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) يوم القيامة .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) قال : يوم القيامة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) قال : يوم القيامة ، وقرأ (أَزِفَتِ الْآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ) .
وقوله (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ) يقول تعالى ذكره : إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله لدى حناجرهم قد شخصت من صدورهم ، فتعلقت بحلوقهم كاظميها ، يرومون ردها إلى مواضعها من صدورهم فلا ترجع ، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتوا .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ) قال : قد وقعت القلوب في الحناجر من المخافة ، فلا هي تخرج ولا تعود إلى أمكنتها .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ) قال : شخصت أفئدتهم عن أمكنتها ، فنشبت في حلوقهم ، فلم تخرج من أجوافهم فيموتوا ، ولم ترجع إلى أمكنتها فتستقر .

واختلف أهل العربية في وجه نصب (كاظِمينَ) فقال بعض نحوي البصرة: انصبه على الحال، كأنه أراد: إذ القلوب لدى الحناجر في هذه الحال. وكان بعض نحوي الكوفة يقول: الألف واللام بدل من الإضافة، كأنه قال: إذ قلوبهم لدى حناجرهم في حال كظمهم. وقال آخر منهم: هو نصب على القطع من المعنى الذي يرجع من ذكرهم في القلوب والحناجر، المعنى: إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظِمين. قال: فإن شئت جعلت قطعه من الهاء التي في قوله (وَأُنذِرُهُمْ) قال: والأول أجود في العربية، وقد تهدم بياني وجه ذلك.

وقوله (مَالِ الظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ) يقول جل ثناؤه: مال الكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع، ويجاب فيما سأل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (مَالِ الظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ) قال: من يعنيه أمرهم، ولا شفيع لهم.

وقوله (يُطَاعُ) صلة للشفيع. ومعنى الكلام: ما للظالمين من حميم ولا شفيع إذا شفع أطيع فيما شفع، فأجيب وقبلت شفاعته له.

وقوله (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) يقول جل ذكره مخبرا عن صفة نفسه: يعلم ربكم ما خانت أعين عباده، وما أخفته صدورهم، يعني: وما أضمرته قلوبهم: يقول: لا يخفى عليه شيء من أمورهم حتى ما يحدث به نفسه، ويضمرة قلبه إذا نظر ماذا يريد بنظره، وما ينوي ذلك بقلبه (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) يقول: والله تعالى ذكره يقضي في الذي خائنه الأعين بنظرها، وأخفته الصدور عند نظر العيون بالحق، فيجزى الذين أنغمضوا أبصارهم، وصرفوها عن محارمه حذار الموقف بين يديه، ومستلته عنه بالحسنى، والذين ردوا النظر، وعزمت قلوبهم على مواجهة الفواحش إذا قدرت، جزاءها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الله بن أحمد المرزوي، قال: ثنا علي بن حسين بن واقد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا الأعمش، قال: ثنا سعيد بن جبير، عن ابن عباس (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) إذا نظرت إليها تريد الحياة أم لا (وما تخفى الصدور) إذا قدرت عليها أتزني بها أم لا؟ قال: ثم سكت، ثم قال: ألا أخبركم بالتي تليها؟ قلت: نعم، قال: (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة، وبالسيئة السيئة (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) قال الحسن: فقلت للأعمش: حدثني الكلبي، إلا أنه قال: إن الله قادر

(١) في اللسان: حمي: الأمر وأحمي: أهني. وقال الأزهرى: أهني هذا الأمر واحتست له، كأنه اهتمام بجمع قريب.

على أن يجزى بالسيئة السيئة ، وبالחסنة عشرا . وقال الأعمش : إن الذي عند الكلبي عندي ، ما خرج مني إلا بحقير .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَتَعَلَّمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) قال : نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) : أي يعلم همزه بعينه ، وإغماضه فيما لا يحب الله ولا يرضاه .

وقوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَيَقْتَضُونَ بِشْيءٍ) يقول : والأوثان والآلهة التي يعبدونها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لا يقضون بشيء ، لأنها لا تعلم شيئا ، ولا تقدر على شيء ، يقول جل ثناؤه لهم : فاعبدوا الذي يقدر على كل شيء ، ولا ينحى عليه شيء من أعمالكم ، فيجزى محسنكم بالإحسان ، والمسيء بالإساءة ، لا ما لا يقدر على شيء ولا يعلم شيئا ، فيعرف المحسن من المسيء ، فيثيب المحسن ، ويعاقب المسيء .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) يقول : إن الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم أيها الناس ، البصير بما تفعلون من الأفعال ، محيط بكل ذلك محصيه عليكم ، ليجازي جميعكم جزاءه يوم الجزاء .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ) بالتاء على وجه الخطاب . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالياء على وجه الخبر . والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : أولم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله ، المكذبون رسوله من قريش في البلاد ، (فَيَسْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ) يقول : فيروا ما الذي كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الأمم الذين سلكوا سبيلهم ، في الكفر بالله ، وتكذيب رسوله (كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) يقول : كانت تلك الأمم الذين كانوا من قبلهم أشد منهم بطشا ، وأبقى في الأرض آثارا ، فلم تنفعهم شدة قواهم ، وعظم أجسامهم ، إذ جاءهم أمر الله ، وأخذهم بما أجزوا من معاصيه ، واكتسبوا من الآثام ، ولكنه أباد جمعهم ، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا (وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ) يقول : وما كان لهم من عذاب الله إذ جاءهم ، من واق يقيهم ، فيدفعه عنهم .

كالذي حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كَانَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) بقیہم ، ولا ینفعہم .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : هذا الذي فعلت بهؤلاء الأمم الذين من قبل مشركي قريش من إهلاكناهم بذنوبهم فعلنا بهم بأنهم كانت تأتيهم رسل الله إليهم بالبينات ، يعني بالآيات الدالات على حقيقة ما تدعوهم إليه من توحيد الله ، والانتهاة إلى طاعته (فَكَفَرُوا) يقول : فأنكروا رسالتها ، وجحدوا توحيد الله ، وأبوا أن يطيعوا الله (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) يقول : فأخذهم الله بعذابه فأهلكهم (إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ) يقول : إن الله ذو قوة لا يقهره شيء ، ولا يغلبه ، ولا يعجزه شيء أراده ، شديد عقابه من عاقب من خلقه ، وهذا وعيد من الله مشركي قريش ، المكذبين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لهم جل ثناؤه : فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وجحود توحيد الله ، ومخالفة أمره ونهيه فيسلك بكم في تعجيل الهلاك لكم مسلكهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره مُسَلِّيًا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، عما كان يلقي من مشركي قومه من قريش ، بإعلامه ما لقي موسى ممن أرسل إليه من التكذيب ، ونخبره أنه معليه عليهم ، وجاعل دائرة السوء على من حادّه وشاقّه ، كسنته في موسى صلوات الله عليه ، إذ أعلاه ، وأهلك عدوه فرعون (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا) : يعني بأدلته . (وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) : كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) : أي عذر مبين ، يقول : وحججه المبينة لمن يراها أنها حجة محققة ما يدعو إليه موسى (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ) ، فقالوا ساحر كذاب يقول : فقال هؤلاء الذين أرسل إليهم موسى لموسى : هو ساحر يسحر العصا ، فيرى الناظر إليها أنها حية تسعى . (كَذَّابٌ) يقول : يكذب على الله ، ويزعم أنه أرسله إلى الناس رسولا .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ
وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : فلما جاء موسى هؤلاء الذين أرسله الله إليهم بالحق من عندنا ، وذلك مجيئه إليهم بتوحيد الله ، والعمل بطاعته ، مع إقامة الحججة عليهم ، بأن الله ابتعثه إليهم بالدعاء إلى ذلك (قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ) بالله (مَعَهُ) من بني إسرائيل (وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ) يقول : واستبقوا نساءهم للخدمة .

فإن قال قائل : وكيف قيل (فَلَمَّا جَاءَهُمْ) موسى بالحق من عندنا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ ، واستحْيوا نساءهم) ، وإنما كان قتل فرعون الولدان من بني إسرائيل حذار المولود الذي كان أخبر أنه على رأسه ذهاب ملكه ، وهلاك قومه ، وذلك كان فيما يقال قبل أن يبعث الله موسى نبياً ؟ قيل : إن هذا الأمر بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى ، واستحيا نساءهم ، كان أمراً من فرعون وملئه من بعد الأمر الأول الذي كان من فرعون قبل مولد موسى .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا جَاءَهُمْ) بالحق من عندنا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ ، واستحْيوا نساءهم) قال : هذا قتل غير القتل الأول الذي كان .

وقوله (وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) يقول : وما احتيال أهل الكفر لأهل الإيمان بالله إلا في جور عن سبيل الحق ، وصد عن قصد الحججة ، وأخذ على غير هدى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي
الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : (وَقَالَ فِرْعَوْنُ) لملكه : (ذَرُونِي أَقْتُلْ) موسى وليدع ربه) الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) يقول : إني أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه بسحره .

واختلفت القراء في قراءة قوله (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة (وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) بغير ألف ، وكذلك ذلك في مصاحف أهل المدينة ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (أَوْ أَنْ) بالألف ، وكذلك ذلك في مصاحفهم (يَظْهِرَ فِي الْأَرْضِ) بفتح الياء ورفع الفسَاد .

❦ والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار متقاربتا المعنى ، وذلك أن الفساد إذا أظهره مظهر كان ظاهرا ، وإذا ظهر فبإظهار مظهره يظهر ، ففي القراءة بإحدى القراءتين في ذلك دليل واضح على صحة معنى الأخرى . وأما القراءة في (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ) بالألف وبجذفها ، فإنهما أيضا متقاربتا المعنى ، وذلك أن الشيء إذا بدل إلى خلافه فلا شك أن خلافه المبدل إليه الأول هو الظاهر دون المبدل ، فسواء عطف على خبره عن خوفه من موسى أن يبدل دينهم بالواو أو بأو ، لأن تبديل دينهم كان عنده هو ظهور الفساد ، وظهور الفساد كان عنده هو تبديل الدين .

فتأويل الكلام إذن : إني أخاف من موسى أن يغير دينكم الذي أنتم عليه ، أو أن يظهر في أرضكم أرض مصر ، عبادة ربه الذي يدعوكم إلى عبادته ، وذلك كان عنده هو الفساد .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إني أخاف أن يبدل دينكم) : أي أمركم الذي أنتم عليه (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) والفساد عنده أن يعمل بطاعة الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقُولُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي بَعْدَكُمْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَا يَهْدِيَ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٩﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وقال موسى لفرعون وملئه : إني استجرت أيها القوم بربي وربكم ، من كل متكبر عليه ، تكبر عن توحيده ، والإقرار بألوهيته وطاعته ، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه ، فيجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بما أساء ، وإنما خص موسى صلوات الله وسلامه عليه ، الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب ، لأن من لم يؤمن بيوم الحساب مصدقا ، لم يكن للشواب على الإحسان راجيا ، ولا للعقاب على الإساءة ، وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفا ، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة .

وقوله (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن ، فقال بعضهم : كان من قوم فرعون ، غير أنه كان قد آمن بموسى ، وكان يُسِرُّ إيمانه من فرعون وقومه خوفا على نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) قال : هو ابن عم فرعون ، ويقال : هو الذي نجى مع موسى ، فمن قال هذا القول ، وتأول هذا التأويل ، كان صوابا الوقف إذا أراد القارئ الوقف على قوله (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) ، لأن ذلك خبر متناه قد تم .

وقال آخرون : بل كان الرجل إسرائيليا ، ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون . والصواب على هذا القول لمن أراد الوقف أن يجعل وقفه على قوله (بِكُفْرِكُمْ) (بِكُفْرِكُمْ) لأن قوله (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) صلة لقوله (بِكُفْرِكُمْ) فتمامه قوله : يكتم إيمانه ، وقد ذكر أن اسم هذا الرجل المؤمن من آل فرعون : جبريل ، كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي ، القول الذي قاله السدي من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون ، قد أصغى لكلامه ، واستمع منه ما قاله ، وتوقف عن قتل موسى عند نهي عن قتله ، وقيله ما قال ، وقال له : ما أرىكم إلا ما أرى ، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ، ولو كان إسرائيليا لكان حريا أن يعاجل هذا القائل له ، ولملئه ما قال بالعقوبة على قوله ، لأنه لم يكن يستنصح بنى إسرائيل ، لاعتداده إياهم أعداء له ، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلا ، ولكنه لما كان من ملاء قومه ، استمع قوله ، وكف عما كان هم به في موسى .

وقوله (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) يقول : أتقتلون أيها القوم موسى لأن يقول ربى الله فإن في موضع نصب لما وصفت (وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول . وقد جاءكم بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك ، وتلك البيئات من الآيات يده وعصاه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) بعصاه وبيده .

وقوله (وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) يقول : وإن يك موسى كاذبا في قبيله : إن الله أرسله إليكم بأمركم بعبادته ، وترك دينكم الذى أنتم عليه ، فإنما إثم كذبه عليه دونكم (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَبْعِدُكُمْ) يقول : وإن يك صادقاً في قبيله ذلك ، أصابكم الذى وعدكم من العقوبة على مقامكم على الدين الذى أنتم عليه مقيمون ، فلا حاجة بكم إلى قتله ، فتزيدوا ربكم بذلك إلى سخطه عليكم بكفركم سخطا (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) يقول : إن الله لا يوفق للحق من هو متعد إلى فعل ما ليس له فعله ، كذآب عليه يكذب ، ويقول عليه الباطل وغير الحق .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الإسراف الذى ذكره المؤمن في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى به الشرك ، وأراد : إن الله لا يهدى من هو مشرك به مفتر عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) : مشرك أسرف على نفسه بالشرك .
وقال آخرون : عني به من هو قتال سفك الدماء بغير حق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) قال : المسرف : هو صاحب الدم ، ويقال : هم المشركون .
والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن هذا المؤمن أنه عم بقوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) والشرك من الإسراف ، وسفك الدم بغير حق من الإسراف ، وقد كان مجتمعاً في فرعون الأمان كلاهما ، فالحق أن يعم ذلك كما أخبر جل ثناؤه عن قائله ، أنه عم القول بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه (ياقوم لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ) يعني : أرض مصر ، يقول : لكم السلطان اليوم والملك ظاهرين أنتم على بني إسرائيل في أرض مصر (فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ) يقول : فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته إن حل بنا ، وعقوبته إن جاءتنا ، قال فرعون (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ) يقول قال فرعون مجيباً لهذا المؤمن الناهي عن قتل موسى : ما أريكم أبها الناس من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحاً وصواباً ، وما أهدى لكم إلا سبيل الرشاد . يقول : وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب في أمر موسى وقتله ، فإنكم إن لم تقتلوه بدل دينكم ، وأظهر في أرضكم الفساد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَكْفُرُ لِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٤٢﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى ذكره : وقال المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه : يا قوم إني أخاف عليكم بقتلكم موسى إن قتلتموه مثل يوم الأحزاب الذين تحزبوا على رسل الله نوح وهود وصالح ، فأهلكهم الله بجرتهم عليهم ، فهلككم كما أهلكهم .

وقومه (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ) يقول: يفعل ذلك بكم فيهلككم مثل سنته في قوم نوح وعاد وثمود وفعله بهم . وقد بينا معنى الدأب فيما مضى بشواهد ، المغنية عن إعادته ، مع ذكر أقوال أهل التأويل فيه . وقد حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ) يقول : مثل حال .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ) قال : مثل ما أصابهم .

وقوله (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) يعني قوم إبراهيم ، وقوم لوط ، وهم أيضا من الأحزاب . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) قال :

هم الأحزاب :

وقوله (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قِبل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه ، وما أهلك الله هذه الأحزاب من هذه الأمم ظلما منه لهم بغير جرم اجترموه بينهم وبينه ، لأنه لا يريد ظلم عباده ، ولا يشاؤه ، ولكنه أهلكهم بإجرامهم وكفرهم به ، وخلافهم أمره .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٢٢﴾ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ق

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قِبل هذا المؤمن لفرعون وقومه (وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) بقتلكم موسى إن قتلتموه عقاب الله (يَوْمَ التَّنَادِ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (يَوْمَ التَّنَادِ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (يَوْمَ التَّنَادِ) بتخفيف الدال ، وترك إثبات الياء ، بمعنى التفاعل ، من تنادى القوم تناديا ، كما قال جل ثناؤه (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ، قَالُوا نَعَمْ) وقال : (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ) فلذلك تأوله قارئو ذلك كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة أنه قال في هذه الآية (يَوْمَ التَّنَادِ) قال : يوم ينادى أهل النار أهل الجنة : أن أفيضوا علينا من الماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ) يوم ينادى أهل الجنة أهل النار (أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا) .

ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟) وينادي أهل النار أهل الجنة (أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَوْمَ التَّنَادِ) قال : يوم القيامة ينادي أهل الجنة أهل النار .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في معنى ذلك على هذه القراءة تأويل آخر على غير هذا الوجه . وهو ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد الحاربي ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَا مُرُّ اللَّهِ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْسِخَةِ الْأُولَى ، فَيَقُولُ : انْفُخْ نَفْسِخَةَ الْفَرْعِ ، فَفَرْعُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَيَأْمُرُهُ اللَّهُ أَنْ يُدِيْمَهَا وَيُطَوِّلَهَا فَلَا يَفْتَنُ ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ : (وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) ، فَيَسِيرُ اللَّهُ الْجِبَالَ فَتَكُونُ سَرَابًا ، فَتَرْجُ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًّا ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ : (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُنَهَا الرَّادِفَةُ ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) فَتَكُونُ كَالسَّفِينَةِ الْمُرْتَعَةِ فِي الْبَحْرِ تَضْرِبُهَا الْأَمْوَاجُ تَكْفًا بِأَهْلِهَا ، أَوْ كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ بِالْعَرْشِ تَرْجُهُ الْأَرْوَاحُ ، فَتَمِيدُ النَّاسَ عَلَى ظَهْرِهَا ، فَتَنْدُ هَلُ الْمَرَّاضِعُ ، وَتَضَعُ الْحَوَامِلُ ، وَتَشِيْبُ الْوِلْدَانَ ، وَتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً حَتَّى تَأْتِيَ الْأَقْطَارَ ، فَتَلْقَاهَا الْمَلَائِكَةُ ، فَتَضْرِبُ وَجُوهَهَا ، فَتَرْجِعُ وَيُوَلِّي النَّاسُ مُدْبِرِينَ ، يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ - يَوْمَ التَّنَادِ - يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ » .

فعلى هذا التأويل معنى الكلام : ويا قوم إني أخاف عليكم يوم ينادي الناس بعضهم بعضا من فزع نفخة الفزع . وقرأ ذلك آخرون : (يَوْمَ التَّنَادِ) بتشديد الدال ، بمعنى : التفاعل من الند ، وذلك إذا هربوا فندوا في الأرض ، كما تنيد الإبل : إذا شردت على أربابها .

ذكر من قال ذلك كذلك ، وذكر المعنى الذي قصد بقراءته ذلك كذلك

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاک بن مزاحم ، قال : إذا كان يوم القيامة ، أمر الله السماء الدنيا فتشققت بأهلها ، ونزل من فيها من الملائكة ، فأحاطوا بالأرض ومن عليها ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ، ثم السادسة ، ثم السابعة ، فصفوا صفا دون صف ، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبيه اليسرى جهنم ، فإذا رآها أهل الأرض ندوا فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا السبعة صفوف من الملائكة ، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه ، فذلك قول الله (إني أخاف عليكم يوم التناد . يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ) وذلك قوله (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا . وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) ، وقوله (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ

اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَوْقَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاَنْفُذُوا ، لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) ،
 وذلك قوله (وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ . وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) .
 حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (يَوْمَ التَّنَادِ) قال : تَنِدُونَ .
 ورؤي عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك (يَوْمَ التَّنَادِ) بإثبات الياء وتخفيف الدال .
 والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرآء الأمصار ، وهو تخفيف الدال وبغير إثبات الياء ،
 وذلك أن ذلك هو القراءة التي عليها الحجة مجمعة من قرآء الأمصار ، وغير جائز خلافها فيما جاءت به نقلا فإذا
 كان ذلك هو الصواب ، فعنى الكلام : ويا قوم إني أخاف عليكم يوم ينادى الناس بعضهم بعضا ، إما من
 هول ما قد عاينوا من عظيم سلطان الله ، وفضاعة ما غشيهم من كرب ذلك اليوم ، وإما لتذكير بعضهم بعضا
 لإنجاز الله إياهم الوعد الذي وعدهم في الدنيا ، واستغاثة من بعضهم ببعض ، مما لقي من عظيم البلاء فيه .
 وقوله (يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ) فتأويله على التأويل الذي ذكرنا من الخبر عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « يَوْمَ يُوَلُّوْنَ هَارِبِينَ فِي الْأَرْضِ حِدَارَ عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ عِنْدَ مُعَابِنَتِهِمْ جَهَتِّمْ »
 وتأويله على التأويل الذي قاله قتادة في معنى (يَوْمَ التَّنَادِ) يوم تولَّوْنَ مُنْصَرِّفِينَ عَنْ مَوْقِفِ
 الحساب إلى جهنم .

وبنحو ذلك روى الخبر عنه ، وعن قال نحو مقالته في معنى (يَوْمَ التَّنَادِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ) : أي منطلقا

بكم إلى النار .

وأولى القولين في ذلك بالصواب ، القول الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان
 الذي قاله قتادة في ذلك غير بعيد من الحق ، وبه قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ) قال : فارين
 غير معجزين .

وقوله (مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) يقول : مالكم من الله مانع يمنعكم ، وناصر ينصركم .
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) :

أي من ناصر .

وقوله (وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) يقول : ومن يخذله الله فلم يوفقه لرشده ، فإله من موفّق يوفقه له .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَآزَلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب يا قوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله . كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ) قال : قبل موسى .

وقوله (فَآزَلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ) يقول : فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم غير موقفي القلوب بحقيقته (حَتَّى إِذَا هَلَكَ) يقول : حتى إذا مات يوسف قلم أيها القوم : لن يبعث الله من بعد يوسف إليكم رسولا بالدعاء إلى الحق (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ) يقول : هكذا يصد الله عن إصابة الحق وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب ، شك في حقيقة أخبار رسله .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل المؤمن من آل فرعون : (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ) فقوله « الذين » مردود على « من » في قوله (مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) . وتأويل الكلام : كذلك يضل الله أهل الإسراف والغلو في ضلالهم بكفرهم بالله ، واجترأهم على معاصيه ، المرتابين في أخبار رسله ، الذين يخاصمون في حججه التي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحُجج بغير سلطان أتاهم ، يقول : بغير حجة أتتهم من عند ربهم يدفعون بها حقيقة الحُجج التي أتتهم بها الرسل ، و « الذين » إذا كان معنى الكلام ما ذكرنا في موضع نصب رداً على مَنْ .

وقوله (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ) يقول : كبر ذلك الجدال الذي يجادلونه في آيات الله مقتما عند الله ، (وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ، وإنما نصب قوله (مَقْتًا) لما في قوله (كَبُرَ) من ضمير الجدال ، وهو نظير قوله (كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنَ أَفْوَاهِهِمْ) فنصب كلمة من نصبها ، لأنه جعل في قوله (كَبُرَتْ) ضمير قولهم (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) ، وأما من لم يضم ذلك فإنه رفع الكلمة .

وقوله (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) يقول : كما طبع الله على قلوب

المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحد ، ويصدق رسله . جبار : يعنى متعظم عن اتباع الحق .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الأمصار « خلا أبي عمرو بن العلاء » على (كُـلُّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ) بإضافة القلب إلى المتكبر ، بمعنى الخبر عن أن الله طبع على قلوب المتكبرين كلها ؛ ومن كان ذلك قراءته ، كان قوله « جبار » من نعت « متكبر » . وقد روى عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك : (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) .

حدثني بذلك ابن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون أنه كذلك في حرف ابن مسعود ، وهذا الذى ذكر عن ابن مسعود من قراءته يحقق قراءة من قرأ ذلك بإضافة قلب إلى المتكبر ، لأن تقديم كل قبل القلب وتأخيرها بعده لا يغير المعنى ، بل معنى ذلك في الحالتين واحد . وقد حكى عن بعض العرب سماء : هو يرجل شعره يوم كل جمعة ، يعنى : كل يوم جمعة . وأما أبو عمرو فقرأ ذلك بتنوين القلب وترك إضافته إلى متكبر ، وجعل المتكبر والجبار من صفة القلب .

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بإضافة القلب إلى المتكبر ، لأن التكبر فعل الفاعل بقلبه ، كما أن القاتل إذا قتل قتيلا وإن كان قتله بيده ، فإن الفعل مضاف إليه ، وإنما القلب جارحة من جوارح المتكبر ، وإن كان بها التكبر ، فإن الفعل إلى فاعله مضاف ، نظير الذى قلنا فى القتل ، وذلك وإن كان كما قلنا ، فإن الأخرى غير مدفوعة ، لأن العرب لا تمنع أن تقول : بطشت يد فلان ، ورأت عيناه كذا ، وفهم قلبه ، فتضيف الأفعال إلى الجوارح ، وإن كانت فى الحقيقة لأصحابها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٦٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى
إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُرِينٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ
السَّيْلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لما وعظه المؤمن من آله بما وعظه به وزجره عن قتل موسى نبي الله وحذره من بأس الله على قلبه أقتله ما حذره لوزيره وزير السوء هامان (يا هامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الأسباب) يعنى بناء . وقد بينا معنى الصرح فيما مضى بشواهد بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (لعلى أبلغ الأسباب) اختلف أهل التأويل فى معنى الأسباب فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : أسباب السموات : طرقها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن هشام ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبي صالح (أسباب السموات) قال : طرق السموات .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أصباط ، عن السدي (أبلغ الأسباب أسباب السموات) قال : طرُق السموات :

وقال آخرون : عن أسباب السموات : أبواب السموات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا) وكان أول من بنى بهذا الآجر وطبخه (لعلى أبلغ الأسباب . أسباب السموات) : أي أبواب السموات .

وقال آخرون : بل عني به من ينزل السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات) قال : منزل السماء .

وقد بينا فيما مضى قبل ، أن السبب : هو كل ما تسبب به إلى الوصول إلى ما يطلب من جبل وسلم وطريق وغير ذلك .

❖ فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال : معناه لعلى أبلغ من أسباب السموات أسبابا أتسبب بها إلى رؤية إله موسى ، طرقا كانت تلك الأسباب منها ، أو أبوابا ، أو منازل ، أو غير ذلك .
وقوله (فأطلىع إلى إله موسى) اختلفت القراء في قراءة قوله (فأطلىع) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار (فأطلىع) بضم العين : ردا على قوله (أبلغ الأسباب) وعظفا به عليه . وذكر عن حميد الأعرج أنه قرأ (فأطلىع) نصبا جوابا للعلى ؛ وقد ذكر الفراء أن بعض العرب أنشده :

* عِلَّ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَوْ دَوْلَاتِهَا *

* يُدِلُّنَا اللَّمَّةَ مِنْ كَلِمَاتِهَا *

* فَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفَرَاتِهَا *

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز . قال الفراء في معاني القرآن (٢٨٨ مصورة الجامعة) وقوله « لعلى أبلغ الأسباب فأطلىع » بالرفع ، يرد على قوله « أبلغ » . ومن جعله جوابا « للعلى » نصبه . وقد قرأ به بعض القراء . قال : وأنشدني بعض العرب : « عل صروف الدهر . . . الأبيات » ، فنصب على الجواب بلعل . والرجز لم يعلم قائله . وعل : لغة في لعل . والدولات : جمع دولة في المال . وبالفتح في الحرب . وقيل هما واحد . ويدلنا : من الإدالة ، وهي الغلبة . واللمة ، بالفتح : الشدة . وهي مفعول ثان ليدلنا . والشاهد في « فتستريح » حيث نصب في جواب لعل ، الذي هو أداة الترجي . قاله الفراء . وهو الصحيح ، لثبوت ذلك في القرآن : « لعله يزكى أويذكر فتنتفه الذكري » . والزفرات جمع زفرة ، وهي المرة من الزفر ، وهو أن يملأ الرجل صدره هواء ، بالشهيق ، ثم يزفر به أي يخرج به ويرمى به ، وذلك عند الغم والحزن . والأصل : تحريك الفاء في الجمع ، على نحو سجدة ومسجدات . وسكن هنا للضرورة .

فَنصَّبَ فَتَسْرِيحَ عَلَىٰ أَنهَا جَوَابٌ لِلْعَلِّ .

والقراءة التي لأستجيز غيرها الرفع في ذلك ، لإجماع الحجة من القراء عليه .
وقوله (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا) بقول : وإني لأظنّ موسى كاذبا فيما يقول ويدّعى من أن له في السماء ربا أرسله إلينا .

وقوله (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ) يقول الله تعالى ذكره : وهكذا زين الله لفرعون حين عتا عليه وتمرد ، قبيح عمله ، حتى سولت له نفسه بلوغ أسباب السموات ، ليطلع إلى إله موسى .

وقوله (وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة :
(وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) بضم الصاد ، على وجه ما لم يُسمّ فاعله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) قال : فُعلِ ذلك به ، زين له سوء عمله ، وصُدَّ عن السبيل .

وقرأ ذلك حميد وأبو عمرو وعامة قراء البصرة (وَصَدَّ) بفتح الصاد ، بمعنى : وأعرض فرعون عن سبيل الله التي ابتعث بها موسى استكبارا .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب .

وقوله (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) يقول تعالى ذكره : وما احتيال فرعون الذي يحتمل للاطلاع إلى إله موسى ، إلا في خسار وذهاب مال وغبن ، لأنه ذهبت نفقته التي أنفقها على الصرح باطلا ، ولم ينل بما أنفق شيئا مما أراد ، فذلك هو الخسار والتباب .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) يقول : في خسران .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِي تَبَابٍ) قال : خسار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) : أي في ضلال وخسار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) قال : التباب والضلال واحد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٨﴾ يَلْقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ

الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن المؤمن بالله من آل فرعون (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ) من قوم فرعون لقومه : (يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) يقول : إن اتبعتموني فقبلتم مني ما أقول لكم ، بينت لكم طريق الصواب الذي ترشدون إذا أخذتم فيه وسلكتموه وذلك هو دين الله الذي ابتعث به موسى . يقول : (إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ) يقول لقومه : ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التي عجلت لكم في هذه الدار إلا متاع تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغوه ، ثم تموتون وتزول عنكم (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) يقول : وإن الدار الآخرة ، وهي دار القرار التي تستقرون فيها فلا تموتون ولا تزول عنكم ، يقول : فلها فاعملوا ، وإياها فاطلبوا .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) استقرت الجنة بأهلها ، واستقرت النار بأهلها .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٠﴾

يقول : من عمل بمعصية الله في هذه الحياة الدنيا ، فلا يجزيه الله في الآخرة إلا سيئة مثلها ، وذلك أن يعاقبه بها ؛ (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ) يقول : ومن عمل بطاعة الله في الدنيا ؛ وأتمر لأمره ؛ وانتهى فيها عما نهاه عنه من رجل أو امرأة ، وهو مؤمن بالله (فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) يقول : فالذين يعملون ذلك من عباد الله يدخلون في الآخرة الجنة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا) أي شركا ، السيئة عند قتادة شرك (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا) ؛ أي خيرا (مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

وقوله (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقول : يرزقهم الله في الجنة من ثمارها ، وما فيها من نعيمها ولذاتها بغير حساب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) قال : لا والله ما هناكم مكيال ولا ميزان .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقَوْمٍ مَّا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّارِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَّا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَضَّارِ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة (مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ) من عذاب الله وعقوبته بالإيمان به ، واتباع رسوله موسى ، وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه (وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) يقول : وتدعونني إلى عمل أهل النار . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قوله (مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ) قال : الإيمان بالله . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) قال هذا مؤمن آل فرعون ، قال : يدعونه إلى دينهم والإقامة معهم . وقوله (تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ ، وَأُشْرِكَ بِهِ مَّا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ) يقول : وأشرك بالله في عبادته أو ثانا ، لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة الله ، لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل .

وقوله (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَضَّارِ) يقول : وأنا أدعوكم إلى عبادة العزيز في انتقامه ممن كفر به ، الذي لا يمنعه إذا انتقم من عدوه شيء ، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته إياه ، لعفوه عنه ، فلا يضره شيء مع عفوه عنه ، يقول : فهذا الذي هذه الصفة صفته فاعبدوا ، لا ما لا ضرر عنده ولا نفع .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾

يقول : حقا أن الذي تدعونني إليه من الأوثان ، ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة ، لأنه جماد لا ينطق ، ولا يفهم شيئا

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا) قال : الوثن ليس بشيء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ) : أي لا ينفع ولا يضر .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ)^١ .

وقوله (وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ) يقول : وأن مرجعنا ومنقلبنا بعد مماتنا إلى الله (وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) يقول : وأن المشركين بالله المتعدّين حدوده ، القتلّة النفوس التي حرّم الله قتلها ، هم أصحاب نار جهنم عند مرجعنا إلى الله .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في معنى المسرفين في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هم سفاكو الدماء بغير حقها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) قال : السفاكون الدماء بغير حقها .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قول الله (وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) قال : هم السفاكون الدماء بغير حقها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ) قال : السفاكون الدماء بغير حقها ، هم أصحاب النار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) قال : ساهم الله مسرفين ، فرعون ومن معه .

وقال آخرون : هم المشركون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) : أي المشركون . وقد بينّا معنى الإسراف فيما مضى قبّل بما فيه الكفاية من إعادته في هذا الموضع .

(١) سقط التفسير من قلم الناسخ ، والذي في ابن كثير عنه : « لا يجيب داعيه ، لا في الدنيا ولا في الآخرة » . اهـ .

﴿٤٥﴾ وإنما اخترنا في تأويل ذلك في هذا الموضع ما اخترنا ، لأن قائل هذا القول لفرعون وقومه ، إنما قصد فرعون به لكفره ، وما كان همّ به من قتل موسى ، وكان فرعون عالياً عاتياً في كفره بالله سفاكاً للدماء التي كان مجرماً عليه سفكها ، وكلّ ذلك من الإسراف ، فلذلك اخترنا ما اخترنا من التأويل في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفِوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٥﴾ فَوَقَلَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِكَ مَا مَكَرُوا وَحَاقَّ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾

﴿٤٥﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه : فستذكرون أيها القوم إذا عاينتم عقاب الله قد حلّ بكم ، ولقيتم ما لقيتموه صدق ما أقول ، وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ) ، فقلت له : أو ذلك في الآخرة ؟ قال : نعم .
وقوله (وَأَفِوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) يقول : وأسلم أمري إلى الله ، وأجعله إليه وأتوكل عليه ، فإنه الكافي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَأَفِوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ) قال : أجعل أمري إلى الله .

وقوله (إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) يقول : إن الله عالم بأموال عباده ، ومن المطيع منهم ، والعاصي له ، والمستحق جميل الثواب ، والمستوجب سببي العقاب .

وقوله (فَوَقَلَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِكَ مَا مَكَرُوا) يقول تعالى ذكره : فدفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون بإيمانه وتصديقه رسوله موسى ، مكروه ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء ، فنجاه منه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَيِّئَاتِكَ مَا مَكَرُوا) قال : وكان قبطياً من قوم فرعون ، فنجا مع موسى ، قال : وذكر لنا أنه بين يدي موسى يومئذ يسير ويقول : أين أمرت يا نبيّ الله ؟ فيقول : أمامك ، فيقول له المؤمن : وهل أمامي إلا البحر ؟ فيقول موسى : لا والله

ما كذبتُ ولا كُذبتُ ، ثم يسير ساعة ويقول : أين أمرت يا نبي الله ؟ فيقول : أمامك ، فيقول : وهل أمامي إلا البحر ؟ فيقول : لا والله ما كذبت ، ولا كذبت ، حتى أتى على البحر فضربه بعصاه ، فانفلق اثني عشر طريقاً ، لكل سبط طريق .

وقوله (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) يقول : وحل بال فرعون ووجب عليهم ، وعنى بال فرعون في هذا الموضع تباعه وأهل طاعته من قومه .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قول الله : (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) قال : قوم فرعون .

وعنى بقوله (سُوءُ الْعَذَابِ) : ما ساءهم من عذاب الله ، وذلك نار جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ

العذاب ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره مبيناً عن سوء العذاب الذي حلَّ بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) إنهم لما هلكوا وغرقهم الله ، جعلت أرواحهم في أجواف طير سود ، فهي تعرض على النار كل يوم مرتين (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) إلى أن تقوم الساعة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي قيس ، عن الهذيل بن شرحبيل ، قال : أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو وتروح على النار ، وذلك عرضها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : بلغني أن أرواح قوم فرعون في أجواف طير سود تعرض على النار غدوًّا وعشيًّا ، حتى تقوم الساعة .

حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير ، قال : ثنا حماد بن محمد الفزاري البليخي ، قال : سمعت الأوزاعي

وسأله رجل فقال : رحمك الله ، رأينا طيوراً تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضا ، فوجاً فوجاً ، لا يعلم عددها إلا الله ، فإذا كان العشي رجعت مثلها سوداً ، قال : وفطنتم إلى ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : إن تلك

الطيور في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا ، فترجع إلى وكورها وقد احترقت ريشها ، وصارت سوداء ، فتنبت عليها من الليل ريش بيض ، وتتناثر السود ، ثم تغدو ، ويعرضون على

النار غدوًّا وعشيًّا ، ثم ترجع إلى وكورها ، فذلك دأبها في الدنيا ؛ فإذا كان يوم القيامة ، قال الله : (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) قالوا : وكانوا يقولون : إنهم ست مئة ألف مقاتل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى حرمة ، عن سليمان بن حميد ، قال : سمعت محمد ابن كعب القرظي يقول : ليس في الآخرة ليل ولا نصف هار ، وإنما هو بكرة وعشي ، وذلك في القرآن

في آل فرعون (يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) وكذلك قال لأهل الجنة (لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) .

وقيل : عنى بذلك : أنهم يعرضون على منازلهم في النار تعذيباً لهم غدواً وعشيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا)
قال : يُعْرَضُونَ عليها صباحاً ومساءً ، يقال لهم : يا آل فرعون هذه منازلكم ، توبيخاً ونقمة وصغاراً لهم .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) قال : ما كانت الدنيا .
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أن آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا .
وجائز أن يكون ذلك العرض على النار على نحو ما ذكرناه عن الهذيل ومن قال مثل قوله ، وأن يكون كما قال
قتادة ، ولا خبر يوجب الحجة بأن ذلك المعنى به ، فلا في ذلك إلا ما دلّ عليه ظاهر القرآن ، وهو أنهم
يعرضون على النار غدواً وعشيا ، وأصل الغدو والعشي مصادر جعلت أوقاتاً .

وكان بعض نحوي البصرة يقول في ذلك : إنما هو مصدر ، كما تقول : أتيتك ظلاماً جعله ظرفاً وهو مصدر
قال : ولو قلت : موعدك غدوة ، أو موعدك ظلام فرفعتك ، كما تقول : موعدك يوم الجمعة لم يحسن ،
لأن هذه المصادر وما أشبهها من نحو سحر لا تجعل إلا ظرفاً ، قال : والظرف كله ليس بمتمكن ، وقال
نحويو الكوفة : لم يسمع في هذه الأوقات ، وإن كانت مصادر إلا التعريب ، موعدك يوم موعدك صباح
ورواح ، كما قال جل ثناؤه (غُدُوًّا وَرَوْحًا شَهْرًا) فرفع ، وذكروا أنهم سمعوا : إنما الطيلسان
شهران ١ ، قالوا : ولم يسمع في الأوقات النكرات إلا الرفع لإقوالهم : إنما سناؤك أحياناً ، وقالوا : إنما
جاز ذلك لأنه بمعنى : إنما سناؤك الحين بعد الحين ، فلما كان تأويله الإضافة نصب .

وقوله (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) اختلفت القراء في قراءة ذلك
فقراءته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم وأبي عمرو (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ)
بفتح الألف من أدخلوا في الوصل . والقطع بمعنى : الأمر بإدخالهم النار . وإذا قرئ ذلك كذلك ، كان
الآل نصبا بوقوع أدخلوا عليه . وقرأ ذلك عاصم وأبو عمرو (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا) يوصل
الألف وسقوطها في الوصل من اللفظ ، وبضمها إذا ابتدئ بعد الوقف على الساعة . ومن قرأ ذلك كذلك ،
كان الآل على قراءته نصبا بالنداء ، لأن معنى الكلام على قراءته : ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب .

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال إنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة
منهما جماعة من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . فعنى الكلام إذن : ويوم تقوم الساعة يقال لآل فرعون
ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب ، فهذا على قراءة من وصل الألف من أدخلوا ولم يقطع ، ومعناه على
القراءة الأخرى ، ويوم تقوم الساعة يقول الله للملائكته (أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) .

(١) الطيلسان: شيء كان يضعه العلماء والكبراء حول أعناقهم وعلى أكتافهم اتقاء البرد . يريد أن مدة لبس الطيلسان شهران .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ
أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ
حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى
الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ) ، (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ) يقول : وإذ يتخاصمون في النار . وعنى بذلك : إذ
يتخاصم الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنذارهم من مشركي قومه في النار ، فيقول الضعفاء منهم
وهم المتبعون على الشرك بالله (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) تقول لرؤسائهم الذين اتبعوهم على الضلالة : إنا كنا
لكم في الدنيا تبعاً على الكفر بالله (قَهْلًا أَنْتُمْ مُعْتَبُونَ) اليوم (عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ) يعنون حظاً فتخففوه
عنا ، فقد كنا نسارع في محبتكم في الدنيا ، ومن قبلكم أتينا ، لولا أنتم لكنا في الدنيا مؤمنين ، فلم يصبنا اليوم
هذا البلاء والتبع يكون واحداً وجماعة في قول بعض نحويي البصرة ، وفي قول بعض نحويي الكوفة جمع لا واحد
له ، لأنه كالمصدر . قال : وإن شئت كان واحده تابع ، فيكون مثل خائل وخول ، وغائب وغيب .

والصواب من القول في ذلك عندي أنه جمع واحده تابع ، وقد يجوز أن يكون واحداً فيكون جمعه أتباع
فأجابهم المتبعون بما أخبر الله عنهم ، قال الذين استكبروا ، وهم الرؤساء المتبعون على الضلالة في الدنيا :
إنا أيها القوم وأنتم كلنا في هذه النار مخلدون ، لا خلاص لنا منها (إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ)
بفصل قضائه ، فأسكن أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون ، ولا هم
مما فيه من النعيم منتقلون ، ورفع قوله (كُلٌّ) بقوله (فِيهَا) ولم ينصب على النعت .

وقد اختلف في جواز النصب في ذلك في الكلام . وكان بعض نحويي البصرة يقول : إذا لم يصف كل
لم يجز الاتباع . وكان بعض نحويي الكوفة يقول : ذلك جائز في الحذف وغير الحذف ، لأن أسماءها إذا
حذفت اكتفي بها منها . وقد بينا الصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِهِمْ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾
قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : وقال أهل جهنم لخزنتها وقوامها ، استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء ،

ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجا (ادْعُوا رَبَّكُمْ) لَنَا (يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا) واحدا ، يعني قدر يوم واحد من أيام الدنيا (مِنَ الْعَذَابِ) الذي نحن فيه . وإنما قلنا : معنى ذلك : قدر يوم من أيام الدنيا ، لأن الآخرة يوم لاليل فيه ، فيقال : خفف عنهم يوما واحدا .

وقوله (قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلِكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) يقول تعالى ذكره : قالت خزنة جهنم لهم : أو لم تك تأتكم في الدنيا رسلكم بالبينات من الحجج على توحيد الله ، فتوحدوه وتؤمنوا به ، وتبرءوا مما دونه من الآلهة ؟ قالوا : بلى ، قد أتتنا رسلنا بذلك .

وقوله (قَالُوا فَادْعُوا) يقول جل ثناؤه : قالت الخزنة لهم : فادعوا إذن ربكم الذي أتكم الرسل بالدعاء إلى الإيمان به .

وقوله (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) يقول : قد دعوا وما دعاؤهم إلا في ضلال ، لأنه دعاء لا ينفعهم ، ولا يستجاب لهم ، بل يقال لهم : (اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿١٠١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾

يقول القائل : وما معنى : (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه ، ومثّلوا به ، كشعيا ويحيى بن زكريا وأشباههما . ومنهم من همّ بقتله قومه ، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقهم ناجيا بنفسه ، كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقا لقومه ، وعيسى الذي رفع إلى السماء إذ أراد قومه قتله ، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله ، والمؤمنين به في الحياة الدنيا ، وهؤلاء أنبياءه قد نالهم من قومهم ما قد علمت ، وما نصرنا على من نالهم بما نالهم به ؟ قيل : إن لقوله (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وجهين كلاهما صحيح معناه . أحدهما أن يكون معناه : إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا إما بإعلائناهم على من كذبنا وإظهارنا بهم ، حتى يقهروهم غلبة ، ويدلوهم بالظفر ذلة ، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان ، فأعطائنا من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر ، كالذي فعل بمحمد صلى الله عليه وسلم بإظهاره على من كذب به من قومه ، وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم ، كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه ، من تغريق قومه وإنجائه منهم ، كالذي فعل بموسى وفرعون وقومه ، إذ أهلكهم غرقا ، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك ، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم ، كالذي فعلنا من نصرتنا شعيا بعد مهلكه ، بتسليطنا على قتلته من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته ، وكفعلنا بقتله يحيى ، من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به من قتلته له وكان نصرنا

لعيسى من مريدى قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم ، فهذا أحد وجهيه . وقد كان بعض أهل التأويل بوجه معنى ذلك إلى هذا الوجه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى قول الله (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون ، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوما فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم . والوجه الآخر : أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين ، والمراد واحد ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : إنا لننصر رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، كما بينا فيما مضى أن العرب تخرج الخبر بلفظ الجميع ، والمراد واحد إذا لم تنصب للخبر شخصا بعينه .

واختلفت القراء في قراءة قوله (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة (وَيَوْمَ يَقُومُ) بالياء . وينفع أيضا بالياء ، وقرأ ذلك بعض أهل مكة وبعض قراء البصرة : (تَقُومُ) بالتاء ، و (تَنْفَعُ) بالتاء .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

وقد بينا فيما مضى أن العرب تذكر فعل جمع الرجل وتؤنث إذا تقدم بما أغنى عن إعادته . وعنى بقوله (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم ، وأن الأمم كذبتهم . والأشهاد : جمع شهيد ، كما الأشراف : جمع شريف . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) من ملائكة الله وأنبيائه ، والمؤمنين به .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، في قول الله (وَيَوْمَ

يَقُومُ الْأَشْهَادُ) قال الملائكة .

وقوله (لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ) يقول تعالى ذكره : ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم

لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل ، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا ، وتابع عليهم الحسب فيها

فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا (وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا بِمُشْرِكِينَ) .

وقوله (وَلَهُمْ الْعَذَابُ) يقول : وللظالمين اللعنة ، وهي البعد من رحمة الله (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)

يقول : ولهم مع اللعنة من الله شر ما في الدار الآخرة ، وهو العذاب الأليم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ۗ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ فَأَصْبِرْ إِنَّا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ۗ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۗ

✽ يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى) البيان للحق الذي بعثناه به كما آتينا ذلك محمدا فكذب به فرعون وقومه ، كما كذبت قريش محمدا (وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ) يقول : وأورثنا بني إسرائيل التوراة ، فعلمناهموها ، وأنزلناها إليهم (هُدًى) يعني بيانا لأمر دينهم ، وما ألزمتناهم من فرائضها ، (وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) يقول : وتذكيرا منا لأهل الحجج والعقول منهم بها .

وقوله (فَأَصْبِرْ إِنَّا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاصبر يا محمد لأمر ربك ، وانفذ لما أرسلك به من الرسالة ، وبلغ قومك ومن أمرت بإبلاغه ما أنزل إليك ، وأيقن بحقيقة وعد الله الذي وعدك من نصرتك ، ونصرة من صدقتك وآمن بك ، على من كذبك ، وأنكر ماجئته به من عند ربك ، إن وعد الله حق لا خلف له وهو منجز له (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) يقول : وسله غفران ذنوبك وعفوه لك عنه (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول : وصل بالشكر منك لربك (بِالْعِشِيِّ) وذلك من زوال الشمس إلى الليل (وَالْإِبْكَارِ) وذلك من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس . وقد وجه قوم الإبكار إلى أنه من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى ، وخروج وقت الضحى ، والمعروف عند العرب القول الأول .

واختلف أهل العربية في وجه عطف الإبكار والباء غير حسن دخولها فيه على العشي ، والباء تحسن فيه فقال بعض نحوي البصرة : معنى ذلك : وسبح بحمد ربك بالعشي وفي الإبكار . وقال : قد يقال : بالدار زيد ، يراد : في الدار زيد . وقال غيره : إنما قيل ذلك كذلك ، لأن معنى الكلام : صل بالحمد بهذين الوقتين وفي هذين الوقتين ، فإدخال الباء وفي واحد فيهما .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۗ

✽ يقول تعالى ذكره : إن الذين يخاصمونك يا محمد فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات بغير سلطان آتاهم : يقول : بغير حجة جاءتهم من عند الله بمخاصمتك فيها (إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ) يقول : ما في صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك ، وقبول الحق الذي أتيتهم به حسدا منهم على الفضل الذي آتاك الله ، والكرامة التي أكرمك بها من النبوة (مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ) يقول : الذي حسدوك عليه أمر

ليسوا بمُدرِكِهِ ولا نائِلِيهِ ، لأن ذلك فضل الله يؤتِيهِ من يشاء ، وليس بالأمر الذي يدرك بالأمانِي ، وقد قيل : إن معناه : إن في صدورهم إلا عظمة ما هم ببالغِي تَأْكُ العظمة لأن الله مذلُّهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (**إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبِيرًا**) قال : عظمة . وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ**) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ**) لم يأتهم بذلك سلطان . وقوله (**فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) يقول تعالى ذكره : فاستعجِر بالله يا محمد من شر هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ، ومن الكبر أن يعرض في قلبك منه شيء (**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**) يقول : إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول البصير بما تعمله جوارحهم ، لا يخفى عليه شيء من ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : لا ابتداع السموات والأرض وإنشاؤها من غير شيء أعظم أيها الناس عندكم إن كنتم مستعظمي خلق الناس ، وإنشأهم من غير شيء من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هين على الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

وما يستوى الأعمى الذي لا يبصر شيئا ، وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينه ، فيتدبرها ويعتبر بها ، فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء من شيء ، ويؤمن به ويصدق . والبصير الذي يرى بعينه ما شخص لهما ويبصره ، وذلك مثل المؤمن الذي يرى بعينه حجج الله ، فيتفكر فيها ويتعظ ، ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه ، وعظيم سلطانه وقدرته على خلق ما يشاء ، يقول جل ثناؤه : كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن . (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**) يقول جل ثناؤه : ولا يستوى أيضا كذلك المؤمنون بالله ورسوله ، المطيعون لربهم ، ولا المسيء ، وهو الكافر بربه ، العاصي له ،

المخالف أمره (قليلاً ما تتذكرون) يقول جل ثناؤه : قليلاً ما تتذكرون أيها الناس حجج الله ، فتعتبرون وتتعضون ، يقول : او تذكروا آياته واعتبرتم ، لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون من إنكاركم قدرة الله على إحيائه من فنى من خلقه من بعد الفناء ، وإعادتهم لحياتهم من بعد وفاتهم ، وعلمتم قبح شرككم من تشركون في عبادة ربكم .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (تتذكرون) فقراءت ذلك عامة قرأه المدينة والبصرة (يتذكرون) بالياء على وجه الخبر . وقرأته عامة قرأه الكوفة (تتذكرون) بالياء على وجه الخطاب ، والقول في ذلك أن القراءة بهما صواب .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهَا لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره : إن الساعة التي يحجي الله فيها الموتى للثواب والعقاب بلحائية أيها الناس لاشك في مجيئها ، يقول : فأيقنوا بمجيئها ، وأنكم مبعوثون من بعد مماتكم ، ومجازون بأعمالكم ، فتوبوا إلى ربكم (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يقول : ولكن أكثر قريش لا يصدقون بمجيئها .

وقوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) يقول تعالى ذكره : ويقول ربكم أيها الناس لكم ادعوني : يقول : اعبدوني وأخلصوا إلى العبادة دون من تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك (أستجب لكم) يقول : أستجب دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ادعوني أستجب لكم) يقول : وحدثني أغفر لكم .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، عن الأعمش ، عن زر ، عن يسيع الحضرمي ، عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدعاء هو العبادة » . وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) إن الذين يستكبرون عن عبادتي .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، والأعمش عن زر ، عن يسيع الحضرمي ، عن النعمان بن بشير ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الدعاء هو العبادة » ، وقال ربكم ادعوني أستجب لكم . . . الآية .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن زر ، عن يسيع

قال أبو موسى : هكذا قال غُندَر ، عن سعيد ، عن منصور ، عن زرّ ، عن يسيع ، عن النعمان بن بشير قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ ، وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن زرّ ، عن يسيع عن النعمان بن بشير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا يوسف بن العرف الباهلي ، عن الحسن بن أبي جعفر ، عن محمد بن جحادة ، عن يسيع الحضرمي ، عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ عِبَادَتِي دُعَائِي ، ثُمَّ تَلَاهُ الْآيَةَ (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) قَالَ : عَنْ دُعَائِي . »

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا عمارة ، عن ثابت ، قال : قلت لأنس : يا أبا حمزة أبلغك أن الدعاء نصف العبادة ؟ قال : لا ، بل هو العبادة كلها .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أخبرنا منصور ، عن زرّ ، عن يسيع الحضرمي ، عن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) » . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن الأشجعي ، قال : قيل لسفيان : ادع الله قال : إن ترك الذنوب هو الدعاء .

وقوله (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) يقول : إن الذين يتعظمون عن إفرادي بالعبادة ، وإفراد الألوهة لي (سَيِّدُ خَلْقٍ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) بمعنى : صاغرين . وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الدخر بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقد قيل : إن معنى قوله (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) : إن الذين يستكبرون عن دعائي . ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) قال : عن دعائي .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (دَاخِرِينَ) قال : صاغرين .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : الله الذي لا تصلح الألوهة إلا له ، ولا تنبغي العبادة لغيره ، الذي صفته أنه جعل

لكم أيها الناس الليل سكننا لتسكنوا فيه ، فتهدهوا من التصرف والاضطراب للمعاش ، والأسباب التي كنتم تتصرفون فيها في نهاركم (والنهار مُبْصِرًا) يقول : وجعل النهار مبصرًا من اضطرب فيه لمعاشه ، وطلب حاجاته ، نعمة منه بذلك عليكم (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) يقول : إن الله لمتفضل عليكم أيها الناس بما لا كفاء له من الفضل (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) يقول : ولكن أكثرهم لا يشكرونه بالطاعة له ، وإخلاص الألوهة والعبادة له ، ولا يد تقدمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى ذكره : الذي فعل هذه الأفعال ، وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس ، الله مالكم ومصالح أموركم ، وهو خالقكم وخالق كل شيء (لِإِلَهٍ إِلَّا هُوَ) يقول : لا معبود تصلح له العبادة غيره ، (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) يقول : فأى وجه تأخذون ، وإلى أين تذهبون عنه ، فتعبدون سواه ؟ وقوله (كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) يقول : كذها بكم عنه أيها القوم ، وانصرفكم عن الحق إلى الباطل ، والرشد إلى الضلال ، ذهب عنه الذين كانوا من قبلكم من الأئم بآيات الله يعني : بحجج الله وأدلته يكذبون فلا يؤمنون ؛ يقول : فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم ، وركبتم محجتهم في الضلال .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾

يقول تعالى ذكره : (الله) الذي له الألوهة خالصة أيها الناس (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ) التي أنتم على ظهرها سكان (قَرَارًا) تستقرون عليها ، وتسكنون فوقها ، (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) : بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم ، وقوام دنياكم إلى بلوغ آجالكم (وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ) يقول : وخلقكم فأحسن خلقكم (وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) يقول : ورزقكم من حلال الرزق ، ولذيذات المطاعم والمشارب . وقوله (ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ) يقول تعالى ذكره : فالذي فعل هذه الأفعال ، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم ، هو الله الذي لا تنبغي الألوهة إلا له ، وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره ، لا الذي لا ينفع ولا يضر ، ولا يخلق ولا يرزق (فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) يقول : فتبارك الله مالك جميع

الخلق جنهم وإنسهم ، وسائر أجناس الخلق غيرهم (هُوَ الْحَيُّ) يقول : هو الحي الذي لا يموت ، الدائم الحياة ، وكل شيء سواه فنقطع الحياة غير دائمها (لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ) يقول : لا معبود بحق تجوز عبادته ، وتصلح الألوهة له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته ، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين ، مخلصين له الطاعة ، مفردين له الألوهة ، لا تشركوا في عبادته شيئا سواه ، من وثن وصنم ، ولا تجعلوا له نداً ولا عدلاً (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : الشكر لله الذي هو مالك جميع أجناس الخلق ، من ملك وجن وإنس وغيرهم ، لا للآلهة والأوثان التي لا تملك شيئاً ، ولا تقدر على ضر ولا نفع ، بل هو مملوك ، إن ناله نائل بسوء لم يظهر له عن نفسه دفعا .

وكان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال لا إله إلا الله أن يتبع ذلك (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) تأولا منهم هذه الآية ، بأنها أمر من الله بقيل ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبي ، قال : أخبرنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : « من قال لا إله إلا الله ، فليقل على إثرها : الحمد لله رب العالمين ، فذلك قوله (فادعوه مخلصين له الدين . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) » .

حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبير ، قال : « إذا قال أحدكم : لا إله إلا الله وحده لا شريك له فليقل : الحمد لله رب العالمين ، ثم قال (فادعوه مخلصين له الدين . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

حدثني محمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جبير أنه كان يستحب إذا قال : لا إله إلا الله يتبعها الحمد لله ، ثم قرأ هذه الآية (هُوَ الْحَيُّ لِإِلَهِ إِلَّا هُوَ فادعوه مخلصين له الدين . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، عن سعيد بن جبير ، قال : إذا قال أحدكم لا إله إلا الله وحده ، فليقل بأثرها : الحمد لله رب العالمين ، ثم قرأ (فادعوه مخلصين له الدين . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قومك من قريش (إِنِّي نُهَيْتُ) أيها القوم (أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الآلهة والأوثان (لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ)

(١) كذا في التقريب والتهديب . وفي الخلاصة : عبد الحميد بن بيان الشكري ، أبو الحسن العطار الواسطي توفي سنة ٢٤٤ هـ .

مِنْ رَبِّي) يقول : لما جاءني الآيات الواضحات من عند ربي ، وذلك آيات كتاب الله الذي أنزله (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) يقول : وأمرني ربي أن أذل لرب كل شيء ، ومالك كل خلق بالخضوع ، وأنضع له بالطاعة دون غيره من الأشياء .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيََكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوْتَوِّي مِنْ قَبْلُ وَلِيَتَّبِعُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره أمرا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتنبية مشركي قومه على حججه عليهم في وحدانيته قل يا محمد لقومك : أمرت أن أسلم لرب العالمين الذي صفته هذه الصفات ، وهي أنه خلق أباكم آدم (من تراب ، ثم) خلقكم (من نطفة ، ثم من علقة) بعد أن كنتم نطفة (ثم يخرجكم طفلا) من بطون أمهاتكم صغارا ، (ثم لتبلغوا أشدكم) ، فتكامل قواكم ، ويتناهى شبابكم ، وتمام خلقكم شيوخا (ومنكم من يتوفى من قبل) أن يبلغ الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) يقول : ولتبلغوا ميقاتا مؤقتا لحياتكم ، وأجلا محدودا لا يتجاوزونه ، ولا تتعلمون قبله (ولعلكم تعقلون) يقول : وكى تعقلوا حجج الله عليكم بذلك ، وتدبروا آياته فتعرفوا بها أنه لا إله غيره فعل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٧٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد (هو الذي يحيي ويميت) يقول قل لهم : ومن صفته جل ثناؤه أنه هو الذي يحيي من يشاء بعد مماته ، ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته (وإذا قضى أمرا) يقول : وإذا قضى كون أمر من الأمور التي يريد تكرينها (فلأنما يقول له كُن) يعني للذي يريد تكوينه كُن ، فيكون ما أراد تكوينه موجودا بغير معاناة ، ولا كلفة مؤنة .

وقوله (ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد هؤلاء المشركين من قومك ، الذين يخاضمونك في حجج الله وآياته (أنى يصرفون) يقول : أى وجه يصرفون عن الحق ، ويعدلون عن الرشد .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أنى يصرفون) : أنى يكذبون ويعدلون . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أنى يصرفون) قال :

يُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ .

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه الآية ، فقال بعضهم : عنى بها أهل القدر .
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن محمد بن سيرين ، قال : إن لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية ، فإني لأدرى فيمن نزلت : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِي يُضَرِّفُونَ) إلى قوله (لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ) .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن ابن سيرين ، قال : إن لم يكن أهل القدر الذين يخوضون في آيات الله فلا علم لنا به .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مالك بن أبي الخير الزياتي ، عن أبي قبيل ، قال : أخبرني عقبة بن عامر الجهني ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَسِيهِلِكَ مِنْ أُمَّتِي أَهْلُ الْكِتَابِ ، وَأَهْلُ اللَّيْنِ ، فَقَالَ عَقْبَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا أَهْلُ الْكِتَابِ ؟ قَالَ : قَوْمٌ يَتَعَلَّمُونَ كِتَابَ اللَّهِ يُجَادِلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا ، فَقَالَ عَقْبَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا أَهْلُ اللَّيْنِ ؟ قَالَ : قَوْمٌ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ، وَيُضَيِّعُونَ الصَّلَوَاتِ » . قال أبو قبيل : لأحسب المكذبين بالقدر إلا الذين يجادلون الذين آمنوا ، وأما أهل اللين ، فلا أحسبهم إلا أهل العمودا ليس عليهم إمام جماعة ، ولا يعرفون شهر رمضان . وقال آخرون : بل عنى به أهل الشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِي يُضَرِّفُونَ) قال : هؤلاء المشركون .
والصواب من القول في ذلك ما قاله ابن زيد ، وقد بين الله حقيقة ذلك بقوله (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلَنَا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ
وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧٧﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ قَبِيلٌ لَهُمْ أَهْنٌ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾
مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٨٠﴾

(١) كذا في الأصل ، ولم أجد معنى للعمود في النهاية لابن الأثير ، ولعله محرف عن (العمود) بضم العين ، جمع عمود ، بفتح فسكون وبضمين ، وهو ضرب من النخيل ، وهو الحسوق الطويل . يريد أصحاب هذه النخل الملازمين لها ، يجادلون في الدين ، بلا علم ولا فقه .

يقول تعالى ذكره : ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بكتاب الله ، وهذا القرآن ، والذين الثانية في موضع خفض رداً لها على الذين الأولى على وجه النعت (وبما أرسلنا به رسالتنا) يقول : وكذبوا أيضاً مع تكذيبهم بكتاب الله بما أرسلنا به رسولنا من إخلص العبادة لله ، والبراءة مما يعبدونه من الآلهة والأنداد ، والإقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب .

وقوله (فَسَوْفَ يَصْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالِ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلِ) ، وهذا تهديد من الله المشركين به ، يقول جل ثناؤه : فسوف يعلم هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله ، المكذبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به يا محمد ، وصحة ما هم به اليوم مكذبون من هذا الكتاب ، حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم ، وقرأت قراءة الأمصار والسلاسل برفعها عطفاً بها على الأغلال على المعنى الذى بينت . وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه (وَالسَّلَاسِلِ يُسْحَبُونَ) بنصب السلاسل في الحميم . وقد حكى أيضاً عنه أنه كان يقول : إنما هو وهم في السلاسل يسحبون ، ولا يجيز أهل العلم بالعربية خفض الاسم والخافض مضمراً . وكان بعضهم يقول في ذلك : لو أن متوهماً قال : إنما المعنى : إذ أعناقهم في الأغلال والسلاسل يسحبون ، جاز الخفض في السلاسل على هذا المذهب ، وقال مثله : مما رددت إلى المعنى قول الشاعر :

قَدْ سَأَلَمَ الْحَيَاتُ مِنْهُ الْقَدَمَا
الْأَفْعُوَانَ وَالشُّجَاعَ الْأَرْقَمَا

فنصب الشجاع والحيات قبل ذلك مرفوعة ، لأن المعنى : قد سألت رجله الحيات وسألتها ، فلما احتاج إلى نصب القافية ، جعل الفعل من القدم واقعا على الحيات .

والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قراء الأمصار ، لإجماع الحججة عليه ، وهو رفع السلاسل عطفاً بها على ما في قوله (فِي أَعْنَاقِهِمْ) من ذكر الأغلال .

وقوله (يُسْحَبُونَ) يقول : يسحب هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا بالكتاب زبانية العذاب يوم القيامة

في الحميم ، وهو ما قد انتهى حره ، وبلغ غايته .
وقوله (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) يقول : ثم في نار جهنم يحرقون ، يقول : تسجر بها جهنم : أى

توقد بهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يُسْجَرُونَ) قال : يوقد بهم النار .

(١) البيتان من مشطور الرجز (اللسان : شجع) . قال الشجاع : الحية ، وفى الحديث : « يحمى كثر أهدم يوم القيامة شجاعاً أقرع » .

وأشد الأحر : « قد سالم الحيات البيهقي » . نصب الشجاع والأفعوان بمعنى الكلام ، لأن الحيات إذا سألت القدم ، فقه سالمها

القدم ، فكانه قال : سالم القدم الحيات ؛ ثم جعل الأفعوان بدلا منها . أ . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة « ٢٨٩ ») نصب الشجاع

والحيات قبل ذلك مرفوعة ، لأن المعنى قد سألت رجله الحيات وسألتها . فلما احتاج إلى نصب القافية ، جعل الفعل من القدم واقعا على

الحيات . أ .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (**ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**) قال : يحرقون في النار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (**ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**) قال : يسجرون في النار : يوقد عليهم فيها .

وقوله (**ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيُّهَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**) يقول : ثم قيل : أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم إياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيثوكم فينقلبوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب فإن المعبود يغيث من عبده وخدمه ، وإنما يقال هذا لهم توبيخا وتقريعا على ما كان منهم في الدنيا من الكفر بالله وطاعة الشيطان ؛ فأجاب المساكين عند ذلك فقالوا : ضلوا عنا : يقول : عدلوا عنا ، فأخذوا غير طريقنا ، وتركونا في هذا البلاء ، بل ما ضلوا عنا ، ولكننا لم نكن ندعو من قبل في الدنيا شيئا : أي لم نكن نعبد شيئا ، يقول الله تعالى ذكره (**كَمَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ**) يقول : كما أضل هؤلاء الذين ضل عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله من الآلهة والأوثان آلهتهم وأوثانهم ، كذلك يضل الله أهل الكفر به عنه ، وعن رحمته وعبادته ، فلا يرحمهم فينجيهم من النار ، ولا يغيثهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

﴿٧٥﴾ يعني تعالى ذكره بقوله (**ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**) هذا الذي فعلنا اليوم بكم أيها القوم من تعذيبناكم العذاب الذي أنتم فيه ، بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا ، بغير ما أذن لكم به من الباطل والمعاصي ، وبمرحكم فيها : والمرح : هو الأشر والبطر .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (**بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**) إلى (**فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ**) قال : الفرح والمرح : الفخر والحسلاء ، والعمل في الأرض بالخطيئة ، وكان ذلك في الشرك ، وهو مثل قوله لقارون : (**إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**) وذلك في الشرك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (**بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**) ، وبما كنتم تتمرحون) قال : تبسطرون وتأشرون .

حدثنا محمد، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (تَمْرَجُونَ) قال : تبطرون ، وقوله (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) يقول تعالى ذكره لهم : ادخلوا أبواب جهنم السبعة من كل باب منها جزء مقسوم منكم (فَبِئْسَ مَشْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) يقول : فبئس منزل المتكبرين في الدنيا على الله أن يوحدوه ، ويؤمنوا برسله اليوم جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : فاصبر يا محمد على ما يجادلك به هؤلاء المشركون في آيات الله التي أنزلناها عليك ، وعلى تكذيبهم إياك ، فإن الله منجز لك فيهم ما وعدك من الظفر عليهم ، والعلو عليهم ، وإحلال العقاب بهم ، كسنتنا في موسى بن عمران ومن كذب به (فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) يقول جل ثناؤه : فلما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحل بهم (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل أن يحل ذلك بهم (فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) يقول : فإلينا مصيرك ومصيرهم ، فنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحق بتخليدناهم في النار ، وإكرامناك بجوارنا في جنات النعيم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْبَاطِلُونَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا) يا محمد (رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ) إلى أممها (مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ) يقول : من أولئك الذين أرسلنا إلى أممهم من قصصنا عليك نبأهم (وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) نبأهم . وذكر عن أنس أنهم ثمانية آلاف .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا علي بن شعيب السمسار ، قال : ثنا معن بن عيسى ، قال : ثنا إبراهيم بن المهاجر بن مسمار ، عن محمد بن المنكدر ، عن يزيد بن أبان ، عن أنس بن مالك ، قال : « بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعد ثمانية آلاف من الأنبياء ، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل »

حدثنا أبو كريب قال : ثنا يونس ، عن عتبة بن عتبة البصرى العبدى ، عن أبي سهل عن وهب بن عبد الله ابن كعب بن سور الأزدي ، عن سلمان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بعث الله أربعة آلاف نبي . حدثني أحمد بن الحسين الترمذي ، قال : ثنا آدم بن أبي إياس ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن

عبد الله بن يحيى ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فى قوله (مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) قال : بعث الله عبدا حبشيا نبيا ، فهو الذى لم نقصص عليك . وقوله (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره : وما جعلنا لرسول من أرسلناه من قبلك الذين قصصناهم عليك ، والذين لم نقصصهم عليك إلى أمها أن يأتى قومه بآية فاصلة بينه وبينهم ، إلا بإذن الله له بذلك ، فيأتيهم بها ، يقول جل ثناؤه لنبيه : فلذلك لم يجعل لك أن تأتى قومك بما يسألونك من الآيات دون إذنا لك بذلك ، كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا إلا أن نأذن له به (فإذ آجاء أمر الله قضي بالحق) يعنى بالعدل ، وهو أن ينجى رسله والذين آمنوا معهم (وَحَسِيرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) يقول : وهلك هنالك الذين أبطلوا فى قلوبهم الكذب ، وافترأهم على الله وادعأهم له شريكا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ
وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ وَبُرُوكُمْ آيَاتُهُ فَأَيُّ آيَاتِ
اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى ذكره (اللَّهُ) الذى لاتصلح الألوهة إلا له أيها المشركون به من قريش (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ) من الإبل والبقر والغنم والحيل ، وغير ذلك من البهائم التى يقتنيها أهل الإسلام لمركب أو لمطعم (لِتَرْكَبُوا مِنْهَا) يعنى : الحيل والحمير (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) يعنى الإبل والبقر والغنم . وقال : (لِتَرْكَبُوا مِنْهَا) ومعناه : لتركبوا منها بعضا ومنها بعضا تأكلون ، فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حذف .

وقوله (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) وذلك أن جعل لكم من جلودها بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ، ويوم إقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين . وقوله (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) يقول : ولتبلغوا بالحمولة على بعضها ، وذلك الإبل حاجة فى صدوركم لم تكونوا بالغيها لولا هى ، إلا بشق أنفسكم ، كما قال جل ثناؤه (وَتَحْمِيلُ أَثْقَالِكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) يعنى الإبل تحمل أثقالكم إلى بلد . حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) لحاجتكم ما كانت .

وقوله (وَعَلَيْهَا) يعني : وعلى هذه الإبل ، وما جانسها من الأنعام المركوبة (وَلَحْلِ الْفُلْكِ)
يعنى : وعلى السفن (تُحْمَلُونَ) يقول نحملكم على هذه فى البر ، وعلى هذه فى البحر (وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ)
يقول : ويرىكم حججه ، (فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ) يقول : فأى حجج الله التى يرىكم أياها الناس
فى السماء والأرض تنكرون صحتها ، فتكذبون من أجل فسادها بتوحيد الله ، وتدعون من دونه إلهاً .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنْهُمْ
وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٧﴾

يقول تعالى ذكره : أفلم يسر يا محمد هؤلاء المجادلون فى آيات الله من مشركى قومك فى البلاد ، فلم
أهل سفر إلى الشام واليمن ، رحلتهم فى الشتاء والصيف ، فينظروا فيما وطئوا من البلاد إلى وقائنا بمن أوقنا
به من الأمم قبلهم ، وبروا ما أحلنا بهم من بأسنا بتكذيبهم رسلنا ، وجحودهم آياتنا ، كيف كان عاقبة
تكذيبهم ، كانوا أكثر منهم : يقول : كان أولئك الذين من قبل هؤلاء المكذبيك من قريش أكثر عدداً من
هؤلاء وأشد بطشا ، وأقوى قوة ، وأبى فى الأرض آثاراً ، لأنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا ويتخذون
مصانع .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ،
عن مجاهد (وآثاراً فى الأرض) المشى بأرجلهم (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يقول : فلما
جاءهم بأسنا وسظوتنا ، لم يغن عنهم ما كانوا يعملون من البيوت فى الجبال ، ولم يدفع عنهم ذلك شيئاً ،
ولكنهم بادوا جميعاً فهلكوا . وقد قيل : إن معنى قوله (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ) فأى شىء أغنى عنهم ، وعلى
هذا التأويل يجب أن يكون ما الأولى فى موضع نصب ، والثانية فى موضع رفع . يقول : فلهؤلاء المجادلينك
من قومك يا محمد فى أولئك معتبر إن اعتبروا ، ومتعظ إن اتعظوا ، وإن بأسنا إذا حل بالقوم المجرمين لم
يدفعه دافع ، ولم يمنعه مانع ، وهو بهم إن لم ينيبوا إلى تصديقك واقع .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ

نِسْتَهْرُؤُونَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى ذكره : فلما جاءت هؤلاء الأمم الذين من قبل قريش المكذبة رسلها رسلهم الذين أرسلهم
الله إليهم بالبينات ، يعنى : بالواضحات من حجج الله عز وجل (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ)
يقول : فرحوا جهلاً منهم بما عندهم من العلم وقالوا : لن نبعث ، ولن يعذبنا الله .
وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) قال : قولهم : نحن أعلم منهم ، لن نعدب ، ولن نبعث .
حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) بجهالتهم .
وقوله (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) يقول : وحق بهم من عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به استهزاء وسخرية .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) ما جاءتهم به رسلهم من الحق .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٩﴾

يقول تعالى ذكره : فلما رأَت هذه الأمم المكذبة رسلها بأسنا ، يعني عقاب الله الذي وعدتهم به رسلهم قد حل بهم .
كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) قال : النقيمات التي نزلت بهم .

وقوله (قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ) يقول : قالوا : أقررنا بتوحيد الله ، وصدقنا أنه لا إله غيره ، (وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ) يقول : وجحدنا الآلهة التي كنا قبل وقتنا هذا نشركها في عبادتنا الله ونعبدها معه ، ونتخذها آلهة ، فبرئنا منها .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٩٠﴾

يقول تعالى ذكره : فلم يك ينفعهم تصديقهم في الدنيا بتوحيد الله عند معاينة عقابه قد نزل ، وعذابه

قد حلّ ، لأنهم صدّقوا حين لا ينفع التصديق مصداقاً ، إذ كان قد مضى حكم الله في السابق من علمه ، أن من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (فَلَمَّ يَنْفَعُهُمْ) إيمانهم لما رأوا بأَسَنًا) : لما رأوا عذاب الله في الدنيا لم ينفعهم الإيمان عند ذلك .
وقوله (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ) يقول : ترك الله تبارك وتعالى إقبالهم ، وقبول التوبة منهم ، ومراجعتهم الإيمان بالله ، وتصديق رسالهم بعد معاينتهم بأسه ، قد نزل بهم سنته التي قد مضت في خلقه ، فلذلك لم يُقلهم ولم يقبل توبتهم في تلك الحال .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ) يقول : كذلك كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل إذا عابوا عذاب الله لم ينفعهم إيمانهم عند ذلك .
وقوله (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) يقول : وهلك عند مجيء بأس الله ، فغبت صفقته ووضع في بيعه الآخرة بالدنيا ، والمغفرة بالعذاب ، والإيمان بالكفر ، الكافرون بربهم ، الجاحدون توحيد خالقهم ، المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم .

آخر تفسير سورة حم المؤمن

(٤) سُورَةُ فَصَّلَتْ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا انْجَبَ وَخَسِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى : القول في تأويل قوله تعالى

حَمْ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
فَاعْرَضْ أَكْثَرَهُمْ فَمُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾

قال أبو جعفر : قد تقدم القول منا فيما مضى قبل في معنى « حم » ، والقول في هذا الموضع كالقول في ذلك :

وقوله (تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) يقول تعالى ذكره : هذا القرآن تنزيل من عند الرحمن الرحيم نزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) يقول : كتاب بينت آياته :
كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) قال :
بينت آياته :

وقوله (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) يقول تعالى ذكره : فُصِلت آياته هكذا .

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب القرآن ، فقال بعض نحويي البصرة قوله (كِتَابٌ فُصِّلَتْ) الكتاب خبر لمبتدأ أخبر أن التنزيل كتاب ، ثم قال (فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) شغل الفعل بالآيات حتى صارت بمنزلة الفاعل ، فنصب القرآن ، وقال : (بَشِيرًا وَنَذِيرًا) على أنه صفة ، وإن شئت جعلت نصبه على المدح كأنه حين ذكره أقبل في مدحته ، فقال : ذكرنا قرآنًا عربيًا بشيرًا ونذيرًا ، وذكرناه قرآنًا عربيًا ، وكان فيما مضى من ذكره دليل على ما أضمّر . وقال بعض نحويي الكوفة : نصب قرآنًا على الفعل : أي فصلت آياته كذلك . قال : وقد يكون النصب فيه على القطع ، لأن الكلام تام عند قوله « آياته » . قال : ولو كان رفعا على أنه من نعت الكتاب كان صوابا ، كما قال في موضع آخر (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ لِلسَّيِّئِ مُبَارَكٌ) وقال : وكذلك قوله (بَشِيرًا وَنَذِيرًا) فيه ما في (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) .

وقوله (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يقول : فصلت آيات هذا الكتاب قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون اللسان العربي بشيرًا لهم يبشرهم إن هم آمنوا به ، وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة ، ونذيرًا : يقول : ومنذرا من كذب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله في عاجل الدنيا ، وخلود الأبد في نار جهنم في آجل الآخرة . وقوله (فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ) يقول تعالى ذكره : فاستكبر عن الإصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله ، وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيرًا لهم ونذيرًا ، وهم قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) يقول : فهم لا يسمعون له فيسمعوه إعراضا عنه واستكبارا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَلَيْهِمْ

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون المعرضون عن آيات الله من مشركي قريش إذ دعاهم محمد نبي الله إلى الإقرار بتوحيد الله وتصديق ما في هذا القرآن من أمر الله ونهيه ، وسائر ما أنزل فيه (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) يقول : في أغطية (مِمَّا تَدْعُونَا) يا محمد (إِلَيْهِ) من توحيد الله ، وتصديقك فيما جئتنا به ، لانفقه ما تقول (وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) وهو الثقل ، لانسمع ما تدعوننا إليه استثقالا لما يدعو إليه وكراهة له . وقد مضى البيان قبل عن معاني هذه الأحرف بشواهد ، وذكر ما قال أهل التأويل فيه ، فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع .

وقد حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) قال : عليها أغطية كالجمعة للنسب .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ)

قال : عليها أغطية (وفي آذاننا وقْرٌ) قال : صمم .

وقوله (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) يقولون : ومن بيننا وبينك يا محمد ساتر لا يجتمع من أجله نحن وأنت ، يرى بعضنا بعضا ، وذلك الحجاب هو اختلافهم في الدين ، لأن دينهم كان عبادة الأوثان ، ودين محمد صلى الله عليه وسلم عبادة الله وحده لا شريك له ، فذلك هو الحجاب الذي زعموا أنه بينهم وبين نبي الله ، وذلك هو خلاف بعضهم بعضا في الدين .

وقوله (فاعْمَلْ إِنَّا عامِلُونَ) يقول : قالوا له صلى الله عليه وسلم : فاعمل يا محمد بدينك وما تقول إنه الحق ، إننا عاملون بديننا ، وما نقول إنه الحق ، ودع دعاءنا إلى ما تدعونا إليه من دينك ، فلإنا ندع دعاءك إلى ديننا . وأدخلت « من » في قوله (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) والمعنى : وبيننا وبينك حجاب توكيدا للكلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ۗ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۖ

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك أيها القوم : ما أنا إلا بشر من بني آدم مثلكم في الجنس والصورة والهيئة لست بملك (يُوحَىٰ إِلَيَّ) يقول : يوحى الله إليّ أن لا معبود لكم تصلح عبادته إلا معبود واحد (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) يقول : فاستقيموا إليه بالطاعة ، ووجهوا إليه وجوهكم بالرغبة والعبادة دون الآلهة والأوثان (وَاسْتَغْفِرُوهُ) يقول : وسلوه العفو لكم عن ذنوبكم التي سلفت منكم بالتوبة من شرككم ، يتب عليكم ويغفر لكم .

وقوله (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) يقول تعالى ذكره : وصديد أهل النار ، وما يسيل منهم للمدعين لله شركا العابدين الأوثان دونه الذين لا يؤتون الزكاة . اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : الذين لا يعطون الله الطاعة التي تطهرهم ، وتزكي أبدانهم ولا يوحدهونه ، وذلك قول يذكر عن ابن عباس .

ذكر الرواية بذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) قال : هم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله . حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قوله (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) : الذين لا يقولون لا إله إلا الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذين لا يقرّون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها ، ولا يعطونها أهلها . وقد ذكرنا أيضا قائل ذلك قبل .

وقد حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) قال : لا يقرّون بها ولا يؤمنون بها ، وكان يقال : إن الزكاة قنطرة الإسلام ، فمن قطعها نجبا ، ومن تخلف عنها هلك ، وقد كان أهل الردّة بعد نبي الله قالوا : أما الصلاة فنصلي ، وأما الزكاة فوالله لا تنصب أموالنا ، قال : فقال أبو بكر : والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه ، والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) قال : لو زكّوا وهم مشركون لم ينفعهم .

والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا : معناه : لا يؤدّون زكاة أموالهم ، وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة ، وأن قوله في (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) دليلا على أن ذلك كذلك ، لأن الكفار الذين عنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، فلو كان قوله (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) مرادا به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله لم يكن لقوله (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) معنى ، لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة ، وفي إتيان الله قوله (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) قوله (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) ما ينبي عن أن الزكاة في هذا الموضع معنى بها زكاة الأموال . وقوله (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) يقول : وهم بقيام الساعة ، وبعث الله خلقه أحياء من قبورهم ، من بعد بلائهم وفنائهم منكرون .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿١٠٦﴾ قُلْ أَيْنَكُمْ لتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ إِندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدّقوا الله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله ، وانتهوا عما نهاهم عنه ، وذلك هو الصالحات من الأعمال (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول : لمن فعل ذلك أجر غير منقوص عما وعدهم أن يأجرهم عليه .

وقد اختلف في تأويل ذلك أهل التأويل ، وقد بيناه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقد حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال بعضهم : غير منقوص . وقال بعضهم : غير ممنون عليهم . حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول : غير منقوص .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَسْمُ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قال : محسوب . وقوله (أَتَيْنَكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) وذلك يوم الأحد ويوم الاثنين ، وبذلك جاءت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالة العلماء ، وقد ذكرنا كثيرا من ذلك فيما مضى قبل ، ونذكر بعض ما لم نذكره قبل إن شاء الله .

ذكر بعض ما لم نذكره فيما مضى من الأخبار بذلك

حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعيد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال هناد : قرأت سائر الحديث على أبي بكر « أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض ، قال : خلق الله الأرض يوم الأحد والأثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والحراب ، فهذه أربعة ، ثم قال : أتيناكم لتكفروا بالذي خلق الأرض في يومين ، وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين لمن سأل . قال : وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال حين يموت من مات ، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس ؛ وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود له ، وأخرجه منها في آخر ساعة قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش ، قالوا : قد أصبت لو أتممت ، قالوا ثم استراح ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، فنزل (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ، فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله خلق يوما واحدا فسماه الأحد ، ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ، ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ، ثم خلق رابعا فسماه الأربعاء ، ثم خلق خامسا فسماه الخميس ؛ قال : فخلق الأرض في يومين الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، فذلك قول الناس : هو يوم ثقيل ، وخلق مواضع الأنهار والأشجار يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحوش والهوام والسياب يوم الخميس ، وخلق الإنسان يوم الجمعة ، ففرغ من خلق كل شيء يوم الجمعة .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) في الأحد والاثنين ، وقد قيل غير ذلك .

وذلك ما حدثني القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن علي قالوا : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ،

قال: أخبرني إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أبي هريرة قال: «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ خَلْقٍ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ» .

وقوله (وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا) يقول: وتجعلون لمن خلق ذلك كذلك أندادا، وهم الأكفاء من الرجال تطيعونهم في معاصي الله. وقد بينا معنى النداء بشواهد في ما مضى قبل.

وقوله (ذَلِكَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) يقول: الذي فعل هذا الفعل، وخلق الأرض في يومين، مالك جميع الجن والإنس، وسائر أجناس الخلق، وكل ما دونه مملوك له، فكيف يجوز أن يكون له نداء، هل يكون المملوك العاجز الذي لا يقدر على شيء نداء المالكه القادر عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيُنْزَلَتْ مِنْ سَمَوَاتٍ سَوَاءٍ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره: وجعل في الأرض التي خلق في يومين جبلا رواسي، وهي الثوابت في الأرض من فوقها، يعني: من فوق الأرض على ظهرها.

وقوله (وَبَارَكَ فِيهَا) يقول: وبارك في الأرض فجعلها دائمة الخير لأهلها. وقد ذكر عن السدي في ذلك ما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: (وَبَارَكَ فِيهَا) قال: أنبت شجرها. (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا):

اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: وقدر فيها أقوات أهلها، بمعنى أرزاقهم ومعاشهم. ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال: أرزاقها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال: قدر فيها أرزاق العباد، ذلك الأقوات.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) يقول: أقواتها لأهلها.

وقال آخرون: بل معناه: وقدر فيها ما يصلحها.

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن خليل بن دعلج ، عن قتادة ، قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : صلاحها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقدَّرَ فيها جبالها وأنهارها وأشجارها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) : خلق فيها جبالها وأنهارها وبحارها وشجرها ، وساكنها من الدواب كلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : جبالها ودوابها وأنهارها وبحارها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقدَّرَ فيها أقراتها من المطر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : من المطر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقدَّرَ في كل بلدة منها ما لم يجعله في الآخر منها لمعاش بعضهم من بعض بالتجارة من بلدة إلى بلدة .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن محمد الذارع ، قال : ثنا أبو محصن ، قال : ثنا حسين ، عن عكرمة ، في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : اليماني باليمن ، والسابري بسابور .

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا أبو محصن ، عن حصين ، قال : قال عكرمة (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) اليمانية باليمن ، والسابرية بسابور ، وأشباه هذا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت حصينا عن عكرمة في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : في كل أرض قوت لا يصلح في غيرها ، اليماني باليمن ، والسابري بسابور .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين عن عكرمة في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : البلد يكون فيه القوت أو الشيء لا يكون لغيره ، ألا ترى أن السابري إنما يكون بسابور ، وأن العصب إنما يكون باليمن ونحو ذلك .

حدثني إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا ابن عبد الواحد بن زياد ، عن خصيف ، عن مجاهد ، في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : السابري بسابور ، والطيالسة من الري .

حدثني إسماعيل ، قال : ثنا أبو النضر صاحب البصري ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن مطرف ، عن الضحاك في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال السابري بسابور ، والطيالسة من الري .

في قوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) قال : السابري من سابور ، والطيالسة من الري ، والخبير من اليمن .
 والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى أخبر أنه قدّر في الأرض أقوات أهلها ، وذلك ما يقوتهم من الغذاء ، ويصلحهم من المعاش ، ولم يخصص جل ثناؤه بقوله (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) أنه قدّر فيها قوتا دون قوت ، بل عمّ الخبر عن تقديره فيها جميع الأقوات ، ومما يقوت أهلها ما لا يصلحهم غيره من الغذاء ، وذلك لا يكون إلا بالمطر والتصرف في البلاد لما خصّ به بعضا دون بعض ، ومما أخرج من الجبال من الجواهر ، ومن البحر من الماء كلّي والحلي ، ولا قول في ذلك أصح مما قال جل ثناؤه : قدّر في الأرض أقوات أهلها لما وصفنا من العلة .

وقال جل ثناؤه : (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) لما ذكرنا قبل من الخبر الذي روينا عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فرغ من خلق الأرض وجميع أسبابها ومنافعها من الأشجار والماء والمندان والعمران والحراب في أربعة أيام ، أولهنّ يوم الأحد ، وآخرهنّ يوم الأربعاء .
 حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : خلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين ، في الثلاثاء والأربعاء .

وقال بعض نحوي البصرة : قال خلق الأرض في يومين ، ثم قال في أربعة أيام ، لأنه يعني أن هذا مع الأول أربعة أيام ، كما تقول : تزوّجت أمس امرأة ، واليوم ثنتين ، وإحداهما التي تزوّجتها أمس .
 وقوله (سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : تأويله : سواء لمن سأل عن مبلغ الأجل الذي خلق الله فيه الأرض ، وجعل فيها الرواسي من فوقها والبركة ، وقدّر فيها الأقوات بأهلها ، وجدّه كما أخبر الله أربعة أيام لا يزدن على ذلك ولا ينقصن منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ) من سأل عن ذلك وجدّه ، كما قال الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ) قال : من سأل فهو كما قال الله .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ) يقول : من سأل فهكذا الأمر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : سواء لمن سأل ربه شيئا مما به الحاجة إليه من الرزق ، فإن الله قد قدّر له من الأقوات في الأرض ، على قدر مسألة كل سائل منهم لو سأله لما نفذ من علمه فيهم قبل أن يخلقهم .
 ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله (سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ) قال : قدّر ذلك على قدر مسائلهم ، يعلم ذلك أنه لا يكون من مسائلهم شيء إلا شيء قد علمه قبل أن يكون

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار غير أبي جعفر والحسن البصرى (سواءً) بالنصب . وقراه أبو جعفر القارىء (سواءً) بالرفع . وقرأ الحسن (سواءً) بالجر . والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار ، وذلك قراءته بالنصب لإجماع الحجة من القراء عليه ، ولصحة معناه . وذلك أن معنى الكلام : وقد ر فيها أقواتها سواء لسائلها على ما بهم إليه الحاجة ، وعلى ما يصلحهم .

وقد ذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك (وَقَسَمَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) . وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب سواء ، فقال بعض نحويي البصرة : من نصبه جعله مضمرًا ، كأنه قال : استواء . قال : وقد قرئ بالجر وجعل اسما للمستويات : أى في أربعة أيام تامّة . وقال بعض نحويي الكوفة من خفض سواء ، جعلها من نعت الأيام ، وإن شئت من نعت الأربعة ، ومن نصبها جعلها متصلة بالأقوات . قال : وقد ترفع كأنه ابتداء ، كأنه قال ذلك (سواءً للسائلين) يقول : لمن أراد علمه . والصواب من القول في ذلك أن يكون نصبه إذا نصب حالاً من الأقوات ، إذ كانت سواء قد شبهت بالأسماء النكرة ، فقيل : مررت بقوم سواء ، فصارت تتبع النكرات ، وإذا تبعت النكرات انقطعت من المعارف فنصبت ، فقيل : مررت بإخوتك سواء ، وقد يجوز أن يكون إذا لم يدخلها تثنية ولا جمع أن تشبه بالمصادر . وأما إذا رُفعت ، فإنما ترفع ابتداء بضمير ذلك ونحوه . وإذا جرّت فعلى الإتيان للأيام أو للأربعة .

وقوله (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) يعنى تعالى ذكره : ثم استوى إلى السماء ، ثم ارتفع إلى السماء . وقد بينا أقوال أهل العلم في ذلك فيما مضى قبل :

وقوله (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) يقول جل ثناؤه : فقال الله للسماء والأرض : جيئا بما خلقت فيكما ، أما أنت يا سماء فأطلى ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم ، وأما أنت يا أرض فأخرجى ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات ، وتشققتى عن الأنهار (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) جيئا بما أحدثت فينا من خلقك ، مستجيبين لأمرك لانعصى أمرك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) قال : قال الله للسموات : أطلعى شمسى وقمرى ، وأطلى نجومى ، وقال للأرض : شققتى أنهارك وأخرجى ثمارك فقالتا : أعطينا طائعين .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، عن ابن جريج ، عن سليمان الأحول ، عن طاوس ،

عن ابن عباس ، في قوله (ائْتِيَا) : أعطيا . وفي قوله (قَالَتَا أُتَيْنَا) قالتا : أعطينا . وقيل : أتينا طائعين ، ولم يقل طائعتين ، والسماء والأرض مؤنثتان ، لأن النون والألف اللتين هما كناية أسماهما في قوله (أُتَيْنَا) نظيره كناية أسماء المخبرين من الرجال عن أنفسهم ، فأجرى قوله (طَائِعِينَ) على ماجرى به الخبر عن الرجال كذلك . وقد كان بعض أهل العربية يقول : ذهب به إلى السموات والأرض ومن فيهن . وقال آخرون منهم : قيل ذلك كذلك لأنهما لما تكلمتا أشبهتا الذكور من بني آدم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : ففرغ من خلقهن سبع سموات في يومين ، وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة . كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : استوى إلى السماء وهي دخان من تنفس الماء حين تنفس ، فجعلها سماء واحدة ، ففتقها ، فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة . وإنما سُمِّيَ يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض . وقوله (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) يقول : وألقى في كل سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) قال : ما أمر الله به وأراده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) قال : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد ، وما لا يعلم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) : خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحتها .

وقوله (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا) يقول تعالى ذكره : وزينا السماء الدنيا إليكم أيها الناس بالكواكب وهي المصابيح .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) قال : ثم زين السماء بالكواكب ، فجعلها زينة (وَحِفْظًا) من الشياطين .

واختلف أهل العربية في وجه نصبه قوله (وَحَفِظًا) فقال بعض نحوي البصرة : نصب بمعنى : وحفظناها حفظا ، كأنه قال : ونحفظها حفظا ، لأنه حين قال : (زَيْنًا بِمَصَابِيحٍ) قد أخبر أنه قد نظر في أمرها وتعهدا ، فهذا يدل على الحفظ ، كأنه قال : وحفظناها حفظا . وكان بعض نحوي الكوفة يقول : نصب ذلك على معنى : وحفظنا زيناها ، لأن الواو لو سقطت لكان إنا زينا السماء الدنيا حفظا ، وهذا القول الثاني أقرب عندنا للصحة من الأول .

وقد بينا العلة في نظير ذلك في غير موضع من هذا الكتاب ، فأغنى ذلك عن إعادته .

وقوله (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) يقول تعالى ذكره : هذا الذي وصفت لكم من خلقي السماء والأرض وما فيهما ، وتزييني السماء الدنيا بزينة الكواكب ، على ما بينت تقدير العزيز في نعمته من أعدائه ، العليم بسرائر عباده وعلائقهم ، وتديبرهم على ما فيه صلاحهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : فإن أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحججة التي بينتها لهم يا محمد ، ونبهتهم عليها فلم يؤمنوا بها ولم يقرّوا أن فاعل ذلك هو الله الذي لا إله غيره ، فقل لهم : أنذرتكم أيها الناس صاعقة مهلككم مثل صاعقة عاد وثمود .

وقد بينا فيما مضى أن معنى الصاعقة : كل ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته . وقيل في هذا الموضع عنى بها وقعة من الله وعذاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) قال : يقول : أنذرتكم وقعة مثل وقعة عاد وثمود ، قال : عذاب مثل عذاب عاد وثمود . وقوله (إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) يقول : فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود التي أهلكتهم ، إذ جاءت عادا وثمود الرسل من بين أيديهم ، فقوله « إذ » من صلة صاعقة . وعنى بقوله (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) الرسل التي أتت آباء الذين هلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين وعنى بقوله (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) : من خلف الرسل الذين بعثوا إلى آباؤهم رسلا إليهم ، وذلك أن الله بعث إلى عاد هودا ، فكذبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته إلى آباؤهم أيضا ، فكذبوهم ، فأهلكوا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَإِنْ أَعْرَضُوا) . . . إلى قوله (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) قال : الرسل التي كانت قبل هود ، والرسل الذين كانوا بعده ، بعث الله قبله رسلا ، وبعث من بعده رسلا .

وقوله (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) يقول تعالى ذكره : جاءتهم الرسل بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له ، قالوا (لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً) يقول جل ثناؤه : فقالوا لرسولهم إذ دعواهم إلى الإقرار بتوحيد الله : لو شاء ربنا أن نوحده ، ولانعبد من دونه شيئا غيره ، لأنزل إلينا ملائكة من السماء رسلا بما تدعوننا أنتم إليه ، ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا ، ولكنه رضى عبادتنا مانعبد ، فلذلك لم يرسل إلينا بالهي عن ذلك ملائكة .

وقوله (فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) يقول : قالوا لرسولهم : فإننا بالذي أرسلكم به ربكم إلينا جاحدون غير مصدقين به .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : (فَأَمَّا عَادٌ) قوم هود (فَاسْتَكْبَرُوا) على ربهم وتجبروا (فِي الْأَرْضِ) تكبرا وعتوا بغير ما أذن الله لهم به (وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ؟ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ) وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق ، وشدة البطش (هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) فيحذروا عقابه ، ويتقوا سطوته لكفرهم به ، وتكذيبهم رسله (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) يقول : وكانوا بأدلتنا وحمجنا عليهم يجحدون .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَابٍ لِنَذِيْقَهُمْ عَذَابَ الْخُرْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : فأرسلنا على عاد ريحا صرصرا .

واختلف أهل التأويل في معنى الصرصر ، فقال بعضهم : عنى بذلك أنها ريح شديدة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (رِيحًا صَرْصَرًا) قال : شديدة .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (رِيحًا صَرَّصَرًا)
شديدة السَّموم عليهم .

وقال آخرون : بل عنى بها أنها باردة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَّصَرًا)
قال : الصرصر : الباردة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (رِيحًا صَرَّصَرًا) قال :
باردة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (رِيحًا صَرَّصَرًا) قال :
باردة ذات الصوت .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله
(رِيحًا صَرَّصَرًا) يقول : ريحا فيها برد شديد .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد ، وذلك أن قوله (صَرَّصَرًا) إنما هو صوت الريح إذا
هبَّت بشدة ، فسُمع لها كقول القائل : صرر ، ثم جعل ذلك من أجل التضعيف الذي في الراء ، فقال :
ثم أبدلت إحدى الراءات صادا لكثرة الراءات ، كما قيل في رددّه : رددّه ، وفي نهه : نهه ، كما
قال رؤبة :

فَالْيَوْمَ قَدْ نَهْنَهَيْتَنِي تَنْهَنْهَيْهِ وَأَوَّلُ حِلْمٍ لَيْسَ بِالمُسْفَهَةِ !

وكما قيل في كفه : كفكه ، كما قال النابغة :

أُكْفَفِكِفُ عَسْبَرَةٌ غَلَبَتْ عُدَاتِي إِذَا نَهْنَهَيْتُهَا عَادَتْ ذُبَا حَا ٢

وقد قيل : إن النهر الذي يسمى صرصرًا ، إنما سمي بذلك لصوت الماء الجاري فيه ، وإنه فعل من صرر
نظير الريح الصرصر .

وقوله (في أيامٍ نَحِسَاتٍ) اختلف أهل التأويل في تأويل النحسات ، فقال بعضهم : عنى بها المتتابعات

(١) البيتان في ديوانه (طبع ليبسج ١٦٦) وهما أ (١٩ ، ٢٠) ونهني زجرني وكفني . يقول هذا بعد أن كبر وضعف .
والأول : الرجوع . والحلم العقل . والمسفه : المنسوب إلى السفه . يقول : كنت أستجيب لدواعي الصبا ما دمت شابا ، أما اليوم وقد
هلتي كبرة ، ورجع إلى ما عزب من عقلي ، فقد كفني عن الطيش حلمي وعقلي ، فلا أفعل ما كنت أفعل في الشباب .

(٢) نسب المؤلف البيت إلى النابغة ، ولم أجده في الديوان ولا في شروحه المختلفة . ومعنى أكفكف العبرة : أردّها . وقوله غلبت
عداتي : أي أنهم كانوا حراصا على أن أبكى بما يسيئون إلى ، فغلبتهم عبقري التي حبستها ، ونهنتها : كففتها ورددتها . وذبا حا :
ذبحا . يريد أنه حبس عبرته ، وكان حبسها كالذبح من شدة الألم لأن البكاء يخفف ما يضطرم في النفس من ألم وغیظ ونحوه . والبيت
عند المؤلف شاهد على أن كفكف ونهته وصرصر ونحوها من الفعل الرباعي المضعف : أصلها : كفف ونهه وصرر ، فلما اجتمع فيه
ثلاثة أحرف أمثال ، أبدلت إحدى الراءات من نوع فاء الكلمة . وهذا ملهّب لبعض النحويين الكوفيين ، والله أعلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (في أيامِ نَحْسَاتٍ) قال : أيام متتابعات أنزل الله فيهن العذاب . وقال آخرون : عنى بذلك المشائم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أيامِ نَحْسَاتٍ) قال : مشائم . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (في أيامِ نَحْسَاتٍ) أيام والله كانت مشثومات على القوم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : النحسات : المشثومات التكدات .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (في أيامِ نَحْسَاتٍ) قال : أيام مشثومات عليهم . وقال آخرون : معنى ذلك : أيام ذات شر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد قوله : (أيامِ نَحْسَاتٍ) قال : النحس : الشر أرسل عليهم ريح شر ليس فيها من الخير شيء . وقال آخرون : النحسات : الشداد .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول (في أيامِ نَحْسَاتٍ) قال : شداد . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بها : أيام مشائم ذات نحوس ، لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب . وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ؛ فقراءته عامة قراء الأمصار غير نافع وأبي عمرو (في أيامِ نَحْسَاتٍ) بكسر الحاء ، وقراه نافع وأبو عمرو (نَحْسَاتٍ) بسكون الحاء . وكان أبو عمرو فيما ذكر لنا عنه يحتج لتسكينه الحاء بقوله (يَوْمٌ نَحْسٌ مُسْتَمِرٌّ) وأن الحاء فيه ساكنة . والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحد منهما قراء علماء مع اتفاق معنيهما ، وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها في ذلك لغتان معروفتان ، يقال هذا يوم نحس ، ويوم نحيس ، بكسر الحاء وسكونها ، قال الفراء : أنشدني بعض العرب :

أَبْلِيغٌ جُدَّامًا وَلَخْنَا أَنَّا لِإِخْوَتِهِمْ طَيِّبًا وَبَهْرَاءَ قَوْمٍ نَصَرُهُمْ نَحِيسٌ^١

وأما من السكون فقول الله (يَوْمِ نَحِيسٍ) ؛ ومنه قول الراجز :
يَوْمَيْنِ غَيْمَيْنِ وَيَوْمًا تَشْمَسًا نَجْمَيْنِ بِالسَّعْدِ وَنَجْمًا نَحِيسًا^٢
فن كان في لغته (يَوْمِ نَحِيسٍ) قال : (في أَيَّامِ نَحِيسَاتٍ) ، ومن كان في لغته (يَوْمِ نَحِيسٍ) قال :
(في أَيَّامِ نَحِيسَاتٍ) ، وقد قال بعضهم : النَحِيسُ بسكون الحاء : هو الشؤم نفسه ، وإن إضافة اليوم إلى
النحس ، إنما هو إضافة إلى الشؤم ، وإن النَحِيسُ بكسر الحاء نعت لليوم بأنه مشؤوم ، ولذلك قيل : (في
أَيَّامِ نَحِيسَاتٍ) لأنها أيام مشائم .
وقوله (لِنُنذِرَنَّهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يقول جل ثناؤه : ولعذابنا إيّاهم في الآخرة
أخزى لهم وأشدّ إهانة وإذلالا (وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ) يقول : وهم يعني عادا لا ينصرهم من الله يوم القيامة
إذا عدّ بهم ناصر ، فينقدهم منه ، أو ينتصر لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَصَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾^(١٨)

يقول تعالى ذكره : فبيّنا لهم سبيل الحق وطريق الرشده .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَمَّا
ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) : أي بيّنا لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) بيّنا لهم سبيل
الخير والشر .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) بيّنا لهم .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ)
قال : أعلمناهم الهدى والضلالة ، ونهيناهم أن يتبعوا الضلالة ، وأمرناهم أن يتبعوا الهدى .

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (ثَمُودُ) فقراءته عامة القراء من الأمصار غير الأعمش وعبد الله بن
أبي إسحاق برفع ثمود ، وترك إجرائها على أنها اسم للأمة التي تعرف بذلك . وأما الأعمش فإنه ذكر عنه أنه

(١) البيت من شواهد القراء في معاني القرآن (الورقة ٢٨٩) عند قوله تعالى : « في أيام نحسات » . قال : العوام على تثقيلها بكسر
الحاء . وقد خفف بعض أهل المدينة « نحسات » (بسكون الحاء) . قال وقد سمعت بعض العرب ينشد : « أبلغ جداما . . . البيت » .
فهذا لمن ثقل . ومن خفف بناء على قوله « في يوم نحس مستمر » . وفي (اللسان : نحس » وقرأ أبو عمرو : « فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا
في أيام نحسات » بسكون الحاء . قال الأزهرى : هي جمع أيام نحسة ثم نحسات جمع الجمع (بسكون الحاء فيهما) . وقرأت في أيام
نحسات (بكسر الحاء) وهي المشثومات عليهم في الوجهين . اهـ .

(٢) البيتان من مشطور الرجز ، ولم نعرف قائلهما . واستشهد المؤلف بهما على أن النحس فيه لغتان : سكون الحاء ، كهذا البيت وكسرهما
كاشاهد الذي قبله . وعلى هاتين اللغتين جاءت قراءة من قرأ قوله تعالى : « في أيام نحسات » وقد سبق القول عليه في الشاهد السابق .

كان يجرى ذلك في القرآن كله إلا في قوله (وَأْتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) فإنه كان لا يجرى في هذا الموضع خاصة من أجل أنه في خط المصحف في هذا الموضع بغير ألف ، وكان يوجه ثمود إلى أنه اسم رجل بعينه معروف ، أو اسم جبل معروف . وأما ابن إسحاق فإنه كان يقرؤه نصبا . وأما ثمود بغير إجراء ، وذلك وإن كان له في العربية وجه معروف ، فإن أفصح منه وأصح في الإعراب عند أهل العربية الرفع لطلب أما الأسماء وأن الأفعال لاتليها ، وإنما تعمل العرب الأفعال التي بعد الأسماء فيها إذا حسن تقديمها قبلها والفعل في أما لا يحسن تقديمه قبل الاسم ؛ ألا ترى أنه لا يقال : وأما هدينا فثمود ، كما يقال : (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) . والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع وترك الإجراء ، أما الرفع فلما وصفت ، وأما ترك الإجراء فلأنه اسم للأمة .

وقوله (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) يقول : فاختروا العمى على البيان الذي بيّنت لهم ، والهدى الذي عرفتهم ، بأخذهم طريق الضلال على الهدى ، يعني على البيان الذي بيّنته لهم ، من توحيد الله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى)

قال : اختاروا الضلالة والعمى على الهدى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى) قال : أرسل الله إليهم الرسل بالهدى

فاستحبوا العمى على الهدى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى) يقول :

بيّنا لهم ، فاستحبوا العمى على الهدى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى

الهُدَى) قال : استحبوا الضلالة على الهدى ، وقرأ (وَكَذَلِكَ زَيْنًا لِنُكُلِ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ) . . . إلى آخر

الآية ، قال : فزين لثمود عملها القبيح ، وقرأ (أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ، فَإِنَّ اللَّهَ

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ) . . . إلى آخر الآية .

وقوله (فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ) يقول : فأهلكتهم من العذاب

المدلّ المهين لهم مهلكة أذلّتهم وأخزتهم ، والهون : هو الهوان .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (عَذَابِ الْهُونِ) قال : الهوان .

وقوله (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) من الآثام بكفرهم بالله قبل ذلك ، وخلافهم إياه ، وتكذيبهم رسله .

وقوله (وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) يقول : ونجينا الذين آمنوا من العذاب الذي أخذهم بكفرهم بالله ،

الذين وحّدوا الله ، وصدّقوا رسله (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) يقول : وكانوا يخافون الله أن يحلّ بهم من العقوبة

على كفرهم لو كفروا ما حلّ بالذين هلكوا منهم ، فأمنوا بالله ونخوف وعيده ، وصدقوا رسله ، وخلعوا الآلهة والأنداد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ
وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : ويوم يجمع هؤلاء المشركون أعداء الله إلى النار ، إلى نار جهنم ، فهم يحبس أولهم على آخرهم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَمَعَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : يحبس أولهم على آخرهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَمَعَهُمْ يُوزَعُونَ) قال : عليهم وزعة ترد أولاهم على آخرهم .

وقوله (حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ) يقول : حتى إذا ما جاءوا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به في الدنيا إليه ، ويستمعون له ، وأبصارهم بما كانوا يبصرون به وينظرون إليه في الدنيا (وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .
وقد قيل : عنى بالجلود في هذا الموضع : الفروج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن الحكم الثقي ، رجل من آل أبي عقيل رفع الحديث ، (وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْ) إنما عنى فروجهم ، ولكن كنى عنها .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا حرملة ، أنه سمع عبيد الله بن أبي جعفر ، يقول : (حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ) قال : جلودهم : الفروج .
وهذا القول الذي ذكرناه عن ذكرنا عنه في معنى الجلود وإن كان معنى يحتمله التأويل ، فليس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشيء الأقرب إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْ ثُمَّ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ
وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدنيا يعملون : لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا ؟ فأجابتهم جلودهم : (أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) فنطقنا ، وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم إذا هم أنكروا الأفعال التي كانوا فعلوها في الدنيا بما يسخط الله ، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الأخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا أحمد بن حازم الغفاري ، قال : أخبرنا علي بن قادم الفزاري ، قال : أخبرنا شريك ، عن عبيد المكتوب ، عن الشعبي ، عن أنس ، قال : « ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى بدت نواجذه ، ثم قال : ألا تتسألوني مم ضحكتم ؟ قالوا : مم ضحكتم يا رسول الله ؟ قال : عَجِبْتُ مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبِيدِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قال : يقول : يَا رَبِّ أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تَنْظِلِمَنِي ؟ قال : فَإِنَّكَ ذَلِكَ ، قال : فَإِنِّي لَا أَقْبَلُ عَلَيَّ شَاهِدًا إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، قال : أَوَلَيْسَ كَفَيْتَنِي بِشَهِيدٍ ، وَبِالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ ؟ قال : فَيُخْتَمُ عَلَيَّ فِيهِ ، وَتَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ ، قال : فَيَقُولُ لِمَنْ بَعْدَهُ لَكُنْ وَسُحْقًا ، عَنْكَ كُنْتَ أُجَادِلُ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ، عن عبيد المكتوب ، عن فضيل بن عمرو ، عن الشعبي ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

حدثني عباس بن أبي طالب ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكر ، عن شبل ، قال : سمعت أبا قرعة يحدث عمرو بن دينار ، عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ، وأشار بيده إلى الشام ، قال : هاهنا إلى هاهنا تحشرون ركبانا ومشاة على وجوهكم يوم القيامة على أفواهكم الفِدام ، تُوفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله ، وإن أول ما يعرب من أحدكم فَخِذُهُ » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الجريري ، عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تَجِيئُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَفْوَاهِكُمُ الْفِدَامُ ، وَإِنْ أَوْلَ مَا يَتَكَلَّمُ مِنَ الْآدَمِيِّ فَخِذُهُ وَكَفَّهُ » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَالِي أُمْسَسَاكُ بِحَسْرَتِكُمْ مِنَ النَّارِ؟ أَلَا إِنَّ رَبِّي دَاعِي وَإِنَّهُ سَائِلِي هَلْ بَلَغْتُ عِبَادَهُ؟ وَإِنِّي قَائِلٌ رَبِّ قَدْ بَلَغْتُهُمْ ، فَيُبَلِّغُ شَاهِدِكُمْ غَائِبِكُمْ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مُدَّعُونَ مِنْكُمْ أَفْوَاهِكُمْ بِالْفِدَامِ ، ثُمَّ إِنَّ أَوْلَ مَا يُبَيِّنُ عَنْ أَحَدِكُمْ لَفَخِذُهُ وَكَفَّهُ » .

حدثني محمد بن خلف ، قال : ثنا الهيثم بن خارجة ، عن إسماعيل بن عياش ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن عقبة ، سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ أَوْلَ عَظْمٍ تَتَكَلَّمُ مِنْ الْإِنْسَانِ يَوْمَ يُنْحَتُ عَلَى الْأَفْوَاهِ فَخِذُهُ مِنْ الرَّجُلِ الشَّمَالِ » .

وقوله (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول تعالى ذكره ، والله خلقكم الخلق الأول ولم تكونوا شيئا ، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يقول : وإليه مصيركم من بعد مماتكم ، (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) في الدنيا (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ) يوم القيامة (سَمِعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) .
واختلف أهل التأويل في معنى قوله (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) ، فقال بعضهم : معناه : وما كنتم تستخفون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) : أي تستخفون منها .
وقال آخرون : معناه : وما كنتم تتقون .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) قال : تتقون .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما كنتم تظنون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) يقول : وما كنتم تظنون (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمِعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ) حتى بلغ (كَثِيرًا مِمَّا « كُنْتُمْ » تَعْمَلُونَ) ، والله إن عليك يا ابن آدم لشهودا غير متهمة من بدنك ، فراقبهم واتق الله في سرّ أمرك وعلايتك ، فإنه لا يخفى عليه خافية ، الظلمة عنده ضوء ، والسرّ عنده علانية ، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ، ولا قوة إلا بالله .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : وما كنتم تستخفون ، فتركوا ركوب محارم الله في الدنيا حذرا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لأن المعروف من معاني الاستتار الاستخفاء .

فإن قال قائل : وكيف يستخفي الإنسان عن نفسه مما يأتي ؟ قيل : قد بينّا أن معنى ذلك إنما هو الأمان وفي تركه إتيانه إخفاؤه عن نفسه .

وقوله (وَلَكِنْ ظَنَّكُمْ أَنْ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ) (تَعْمَلُونَ) يقول جل ثناؤه : ولكن حسبتم حين ركبتُم في الدنيا ما ركبتُم من معاصي الله أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من أعمالكم الخبيثة ، فلذلك لم تستروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم ، فتركوا ركوب ما حرم الله عليكم .
وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل نفر تدارءوا بينهم في علم الله بما يقولونه ويتكلمون سرا .

(٢٠١) الظاهر أن لفظة « كنتم » زيدت سهوا من المؤلف في الموضعين .

ذكر الخبر بذلك

حدثني محمد بن يحيى القطعي ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا قيس ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر الأزدي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنت مستترا بأستار الكعبة ، فدخل ثلاثة نفر ، ثقفيان وقرشي ، أوقر شيان وثقفي ، كثير شحوم بطونهما ، قليل فقه قلوبهما ، فتكلموا بكلام لم أفهمه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما نقول ؟ فقال الرجلان : إذا رفعنا أصواتنا سمع ، وإذا لم نرفع لم يسمع ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت له ذلك ، فنزلت هذه الآية (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن وهب بن ربيعة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إني لمستر بأستار الكعبة ، إذ دخل ثلاثة نفر ثقفي وختناه قرشيان ، قليل فقه قلوبهما ، كثير شحوم بطونهما ، فتحدثوا بينهم بحديث ، فقال أحدهم : أتري الله يسمع ما قلنا ؟ ، فقال الآخر : إنه يسمع إذا رفعنا ، ولا يسمع إذا خفضنا . وقال الآخر : إذا كان يسمع منه شيئا فهو يسمعه كله ، قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت ذلك له ، فنزلت هذه الآية (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ) . . . حتى بلغ (وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا منصور ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بنحوه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَذَالِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنْنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : وهذا الذي كان منكم في الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من قبائح أعمالكم ومساوئها ، هو ظنكم الذي ظننتم برَبِّكم في الدنيا أَرْدَاكُمْ ، يعني أهلككم . يقال منه : أَرْدَى فلانا كذا وكذا : إذا أهلكه ، وَرْدَى هو : إذا هلك فهو يردى ردى ؛ ومنه قول الأعشى :
أَفِي الطَّوْفِ خِفْتُ عَلَى الرَّدَى وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَهُ لَمْ يَرِمْ !
يعنى : وكم من هالك أهله لم يرم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قوله (أَرْدَاكُمْ) قال : أهلككم .

(١) هذا البيت للأعشى يخاطب ابنته . وقد سبق القول فيه مفصلا في الجزء (٢٣ : ٦٢) وموضع الشاهد هنا هو (الردى)

يعنى الهلاك . وهو مصدر ردى (كفرح) يردى ردى . ومنه قوله تعالى : « وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنْنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : تلا الحسن : (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ) فقال : إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم ، فأما المؤمن فأحسن بالله الظن ، فأحسن العمل ؛ وأما الكافر والمنافق ، فأساء الظن فأساء العمل ، قال ربكم : (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَشِيرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ بِمَعْمُورِكُمْ وَلَا أَبْصَارِكُمْ) . . . حتى بلغ الخاسرين . قال معمر : وحدثني رجل : « إنه يؤمر برجل إلى النار ، فيلتفت فيقول : يا رب ما كان هذا ظني بك ، قال : وما كان ظنك بي ؟ قال : كان ظني أن تغفر لي ولا تعذبني ، قال : فإني عند ظنك بي . »

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : الظن ظنان ، فظن منج ، وظن مرد (قال الذين يظنون أنهم ملأوا ربهم) قال (لاني ظننت أني ملأ حسابي) ، وهذا الظن المنجى ظنا يقينا ، وقال هاهنا (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ) هذا ظن مرد .

وقوله (وَقَالَ الْكَافِرُونَ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ، وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ) وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ويروى ذلك عن ربه : « عِبْدِي عِنْدَ ظَنِّي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي » ، وموضع قوله (ذَلِكُمْ) رفع بقوله ظنكم . وإذا كان ذلك كذلك ، كان قوله (أَرْدَاكُمْ) في موضع نصب بمعنى : مرديا لكم . وقد يُحتمل أن يكون في موضع رفع بالاستئناف ، بمعنى : مرد لكم ، كما قال (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً) في قراءة من قرأه بالرفع . فعنى الكلام : هذا الظن الذي ظنتم بربكم من أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي أهلككم ، لأنكم من أجل هذا الظن اجترأتم على محارم الله فقلتم عليها ، وركبتم ما نهاكم الله عنه ، فأهلككم ذلك وأرداكم (فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) يقول : فأصبحتم اليوم من المهالكين ، قد غبتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : فإن يصبر هؤلاء الذين يحشرون إلى النار على النار ، فالنار مسكن لهم ومنزل ، (وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا) يقول : وإن يسألوا العتبي ، وهي الرجعة لهم إلى الذي يحبون بتخفيف العذاب عنهم (فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ) يقول : فليسوا بالقوم الذين يرجع بهم إلى الجنة ، فيخفف عنهم ما هم فيه من العذاب ، وذلك كقوله جل ثناؤه مخبرا عنهم (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْنَا عَلَيْهِمَا شِقْوَتُنَا) . . . إلى قوله (وَلَا تُكَلِّمُونِ) وكقولهم لخزنة جهنم : (ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ) . . . إلى قوله (وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّهِمْ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَالِسِينَ ﴿٣٥﴾

يعني تعالى ذكره بقوله (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ) وبعثنا لهم نظراء من الشياطين ، فجعلناهم لهم قرناء قرناءهم بهم يزيئون لهم قبائح أعمالهم ، فزينوا لهم ذلك .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ) قال : الشيطان .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ) قال : شياطين .
وقوله (فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) يقول : فزين لهؤلاء الكفار قرناؤهم من الشياطين ما بين أيديهم من أمر الدنيا ، فحسنوا ذلك لهم وحببوه إليهم حتى آثروه على أمر الآخرة (وَمَا خَلْفَهُمْ) يقول : وحسنوا لهم أيضا ما بعد مماتهم بأن دعوهم إلى التكذيب بالمعاد ، وأن من هلك منهم ، فلن يُبعث ، وأن لا ثواب ولا عقاب حتى صدقوهم على ذلك ، وسهل عليهم فعل كل ما يشتهونه ، وركوب كل ما يلتذونه من الفواحش باستحسانهم ذلك لأنفسهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمر الدنيا (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمر الآخرة .
وقوله (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) يقول تعالى ذكره : ووجب لهم العذاب بركوبهم ما ركبوا مما زين لهم قرناؤهم وهم من الشياطين .
كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) قال : العذاب (فِي أُمِّهِمْ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ) ، يقول تعالى ذكره : وحق على هؤلاء الذين قيسنا لهم قرناء من الشياطين ، فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم العذاب في أمم قد مضت قبلهم من ضرباتهم ، حتى عليهم من عذابنا مثل الذي حق على هؤلاء بعضهم من الجن وبعضهم من الإنس (إِنَّهُمْ كَانُوا خَالِسِينَ) يقول : إن تلك الأمم الذين حق عليهم عذابنا من الجن والإنس ، كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿١١﴾ فَلَنْذِيْقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَْجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله ورسوله من مشركي قريش (لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ) يقول : قالوا للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين : لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن إذا قرأه ، ولا تصغوا له ، ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به . .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) قال : هذا قول المشركين ، قالوا : لا تتبعوا هذا القرآن والهوا عنه .

وقوله (وَالْغَوْا فِيهِ) يقول : الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كسبًا لا تسمعوه ، ولا تفهموا ما فيه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قول الله (لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ) قال : المكاء والتصفير ، وتخليط من القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ، قريش تفعله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالْغَوْا فِيهِ) قال : بالمكاء والتصفير والتخليط في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن ، قريش تفعله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ) : أي اجحدوا به وأنكروه وعادوه ، قال : هذا قول مشركي العرب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال بعضهم في قوله (وَالْغَوْا فِيهِ) قال :

تحدثوا وصيخوا كما لا تسمعوه .

وقوله (لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) يقول : لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه ، فلا يسمعه ، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه ، فتغلبون بذلك من فعلكم محمدا ، قال الله جل ثناؤه (فَلَنْذِيْقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله من مشركي قريش الذين قالوا هذا القول عذابا شديدا في الآخرة (وَلَنَْجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : ولنثيبهم على فعلهم ذلك وغيره من أفعالهم بأقبح جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : هذا الجزاء الذي يجزى به هؤلاء الذين كفروا من مشركي قريش جزاء أعداء الله ، ثم ابتداءً جل ثناؤه الخبر عن صفة ذلك الجزاء ، وما هو؟ فقال : هو النار ، فالنار بيان عن الجزاء ، وترجمة عنه ، وهي مرفوعة بالرد عليه ثم قال (لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) يعني هؤلاء المشركين بالله في النار دار الخلد يعني دار المكث واللبث ، إلى غير نهاية ولا أمد ، والدار التي أخبر جل ثناؤه أنها لهم في النار هي النار ، وحسن ذلك لاختلاف اللفظين ، كما يقال لك من بلدتك دار صالحة ، ومن الكوفة دار كريمة ، والدار : هي الكوفة والبلدة ، فيحسن ذلك لاختلاف الألفاظ . وقد ذكر لنا أنها في قراءة ابن مسعود (ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ دَارُ الْخُلْدِ) في ذلك تصحيح ما قلنا من التأويل في ذلك ، وذلك أنه ترجم بالدار عن النار وقوله (جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) يقول : فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء من مجازاتنا لإياهم النار على فعلهم جزاء منا يمحودهم في الدنيا بآياتنا التي احتججنا بها عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ آصَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجَعَلُهُمْ أَتَقْدَامًا بَلَّغْنَا أَمْهَانَ الْجِنِّ وَمَا لَنَا بِأَنْعَامِ اللَّهِ كِتَابٌ يَكُونُ مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

يقول تعالى ذكره : وقال الذين كفروا بالله ورسوله يوم القيامة بعد ما أدخلوا جهنم : يا ربنا أَرْنَا الَّذِينَ آصَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجَعَلُهُمْ أَتَقْدَامًا بَلَّغْنَا أَمْهَانَ الْجِنِّ وَمَا لَنَا بِأَنْعَامِ اللَّهِ كِتَابٌ يَكُونُ مِنَ الْأَسْفَلِينَ . وقيل : إن الذي هو من الجن إبليس ، والذي هو من الإنس ابن آدم الذي قتل أخاه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ثابت الحداد ، عن حبة العرفي ^١ ، عن علي بن أبي طالب رضي الله في قوله (أَرْنَا الَّذِينَ آصَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) قال : إبليس الأبالسة وابن آدم الذي قتل أخاه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مالك بن حصين ، عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه في قوله (رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ آصَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) قال : إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي مالك

(١) كذا في خلاصة الخزرجي ، حبة بن جوين العرفي ، بضم المهمل الأولى ، أبو قدامة الكوفي ؛ عن علي ؛ وعنه سلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة . قال المعجل : ثقة ؛ وقال ابن سعد : مات سنة ست وسبعين . وفي الأصل : العوف ، تحريف .

وابن مالك ، عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) قال ابن آدم الذي قتل أخاه ، وإبليس الأبالسة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، في قوله (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) . . . الآية ، فإنهما ابن آدم القاتل ، وإبليس الأبالسة . فأما ابن آدم فيدعو به كل صاحب كبيرة دخل النار من أجل الدعوة . وأما إبليس فيدعو به كل صاحب شرك يدعو بهما في النار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) هو الشيطان ، وابن آدم الذي قتل أخاه . وقوله (تَجْعَلُهُمَا نَحْتًا أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) يقول : نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا ، لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض ، وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله ، وعذاب أهله أغلظ ، ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) وحده لا شريك له ، وبرئوا من الآلهة والأنداد ، (ثُمَّ اسْتَقَامُوا) على توحيد الله ، ولم يخلطوا بتوحيد الله بشرك غيره به ، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى . وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاله أهل التأويل على اختلاف منهم ، في معنى قوله (ثُمَّ اسْتَقَامُوا) ذكر الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا سالم بن قتيبة أبو قتيبة ، قال : ثنا سهيل بن أبي حزم القطعي ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : قد قالها الناس ، ثم كفر أكثرهم ، فن مات عليها فهو ممن استقام . وقال بعضهم : معناه : ولم يشركوا به شيئا ، ولكن تموا على التوحيد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن سعيد بن عمران ، قال : قد قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : هم الذين لم يشركوا بالله شيئا . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان بإسناده ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، مثله .

قال : ثنا جرير بن عبد الحميد ، وعبد الله بن إدريس ، عن الشيبان ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن الأسود بن هلال ، عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال لأصحابه (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : قالوا : ربنا الله ثم عملوا بها ، قال : لقد حملتموها على غير المحمل (الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) الذين لم يعدلوا بشرك ولا غيره .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا الشيباني ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن الأسود بن هلال المحاربي ، قال : قال أبو بكر : ما تقولون في هذه الآية : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : فقالوا : ربنا الله ثم استقاموا من ذنب ، قال . فقال أبو بكر : لقد حملتم على غير المحمل ، قالوا : ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : أى على : لا إله إلا الله .

قال : ثنا حكام عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : أصلوا ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال هم الذين قالوا ربنا الله ثم لم يشركوا به حتى لقوه .

قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن منصور ، عن جامع بن شداد ، عن الأسود بن هلال مثل ذلك . حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : تموا على ذلك .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكيم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة قوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله . وقال آخرون : معنى ذلك : ثم استقاموا على طاعته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن منيع ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : ثنا يونس بن يزيد عن الزهري ، قال : تلا عمر رضى الله عنه على المنبر (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : استقاموا والله بطاعته ، ولم يروغوا وروغان الثعلب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : استقاموا على طاعة الله . وكان الحسن إذا تلاها قال : اللهم فأنت ربنا فارزقنا الاستقامة .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) يقول : على أداء فرائضه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : على عبادة الله وعلى طاعته .
وقوله (تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) يقول : تهبط عليهم الملائكة عند نزول الموت بهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبدالرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله (تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) قال : عند الموت .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) قال : عند الموت .

وقوله (أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) يقول : تنزل عليهم الملائكة بأن لا تخافوا ولا تحزنوا ، فإن في موضع نصب إذا كان ذلك معناه .

وقد ذكر عن عبد الله أنه كان يقرأ ذلك (تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ الْأَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) بمعنى : تنزل عليهم قائلة : لا تخافوا ، ولا تحزنوا . وعنى بقوله (لَا تَخَافُوا) ما تقدمون عليه من بعد مماتكم (وَلَا تَحْزَنُوا) على ما تخلفونه وراءكم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) قال : لا تخافوا ما أمامكم ، ولا تحزنوا على ما بعدكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا يحيى بن حسان ، عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ الْأَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) قال : لا تخافوا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ، ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم من أهل وولد ، فإننا نخلفكم في ذلك كله .
وقيل : إن ذلك في الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ) فذلك في الآخرة .
وقوله (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) يقول : دسروا بأن لكم في الآخرة الجنة التي كنتم توعدها في الدنيا على إيمانكم بالله ، واستقامتكم على طاعته .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نَزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته التي تنزل على هؤلاء المؤمنين الذين استقاموا على طاعته عند موتهم (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ) أيها القوم (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) كنا نتولاكم فيها ، وذكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ، ونحن أولياؤكم في الآخرة .

وقوله (وَفِي الْآخِرَةِ) يقول : وفي الآخرة أيضا نحن أولياؤكم ، كما كنا لكم في الدنيا أولياء ، (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ) يقول : ولكم في الآخرة عند الله ما تشتهي أنفسكم من اللذات والشهوات . وقوله (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) يقول : ولكم في الآخرة ما تدعون . وقوله (نَزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) يقول : أعطاكم ذلك ربكم نزلا لكم من رب غفور لذنوبكم ، رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم ، ونصب نزلا على المصدر من معنى قوله (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) لأن في ذلك تأويل أنزلكم ربكم بما تشتهون من النعيم نزلا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى ذكره : ومن أحسن أيها الناس قولاً ممن قال ربنا الله ثم استقام على الإيمان به ، والانتها إلى أمره ونهيه ، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن عمر ، قال : تلا الحسن (وَمَنْ أَحْسَنُ

قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) قال : هذا حبيب الله ، هذا ولي الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب الخلق إلى الله ، أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحا في إجابته ، وقال : إنني من المسلمين ، فهذا خليفة الله .
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِمَّنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) . . . الآية ، قال : هذا عبد صدق قوله عمله ، ومولجته مخرجته ، وسرته علانيته ، وشاهدته مغيبه ، وإن المنافق عبد خالف قوله عمله ، ومولجته مخرجته ، وسرته علانيته ، وشاهدته مغيبه .
 واختلف أهل العلم في الذي أريد بهذه الصفة من الناس ، فقال بعضهم : عني بها نبي الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمِمَّنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم حين دعا إلى الإسلام .
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِمَّنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) قال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وقال آخرون : عني به المؤذن .

ذكر من قال ذلك

حدثني داود بن سليمان بن يزيد المكتب البصري ، قال : ثنا عمرو بن جرير البجلي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، في قول الله (وَمِمَّنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) قال : المؤذن (وَعَمِلَ صَالِحًا) قال : الصلاة ما بين الأذان إلى الإقامة .
 وقوله (وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) يقول : وقال : إنني ممن خضع لله بالطاعة ، وذل له بالعبادة ، وخضع له بالإيمان بوحدانيته .

وقوله (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) يقول تعالى ذكره : ولا تستوي حسنة الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، فأحسنوا في قولهم ، وإجابتهم ربهم إلى مادعاهم إليه من طاعته ، ودعوا عباد الله إلى مثل الذي أجابوا ربهم إليه ، وسيئة الذين قالوا (لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) فكذلك لا تستوي عند الله أحوالهم ومنازلهم ، ولكنها تختلف كما وصف جل ثناؤه أنه خالف بينهما ، وقال جل ثناؤه : (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) فكرر لا ، والمعنى : لا تستوي الحسنة والسيئة ، لأن كل ما كان غير مساو شيئا ، فالشيء الذي هو له غير مساو غير مساويه ، كما أن كل ما كان مساويا لشيء فالآخر الذي هو له مساو ، فيقال : فلان مساو فلانا ، وفلان له مساو ، فكذلك فلان ليس مساويا لفلان ، ولا فلان مساويا له ، فلذلك كررت لامع السيئة ولو لم تكن مكررة معها كان الكلام صحيحا .
 وقد كان بعض نحوي البصرة يقول : يجوز أن يقال : الثانية زائدة ؛ يريد : لا يستوي عبد الله وزيد ،

فزيدت لا توكيدا ، كما قال (لَيْسَ لَّاهِلٌ يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقْدِرُونَ) : أى لأن يعلم ، وكما قال : (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) . وقد كان بعضهم ينكر قوله هذا فى (لَيْسَ لَّاهِلٌ يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ) ، وفى قوله (لَا أُقْسِمُ) فيقول : لا الثانية فى قوله (لَيْسَ لَّاهِلٌ يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ) أن لا يقدر أن يردت إلى موضعها ، لأن النون إنما لحق يقدر أن لا العلم ، كما يقال : لا أظن زيدا لا يقوم ، بمعنى : أظن زيدا لا يقوم ؛ قال : وربما استوثقوا فاجاءوا به أولا وآخرا ، وربما اكتفوا بالأول من الثانى . وحنكى سماعا من العرب : ما كأتى أعرفها : أى كأتى لا أعرفها . قال : وأما « لا » فى قوله (لَا أُقْسِمُ) فإنما هو جواب ، والقسم بعدها مستأنف ، ولا يكون حرف الجحد مبتدأ صلة . وإنما عنى بقوله (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) ولا يستوى الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته .

وقوله (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك ، وبغفوك عن أساء إليك إساءة المسىء ، وبصبرك عليهم منكروه ما تجد منهم ، ويلقاك من قبلهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم والرفق عند الإساءة ، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان ، وخضع لهم عدوهم ، كأنه ولى حميم . وقال آخرون : معنى ذلك : ادفع بالسلام على من أساء إليك إساءته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال : بالسلام .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن مجاهد (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال : السلام عليك إذا لقيته .

وقوله (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) يقول تعالى ذكره : افعل هذا الذى أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسىء إليك بإحسانك الذى أمرتك به إليه ، فيصير المسىء إليك الذى بينك وبينه عداوة ، كأنه من ملاطفته إياك ، وبره لك ، ولى لك من بنى أعمامك ، قريب النسب بك ، والحميم : هو القريب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) : أى كأنه ولى قريب .

القول في تاويل قوله تعالى :

وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره : وما يعطى دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا لله على المكاره ، والأمور الشاقة ؛ وقال : (وما يُلقَّها) ولم يقل : وما يلقاه ، لأن معنى الكلام : وما يلقى هذه الفعلة من دفع السيئة بالتي هي أحسن .

وقوله (وما يُلقَّها إلا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ) يقول : وما يلقى هذه إلا ذو نصيب وجد له سابق في المبرات عظيم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وما يُلقَّها إلا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ) : ذو جد .

وقيل : إن ذلك الحِظُّ الذي أخبر الله جل ثناؤه في هذه الآية أنه لهؤلاء القوم هو الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وما يُلقَّها إلا الَّذِينَ صَبَرُوا) . . . الآية . والحِظُّ العظيم : الجنة . ذكر لنا أن أبا بكر رضى الله عنه شتمه رجل ونبي الله صلى الله عليه وسلم شاهد ، فعفا عنه ساعة ، ثم إن أبا بكر جاش به الغضب ، فرد عليه ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه أبو بكر ، فقال : يا رسول الله شتمني الرجل ، فغفوت وصفححت وأنت قاعد ، فلما أخذت أنتصر قمت يا نبي الله ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّهُ كَانَ يَرُدُّ عَنْكَ مَمْلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَلَمَّا قَرُبْتَ تَنْتَصِرُ ذَهَبَ الْمَلَكُ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ ، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأُجَالِسَ الشَّيْطَانَ يَا أبا بَكْرٍ . حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وما يُلقَّها إلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلقَّها إلا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ) يقول : الذين أعد الله لهم الجنة .

وقوله (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره : وإما يلقين الشيطان يا محمد في نفسك وسوسة من حديث النفس إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة ، ودعائك إلى مسأته ، فاستجر بالله واعتصم من خطواته ، إن الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته ، ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك ، العليم بما أتى في نفسك من نزغاته ، وحدتتك به نفسك ومما يذهب ذلك من قلبك ، وغير ذلك من أمور وأمور خلقه .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) قال : وسوسة ، وحديث النفس (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) قال : هذا الغضب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ
الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على وحدانيته ، وعظيم سلطانه ، اختلاف الليل والنهار ، ومعاينة كل واحد منهما صاحبه ، والشمس والقمر ، لا الشمس تدرك القمر (ولا الليل سابق النهار وكل في فلكك يسبحون) لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر ، فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم ، وإنما يجريان بها لكم بإجراء الله إياهما لكم طائعين له في جريهما ومسيرهما ، لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجرى دون إجراء الله إياهما وتسييرهما ، أو يستطيعان لكم نفعاً أو ضرراً ، وإنما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم ، فله فاسجدوا ، وإياه فاعبدوا دونهما ، فانه إن شاء طمس ضوءهما ، فترككم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلا ، ولا تبصرون شيئاً . وقيل : (واسجدوا لله الذي خلقهن) فجمع بالهاء والنون ، لأن المراد من الكلام : واسجدوا لله الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، وذلك جمع وأنث كنيتهن ، وإن كان من شأن العرب إذا جمعا الذكر إلى الأنثى أن يخرجوا كنيتهما بلفظ كناية المذكر فيقولوا : أخواك وأختاك كلمه في ، ولا يقولوا : كلمني ، لأن من شأنهم أن يؤثوا أخبار الذكور من غير بني آدم في الجمع ، فيقولوا : رأيت مع عمرو أثوابا فأخذتهن منه ، وأعجبتني خواتيم لزيد فقبضتهن منه : وقوله (إن كنتم تعبدون) يقول : إن كنتم تعبدون الله ، وتذلون له بالطاعة ، وإن من طاعته أن تخلصوا له العبادة ، ولا تشركوا في طاعتكم إياه وعبادتكوه شيئاً سواه ، فإن العبادة لا تصلح لغيره ولا تنبغي لشيء سواه .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : فإن استكبروا يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش ، وتعظموا عن أن يسجدوا لله الذي خلقهم وخلق الشمس والقمر ، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك ، ولا يتعظمون عنه ، بل يسبحون له ، ويصلون ليلاً ونهاراً ، وهم لا يسأمون : يقول : وهم لا يفرون عن عبادتهم ، ولا يملون الصلاة له .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار) قال : يعني محمداً ، يقول : عبادي ملائكة صافون يسبحون ولا يستكبرون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ
الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره : ومن حجج الله أيضا وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها ، وإعادتها
لهيئتها كما كانت من بعد فناؤها أنك يا محمد ترى الأرض دارسة غرباء ، لانتبات بها ولا زرع .
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى
الْأَرْضَ خَاشِعَةً) : أي غرباء مهشمة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ
خَاشِعَةً) قال : يابسة مهشمة (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) يقول تعالى ذكره : فإذا أنزلنا من
السماء غيثا على هذه الأرض الخاشعة اهتزت بالنبات ، يقول : تحركت به .
كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا
الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (اهْتَزَّتْ) قال : بالنبات (وَرَبَّتْ)
يقول : انتفخت :

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَرَبَّتْ) انتفخت .
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَّتْ) يعرف الغيث في سحتها وربوها .
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَرَبَّتْ) للنبات ، قال : ارتفعت قبل أن تنبت .
وقوله (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى) يقول تعالى ذكره : إن الذي أحيا هذه الأرض الدارسة
فأخرج منها النبات ، وجعلها تهتز بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها ، القادر أن يحيي
أموات بني آدم من بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم .
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كما يحيي الأرض بالمطر ،
كذلك يحيي الموتى بالماء يوم القيامة بين النفختين ، يعني بذلك تأويل قوله (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي
الْمَوْتَى) .

وقوله (إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد على إحياء خلقه بعد مماتهم
وعلى كل ما يشاء ذو قدرة لا يعجزه شيء أراده ، ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا مِّنْ يَأْتِيءُ آيَاتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠﴾

﴿١٠﴾ يعني جل ثناؤه بقوله (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا) : إن الذين يميلون عن الحق في حججنا وأدلتنا ، ويعدلون عنها تكديبا بها وجحودا لها .

وقد بيّنت فيما مضى معنى اللحد بشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع .

وسندكر بعض اختلاف المختلفين في المراد به من معناه في هذا الموضع . اختلف أهل التأويل في المراد به

من معنى الإلحاد في هذا الموضع ، فقال بعضهم : أريد به معارضة المشركين القرآن باللغظ والصفير استهزاء به .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا) قال :

المُكْمَاءُ وما ذكر معه .

وقال بعضهم : أريد به الخبر عن كذبهم في آيات الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا) قال :

يُكذِّبُونَ فِي آيَاتِنَا .

وقال آخرون : أريد به يعاندون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا)

قال : يشاققون : يعاندون .

وقال آخرون : أريد به الكفر والشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ

فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) قال : هؤلاء أهل الشرك وقال : الإلحاد : الكفر والشرك .

وقال آخرون : أريد به الخبر عن تبديلهم معاني كتاب الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله

(إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) قال : هو أن يوضع الكلام على غير موضعه ، وكل

هذه الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك قريبات المعاني ، وذلك أن اللحد والإلحاد : هو الميل ، وقد يكون ميلا عن آيات الله ، وعدولا عنها بالتكذيب بها ، ويكون بالاستهزاء منكاء وتصدية ، ويكون مفارقة لها وعنادا ، ويكون تحريفا لها وتغييرا لمعانيها .

ولا قول أولى بالصحة في ذلك مما قلنا ، وأن يعم الخبر عنهم بأنهم ألدوا في آيات الله ، كما عم ذلك ربنا تبارك وتعالى .

وقوله (لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) يقول تعالى ذكره : نحن بهم عالمون لا يخفون علينا ، ونحن لهم بالمرصاد إذ وردوا علينا ، وذلك تهديد من الله جل ثناؤه لهم بقوله : سيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يلقون من أليم عذابنا ، ثم أخبر جل ثناؤه عما هو فاعل بهم عند ورودهم عليه ، فقال : (أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا ، أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يلحدون في آياتنا اليوم في الدنيا يوم القيامة عذاب النار ، ثم قال الله : أفهذا الذي يلقي في النار خير ، أم الذي يأتي يوم القيامة آمنا من عذاب الله لإيمانه بالله جل جلاله ؟ هذا الكافر ، إنه إن آمن بآيات الله ، واتبع أمر الله ونهيه ، أمثله يوم القيامة مما حذره منه من عقابه إن ورد عليه يومئذ به كافرا .

وقوله (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) وهذا أيضا وعيد لهم من الله خرج مخرج الأمر ، وكذلك كان مجاهد يقول : حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) قال : هذا وعيد .

وقوله (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يقول جل ثناؤه : إن الله أيها الناس بأعمالكم التي تعملونها ذوخبرة وعلم لا يخفى عليه منها ، ولا من غيرها شيء .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين جحدوا هذا القرآن وكذبوا به لما جاءهم ، وعنى بالذكر القرآن . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) كفروا بالقرآن .

وقوله (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) يقول تعالى ذكره : وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه ، وحفظه من كل من أراد له تبديلا ، أو تحريفا ، أو تغييرا ، من إنسي وجني وشيطان مارد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) يقول : أعزه الله لأنه كلامه ، وحفظه من الباطل .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) قال : عزيز من الشيطان .

وقوله (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) قال : النكير من بين يديه ولا من خلفه .

وقال آخرون : معنى ذلك : لا يستطيع الشيطان أن ينقص منه حقا ، ولا يزيد فيه باطلا ، قالوا : والباطل هو الشيطان .

وقوله (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) من قبيل الحق (وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) من قبيل الباطل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) الباطل : إبليس لا يستطيع أن ينقص منه حقا ، ولا يزيد فيه باطلا .

وقال آخرون : معناه : إن الباطل لا يطيق أن يزيد فيه شيئا من الحروف ولا ينقص منه شيئا منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) قال : الباطل : هو الشيطان لا يستطيع أن يزيد فيه حرفا ولا ينقص .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : معناه : لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكنده ، وتبديل شيء من معانيه عما هو به ، وذلك هو الإتيان من بين يديه ، ولا إلحاق ما ليس منه فيه ، وذلك إتيانه من خلفه .

وقوله (تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) يقول تعالى ذكره : هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده ، وصرّهم فيما فيه مصالحهم ، حميد : يقول : محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٢٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : ما يقول لك هؤلاء المشركون المكذّبون ماجئهم به من عند ربك إلا ما قد قاله من قبلهم من الأمم لرسلم الذين كانوا من قبلك ، يقول له : فاصبر على ما نالك من أذى منهم ، كما صبر أولو العزم من الرسل ، (وَلَا تَتَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما يُقالُ لكَ إلا ما قدّمَ قبيلَ للرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ، يقول (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى في قوله (ما يُقالُ لكَ إلا ما قدّمَ قبيلَ للرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ) قال : ما يقولون إلا ما قدّمَ قال المشركون للرسل من قبلك .

وقوله (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ) يقول : إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين إليه من ذنوبهم بالصفح عنهم (وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ) يقول : وهو ذو عقاب مؤلم لمن أصرّ على كفره وذنوبه ، فمات على الإصرار على ذلك قبل التوبة منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَءَعْجَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره : ولوجعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه يا محمد أعجميا لقال قومك من قريش (لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) يعنى : هلا بينت أدلته وما فيه من آية ، فنفقهه ونعلم ما هو وما فيه ، أَعْجَمِيٌّ ، يعنى أنهم كانوا يقولون إنكارا له : أَعْجَمِيٌّ هذا القرآن ولسان الذي أنزل عليه عربى ؟
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر أنه قال فى هذه الآية (لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) قال : لو كان هذا القرآن أعجميا لقالوا القرآن أعجميٌّ ، ومحمد عربى .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن أبي عدى ، عن داود بن أبي هند ، عن جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبیر فى هذه الآية (لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) قال : الرسول عربى ، واللسان أعجميٌّ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال ثنا داود عن سعيد بن جبیر فى قوله (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) قرآن أعجميٌّ ولسان عربى .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، عن عبد الله بن مطيع بنحوه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ) فجعل عربيا أعجمي الكلام وعربي الرجل .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ) يقول : بئنت آياته ، أعجمي وعربي ، نحن قوم عرب مالنا وللعجيمة .

وقد خالف هذا القول الذي ذكرناه عن هؤلاء آخرون ، فقالوا : معنى ذلك (لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ) بعضها عربي ، وبعضها أعجمي . وهذا التأويل على تأويل من قرأ (أَعْجَمِي) بترك الاستفهام فيه ، وجعله خبرا من الله تعالى عن قيل المشركين ذلك ، يعني : هلا فصّلت آياته ، منها أعجمي تعرفه العجم ، ومنها عربي تفقهه العرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : قالت قريش : لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا ، فأنزل الله (وَقَالُوا لَوْلَا فَصَّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِي وَعَرَبِي ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً) فأنزل الله بعد هذه الآية كل لسان ، فيه (حِجَارَةٌ مِّنْ سَبْجِيلٍ) قال : فارسية أعربت سنك وكل . وقرأت قراءة الأمصار (أَعْجَمِي وَعَرَبِي ؟) على وجه الاستفهام . وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك أعجمي بهمزة واحدة على غير مذهب الاستفهام ، على المعنى الذي ذكرناه عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا القراءة التي عليها قراءة الأمصار لإجماع الحجة عليها على مذهب الاستفهام .

وقوله (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهم هو ، ويعني بقوله (هُوَ) القرآن (لِلَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله ، وصدقوا بما جاءهم به من عند ربهم (هُدًى) يعني بيان للحق (وَشِفَاءً) يعني أنه شفاء من الجهل .
وبنحو الذين قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً) قال : جعله الله نورا وبركة وشفاء للمؤمنين .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط : عن السدي (قُلْ هُوَ الَّذِي آتَيْنَاهُ الْهُدَىٰ
وَشَفَاءً) قال : القرآن .

وقوله (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْآنُ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) يقول تعالى ذكره : والذين
لا يؤمنون بالله ورسوله ، وما جاءهم به من عند الله في آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن ، وصمم لا يستمعونه
ولكنهم يعرضون عنه ، وهو عليهم عمى : يقول : وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذبين به عمى عنه ،
فلا يبصرون حججه عليهم ، وما فيه من مواضع
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْآنُ ،
وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) عموا وصموا عن القرآن ، فلا ينتفعون به ، ولا يرغبون فيه .
حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ
وَقُرْآنُ) قال : صمم (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) قال : عميت قلوبهم عنه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى)
قال : العمى : الكفر .

وقرأت قرآء الأمصار (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) بفتح الميم . وذكر عن ابن عباس أنه قرأ ، وهو عليهم
صمم (بكسر الميم على وجه النعت للقرآن .
والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرآء الأمصار .
وقوله (أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) اختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم :
معنى ذلك : تشبيهه من الله جل ثناؤه : لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل في القرآن من حججه ومواضع ببعيد
فهم سامع صوت من بعيد نودي ، فلم يفهم ما نودي ، كقول العرب للرجل القليل الفهم : إنك لتنادى
من بعيد ، وكقولهم للفهم : إنك لتأخذ الأمور من قريب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن بعض أصحابه ، عن
مجاهد (أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ) قال : بعيد من قلوبهم .
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج عن مجاهد ، بنحوه .
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِن
مَّكَانٍ بَعِيدٍ) قال : ضيّعوا أن يقبلوا الأمر من قريب ، يتوبون ويؤمنون ، فيقبل منهم ، فأبوا .
وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنهم ينادون يوم القيامة من مكان بعيد منهم بأشنع أسماهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا أبو أحمد، قال : ثنا سفيان، عن أجليح، عن الضحاك بن مزاحم (أَوْلَيْكَ يُنَادُونَ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) قال : ينادى الرجل بأشنع اسمه .

واختلاف أهل العربية في موضع تمام قوله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) فقال بعضهم تمامه (أَوْلَيْكَ يُنَادُونَ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) وجعل قائلوهذا القول خبر (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ) (أَوْلَيْكَ يُنَادُونَ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) ، وقال بعض حوئي البصرة : يجوز ذلك ، ويجوز أن يكون على الأخبار التي في القرآن يستغنى بها ، كما استغنت أشياء عن الخبر إذا طال الكلام ، وعرف المعنى ، نحو قوله (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ) وما أشبه ذلك .

قال : وحدثني شيخ من أهل العلم ، قال : سمعت عيسى بن عمر يسأل عمرو بن عبيد (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) أين خبره ؟ فقال عمرو معناه في التفسير : إن الذين كفروا بالذکر لما جاءهم كفروا به (وإنه لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) فقال عيسى : أجدت يا أبا عثمان .

وكان بعض نحوي الكوفة يقول : إن شئت جعلت جواب (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ) أَوْلَيْكَ يُنَادُونَ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ (وإنه لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) ، فيكون جوابه معلوما ، فترك فيكون أعرب الوجهين وأشبهه بما جاء في القرآن .

وقال آخرون : بل ذلك مما انصرف عن الخبر عما ابتدئ به إلى الخبر عن الذي بعده من الذكر ، فعلى هذا القول ترك الخبر عن الذين كفروا بالذکر ، وجعل الخبر عن الذكر فتمامه على هذا القول ، وإنه لكتاب عزيز ، فكان معنى الكلام عند قائل هذا القول ، إن الذكر الذي كفر به هؤلاء المشركون لما جاءهم ، وإنه لكتاب عزيز وشبهه بقوله (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ) .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال : هو مما ترك خبره اكتفاء بمعرفة السامعين بمعناه لما تناول الكلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) يا محمد ، يعني التوراة كما آتيناك الفرقان ، (فَاخْتَلَفَ فِيهِ) يقول : فاختلف في العمل بما فيه الذين أتوه من اليهود (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) يقول : ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم أنه أخر عذابهم إلى يوم القيامة لقضى بينهم : يقول : لعجل الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه بإهلاكه المبطلين منهم .

كما حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) قال : أخرها إلى يوم القيامة .

وقوله (وَإِنَّهُمْ لَنَبِيٍّ مِنْهُمْ مُرِيبٍ) يقول : وإن الفريق المبطل منهم لى شك مما قالوا فيه مُرِيبٍ : يقول : يريبهم قولهم فيه ما قالوا ، لأنهم قالوا بغير ثبت ، وإنما قالوه ظناً .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره : من عمل بطاعة الله في هذه الدنيا ، فأتمر لأمره ، وانتهى عما نهاه عنه (فَلِنَفْسِهِ) يقول : فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل ، لأنه يجازى عليه جزاءه ، فيستوجب في المعاد من الله الجنة ، والنجاة من النار ، (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) يقول : ومن عمل بمعاصي الله فيها ، فعلى نفسه جنى ، لأنه أكسبها بذلك سخط الله ، والعقاب الأليم (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) يقول تعالى ذكره : وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه ، بل لا يعاقب أحداً إلا على جرمه الذي اكتسبه في الدنيا ، أو على صيب استحقه به منه ، والله أعلم .

تم الجزء الرابع والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه الجزء الخامس والعشرون

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ)

